وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 ـ أبو القاسم سعد الله ـ

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية

(433 هـ – 625هـ/ 1041 م- 1228م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

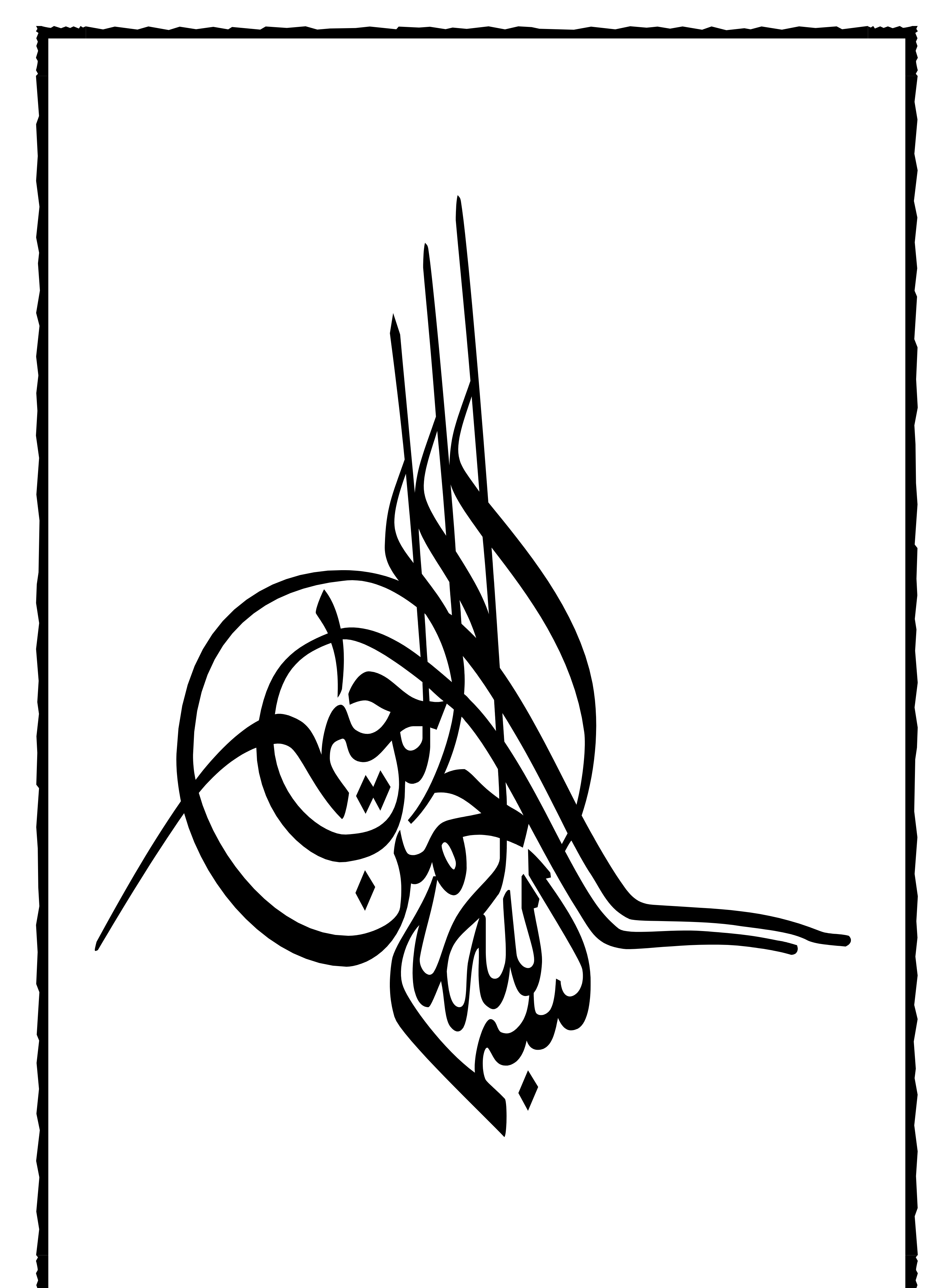
إعداد الطالب: إشراف الاستاذ الدكتور:

ربيع رقي مروان بن شوش

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الاصلية	الصفة
أ. د الحاج العيفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	رئيسا
أ.د مروان بن شوش	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	مشرفا ومقررا
أ.د نور الدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
أ.د موسى هواري	استاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
أ .د فاطمة بوعمامة	أستاذة التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا مناقشا
د.البشير بوقعدة	أستاذ التعليم–أ–	جامعة سطيف	عضوا مناقشا

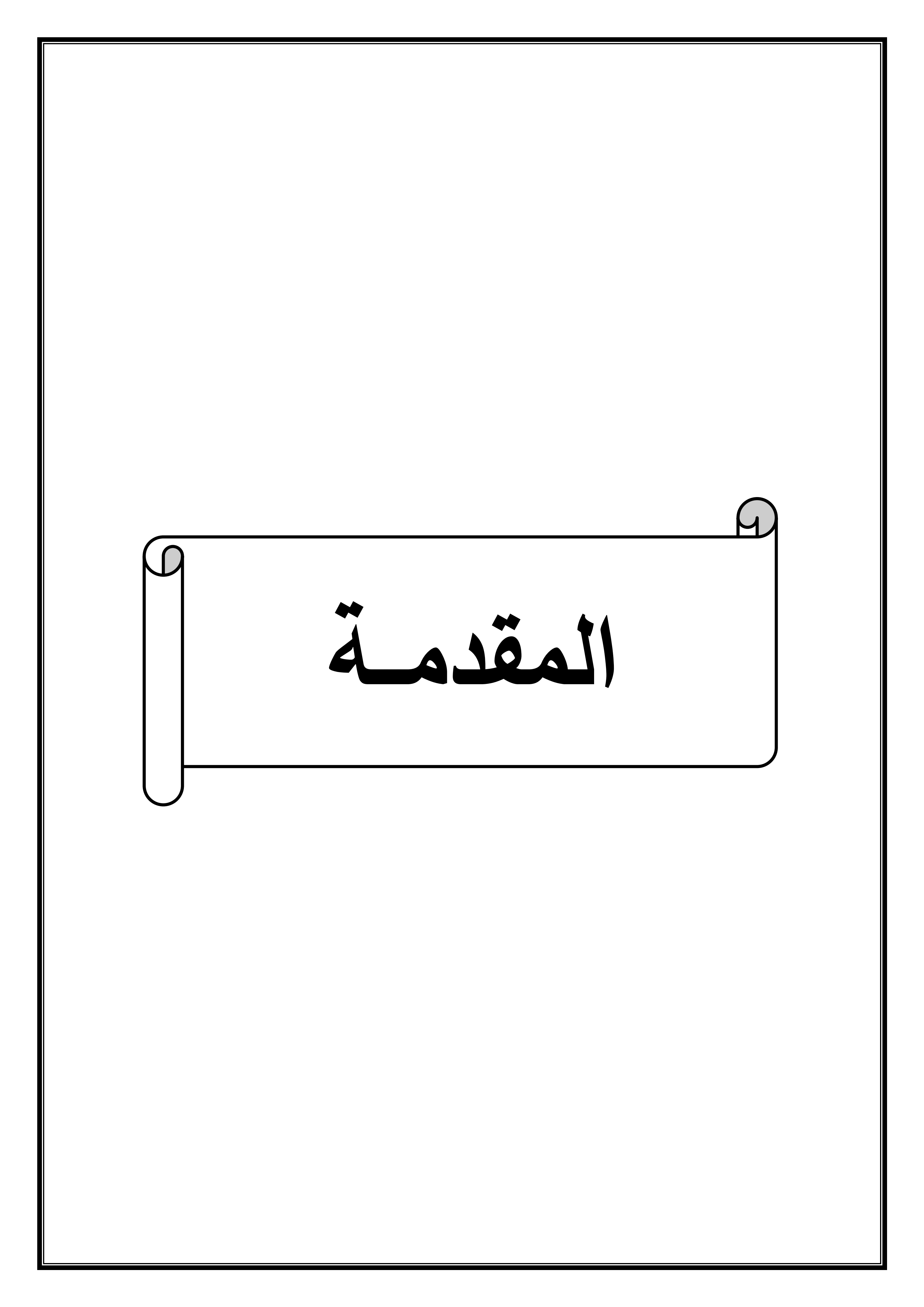
السنة الجامعية: 2023/2022


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر واهداء

لله الحمد والمنة والشكر الدائم على ان يسر لي طلب العلم وسهل طريقه، وانه من تمام الشكر لله وكماله ان اشكر ذوي الفضل علي واولاهم الاستاذ الفاضل مروان بن شوش الذي اشرف علي وصبر معي طوال مدة العمل، ثم الشكر للاستاذ محمدالامين بلغيث الذي انار لي طريق الدراسات الاندلسية في مرحلة الماجستير. كمااشكر الاساتذة الموقرين اعضاء لجنة المناقشة على قبولهم القراءة والمناقشة والتصويب والتصحيح، فلهم اخلص عبارات التقدير والامتنان على عملهم وجهدهم.

و أقدّم كذلك شكري لكل من أعانني وساعدني من قريب او بعيد، فجزاهم الله كل خير وهناء. دون أن أنس تقديم اهدائي للوالدين الغاليين بدعواتهما، وللزوجة الفاضلة التي كانت عونا لي وسندا في السرّاء والضرّاء، و لأولادي الاحبّاء قرّة العين رتاج و سرين و معاذ.


المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الخلق وأفضل المرسلين وبعد:

إنّ الحديث عن الأندلس وتاريخها وحضارتها يؤدّي بنا للحديث عن أمجاد المسلمين الخالدة وأثارهم المندثرة و الباقية، وعن انجازاتهم التي أثارت الفضول وأبهرت العقول، وقد كانت الاندلس الإسلامية لثمانية قرون مركز إشعاع حضاري في الغرب الاسلامي وفي الحوض الغربي للبحر المتوسط أنار ظلمة القرون الوسطى، وأزاح غشاوة الجهل والتخلف الذي عرفته أوروبا والغرب المسيحي النصراني، وتمكن المسلمون في الأندلس بحضارتهم وتنظيماتهم وعلومهم من ابهار العالم وابهار المسحيين خاصة، و مدّهم بأدوات الحضارة والمدنية واخراجهم من وحل الهمجية والخرافات، وطغيان الكنيسة وجبروت الملوك والحكام.

وفضلا عن ذلك فإن ازدهار الاندلس واشعاعها دليل واضح على عالمية الاسلام وسماحته، حيث عاشت أجناس وأعراق متنوعة جنبا إلى جنب في نسيج اجتماعي بديع ومتناسق يسوده مبدأ تقبل الآخر رغم الاختلاف، وساهم الجميع في ازدهار الحاضرة الاندلسية التي جسدت صورة الاسلام الحقيقي، وظهرت صورها في مدنها التي كانت مراكزا حضارية وعلمية وروافدا للتطور والمدنية، ومقياسا لتطور الأمم والشعوب وما وصلت اليه الحضارة الانسانية.

وإذا كان ازدهار حضارة الاندلس بمدنها وسكانها يثير فينا مشاعر الاعتزاز والفخر، ففي ذات الوقت يؤجج أحاسيس الحزن والحرقة على أمجاد اسلامية غابرة وفردوس ضائع وتراث مفقود، ضاع بسبب صراع المسلمين على الدنيا وتهاونهم وتواطأ بعضهم، وتكالب الأعداء لتطوى صفحة مشرقة من تاريخ المسلمين في الأندلس.

ومن هذا المنطلق لطالما شد انتباهي وأثار فضولي تاريخ الاندلس وعزها المجيد وازدهار مدنها التي قدمت الكثير من العلوم والعلماء والانجازات والاختراعات في شتى الميادين، ولطالما استوقفتني مدن الأندلس بسكانها وعمرانها وعلومها، فلكل مدينة تاريخ

وقصة وآثار وعبرة، وإن اختلفت بين المشهور والمغمور والبسيط والمعمور، فنجد المرية بمينائها وتجارتها واسطولها، وسرقسطة ببنيانها وبياضها، وقرطبة بجامعها وعلومها، وإشبيلية بعمرانها وفنونها، وغرناطة بقصورها، وشاطبة بورقها، ومرسية بساحلها.... وهذا الاختلاف أعطى تنوعا وتميزا لحضارة الأندلس، فنالت بذلك مدنها مكانة في تاريخ الغرب الاسلامي وفي التاريخ الانساني.

وقد انكب الكثير من الباحثين والدارسين في العقود الأخيرة على البحث في تاريخ مدن الاندلس والتطورات الاجتماعية والاقتصادية فيها، وكل ما تعلق بالإنسان والمجتمع والاقتصاد مبتعدين عن التاريخ الوصفي الذي ساد لوقت من الزمن، ومن الأهمية دراسة تاريخ مدن الأندلس اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا لمعرفة تطور المجتمع المحلي وفعاليته، وابراز النجاحات والاخفاقات بعيدا عن كل تفاخر أو تعصب وإحداث الاسقاطات التي تؤسس لنجاحات مستقبلية.

* اختيار الموضوع واهميته:

وفي هذا الإطار يندرج موضوع الدراسة الموسوم بـ " الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية 433هـ-625هـ/ 1041م- 1228م " وهي دراسة تعنى بإبراز هوية المرية وعلاقة السكان بينهم من خلال دراسة المدينة وإقليمها، وتطورها التاريخي والعمراني والتغيرات التي طرأت عليها والمظاهر الاجتماعية والاقتصادية فيها، والوظيفة التي كانت تؤديها لصالح سكانها ولصالح مناطق أخرى انطلاقا من موقعها الجغرافي، وتجمع هذه الدراسة الاجتماعية والاقتصادية زيادة على الجانب الاجتماعي والاقتصادي جوانب سياسية وثقافية ودينية وعمرانية. وتجدر الاشارة انه سبق لي ان افردت دراسة للحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمرية في عصر المرابطين484هـ-542هـ/1091م-1147م في مرحلة الماجستير، فجاءت هذه الدراسة كتتمة لها ومواصلة للبحث في التاريخ الحضاري لهذه المدينة الاسلامية.

وموضوع الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية في هذه المرحلة له أهمية كبيرة فقد لفت انتباهي تاريخ هذه المدينة الساحلية في جنوب شرق الأندلس، وتعاظم مكانتها مع الوقت لاسيما بعد تأسيسها كمدينة قائمة عام 344 ه /955م بأمر من الخليفة الاموي عبد الرحمان الناصر، فصارت قاعدة الإقليم لها مناطق وأعمال تابعة، وبقيت محافظة على مكانتها وأهميتها كمدينة استراتيجية وحاجز متقدم للدفاع عن المجال الاندلسي منذ العهد الاموي وفي عصر الطوائف وكذا عصري المرابطين ثم الموحدين، أضف إلى ذلك دور مينائها عسكريا باحتوائه على عدد كبير من قطع الأسطول الاندلسي، ودار صناعتها المنتجة لأنواع من المراكب والسفن التي قل مثلها في بلاد الاندلس وغرب المتوسط. كما شد انتباهي أيضا تطور أهمية المرية وتعدد أدوارها حيث تعدت البعد الأمني العسكري إلى البعد الاقتصادي فصارت محطة تجارية دولية ترتبط بخطوط تجارية مع عدة اقطار في قارات مختلفة وفيها يتم تصريف البضائع بالصادر والوارد وازدهرت صناعتها وزراعتها. كما كانت المرية بوابة للأندلس ومنفذا بحريا للأندلسيين منها يركب الجميع لوجهات متعددة و لأغراض متنوعة، ولم تمنع هذه الادوار في ازدهار الحياة و العلوم و ممارسة السكان حياتهم في جو من التعايش والاستمتاع بالحياة وطيباتها.

وبقيت المرية تؤدي دورها الأمني والاقتصادي، ومحافظة على مكانتها وأهميتها رغم تغير السلطة الحاكمة حيث حكمها في هذه المرحلة بنو صمادح منذ 433هـ – 1041م لمدة خمسين سنة وجعلوا منا عاصمة مملكتهم ودار سلطانهم وبالغوا في رعايتها حتى صارت حاضرة من حواضر الاندلس تنافس حواضر أخرى كقرطبة وغرناطة واشبيلية وسرقسطة وغيرها. و ازدهرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد بني صمادح، وانتهت إلى درجة من الريع واتساع العمران، ثم جاء بعدهم المرابطون ليحكموا الأندلس منذ عام 484هـ /1091م في ظروف أقل ما يقال أنها مأساوية وقاتمة، و لولا تدخّلهم في اللحظة الحاسمة لسقطت مدن الأندلس الواحدة تلوى الأخرى بأيادي النصارى الذين استغلوا انقسام المسلمين

وضعف ملوك الطوائف، وقد أعاد المرابطون الروح للأندلس وشجعوا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وصارت المرية في عهدهم قاعدة مهمة للأسطول الذي يدافع عن الاندلس ويخرج للغزو، ومحطة كبيرة للتجارة الدولية في البحر الأبيض المتوسط، وعامرة بالصناعات والخيرات الزراعية والعلوم المختلفة، وحدث أن خلف الموحدون المرابطين في حكم الاندلس منذ 542هـ/1147م ولم يتوانوا هم أيضا في حماية الاندلس وتشجيع الانشطة الاقتصادية والحياة العلمية والفكرية وفي عهدهم كانت المرية قاعدة من قواعد أسطولهم في الاندلس ومركز للتجارة الدولية ولها صناعة وزراعة نشطة كما كان لها علماؤها وفضلاؤها.

وفي هذه المدة الزمنية كانت المرية تعج بالحركة والنشاط ويسكنها أجناس عدة، وأرباضها مكتظة وأسواقها نافقة والميناء عامر بالمراكب والسفن الواردة والصادرة، وازدهرت الصناعة خاصة النسيجية وأهمها على الإطلاق منسوجات الحرير، كما تنوعت المحاصيل الزراعية ومنتوجات الأرض وقد عاد هذا الازدهار الاجتماعي والاقتصادي بالفائدة الجمة على السكان والمدينة وعلى السلطة الحاكمة.

ورغم الإدراك بعدم الإحاطة بكل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية في هذه المدة الزمنية الطويلة نسبيا مع إشكالية المادة المصدرية إلا أن محاولة دراستها يعتبر عملا مهما من الناحية الحضارية والتاريخية في حق مدينة اسلامية كانت لها مكانة في حضارة الأندلس، ومهما علميا باعتبارها دراسة من دراسات أخرى حول هذه المدينة والجوانب المتعلقة بها.

*** <u>إشكالية الموضوع:</u>**

تطرح هذه الدراسة إشكالية اساسية تتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الثانوية المشكلة لهيكلة البحث، والاشكالية هي:

- كيف تطوّرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية ما بين 433هـ -625هـ/ 1041م-1228م ؟ وماهي الابعاد الحضارية للمرية الاسلامية في هذه المرحلة التاريخية؟ وهل كان لها دور في المنظومة الاقتصادية والامنية للأندلس؟

و تصاحب هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

- كيف تطورت المرية تاريخيا وعمرانيا؟ وكيف كانت التركيبة الاجتماعية و احوال سكانها؟

- هل كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية مزدهرة؟ وهل شملت كل الجوانب؟

- ما هي مكانة المرية في حضارة الاندلس؟

* **خطة البحث:**

لمعالجة اشكالية موضوع الدراسة والاجابة على التساؤلات قسمت البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة ومجموعة ملاحق.

المقدمة: خصصتها لتقديم الموضوع وأهميته وأسباب اختياره وإشكاليته، ومنهج البحث والدراسات السابقة ونظرة على المصادر المهمة المعتمدة وخطة البحث.

الفصل التمهيدي: تضمن لمحة تاريخية عن الأندلس تناولت فيه الأندلس من قبل الفتح الاسلامي من حيث الجغرافيا وسكانها وأوضاعها، ثم الفتح الاسلامي وظروفه ومراحله وبعدها الحكم الاسلامي للأندلس ومراحله. وبدا لي افراد هذا الفصل نضرا لاهمية الجانب السياسي والتغيرات والتطورات السياسية للأندلس في هذه المرحلة الزمنية.

الفصل الأول: عنونته بـ" المرية: تاريخ وجغرافيا" وفيه الخصائص الطبيعية والجغرافية للمرية والموقع ثم نشأة مدينة المرية، وعلاقتها ببجانة وتطورها والهدف من انشاء المرية وأهميتها، ثم تناولت تاريخ المرية و عصور الحكم المختلفة التي مرت على المرية.

الفصل الثاني: جاء بعنوان "المرية: العمران والمجتمع" تطرقت فيه إلى أعمال ومناطق المرية التابعة لها أي أقاليمها، وتطور العمران في المرية والأقسام العمرانية والمرافق، ثم

تناولت مجتمع المرية من حيث العناصر المشكلة له والفئات الموجودة، وبعدها تطرقت إلى السكان والمدينة من حيث أحوالهم وحياتهم والمدينة و شكلها وسيرها.

الفصل الثالث: قدمت في هذا الفصل "صورا عن الحياة الاجتماعية في المرية" بداية بالعلم والعلماء وأصناف من العلوم التي اشتهرت في المرية كعلوم الدين واللغة والأدب والشعر والتاريخ والجغرافيا والطب والرياضيات والفلك والفلسفة، ثم تطرقت إلى التصوف في المرية ونظرة عن المساجد والجهاد في المرية والأسطول المجاهد. وكذلك المرأة ومكانتها واللباس والجنائز، والسياحة والاستجمام والاحتفالات والمتنزهات والطعام والمطبخ.

الفصل الرابع: جاء بعنوان "المقومات الاقتصادية والصناعة في المرية" وتطرقت فيه إلى المقومات الاقتصادية والامكانيات والموارد، وعوامل الازدهار الصناعي والاقتصادي في المرية كالموقع واليد العاملة والمرافق وشبكة المواصلات والطرق، وسياسة السلطة الاقتصادية ودور الحسبة في تنظيم النشاط الاقتصادي، ثم تطرقت إلى الصناعة في المرية وأنواعها كالصناعة النسيجية والمعدنية والحجرية وأشهرها الرخام، والصناعة البحرية والزجاجية وصناعة الحلي والصناعة التحويلية وغيرها من الصناعات التي كانت بالمرية وازدهرت فيها.

الفصل الخامس: تطرقت فيه إلى "الزراعة والتجارة في المرية" بدءً بالزراعة ومقوماتها وأنواع المحاصيل كالخضر والفواكه والحبوب والغلال الموجه للتحويل والصناعة منها الكروم والزيتون، وبعدها الأنشطة المكملة مثل الصيد البحري وتربية المواشي والطيور والنحل، ثم تناولت الأرض وخدمتها وطرق السقي والري وأدوات الفلاحة. وفي الأخير تطرقت إلى التجارة وواقعها في المرية والتجار وخطوط التجارة، ثم المبادلات التجارية من صادرات وواردات ودور ميناء المرية في التجارة البحرية ونظام الميناء والعملة.

الخاتمة: ضمّنتها أهم النتائج المستخلصة من البحث والدراسة حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية وكذا آفاق الدراسة.

وفي نهاية الدراسة أفردت مجموعة ملاحق رأيتها ضرورية تخدم الموضوع كالخرائط ورسومات وجداول.

* **منهجية البحث:**

إن المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي الذي من أدواته الوصف الذي يتناول الموضوع في بيئة خاصة وزمن معين ويدرس الأحداث والوقائع، كما استعنت بالتحليل والمقارنة لتحليل الظواهر والمقارنة بين العهود والمظاهر المختلفة مع اللجوء إلى الاستقراء والمقاربات في ظل غياب المادة التاريخية والمعلومات الدقيقة كالأرقام والاحصائيات، وتعذر الوصول إلى المادة الخبرية الكافية لسدّ الفجوات، وهو حال الكثير من الدراسات المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي، ولاسيما اذا تعلق الامر بدراسة مدينة أي في نطاق جغرافي محدّد وهو حال مدينة المرية.

* **الدراسات السابقة:**

من خلال البحث عن الدراسات المتعلقة بمدينة المرية أو المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي في هذه المرحلة عثرنا على هذ الدراسات:

– عيسى بن ذيب، المغرب والاندلس في عصر المرابطين (دراسة اجتماعية واقتصادية)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: أحمد شريفي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008–2009.

– نسرين عباس محمد الطيب، مدينة المرية والأثر السياسي لدول المغرب العربي عليها 344هـ –750هـ /955(م –1349م)، رسالة ماجستير في التاريخ: اشراف الفاتح الزين الشيخ إدريس، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2006.

- ربيع رقي، مدينة المرية في عصر المرابطين (دراسة اجتماعية واقتصادية)، 484هـ-542هـ/ 1091م-1147م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف: محمد الامين بلغيث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر2، 2013-2014.

*** مصادر الدراسة:**

نظرا لموضوع الدراسة وتعدد جوانبها وطول المرحلة التاريخية كان لزاما أن نعتمد على مصادر متنوعة سواء التاريخية والجغرافية أو كتب التراجم والحسبة والكتب العلمية بالإضافة إلى المراجع المختلفة:

- كتب التاريخ:

* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (كان حيا 712 هـ/1313م)، دار الثقافة بيروت، هو كتاب ذو قيمة تاريخية ولا غنى لأي باحث عنه، حيث يتناول أحداث وتفاصيل مهمة عن الأندلس وعصر الطوائف والمرابطين والموحدين، وقد استفاد ابن عذاري من مصادر أخرى كثيرة، فجاء كتابه ثريا بالمعلومات التاريخية والجغرافية.

* الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن ابي زرع (ت 741هـ/1341م)، في هذا المؤلف يتطرق ابن أبي زرع إلى تاريخ المغرب وملوكها كالأدارسة والمرابطين والموحدين وأعمالهم ومنجزاتهم، والأحداث التي وقعت في المغرب والأندلس وصراع المسلمين والنصارى والمعارك التي دارت بينهم، ويذكر ابن أبي زرع أحداث أخرى كالجفاف والقحط والغلاء مما يعطيه أهمية بالغة.

* المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ- 1250م أو 621هـ-1224م) وكان حيا في النصف الأول للقرن 7هـ/13م، يعتبر كتاب المعجب من المؤلفات الأصيلة في تاريخ المغرب والأندلس وفيه تفاصيل قيمة ودقيقة عن أحوال الأندلس

والمرابطين والموحدين الذين كان مقربا منهم، كما يذكر المراكشي اخبار جغرافية مهمة عن الانهار والمسافات والموارد، ولا غنى للدراسين والباحثين عن هذا الكتاب الذي جاء في طبعات.

* الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ينسب لمجهول من أهل القرن 8هـ /14م- أحيانا ينسب لابن خطيب- (طبعة دار الرشاد 1979)، وظاهر الكتاب أنه تاريخ لمدينة مراكش غير أنه يتطرق لتاريخ المغرب الأندلس ويورد تفاصيل مهمة وأخبار قيمة عن الاندلس والمرابطين والموحدين، ويعتبر من أمهات المصادر المغربية التي تتناول تاريخ المرابطين والموحدين والاحداث التي جرت في ايامهم.

* العبر لابن خلدون (ت 808هـ/1406م) جاء في طبعات عديدة يمثل أهم المصادر التاريخية للمغرب والأندلس فيتناول الاحداث بالتفصيل والتحليل، ويتطرق إلى أخبار الأمم والشعوب والقبائل وبالتالي يعتبر موسوعة شاملة، والتي تفيد الباحث في دراسته وعمله ولا يستغنى عنه بحال من الاحوال ولا سيما، ان ابن خلدون عرف بقدرته على المقاربة والتحليل.

* نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م) جاء في طبعات وأجزاء تحقيق احسان عباس، وهذا المؤلف يعتبر موسوعة أدبية تاريخية تضمنت تراجم عديدة ومعلومات تاريخية غاية في الأهمية والثراء ويمكن لأي باحث استغلال مادته الثرية، وقد ذكر المرية في مرات كثيرة وأورد معلومات عن خيراتها ووديانها وتجارتها وتاريخها ورجالها وغيرها من الاخبار، اعتمدنا في الدراسة على طبعة دار صادر (بيروت)، ودار الأبحاث(الجزائر).

* الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) يعتبر كتاب تاريخ وأدب يتناول أحداثا عديدة بالتفصيل ويعطي معلومات قيمة عن الشخصيات وغيرها لاسيما أن ابن

الخطيب شخصية علمية شاملة كمفكر ومؤرخ وأديب وموظف دولة استفاد من المصادر التي سبقته وجاء كتابه غنيا بالأخبار والاحداث عن الأندلس ومدنها.

* الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630هـ/1233م) وإن كان ابن الاثير مؤلفا مشرقيا إلا أنه تطرق إلى أحداث وتاريخ المغرب والاندلس معتمدا على مصادر مغربية وأندلسية وذكر المرابطين والموحدين، وكتابه على شكل الحوليات المعروفة.

* نهاية الإرب في معرفة الأدب للنويري (ت 719هـ/1319م)، كتاب يتناول بين فصوله تاريخ المغرب والأندلس يمتاز بأسلوب سهل، واستفدت منه في معلومات قيمة عن الاندلس والشخصيات الأندلسية ويمكن اعتباره كتاب تراجم.

* التبيان (مذكرات) للأمير عبد الله الزيري (ت بعد 484 هـ /1091م في المنفى) وهو آخر ملوك بني زيري أصحاب غرناطة في عصر الطوائف يقدم تفاصيل كثيرة عن أوضاع الأندلس في تلك المرحلة وتزايد الضغط النصراني على المسلمين، وقدوم المرابطين، وبالتالي هو شاهد عيان على تلك الحقبة، الكتاب من تحقيق بروفسنال، دار المعارف، القاهرة، 1955.

* ذكر بلاد الاندلس لمجهول (من القرن 8هـ / 14م) تحقيق لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد 1983، (ج1)، يتناول تاريخ الاندلس بأسلوب شيق يحتوي على معلومات ثرية عن الأندلس وحكامها وأخبار تتعلق بعصر الطوائف والموارد الموجودة في المرية والاندلس وغيرها وقد أفادني في عدة مواضع.

- **<u>كتب الجغرافيا:</u>**

* صورة الأرض لابن حوقل النصيبي (ت 367هـ/978م) يعتبر موسوعة جغرافية تاريخية غنية وثرية بالأحداث والتواريخ والمعلومات، ويمكن اعتبارها سابقة عن غيرها من حيث الترتيب والتبويب والأسلوب، وابن حوقل من الرحالة التجار المثقفين امتاز بأسلوب سلس نقل

به مشاهداته من خلال رحلاته وتجارته، كما أنه تطرق إلى خصائص الأقاليم وطبائع الشعوب وهو بالتالي يجمع بين الجغرافيا والتاريخ وتصوير سلوكيات الناس، وقد دخل إلى الاندلس عام 337هـ في عهد عبد الرحمان الناصر ونقل ما شاهده، وقد أفادني كثيرا في نقاط كثيرة كالمسافات بين المدن والموارد الموجودة والانشطة الاقتصادية (الصناعة، الزراعة والتجارة)، وتربية الحيوان، الكتاب من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

* نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري الدلائي، (ت 478هـ/1085م) وهو عالم المرية ومحدثها ومؤرخها وفقيهها، يعتبر هذا الكتاب من أجل الكتب الجغرافية الغنية بالمعلومات التاريخية عن المدن و الأقاليم التي يذكر عددا كبيرا منها لا توجد عند غيره، فيذكر تاريخ المدن وأهم أقاليمها والأسر الحاكمة والثوار بها، وخصائصها والمسافات بينها وأهم الأنشطة الاقتصادية الموجودة حتى بعض الغرائب والعجائب فيها، والكتاب وإن كان غير كامل فإن معلوماته غنية وثرية تصور بدقة المدن وجغرافيتها وخصائصها، و بالرغم من أن العذري أصيل المرية ودفينها إلا أن معلوماته عنها شحيحة ومقتضبة وهو الذي عاش في كنف بني صمادح وحكامها في عصر الطوائف، ومع ذلك فقد أفادني كثيرا حول تأسيس المرية وعمرانها وأسوارها وأبوابها وأسطولها وميناءها، ودار صناعتها وخيراتها وأيضا حول بجانة وعمرانها ويذكر المرية في بداية الفتنة مطلع القرن 05هـ/11م وتحسن احوالها، الكتاب من منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، 1965.

* المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت 487هـ /1094م) جاء في عدة طبعات لمحققين مختلفين، يعتبر هذا الكتاب موسوعة جغرافية وتاريخية ضخمة للأقاليم والمدن وخواصها وعادات شعوبها رغم أن البكري لم يرتحل ليسجل مشاهداته بل جمع مادته من الكتب والمصادر المختلفة، فجاءت في نسق وترتيب فريد وشيق. وقد أفادني جدا في مواضع كثيرة كخصائص مدن الأندلس على سبيل المثال استخراج المرجان في المرية، وذكر الموارد

الموجودة فيها ومراسيها وما يقابلها من مراسي بلاد المغرب، والتجارة بين مدن الاندلس و مدن المغرب، وقد اعتمدنا على طبعات مختلفة منها طبعة دار الكتب العلمية، ط1، 2002، بيروت، وطبعة الدار العربية للكتاب، بيروت، 1992، تحقيق: أندري فان ليوفن، وأندري فيري.

* المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (طبعة ليدن، 1863) كتاب موسوعي يشتمل على معلومات غزيرة وغاية في الأهمية، حيث تناول الأقاليم والمدن والمسافات والخصائص وطبائع الناس، ويصف مشاهدات صاحبه وصفا دقيقا والجزء الخاص بالأندلس يحتوي على معلومات دقيقة وكانت فائدته كبيرة جدا في هذه الدراسة، حيث يتطرق إلى المرية أيام عزها في عصر المرابطين، وتناول عمرانها وفنادقها وحماماتها والنشاط الاقتصادي من صناعة وزراعة وتجارة وقدوم المراكب والسفن اليها، كما وصف سكانها وحالهم وذكر كذلك المناطق التابعة للمرية وما تشتهر به، والمسافات ومراسي المرية وأنهارها وكثير من المعلومات الهامة التي افادت موضوع الدراسة لاسيما المجال الاقتصادي (موارد وأنشطة) وحتى احتلال النصارى لها وكيف خربوا عمرانها وغيروا محاسنها.

* كتاب الجغرافية للزهري (توفي أواسط القرن 6هـ /12م) تحقيق محمد حاج صادق تناول الأقاليم وخصائصها وقد ذكر المرية وتجارتها وسفر المراكب اليها وخروجها بالبضائع والسلع.

-**<u>المعاجم الجغرافية:</u>**

* معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) معجم جغرافي موسوعي يشتمل على الجغرافيا والتاريخ وأيضا الأدب عندما يتناول أدباء وعلماء وصلحاء مكان من الأماكن التي يذكرها، ولذلك هو من المصادر التي يعتمد عليها في أي دراسة تاريخية، أفادني في التعريف بكثير من المدن الاندلسية وغيرها، وفي التعريف بالمرية وبأسطولها الذي يخرج

للغزو وورود مراكب التجارة إليها، وكيف انتقلت صناعة الحرير إلى المرية من قرطبة، الكتاب طبعة دار صادر، 1977.

* صفة جزيرة الاندلس مأخوذة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 866هـ/1462م) طبعة دار الجبل بيروت 1988 من تحقيق ليفي بروفنسال، وهذا الكتاب معجم جغرافي ممتاز يتناول الاماكن ومواقعها وتاريخها وخصائصها وما اشتهرت به، وفي هذا الجزء يتناول مدن الأندلس الكبيرة منها خاصة وحتى المدن التي تعتبر صغيرة، وقد ذكر ما تختص به كل مدينة، وقد أفادني جدا في مواضع كثيرة تتعلق بالمرية وخصائصها، وبجانة وما اشتهرت به كالحمة ذات المياه الحارة وشكلها، وأنواع الخضر والفواكه والثمار والزيتون والقرى التي بها، وذكر التجارة والأسطول بالمرية وخواص مينائها وأسوارها وابواب القصبة ومنسوجات الحرير فيها وغيرها من الأخبار.

* فرحة الأنفس في أخبار الأندلس قطعة عن كور الاندلس ومدنها بعد الأربعمائة لمحمد بن أيوب بن غالب الغرناطي الأندلسي (من أهل القرن 6هـ /12م) منشورات جامعة الدول العربية مجلة معهد المخطوطات العربية (م1، ج1) وهذه القطعة الجغرافية ذات أهمية كبيرة حيث يتطرق إلى الأقاليم والمدن وخواصها، وما تشتهر به من موارد وخيرات وأنشطة اقتصادية، أفادني فيما يخص المرية كالموقع ودار الصناعة والميناء والسفن والأسطول والصناعة الحريرية ومنتوجاتها واحتلالها من طرف النصارى واسترجاع الموحدين لها، وتصدير منتوجات الحرير إلى مختلف الأقطار، والمعلومات الواردة على قلتها فهي ذات نفع كبير وفائدة عظيمة.

- **<u>كتب التراجم:</u>**

* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (ت 542 هـ/1147م) جاء في أقسام ومجلدات طبع في دار الثقافة بيروت تحقيق احسان عباس لسنة 1997، وهذا الكتاب ظاهره أدبي لكنه يحتوي على معلومات تاريخية غزيرة في معرض حديثه عن الأعلام

المترجم لها، وابن بسام كان معاصر لأواخر عصر الطوائف فهو شاهد عيان وصف الوضع الأدبي والوضع السياسي المناقض له، وقد أفادني فيما يخص تولي بنو صمادح حكم المرية وشخصية المعتصم بن صمادح والحياة الأدبية في المرية وخروج المعز ابن صمادح من المرية إلى المغرب الأوسط والأسطول في المرية ومعلومات أخرى.

* الأندلس في اقتباس الأنوار لأبي محمد الرشاطي (ت 542 هـ/ 1147 م) ولابن الخراط الاشبيلي (ت 581هـ / 1186م) من منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد، 1990 تحقيق اميليو مولينا و خاثنتو بوسك بيلا، وهو كتاب يجمع بين الجغرافيا والتاريخ والتراجم ولكن ليس بالمفهوم العام للترجمة، حيث يذكر نسبة الشخص إلى المدينة أو المكان ثم يذكر جغرافيا المدينة وبعض من تاريخها وبعض من أهم رجالها وعلمائها، والمعلومات وإن كانت مقتضبة فإنها ذات فائدة هامة جدا وقد أفادني كثيرا في هذه الدراسة فيما يتعلق بالمرية وتجارتها البحرية الكثيفة مع أقطار العالم ذلك الوقت، ودخول التجار اليها من كل مكان، وانتقال سكان بجانة اليها مع بداية عصر الطوائف، وقد أورد بشكل مفصل هجوم الأسطول الفاطمي عام 344هـ/956م على المرية وخط سيره، وتكلم عن دار صناعتها وازدهارها في عهد المرابطين، وتكتسي هذه المعلومات أهمية بالغة بحكم أن الرشاطي من أبناء المرية وشاهد على عصرها الذهبي.

* الحلة السيراء لابن الآبار (ت 685 هـ/ 1285 م) تحقيق حسن مؤنس في جزئين من منشورات دار المعارف، القاهرة، (ط1،ط2 1963، 1985) هذا الكتاب له أهمية تاريخية كبيرة إذ يعتبر صاحبه ذو مكانة ثقافية عالية، حيث يترجم في كتابه لشخصيات عديدة مرتبة حسب القرون سواء مشرقية أو مغربية وأندلسية، واستفدت منه كثيرا فيما يخص عائلة بنو صمادح وأصلها وتوليها حكم المرية، والحياة الأدبية المزدهرة في عهد المعتصم بن صمادح ووفود العلماء والشعراء على المرية ومكانة المعتصم وابنائه الأدبية، ودخول المرابطين إلى المرية والاندلس ويمكن للدارس أن يستفيد من معلومات الكتاب بشكل كبير.

* المطرب في أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (ت 633هـ/1236م) تحقيق ابراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم بيروت وهو كتاب تراجم ذو أسلوب ممتع يعطي تصوير للشخصيات مع أخبار تاريخية ومعلومات قيمة ترجم الكاتب لبني صمادح وللمعتصم بن صمادح ملك المرية وذكر بعض أشعاره ورواية جده محمد بن صمادح لغريب تفسير القرآن للطبري.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت 681 هـ/ 1283م) تحقيق احسان عباس، وهو كتاب تراجم غني بالمعلومات والاحداث التاريخية في معرض الترجمة لشخصية ما، استفدت منه في الترجمة لبعض الشخصيات وذكر بعض الأحداث المتعلقة بالموضوع.

* المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1285م) منشورات دار المعارف القاهرة، (ط4، ج1، ج2، 1993) تحقيق شوقي ضيف، يعتبر كتابا قيما وثريا بالمعلومات، وجيد التخريج والتبويب يتناول مدن الأندلس جغرافيا وتاريخيا في معرض ترجمة أعلام كل مدينة حسب أهميتهم وشهرتهم، استفدت منه في مواضع عديدة حول تاريخ المرية وشخصياتها المهمة، والمناطق التابعة لها والمسافات بينها والخيرات الموجودة فيها، ويمكن القول أنه كتاب أدبي جغرافي تاريخي واقتصادي قل نظيره بين الكتب في طريقة اخراجه، ورغم أن المعلومات تكون مقتضبة إلا أنها ذات فائدة كبيرة، ولا يستغن أي دارس عنه أثناء بحوثه ودراساته.

* الصلة لابن بشكوال (ت 578هـ /1182م) جاء في عدة طبعات يترجم صاحبه للعلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم استفدت منه في مواضيع عدة فيما يخص علماء المرية من هذه الطبعات طبعة دار المغرب الاسلامي، تونس 2010، تحقيق بشار عواد معروف.

*الأعلام(قاموس تراجم) لخير الدين الزركلي(ت 1396هـ/1976م) يعتبر قاموس موسوعي يترجم للأعلام والشخصيات، افادني في التعريف بعض الشخصيات التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

- **<u>كتب الوثائق والرسائل</u>:**

* وثائق المرابطين والموحدين لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1250م) جمعها ليفي بروفنسال، تتناول أخبار المرابطين والموحدين.

* رسائل موحدية لمجهول نشر وتحقيق بروفسنال تتناول أخبار الموحدين.

* المنّ بالإمامة لابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594 هـ /1197م) هو من كتاب الدولة الموحدية، احتوى كتابه على معلومات هامة بحكم منصبه واطلاعه الواسع، منها ما تعلق بالجانب الاقتصادي كالآفات والجفاف الذي ضرب بلاد الاندلس والمغرب و الذي يهلك الزرع.

- **<u>كتب الحسبة</u>:**

* في أدب الحسبة للسقطي من أهل القرن 5 هـ/ 11م تحقيق بروفنسال مكتبة أرنست لورو باريس **1931**، كتاب هام يتناول صاحبه وظيفة الحسبة والمحتسب، وهو يدل على تخصص ودراية كبيرين للسقطي الذي كان ملما بتفاصيل هذه الوظيفة.

* نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري (ت 590هـ /1194م) نشر دار الكتب العلمية بيروت، 2002، تحقيق محمد حسن اسماعيل وأحمد فريد المزيدي وهذه القطعة مأخوذة من كتاب يحتوي على ثلاث قطع هي نهاية الرتبة للشيزري، والاشارة في تدبير الامارة لأبي بكر المرادي الحضرمي (ت 489هـ/1096م)، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة لمحمد ابن بسام المحتسب (عاش قبل القرن 9 هـ / 15م). وكتاب الشيزري له فائدة عظيمة فيما يخص وظيفة الحسبة الاسلامية وعمل المحتسبين.

* ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب جمعها ليفي بروفسنال من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955، منها رسالة ابن عبدون(ت 528

ه/1134م)، ورسالة أحمد بن عبد الرؤوف(ت424ه/1033م)، ورسالة عمر بن عثمان الجرسيفي(ت1212ه/1798م) وهي تتناول قضايا الحسبة والمحتسب.

- **كتب الأمثال:**

* ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام لعبيد الله بن أحمد الزجالي(ت 694ه /1295م) يحتوي هذا المؤلف على كم هائل من الأمثال الأندلسية الشائعة التي تلقى الضوء على حياة الأندلسيين منها بعض الأمثال حول المرية كرخامها الذي اشتهرت به وقيل فيه مثل شعبي.

- **الكتب العملية (المتخصصة):**

* كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الاشبيلي (ت 539ه/ 1145م) نشر مجمع اللغة العربية 2012، هو كتاب موسوعي ثري وغني يتطرق إلى علم الفلاحة وضروبها، وطرق الفلاحة وخدمة الأرض ووسائل الري وتربية الحيوان، وهذا الكتاب قل نظيره في الكتب المتخصصة لكون صاحبه يتكلم كعالم متخصص وخبير.

* فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان لابن رزين التجيبي كتبه في النصف الأول من القرن 7ه / 13م يتناول فيه فنون الطبخ والمطبخ والأواني والتوابل وغيرها وما تعلق بالطبخ الأندلسي.

* كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس لمؤلف مجهول عاش في النصف الثاني للقرن 07ه/13م وهو يتناول كذلك الأطعمة والأشربة والطبخ في الأندلس.

- **كتب الأنساب:**

* مفاخر البربر لمجهول (من القرن 8ه/ 14م) تحقيق عبد القادر بوباية منشورات دار أبي رقراق الرباط، 2005، من المصادر التاريخية الهامة التي تعرف بأنساب البربر وقبائلهم وتواريخهم، وقد أفادني فيما يتعلق بالموضوع .

* جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت 457 هـ/1065م) جاء في عدة طبعات منها تحقيق بروفسنال، وهو كتاب قيم يتناول انساب القبائل وأماكنها منها القبائل البربرية وقد أفادني في هذه الدراسة.

* **المراجـــــــــع:**

وفيما يخص المراجع فهي متنوعة المشارب والمواضيع، واستعملنا عددا منها فيما يخدم موضوع الدراسة سواء بالعربية أو المترجمة وكذلك الأطروحات والمقالات ومن هذه المراجع:

* الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري السلاوي جاء في أجزاء (دار الكتب، المغرب الأقصى، 1954) يعتبر الناصري السلاوي من الكتاب المتأخرين استفاد من كم هائل من المصادر المتنوعة، فيتناول أحداث عديدة عن المرابطين والموحدين والاحداث التي جرت في الأندلس أيام حكمهم كاسترجاع المرية من طرف الموحدين(و من المختصين من يعتبر كتاب الاستقصاء مصدرا).

* تاريخ مدينة المرية الاسلامية (قاعدة أسطول الأندلس) لعبد العزيز سالم، وهذا الكتاب يعتبر مرجع قيم وممتاز يتناول تاريخ المرية من النشأة إلى سقوطها بأيدي النصارى أواخر القرن 9 هـ/15م ويتطرق إلى العمران والحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية أفادني في مواضيع كثيرة.

* تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الاسلامي (344هـ- 484هـ) لمحمد أحمد أبو الفضل، يتناول فيه صاحبه دراسة للتاريخ السياسي والحضاري للمرية حتى دخول المرابطين ويتطرق إلى جوانب متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية وقد استفدت منه في عدة مواضيع، الاسكندرية 1981.

* مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 444هـ – 484هـ لمريم قاسم طويل، وكما هو واضح من العنوان فالكتاب يتطرق إلى المرية في عصر الطوائف وجوانب الحياة فيها، وهو مرجع قيم ذو فائدة كبيرة أفادني فيما يتعلق بالمرية في تلك الفترة تحت حكم المعتصم بن صمادح (دار الكتب العلمية، بيروت، 1994).

* الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني، 510هـ/ 546هـ) لعصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الاسلامي 1988، هذا الكتاب من المراجع القيمة أفادني في مواضيع كثيرة تتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي في مرحلة الدراسة.

* مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين لإبراهيم القادري بوتشيش، وهذا الكتاب يعتبر مرجعا أساسيا في فهم وتركيبة المجتمع الاندلسي وفئاته وعناصره من منشورات دار الطليعة، بيروت، 1997.

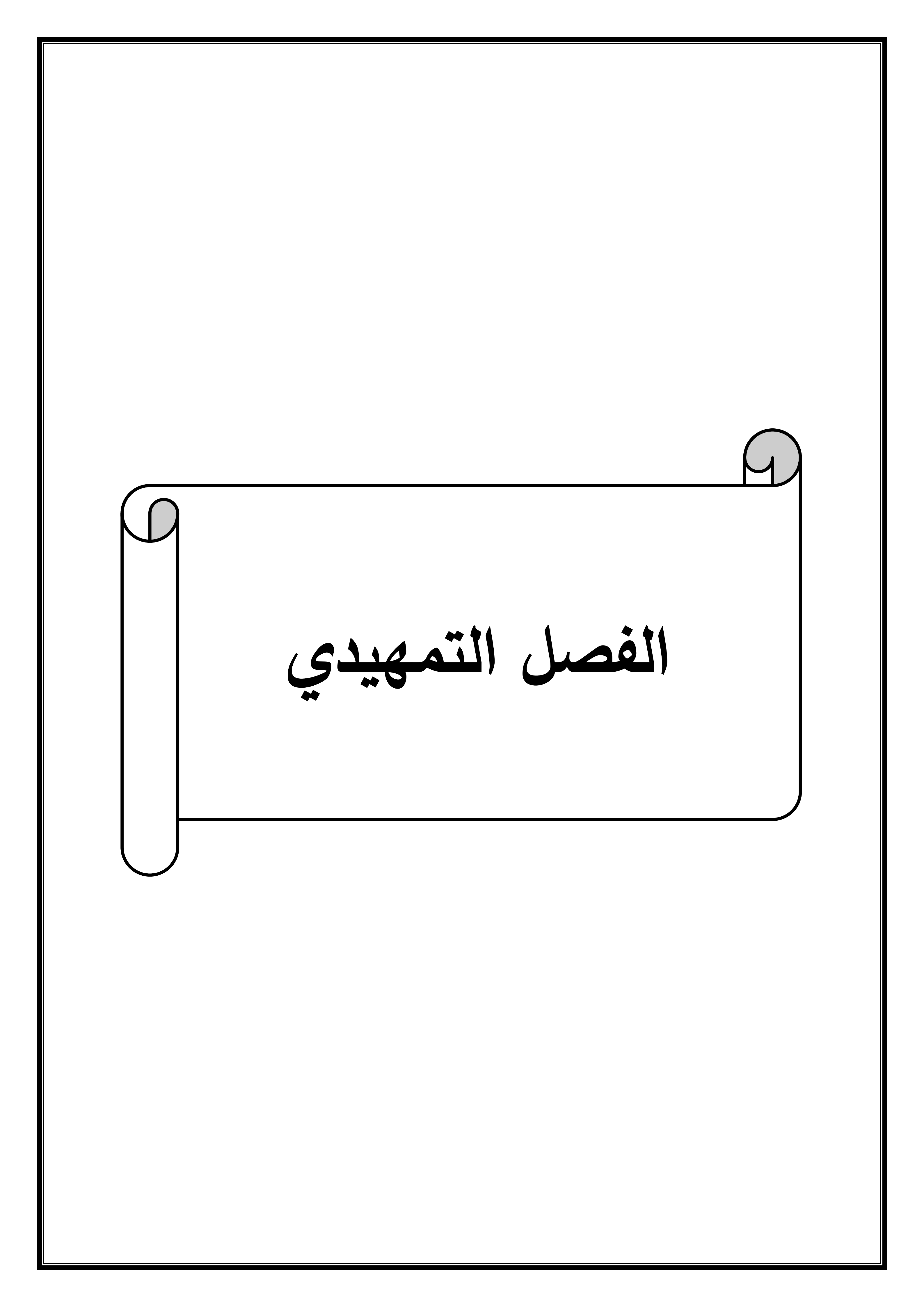
* الموحدون في الغرب الاسلامي (تنظيماتهم ونظمهم) لعز الدين عمرو موسى هذا المرجع يتطرق إلى دولة الموحدين وتنظيماتهم ونظمهم في الغرب الاسلامي، ويمس بجوانب عديدة في الغرب الاسلامي تحت حكم الموحدين اقتصادية واجتماعية وغيرها كالأسطول.

* **صعوبات البحث:**

تواجه الباحث صعوبات جمّة في أي بحث أكاديمي منها الموضوعي و الذاتي، ولعّل أهمّها تتعلق بالموضوع في حد ذاته، فمدينة المرية رغم شهرتها إلا أنها لم تحض بكتابات وافية وشافية من قبل المؤرخين القدماء مقارنة بإشبيلية أو قرطبة أو غرناطة أو سرقسطة أو مدن الشرق الأندلسي كمرسية و بلنسية، ومعظم الأخبار عنها تكاد تكون شحيحة ومقتضبة وزد على ذلك طول مدة الدراسة نسبيا حيث يكون الإلمام بكل التفاصيل يعد عملا شاقا وصعبا لاسيما مع تشتت المادة المصدرية وانقطاعها أحيانا بالإضافة أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية متشعبة ومتداخلة مع ما هو سياسي وثقافي وديني، اضافة الى التداخل ما بين

ما هو محلي يتعلق بالمرية و ما هو عام يتعلق بالاندلس، و احيانا يصعب الفصل بينهما، زد على ذلك ارتباط الاندلس عموما بدول بلاد المغرب المرابطية ثم الموحدية. و نشير ايضا أنّ المعلومات عن المرية إن وجدت فهي موزعة بين مختلف المصادر وصفحات الكتب التي تحتاج إلى دقة وصبر لترتيبها منهجيا وزمنيا، ومن الصعوبات أيضا غياب صورة واضحة عن المرية في فترات انتقال الحكم من طرف إلى آخر ما يشكل فجوات يصعب سدها في اعطاء مقارنة دقيقة بين مرحلة وأخرى أو عصر وآخر حتى يتبين لنا منحى ازدهار المرية الاجتماعي والاقتصادي أو تراجعه.

وفي الأخير تبقى هذه الدراسة محاولة لإثراء البحث العلمي والمساهمة في دراسة المرية إحدى مدن الغرب الإسلامي التي مازالت تحتاج إلى المزيد من الدراسات والأبحاث حول تاريخها وماضيها الحضاري وتفاعل السكان مع بيئتهم.


الفصل التمهيدي

الفصـل التمهيـدي: الاندلـس في التاريــخ

(من الفتـح الاسلامي الى عصر الموحديـن)

1- الأندلس قبل الفتح الإسلامي.

أ- جغرافية الأندلس.

ب- سكان الأندلس و ديانتهم.

ج- الاوضاع في الأندلس قبل الفتح الإسلامي.

2- الفتح الإسلامي للأندلس.

أ- ظروف فتح الأندلس.

ب- مراحل الفتح الاسلامي.

3- الحكم الإسلامي للأندلس.

ا-عصر الولاة 95هـ- 138هـ / 714م- 755م.

ب-العصر الأموي (الامارة والخلافة) 138- 422هـ/ 755م- 1031م.

ج-عصر الطوائف 422- 484هـ/ 1031- 1091م.

د-عصر المرابطين 484هـ- 542هـ/ 1091- 1147م.

هـ-عصر الموحدين 542هـ-625هـ/ 1147م-1228م.

شكّلت الأندلس على مرّ تاريخها حالة فريدة في الإسلام لقيام حضارة متميزة على حدود الغرب المسيحي، وبجوار ممالك مسيحية قوية في غرب أوروبا. هذه الحضارة مزجت بين الثقافة الإسلامية والثقافة الايبيرية، والتي ازدهرت في جميع مناحي الحياة حتى غدت الأندلس مركز للإشعاع الحضاري والعلمي والفكري، وتركت بفضله بصماتها على التاريخ الإسلامي والعالمي.

وقد شارك في ازدهار هذه الحضارة عناصر سكانية مختلفة سكنت الأندلس في كنف الدولة الإسلامية من عرب وبربر ويهود ونصارى وصقالبة وسودان ساهموا جميعا بما لديهم في هذه الإشعاع الحضاري كما كانت اللغة العربية لغة الإنتاج الفكري والثقافي، وقد مرت الأندلس بفترات وعهود عديدة تراوحت بين القوة والضعف وبين الهدوء والاضطراب وبين التبعية والاستقلال، وفي نفس الوقت كانت رقعة الدولة الإسلامية بالأندلس تتسع وتتقلص تبع للظروف السياسية السائدة.

1- الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

أ- جغرافية الأندلس:

ا.1- تسمية الأندلس:

تعددت الأسماء التي عرفت بها الأندلس قديما، فقد ذكر أن اسمها إبارية المشتق من وادي إبرة، وسميت باطقة من وادي بيطي، كذلك اشبانية نسبة إلى ملك حكمها يدعى إشبان، وقيل أن قوما سكنوها يعرفون بالإشبان فأخذت اسمها منهم، و قام الإمبراطور قسطنطين بتقسيمها أقساما إدارية[1]، كما أطلق الإغريق عليها اسمين آخرين الأول ايبيريا والثاني إسبانيا[2]. في حين أطلق المسلمون الفاتحون اسم الأندلس على الأراضي التي فتحوها

[1] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 2003، ص378.

[2] أحمد مكي، دراسات أندلسية في التاريخ والأدب والحضارة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987، ص ص10،11.

في شبه جزيرة ايبيريا[1] أي الأراضي التي سادها الإسلام، ومع انتهاء عمليات الفتح كان اسم الأندلس مرادف لشبه الجزيرة الإيبيرية التي كان معظمها خاضعة للمسلمين[2]. والأندلس اسم مشتق من لفظ واندلوس أو الأندليش[3] نسبة إلى قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن 5م، واستقرت في السهل الجنوبي الايبيري[4]. وعموما في المدلول العربي وتاريخيا أطلق اسم الأندلس على إسبانيا المسلمة[5] أي ارتبط اسم الأندلس بالأراضي التي كانت للمسلمين، ففي البدء استعمل للإقليم الجنوبي ثم عمت التسمية كل البلاد أي شبه جزيرة ايبيريا، ثم اقتصر على الأقاليم التي بقيت بحوزة المسلمين حتى أصبح الاسم خاصة بغرناطة آخر معاقل الإسلام والمسلمين[6].

ويوجد بالأندلس العديد من المدن والقواعد المشهورة كمرسية وسرقسطة، بلنسية ودانية والسهلة في القسم الشرقي، وفي الوسط توجد قرطبة وطليطلة، و جيّان وغرناطة والمرية ومالقة، أما غربا فتشتهر مدن إشبيلية، ماردة وأشبونة وشلب[7].

ا.2- الموقع:

من الناحية الطبيعية والجغرافية تقع شبه جزيرة ايبيريا في جنوب غرب أوروبا يحدها البحر الأبيض المتوسط من الشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب، ويفصلها في الجنوب عن

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، م1، 1977، ص 263

[2] ابن خاقان، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2001، ص6.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأرض(الروض المعطار في خبر الأقطار)، تح: ليفي بروقنسال، دار الجيل للنشر، بيروت، ط2، 1988، ص- ص2،4.

[4] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 18.

[5] بيدرو شلميطا، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، مجلة الدراسات لمعهد الوحدة العربية، تر: مصطفى الرقي، بيروت، ط1، ج2، 1998، ص1063.

[6] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ت، ص- ص، 6، 12. عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998، ص6.

[7] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص6.

قارة إفريقيا مضيق يصل بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي، ويحدها من الشمال سلسلة جبال البرت و البرتات تتخللها مضايق وممرات تصلها بفرنسا وباقي أوروبا[1]. والأندلس على شكل مثلث وهي جزيرة متصلة بالبّر الطويل[2] وهذا المثلث ذات أركان يضيق شرقا ويتسع غربا[3] وتحيط بالأندلس المياه من ثلاث جهات [4] وسميت بالجزيرة لأن أغلب جهاتها تحيط بها المياه[5]، وقد أسهب المؤرخون والجغرافيون في مدح الأندلس والإشادة بجمالها وخيراتها فيقول ابن حوقل النصيبي:" وبذلك فالأندلس من أنفس جزائر البحر التي يغلب عليها الماء والشجر والأنهار العذبة" [6]، ويقول ابن غالب:" وهي أعظم قطعة فيها مدن وسواحل" [7].

ويقابل بلاد الأندلس جنوبا برّ العدوة من بلاد المغرب حيث يفصل بينهما مضيق يعرف ببحر الزقاق[8]، يصل البحر الابيض المتوسط بالمحيط الاطلسي. ويبلغ عرض هذا المضيق ثمانية عشر ميلا[9] وقيل اثني عشر ميلا حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم بعضا ويتبيَّنون زروعهم[10]. وقد سهل هذا المجاز الضيق الحركة و العبور بين الجانبين اي

---

[1] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 18. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الاسرة الحياة، القاهرة، د ت،ص263. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص 6. شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، ج 1، 1938، ص 32.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت، ص 57. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 3. الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، مطبعة بريل، ليدن، 1863، ص 165.

[3] ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان، ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة، بيروت، ط2، ج2، 1980، ص2.

[4] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975، ص ص33، 34.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 263.

[6] ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص 105،.

[7] ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كنوز الأندلس ومدائنها، تح: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، م1، ج2، 1995، ص 307.

[8] القلقشندي، صبح الأعشى في كتاب الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة،ج5، 1995، ص 211.

[9] المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكرها وزيرها لسان الدين بن خطيب، تح: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج1، 1988، ص 120.

[10] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 262.

العدوتين[1] وسمح لسكان الجهتين بالتواصل لوقت طويل، كما اعتبرت الأندلس إقليما تابعا لبلاد المغرب لقرب المسافة والتشابه الكبير في الخصائص والمظاهر الجغرافية[2].

وتمتاز الأندلس بخصائص كثيرة كالاعتدال في المناخ وخصوبة التربة وكثرة المياه حيث يقول المقري:" الأندلس آخر الإقليم الرابع إلى المغرب، وهو بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجانب، منبجس الأنهار، قليل الهوام ذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال"[3]، وساعدت هذه العوامل على الاستقرار حيث توفر للساكنة ظروف مناسبة للحياة كالخيرات والمياه والهدوء والطبيعة الخلابة، وغير ذلك التي تنعدم في بعض البلدان ولا تصل مستوى جمال الأندلس، ويؤكد ابن الخطيب بقوله:" ورأيت هذه الخضرة التي لا خفاء بما وفر الله من أسباب إيثارها وأراده من جلال مقدارها، جعلها الله ثغر الإسلام ومبتدئ العرب الأعلام، وما خص به اعتدال الأقطار وجريان الأنهار وانفساح الاعتمار وإتقان الأشجار وقد خصها الله من الري وغدق السقيا ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان ودرور المياه وكثرة الفواكه وصحة الهواء"[4]، و لا يخف على أحد أن ابن الخطيب من المؤرخين والكتاب المتأخرين في الأندلس- توفي في أواخر القرن 8هـ(ت 776هـ)- عاش في فترة صعبة حيث تقلصت دولة المسلمين وتعرضت للحصار والتضييق من الممالك النصرانية، ومع ذلك فإنه وصف الأندلس وصفا بديعا ومميزا أظهر به جمالها واختلافها عما سواها من البلدان، فكيف الأمر عندما كانت الأندلس في أقصى اتساعها وقمة مجدها وتبحر عمرانها، وكثرة سكانها.

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 2006، ص 254.

[2] رضا كحيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، منشورات جامعة القاهرة، 1997، ص 159.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: محمد البقاعي، ج1، ص 120.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، م1، 1973، ص 83.

ا.3- المميّزات الجغرافية و الطبيعية:

تمتاز الأندلس بتضاريس وعرة من جبال ومرتفعات تتخللها الأنهار الكبيرة، ومن الجبال؛ جبل البرت[1] الذي يفصل الأندلس عن أوروبا، ويسمى الجبل الحاجز أو باب الأندلس، وسلسلة جبال كنتربيان في أقصى الشمال الغربي، وفي وسط الأندلس وشمالها هضبة سماها المسلمون جبل الشارات تحريفا لكلمة سييرا sierra التي تعني سلسلة حيث ينبع منها نهري دويرة وتاجة الذي يصب في المحيط، وجبل شقورة الذي ينبع منه النهر الكبير، أما في الجنوب والجنوب الشرقي توجد سلسلة جبال سييرا نيفادا sierra nivada أي جبل الثلج أو جبل شلير عند المسلمين، أما جبال قرطبة تسمى جبال سييرا مورينا sierra morena[2].

و في ما يخص الشبكة الهيدروغرافية تتخلل بلاد الأندلس أنهار كثيرة مختلفة الطول والاتساع معظمها يصب في المحيط الأطلسي، و عدد منها تعتبر طويلة نسبيا منها نهر قرطبة أو الوادي الكبير، نهر آنة، نهر تاجة، نهر دويرة، نهر إبرة[3].

أما فيما يخص مناخ الأندلس عموما فهو جاف معتدل وفصل الشتاء بارد والصيف قائض ما عدا المدن الساحلية التي تمتاز بمناخ ملائم، والأمطار أكثر هطولا في الشمال الغربي منه في المناطق الأخرى، فتمتلئ الأنهار تقريبا طول العام وتنقص مياهها في فصل الصيف[4].

---

[1] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص 384.

[2] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص7. كولان، الأندلس (دائرة المعارف الإسلامية)، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط 1، 1980، ص 63. ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص 307؛ مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013، ص56.

[3] النويري، كتاب الإلمام، تح: عزيز سوريال عطية، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ج3، 1970، ص ص، 260، 261. ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص 307.

[4] كولان، المرجع السابق، ص- ص 64، 68.

ا.4- ثروات الأندلس:

تعتبر الأندلس غنية بالموارد وتتوفر على خيرات وثروات متنوعة باطنية وسطحية، فالتربة التحتية مليئة بالمعادن كالرصاص والحديد والفضة والنحاس والمنغنيز والأملاح المعدنية والرخام. أما الغابات تنتشر خاصة في القسم الجنوبي وتحتوي على شجر الصنوبر والسنديان والفلين إضافة إلى السهوب العشبية، وفي الشمال كذلك توجد غابات ومراعي طبيعية[1].

ب- سكان الأندلس ودياناتهم:

سكن الأندلس قبل الفتح الاسلامي عدة أقوام كالايبيريين وهم السكان الأصليون، واقوام اجانب مثل الكلتيين القادمين من شمال أوروبا وباختلاط العنصرين تشكل العنصر الإسباني القديم، ثم جاء الفينيقيون والقرطاجيون الذين توسعوا على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة الايبيرية وأسسوا مستعمرات أو محطات تجارية، ثم حل محلهم الرومان قرابة ستة قرون كانت فترة طويلة وكافية لإعطاء إسبانيا الطابع الروماني[2]، وفرضت الحضارة الرومانية نفسها بقوة وهيمنت نظاما وقانونا ولغة وبمعاونة المسيحية فيما بعد[3]،فتشكل بذلك مجتمع اسباني متعدد الاجناس.

أما من ناحية الديانة كان الإسبان قديما وثنيين من الصابئة يعبدون الكواكب ويقدِّمون لها القرابين والنذور في طقوس دينية، وبعد ذلك اعتنقوا الدين المسيحي في عصور لاحقة لما انتشرت المسيحية في الامبراطورية الرومانية ، ويقول في ذلك عبد الواحد المراكشي:" ثم انتقل أهلها إلى دين النصرانية حين ظهر " [4].

---

[1] كولان، المرجع السابق، ص- ص 64، 68.

[2] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص25.

[3] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص7. كولان ، المرجع السابق، ص- ص 45،40.

[4] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تق، تح، تع: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 295.

وسكن إسبانيا بعد ذلك أقوام أخرون يعرفون بالوندال والقوط، وهم من الشعوب الجرمانية التي أتت من شواطئ بحر البلطيق شمال اوروبا والأراضي الواقعة بين نهري الراين والدانوب، وانساحت في أوروبا منذ أوائل القرن 5م و وجهوا للإمبراطورية الرومانية ضربات شديدة. وجاء الوندال على شكل هجرات عبرت جبال البرتات منذ 409م حتى استقرت في السواحل الجنوبية لشبه جزيرة ايبيريا التي أخذت اسمها منهم أي واندلوس، والتي عربها المسلمون الفاتحون عند قدومهم إلى كلمة الأندلس، ثم توالت الهجرات حتى جاء القوط الغربيون ليستولوا على اسبانيا[1] ويفرضوا و جودهم فيها.

ج-الأوضاع في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

ج.1- الإدارة و النظم:

سيطر القوط على الأندلس وملكوها وأسسوا دولتهم ، وصار لهم نظام وحكم وبقوا فيها لمدة طويلة و"انفرد القوط بمملكة الجزيرة فملكوها أضخم ملك قريبا من ثلاثمائة سنة وكانت دار ملك القوط طليطلة"[2]، التي صارت عاصمة لهم ومقرا لحكمهم[3]. وقد تأثر القوط الغربيون بعد بسط سيطرتهم على البلاد بالنظم والحضارة الرومانيتين كما اعتنقوا المسيحية واتخذوها دينا لهم فيما بعد[4] وإن كان البعض يقول انهم اعتنقوا المسيحية قبل دخولهم بلاد غالة، ومن الطبيعي أن يتأثر القوط بالحضارة الرومانية وهم مجاورين لهم وأقل مدنية منهم، ثم توسعوا بعد ذلك في أراضي كانت تابعة للرومان ومنها الأندلس التي ملكوها، فصارت التنظيمات الإدارية والنظم الرومانية من صميم الإدارة القوطية. كما ان الرومان منذ قرون خلت تمكنوا من تأسيس إمبراطورية قوية مترامية الأطراف واحتلوا اقاليما واسعة في أوروبا

---

[1] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص30. النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج24، 2004، ص ص 22،23.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص295.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، منشورات مؤسسة الإعلامي، بيروت، ج4، 1989، ص 117.

[4] محمد محمد زيتون، الفتح الإسلامي للأندلس (دراسة وتحليل)، منشورات كلية العلوم الإسلامية، الرياض، 1980، ص 304.

وإفريقيا وآسيا، وفرضوا حضارتهم على الشعوب الأخرى ولغتهم التي كانت لغة الحضارة والعلم في العصر القديم.

ج.2- الوضع الاجتماعي و الاقتصادي:

ساد التفاوت الطبقي بين فئات المجتمع من حيث المكانة والأهمية والثروة، والتأثير الاجتماعي في ظل الحكم القوطي للأندلس، وكانت الطبقة الثرية على رأس الهرم الاجتماعي، وكان عناصرها من الطبقة الحاكمة والنبلاء والقادة والأعيان ورجال الدين الذين يمتلكون الثروة والجاه والنفوذ، ولهم من الأراضي والعقارات والقصور والمباني الكثير، ويحيون حياة الترف والرفاهية ورغد العيش والتقلب في الملذات وطيب المعيشة، همهم الكبير جمع الأموال وتشييد القصور والدور. أما باقي الشعب وعامته كانوا يعيشون شظف العيش واشتداد الفاقة كما تعترضهم الصعوبات وترهقهم الضرائب المختلفة التي تفرضها الدولة في حياة بئيسة وتحت استغلال طبقة الخاصة والمتنفذة، وكان همهم الحصول على قوت يومهم للاستمرار.

وفيما يخص فئة العبيد والرقيق فحياتهم أسوأ بكثير من باقي الشعب فهم في أسفل الهرم الاجتماعي و أدنى السكان مرتبة وقيمة، وكرامتهم مهانة لا حقوق لهم ولا حرية و لا امتيازات، يستخدمون لمختلف الأغراض والاعمال والمهن خاصة الشاقة كالصناعة والزراعة والنقل وخدمة البيوت و غيرها[1]. وقد شكلوا فئة معتبرة وعدد لابأس به في المجتمع الاسباني. كما عرفت الاندلس اي اسبانيا تواجد اليهود الذين شكلوا فئة خاصة، وقد عانوا كذلك من عسف وجور الملوك والنبلاء، رغم اهميتهم ووجود دور اقتصادي لهم وحضور دائم[2].

---

[1] محمد محمد زيتون، مرجع سابق، ص 304، 305.

[2] نفسه، ص304.

ج.3- الوضع العسكري و السياسي:

تشكل الجيش القوطي من الفئات المحرومة التي تعاني وتقاسي من ظروف الحياة وكانت معظم عناصره من عامة الشعب، وقد جعلته ممارسات التعسف والاستغلال فاقدا للروح القتالية والإرادة، والرغبة في الدفاع عن ملوكه وحكامه في الحروب، وبالتالي صار جيشا مهلهلا غير متماسك[1] لا يصمد في المواجهات الحاسمة.

ولا يختلف الوضع السياسي عن الأوضاع الأخرى، إذ كانت الأندلس غير متماسكة سياسيا وفي حالة سيئة وغير مستقرة خاصة في السنوات السابقة للفتح الإسلامي بعد أن انغمس القوط في الترف والنعم، رغم محاولة آخر ملوكهم غيطشة (ويتيزا) القضاء على مظاهر الاضطراب وأسباب التردي السياسي من ثورات وقلاقل غير أنه لم يتمكن من تحقيق الاستقرار والهدوء. وبعد وفاته دار صراع على الحكم والملك بين ابنه وقلة و بين أحد أتباعه من القادة يسمى لوذريق الذي لم يكن من بيت الملك غير أنه امتاز بالشجاعة[2]، وقد استطاع ان يستميل طائفة من الرجال إلى جانبه ويكون قوة تدعمه، فصارت البلاد في فوضى سياسية وفقدت وحدتها[3] ، أضف الى ذلك تعرض بلاد الأندلس إلى مجاعات سنوات قبل الفتح[4] زادت من تأزم الاوضاع. ورغم ان زوجة الملك السابق غيطشة حاولت ضبط الملك واستعادة زمام الأمور الا ان الاحداث تجاوزتها، وعرف لوذريق كيف يسير الأوضاع لصالحه ويسيطر على الحكم، ويقوم باحتلال قرطبة رفقة مناصريه[5] .

---

[1] محمد زيتون، المرجع السابق، ص 305.

[2] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 24.

[3] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص52.

[4] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، م2، 1989، ص 18.

[5] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، م2، ط2، 1989، ص 29.

2- الفتح الإسلامي للأندلس:

أ- ظروف فتح الأندلس:

يعتبر فتح الأندلس حدثا مهما وكبيرا سواء عند المسلمين أو في الغرب المسيحي فكيف كانت ظروف فتح الأندلس؟

كان القوط يحكمون الأندلس كما أسلفنا وظروف البلاد السياسية والاجتماعية متردية ومضطربة والمجاعة الحاصلة قد أضعفتها اقتصاديا[1]، وفي الجهة المقابلة كانت الدولة الأموية تمثل العالم الإسلامي وتتحكم في شؤونه، وقد واصل الأمويون عملية الفتوحات شرقا وغربا حيث فتحوا بلاد المغرب الذي صار ولاية إسلامية تابعة للخلافة الأموية بدمشق.

وبعد بلاد المغرب تطلع المسلمون إلى العدوة الأندلسية التي تعتبر امتدادا استراتيجيا ومجالا حيويا للمغرب، ولتحقيق استقرار المسلمين فيه لا بد من السيطرة على شمال المضيق والتحكم فيه من كلا الجانبين، اذ ليس من الحكمة ترك العدو على بعد أميال قليلة يتربص بالمسلمين والصراع محتدم بين الطرفين، وهذا ما تمليه الضرورة العسكرية ويبين مدى تنظيم عملية الفتح التي لم تكن عملا ارتجاليا أو ظرفيا بل تمت العملية بتخطيط وتنظيم مدروسين وباستشارة السلطة المركزية في دمشق، حيث راسل والي المغرب موسى بن نصير الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك 86هـ-96هـ/706م-715م واستأذنه في غزو الأندلس فأذن له بذلك[2].

ويذكر مؤلف مجهول في كتاب وصف الأندلس أن الوليد بن عبد الملك كان مواظبا على الجهاد، فأمر قواده بغزو الروم في البر و البحر[3]. ويصف ابن الكردبوس الفتوحات في

[1] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها، تح: ابراهيم الأبياري، م2، ص 18. ابن القوطية، المصدر السابق، ص29.

[2] النويري، نهاية الإرب،ج24، ص24.

[3] حسين مؤنس، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000، ص 61. مجهول، فتح الأندلس، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد،ج1، 1994، ص ص 11، 12.

عهد الوليد بن عبد الملك في قوله :" وكانت في أيامه فتوحات كثيرة ... وافتتح جزيرة الأندلس"[1]. ويقول الحميري:" فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في ظهور الملة الحنيفية"[2]. ومن هنا يتبين لنا ان فتح الاندلس يدخل في استراتيجية الامويين في نشر الاسلام ومد الاراضي الاسلامية في اتجاهات مختلفة.

ب- مراحل الفتح:

ب.1- الاستكشاف:

بعد ان استأذن موسى بن نصير الخليفة الأموي في فتح الاندلس بدأت العملية عن طريق استكشاف الساحل الجنوبي للأندلس بواسطة السرايا وهي عادة المسلمين، وما تمليه الضرورة العسكرية والتخطيط الحربي، إذ لا يتم التغرير بالجنود والدخول مباشرة في حرب مفتوحة. انطلقت سرية المسلمين شهر رمضان عام 91هـ/ 710م بقيادة طريف مولى موسى تضم مائة فارس وأربعمائة راجل على متن أربعة مراكب لمعاينة الأوضاع واستطلاع أحوال البلاد[3] وكان نزوله بجزيرة جنوب الأندلس سميت باسمه[4] بعد ذلك .

وعندما اكملت الدورية الاسلامية مهمتها عادت بخير كبير وغنائم كثيرة[5]، وسبي لم ير موسى مثله ولا أصحابه[6] ويقول ابن الكردبوس أن طريف ابن مالك المعافري قاد ثلاثمائة رجل من البربر فأغار وسبى وقتل ورجع سالما[7].

---

[1] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس(كتاب الاكتفاء في تاريخ الخلفاء)، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، ص 41 وما بعدها.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 10.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، الجزائر، م1، 2008، ص 230.

[4] النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص 24.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار الابحاث، م1، ص 230.

[6] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تح: ابراهيم الأبياري، م2، ص 17.

[7] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص ص 45، 46.

ب.2- الفتح:

صارت الظروف مناسبة والأوضاع مواتية للمسلمين للقيام بفتح الأندلس، فموسى بن نصير بن عبد الرحمان بن زيد البكري أخذ الموافقة والإذن من الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أمره بأن يجهز جيشا ضخما إلى الأندلس[1]. وطريف بن مالك قد عاد بالأخبار الطيبة والأنباء السارة عن الأوضاع في الأندلس، حيث وجد سهولة عند نزوله في ذلك المكان في غياب اي مقاومة تذكر. كما أنه عاد محملا بالسبي والغنائم، فتأكد حينها موسى أن المسلمين قادرين على الجواز وعبور المضيق للقيام بعملية الفتح، فشكل لهذا الغرض جيشا انضم إليه الكثير من الناس قد تسارعوا للغزو[2]، وقدر هذا الجيش بسبعة ألاف محارب جلهم من البربر تحت إمرة طارق بن زياد الورفجومي[3] ويقال انه من قبيلة زناتة[4]، وبالضبط من نفزة من زناتة[5]، وكان طارق عاملا لموسى على طنجة[6] كما يقال له طارق بن عمرو[7].

عبر الجيش الفاتح المضيق ونزل عند جبل جنوب الأندلس يقع في الجزيرة الخضراء يعرف اليوم بجبل طارق[8] في شهر شعبان عام 92هـ/711م ، ولما رأى طارق انه بحاجة الى قوة اضافية ارسل إلى موسى يستمده بجيش أخر، فجهز له هذا الأخير جيشا من خمسة ألاف من المسلمين[9]، فتكامل عدد الجيش اثني عشر ألف ومعهم يليان حاكم سبتة يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الأخبار[10]، وقيل أن جيش المسلمين بلغ اثني عشر ألفا وكان

---

[1] مجهول، فتح الأندلس، تح: لويس مولينا، ، ص 11.

[2] النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص 24. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد صبيح، مكتبة مدبولي، مصر، د ت، ص 138 وما بعدها.

[3] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994، ص 8.

[4] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، م1، ط1، 1988، ص 161.

[5] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 9.

[6] المقري، نفح الطيب، تح: محمد البقاعي، دار الفكر، ج1، ص 187.

[7] الضبي، بغية الملتمس، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، ج2، 1989، ص 423.

[8] أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، تص: طه محمود قطرية، مطبعة بولاق، القاهرة، 1289هـ، ص 178.

[9] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الابحاث، م1، ص 232.

[10] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 24.

يتكون من عشرة ألاف من البربر وألفين من العرب وسبعمائة من السودان[1] في انتظار المواجهة الفاصلة والمعركة الحاسمة ضد القوط.

التقى الجيشان في شهر رمضان عام 92هـ/711م في سهل الفرنتينة جنوب الأندلس في معركة استمرت طويلا، حيث تقابل طارق في البداية مع تدمير احد قادة القوط والذي استخلفه لوذريق على الجيش في مواجهة شديدة دامت ثلاثة ايام، ثم كتب تدمير إلى ملكه بالقدوم، فلحق به ومعه تسعون ألفا، وكان مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك على خيل طارق بن زياد فاقتتل الفريقان ثلاثة أيام أشد القتال[2] في معركة دامية وقيل انها ثمانية أيام[3]، ورغم تباين القوة بين الطرفين تباينا كبيرا حيث كان التفوق العددي للقوط إضافة إلى الأسلحة والعتاد مقارنة بالجيش الاسلامي قليل العدد والعدة إلا أن المسلمين اكتسحوهم و كان النصر حليفهم[4] و"أذرع فيهم المسلمون بالقتل"[5]، وسميت هذه المعركة بعدة أسماء؛ معركة وادي لكة أو بكة أو معركة شريش* ومعركة شذونة* والبحيرة[6]، ويقال انه بعد المعركة بقيت جثث القوط وجيفهم دهرا وعظامهم إلى حديث الزمان[7].

- فتح مدن الأندلس:

بعد هذا النصر سار طارق بن زياد خلف المنهزمين إلى إستجة*، فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين عدد كبير، فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزم أهل الأندلس[8]، ومن ثم واصل

---

[1] حسين مؤنس، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، ص 62.

[2] أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 178.

[3] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 25.

[4] البلاذري، البلدان (فتوحها وأحكامها)، تح: نجيب ماجدي، الدار المصرية، بيروت، ط1، 2008، ص 217.

[5] مجهول، أخبار مجموعة في الفتح الأندلس وذكر أمرائها، تح: إبراهيم الأبياري، م2، ص 18.

* شريش: من كور شذونة قريبة من البحر، و يجود زرعها متوسطة حصينة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 102.

* شذونة: من كور الاندلس نزلها جند فلسطين بعد الفتح، جامعة لخيرات كثيرة/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص100.

[6] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: تشارلز توري، الأمل للطباعة والنشر، مصر، ج2، د ت، ص ص 205،206.

[7] أبو إسحاق بن القاسم الرقيق، قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلى الزيدان، عز الدين عمر وموسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص 43.

*استجة: مدينة قديمة قريبة من قرطبة، كانت واسعة الارباض/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص 14، 15.

[8] النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص 25.

المسلمون فتح المدن الواحدة تلو الأخرى، وسار طارق إلى طليطلة ومغيث إلى قرطبة[1]، ولما وصلت انباء الفتح المبين الى موسى بن نصير جاز إلى الأندلس وعبر المضيق عام 93هـ/711م في جيش آخر قدر عدده بعشرين ألفا من وجوه العرب والبربر[2] ويقال أنه صحب معه عشرون من التابعين منهم حنش الصنعاني.[3] ويعتبر جيش طارق وجيش موسى اولى طلائع المسلمين في الاندلس، ونواة المجتمع الاسلامي الجديد.

تعاون القائدان موسى وطارق بعد ذلك على فتح مدن الأندلس الأخرى[4] لتأمين خطوط المسلمين وتواجدهم، ثم قفل موسى راجعا نحو المشرق بعد استقر الوضع للمسلمين محملا بالذخائر والغنائم وأخبار الفتح العظيم والنصر المبين، وخلف ابنه عبد العزيز بن موسى ليدير شؤون البلاد من قرطبة[5] التي صارت عاصمة الأندلس ومقر السلطة[6] وقيل أن اشبيلية هي التي صارت العاصمة وباب الأندلس[7]، لمواصلة تثبيت أركان الحكم الإسلامي في هده البلاد[8]. وقد ذكر الكثير من المؤرخين المسلمين كثرة الغنائم من أموال وذخائر تقدر بمئات الألاف من الدنانير، فيذكر أبو الطرطوشي أن المائدة المنسوبة لسليمان عليه السلام والتي أخذها طارق بن زياد عند الفتح قومت بمائتي ألف لما فيها من الجواهر التي لم ير مثلها[9] وربما كان قصده مائتي ألف دينار وهو رقم كبير يعبر عن مدى وحجم الغنائم التي غنمها المسلمون بعد فتح الأندلس، أضف اليها الأموال والذهب والعدة والعتاد والسبي الكثير.

---

[1] أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 178.

[2] حسين مؤنس، رواية جديدة عن فتح الأندلس، ص ص 63، 64.

[3] ابن الكردبوس، المصدر السابق ص 49.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: ج، س، كولان، ليفي بروفنسال ، ط2، ج2، ص 9 و15 وما بعدهما.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، م1، ص 234.

[6] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1909، ص 233.

[7] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تح: إبراهيم الابياري، ط2، ص 27.

[8] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، دار الثقافة، ط2، ج2، ص 17 وما بعدها.

[9] أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق، ص 176. النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص 26.

3- الحكم الإسلامي للأندلس:

بعد أن دانت الأندلس للمسلمين صارت ولاية إسلامية وجزأ من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وقد مرت بفترات حكم بدءا من عصر الولاة حيث كانت تابعة للخلافة الأموية، ثم استقل بها الأمويون بعد زوال دولتهم بالمشرق إثر القيام الدولة العباسية، وعرفت خلال الحكم الأموي عصري الإمارة والخلافة، ثم جاءت فترة الطوائف وبعدها حكم المرابطين ثم الموحدين، ويصف ابن غالب الاندلس في قوله:" والأندلس قطعة من القطع الثلاث بالمغرب الأقصى من مملكة الإسلام التي هي الأندلس والمغرب وافريقية" و"الأندلس أعظم هذه القطع شأنا وارفعها قدرا وأشهرها ذكرا و اشمخها ملكا وأعزها سلطانا، وأكثرها موانئ وأمنعها معاقل وأتقنها سواحل"[1]. وبالتالي تعتبر الاندلس من بين اهم اقاليم الدولة الاسلامية بعد الفتوحات.

أ- عصر الولاة 95هـ- 138هـ (714م- 755م):

كانت الأندلس في هذه الفترة تابعة للخلافة المركزية في دمشق، يحكمها ولاة معينون وفي أغلب الأحيان كان ولاة إفريقية هم من يتولى تعيين ولاة الأندلس[2]، وقد تغير مركز السلطة ومقر الحكم من قرطبة إلى إشبيلية* أثناء حكم الوالي أيوب بن حبيب اللخمي[3]. وفي هذا العصر حاول بعض الولاة مد حدود الأراضي الإسلامية شمالا عبر غزوات وحملات فيما وراء جبال البرانس[4]، كما تميز بالفتن والاضطرابات والنعرات العصبية والقبلية[5] سواء بين العرب او بين العرب والبربر، والتي كادت ان تعصف بجهود الفتح، ومجموع ولاة

---

[1] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص ص 306، 307.

[2] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 81.

* قرطبة: قاعدة الأندلس، ومستقر خلافة الأمويين، وهي على نهر عظيم مدينة قديمة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص- ص 153، 156./ إشبيلية: مدينة جليلة بالأندلس، وهي قديمة، من قواعد الأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ص 18،19.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط2، ج2، ص 33.

[4] عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 897هـ، دار القلم، دمشق، بيروت، ط2، 1984، ص 131.

[5] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 11.

الأندلس في هذه الفترة التي تزيد عن أربعين سنة ثمانية عشر واليا بدءا من عبد العزيز بن موسى إلى يوسف بن عبد الرحمن الفهري[1]، وأشهر الولاة الذين كان لهم دور محمود وجهود كبيرة في الفتح عبد الرحمن الغافقي الذي قاد حملة جنوب فرنسا و استشهد في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ/732م [2].

وما يمكن قوله أن الاضطرابات السياسية التي شهدتها الأندلس خلال هذا العصر أثرت كثيرا على جهود المسلمين في فتح ما وراء جبال البرانس أي في فرنسا، حيث وصل المسلمون الى العمق الفرنسي دون تثبيت وجودهم، كما أدت إلى عدم الاستقرار السياسي حيث كانت كل عصبية تتربص بالأخرى من أجل السيطرة على الحكم وترى أنها احق بالسلطة من غيرها .

ب- العصر الأموي(الإمارة و الخلافة) 138هـ- 422هـ (755م- 1031م):

استطاع عبد الرحمن الداخل 113هـ- 172هـ/732م-789م[3] احد الامراء الامويين ان يفلت من قبضة العباسيين إثر اسقاطهم للخلافة الأموية في المشرق والوصول إلى الأندلس[4]، وحشد أنصار ومؤيدين تمكن بهم من هزم آخر ولاة الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري و تأسيس دولة أموية جديدة، وعمل على توطيد أركانها وتقوية دعائمها[5]. وقد وصفه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بأنه صقر قريش الذي استطاع تشييد ملك بعد انقطاعه في المشرق، كما تميز عبد الرحمان الداخل بالعلم وحبه والعدل في حكمة[6]، ومن أعماله تأسيس جهاز الشرطة واعتماده على الجند البربري مقدما لهم بدلا من العرب[7]، ومن

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، م1، ص 299.

[2] عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2002، ص ص 87، 88.

[3] الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ج3، 2002، ص 328.

[4] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص ص 55، 56.

[5] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الاندلس، ص 17.

[6] ابن الخطيب، تاريخ اسبانية الإسلامية (أعمال الإعلام)، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، ص ص 9، 10.

[7] محمد بشير العامري، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014، ص 61 وما بعدها.

أعظم إنجازاته تشييد المسجد الجامع بقرطبة عام 170هـ/787م[1]. وعرف العصر الأموي عدد من الامراء لعل اشهرهم عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله 277هـ-350هـ/886م-962م .[2] الذي ازدهرت في عهده الأندلس وتسمى بأمير المؤمنين، وهدأت الأحوال واستقرت الأوضاع وعلا شأن البلاد بين أقطار البلاد الإسلامية حيث أن الناصر" وجد الأندلس مضطربة فسكَّنَها"[3] ولما اتسع ملكه وقويت شوكته وخيف جانبه "صرف نظره إلى تشييد المباني والقصور"[4]، فبنى قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب المياه إلى القصور و بنى المتنزهات كميناء الناعورة وبنى الزهراء بقصورها وبساتينها و" اتخذ مجالات للوحش فسيحة البناء بعيدة السياج ومسارح الطيور"[5]، و في بداية حكمه وطد لنفسه ولعقبه الحكم حيث حارب المارقين والخارجين عن الدولة وأعدائها في الداخل و الخارج كالمتمردين و الفاطميين أو نصارى الأندلس الذين هابوه وخافوه "و كان ملكه في غاية ما يكون من الضخامة ورفعة الشأن وهادته الروم"[6]. و إضافة إلى الاستقرار السياسي شهدت الأندلس نهضة عمرانية تمثلت في بناء المساجد والقصور والجسور والمدن و يعتبر بناء مدينة الزهراء قمة الرُقي العمراني[7] ، ونهضة علمية راقية إذ أقبل العلماء والفقهاء من مختلف المناطق خاصة إلى العاصمة قرطبة التي تمثل مركزا سياسيا وحضاريا للأندلس، وكانت هناك تبادلات ثقافية مع البلدان الإسلامية وغيرها[8]، وازدهرت الحياة الاقتصادية ايضا اذ

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج5، 1995، ص 276.

[2] الزركلي، المرجع السابق، ج3، 2002، ص 324.

[3] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الرومي، ص 987.

[4] نفسه، ص 991.

[5] نفسه.

[6] المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تع، ظب، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940، ج2، ص 258.

[7] محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، مكتبة الجانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص 36.

[8] علي حسن الشطاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار ضياء، دبي، 2001، ص 158.

اهتم الأمويون بالنشاط البحري وإن كان متأخرا نظرا للصراع الدائم مع الممالك النصرانية[1]. وكذلك اشتهر الخليفة الأموي الحكم المستنصر ابن الناصر302هـ-366هـ/915م-977م ورغم أن فترة حكمه كانت قصيرة إلا أنها اصطبغت بالصبغة العلمية اذ شُغِف بالعلم و احبَّه واحب أهله، وكان له نصيب وافر من العلم وفنونه، ويذكر ابن خلدون ان المستنصر كان" جمَّاعة للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله"[2] و جعلها في مكتبة كبيرة، وحسب ابن حزم فإن عدد الفهارس التي بها أسماء الكتب بلغ أربعة وأربعون فهرسة كل واحدة بها عشرون ورقة كلها للدواوين" فأقام للعلم والعلماء سلطانا نفقت فيه بضائعه من كل قطر"[3]. وإن دلّ هذا الأمر فإنّما يدل على نهضة الأندلس العلمية وازدهار العلوم و التأليف والمؤلفات بتشجيع من الأمراء والسلطة الحاكمة، فالحَكَم المستنصر ضرب مثلا عن الحكام المثقفين ودورهم في انتعاش الحياة الثقافية في بلدانهم.

وفي أواخر الخلافة الأموية بدأ الضعف والوهن يدبان في أوصالها خاصة بعد وفاة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي صار الآمر الناهي في الأندلس في أثناء خلافة هشام المؤيد الذي خلف أباه الحكم المستنصر، ونظرا لصغر سن الخليفة استولى الحاجب محمد بن أبي عامر على مقاليد السلطة مستغلا علاقته بصبح والدة هشام المؤيد[4] ثم ورثه في الحجابة بدون منازع ولديه عبد الملك ومن بعده ابنه الآخر عبد الرحمن الذي صار وليا للعهد لهشام المؤيد الذي حكم من366هـ- 399هـ/977م-1009م[5]. و كان كتاب العهد الذي أمضاه الخليفة هشام في ربيع الأول عام 399هـ/1009م منه نسختان مع أسماء الشهود على رأسهم قاضي الجماعة أحمد بن ذكوان، وقد أخذ عبد الرحمن البيعة لنفسه دون تفكير وتدبير في العواقب ودون مشورة ضانا بنفسه القدرة والاستطاعة ويقول عن ذلك ابن عذاري:" وكيف استهواه الشيطان وغرته قوة السلطان إلا أن ركبها عمياء مظلمة لم يشاور

---

[1] خزعل ياسين مصطفى، الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانيء الأندلسية (عصر الإدارة والخلافة)، مجلة التجربة والعلم الموصل، ع 01، مج 18، 2011، ص 186.

[2] ابن خلدون، العبر، اع، أبو صهيب الكرمي، ص 993.

[3] نفسه، ص 993.

[4] عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 17.

[5] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 91.

فيها نصيحا ولا فكر في عاقبة بل أخذها بالجملة..."[1]، ثم صار إلى قصره بالزاهرة لتلقي التهاني من كبار رجال الدولة وغيرهم وتلقب بناصر الدولة المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور و ولّى ابنه عبد العزيز الحجابة ولقّبه سيف الدولة. ويعتبر اقدام عبد الرحمن بن ابي عامر على هذا الفعل سابقة في تاريخ الخلافة الإسلامية وفي الاندلس، وخرقا للأعراف والتقاليد التي دأب عليها المسلمون حيث من المعروف أن الخلافة في قريش، كما تسبب في غضب الناس وإنكارهم واحتجاجهم، زد على ذلك ما اتصف به من سوء الأخلاق وسوء الطوية فقد كان منهمكا في لذاته وشهواته وغيِّه مصاحبا لرفاق السوء، مهملا لشؤون البلاد والرعية، وكان همّه حياته وأموره الشخصية كاللهو ومجالس الأنس والصيد والخروج في نزهات وأخذ في التخليط والفسوق والانتهاك ،وتسلط على كبار الدولة ورجالها بأن أمرهم بلبس العمائم وترك القلانس التي هي رمز مكانتهم ومباهاتهم على العامة[2].

فهذه الأفعال الشنيعة والتصرفات الطائشة أوغرت صدور الناس وأثارت حقدهم وأولهم أمراء البيت الأموي الذين اعتبروا تولِّي عبد الرحمن العهد جرم كبير لم يتجرأ أحد القيام به حتى الحاجب محمد بن أبي عامر صاحب الصيت والاسم، والغزوات المباركة والانتصارات الباهرة لم يجرؤ على فعل كهذا مع كفاءته وخبرته ومهارته في كل الميادين.

وكان أول الثائرين على الخليفة وحاجبه أمير أموي يدعى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر الذي استغل خروج الحاجب عبد الرحمن في غزوة الى الروم في جليقية[*]، فدخل قصر قرطبة وأخذ الأموال التي بالزاهرة ونقل جميع ما فيها إلى قصر قرطبة. وما إن سمع الحاجب عبد الرحمن بالخبر حتى قفل مسرعا نحو العاصمة والناس ينفضون من حوله فوصلها في نحو خمسين رجلا رغم إغرائه للجنود، كما تلقى أمانا من محمد بن هشام الثائر إن دخل في طاعته لكنه أبى ورفض ذلك وهرب لا يلو على شيء، ثم أحاط به الجند

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص 43.

[2] نفسه ، ص–ص44، 48.

[*] جليقية: اقليم واسع يسكنه نصارى الاندلس يتكون من اربعة اقسام؛ جليقية، اشتورش، البرتغال، قشتيلة، البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص398.

قرب الجوف وقتل فيما بعد[1]، وفي نفس الوقت تم خلع الخليفة هشام المؤيد في جمادي الآخرة عام 399هـ/1099م[2] أي بعد تولية عبد الرحمن الحاجب ولاية العهد بفترة قصيرة.

وصار محمد بن هشام خليفة وتلقب بالمهدي وتميز بالخفة والطيش و كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق[3] ويقول ابن عذاري أنه حكم كخليفة لمرتين الأولى عند خلع هشام المؤيد في حمادي الأولى عام 399هـ/1009م إلى ربيع الأول عام 400هـ حين ثار عليه أمير أموي آخر هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر لينافسه على عرش الخلافة وكرسي السلطة، والذي تسمى بالمستعين، ثم عاد محمد بن هشام المهدي إلى السلطة في شوال عام 400هـ/1010م وحكم تسعة وأربعون يوما، وكان سليمان المستعين مستندا الى البربر مدعوما بهم، وهم الذين أهانهم محمد المهدي وسامهم الخسف، واستعان كذلك بالنصارى الذين قتلوا أكثر من ثلاثين ألفا من أهل قرطبة لما دخلوها أواخر عام 400هـ/1010م .[4] وفيما يخص هشام المؤيد فإنه عاد للحكم حتى عام 403 هـ/1012م، وفيها استولى سليمان المستعين على عرش الخلافة وقتل الخليفة هشام المؤيد، وقيل أن محمد بن سليمان المستعين قتله خنقا وأشاعوا أنه عاش سقاء بالمرية[5].

لقد أدى طيش عبد الرحمن بن أبي عامر وجهله إلى القضاء على الدولة العامرية[6] وإدخال الأندلس في أتون الفوضى والاضطراب، وأكمل طمع محمد المهدي وسليمان المستعين على الباقي بخروجهما على الخليفة الشرعي، فهؤلاء الثلاثة ساهموا في إضعاف دولة كانت الى وقت قريب رمز القوة والازدهار الحضاري، وعاثوا فيها فسادا وفتحوا المجال للفتنة وإلى تدخل النصارى في شؤون المسلمين، وانتشرت الفوضى والقلاقل وعمت الفتنة ربوع الأندلس، ودب الخوف في قلوب الناس، وانعدم الأمن وانقطعت السبل ومصالح الناس، وتداول الحكم

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3،ص–ص49، 72 ، ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص 995.

[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانية الإسلامية ، ص– ص 109، 111.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص 50.

[4] نفسه، ص 51، ص 83 وما بعدها.

[5] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 180.

[6] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، 1963، ص5.

في قرطبة وأجزاء الأندلس المضطربة الأمويون والحموديون في صراع محموم بين العنصر العربي والعنصر البربري[1].

وقبيل سنوات قليلة من سقوط الدولة الأموية في الأندلس تولى خلفاء ضعاف ليس لهم من الأمر شيء، أخرهم هشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر والذي خلع في 12 ذي الحجة عام 422هـ/1031م وبه انقرضت دولة بني مروان[2]، وانقطعت الدعوة لبني أمية وذكرهم على المنابر بجميع أقطار الأندلس والعدوة[3]، وصدر بيان من طرف أهل قرطبة أعلنوا فيه زوال رسوم الخلافة وأوكلوا أمرهم إلى أبي حزم بن جهور[4] الذي كان أباءه من وزراء الدولة الحكمية والعامرية[5]، وهكذا صار الوضع السياسي و"استحكم فساد الأندلس ويئس من اجتماع أهلها"[6]، وبلغت مدة الأمويين بالأندلس مائتي وثمانية وستون سنة[7]، وعدد أمراء البيت الأموي في هذه المدة ستة عشر ملكا[8].

ج- عصر الطوائف: 422هـ- 484هـ(1031م- 1091م):

يعتبر عصر الطوائف من أحرج الفترات وأصعبها التي مرت بها الأندلس منذ الفتح الإسلامي حيث انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة بعد سقوط ونهاية الخلافة الأموية عام 422هـ/1031م. وتعود فكرة الانقسام إلى بدايات القرن الخامس الهجري حتى قبل زوال الحكم الأموي، فكان البربر أول من استقل بجهاتهم على رأسهم بنو زيري في غرناطة* عام

---

[1] أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص- ص 8، 10.

[2] ابن عذاري، االمصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص 45.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 61.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1 ، ص 602.

[5] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 64.

[6] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، ج1،ص 102.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص144، مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص 215 ، الضبّي، بغية الملتمس، تح: ابراهيم الأبياري، ط1، ج1، ص58 ، ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح الأندلس، ص ص183،182.

[8] المازاري، طلع سعد سعود، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر الجزائر، ط1، ج1، 2007، ص 124.

* غرناطة: مدينة مشهورة جنوب الأندلس / الحموي، المصدر السابق، م3، ص ص 371،372.

403هـ/1012م، وبنو برزال في قرمونة*عام 404هـ/1013م وأسر اخرى غيرهم[1]. وكذلك الصقالبة أخذوا نصيبهم من البلاد واستقلوا بشرق الأندلس في المرية* ومرسية* ودانية* وبلنسية* وجزر البليار*[2]. وبعد زوال الدولة الأموية تفرق الناس شيعا واستبد كل حاكم بجهته، فالعائلات العريقة في الوسط والبربر في الجنوب والصقالبة العامريون كان نفوذهم بالمدن الشرقية[3]، ويقول ابن خلدون عن ذلك: " فافترق الأمر في رؤساء الدولة من العرب والموالي والبربر واقتسموا الأندلس ممالك ودولا" و"قام كل واحد بناحية منها"[4]، وضبط جهته واتخذ لقبا ملوكيا واسما خلافيا كالمعتضد والمأمون والمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية ،وقد صور لنا الشاعر ابو علي الحسن ابن رشيق حال ملوك الطوائف ووصف واقعهم في حقيقة الأمر في بيتين شعريين[5]:

مما يزهدني في ارض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتمــد.

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد.

وبرزت في ذات الوقت عدة مدن اشتهرت كحواضر وعواصم لهذه الدوليات كإشبيلية وبطليوس* والمرية و طليطلة* وسرقسطة* وبلنسية، ودخلت الأندلس في عصر مظلم سياسيا

* قرمونة: مدينة بالأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 158

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ص-ص 176، 236.

* المرية: مدينة في الأندلس على حافة البحر/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119.

* مرسية: شرق الأندلس، قاعدة تدمير/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص47.

* دانية: مدينة بالأندلس ذات خيرات/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص434.

* بلنسية: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص490.

* جزر البليار: يقصد بها جزر منورقة وميورقة ويابسة/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص185،ص188، ص198.

[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانية الإسلامية ، ص 210.

[3] كارل بروكلمان، الشعوب الإسلامية، نق: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968، ص 306

[4] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص- ص 996، 999.

[5] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص ص73،72.

*بطليوس: مدينة كبيرة في الأندلس/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 217.

* طليطلة: مدينة قديمة في الأندلس/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص99.

* سرقسطة: مدينة مشهورة في الأندلس ذات فواكه/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 212.

مصحوبا بفوضى اجتماعية وتردي اقتصادي وخصومات قامت بين ملوكه طمعا في أملاك الغير، فبرزت دويلات ضعيفة هزيلة بعيدة عن دعائم الوحدة والاعتصام[1] يحكمها حكام جائزون قهروا الرعية وبطشوا بها[2]، وتعدى ذل المسلمين وهوانهم أن استعانوا بالنصارى ضد بعضهم البعض[3] وأدوا لهم الجزية وهم صاغرون[4] مقابل الحفاظ على أملاكهم والبقاء في عروشهم وإن كان على حساب كرامتهم وعلى حساب مشاعر المسلمين وأركان الدين فتشتت المسلمين وضعفوا. وكانت إسبانيا النصرانية في هذا الوقت تسلك سلوكا وحدويا وتفكر في استرداد الأندلس[5]، ورغم الفتنة التي حدثت بعد موت فردلند ملك قشتالة وتنافس أبنائه على العرش إلا أن حكام المسلمين لم يستغلوا الفرصة واسترداد بعض كرامتهم. بل تمكن ألفونسو السادس- الذي حسم أمر الحكم لصالحه- من الاستيلاء على كثير من الأراضي الإسلامية[6].

شهدت الأندلس ازدهارا ملحوظا في الجانب الثقافي رغم التشرذم والتفكك السياسي، وانتعشت الحياة الفكرية والفنية كثيرا نظرا لاهتمام حكام الطوائف بالنشاط الثقافي وتشجيعهم للعلماء والأدباء والشعراء ومكافأتهم على جهودهم خاصة أن العائلات الحاكمة في معظمها كانت ذات ومال ومكانة في المجتمع، وقد زادت ثروتها بعد أن تمكنت من السيطرة على الحكم واعتلاء سدة الملك مما أتاح لها فرصة تشجيع الفكر والفنون[7] والعلم والأدب[8]. فمثلا كانت قرطبة مركزا علميا وثقافيا، وطليطلة مركزا للبحوث العلمية إضافة إلى ازدهار الصناعات والفنون جسدتها قصور ملوك الطوائف التي بلغت درجة عالية من الترف. كما شهدت الصناعات نموا ملحوظا و ازدهارا هاما كصناعة الحديد والزجاج والنسيج، و حظيت

---

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص- ص 67، 69.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص 164. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص 50. ابن سعيد المغربي، المغرب ،ج2، ص107.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص ص 225، 226.

[4] نفسه، ص 280.

[5] سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1964، ص 560.

[6] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، ص ص 391، 392.

[7] صلاح خالص، إشبيلية في القرن 5هـ- دار الثقافة، بيروت، د ت، ص 42.

[8] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص 74.

التجارة بمكانة مرموقة في الأندلس وبرع الأندلسيون في الفنون الزراعية وتربية المواشي وتنظيم طرق الري والسقي ومعرفة أحوال المناخ وما تعلق بالزراعة وفنونها ،ومن هنا يظهر البون الواضح والفرق الشاسع بين الوضع السياسي المُتَّسم بالضعف والهوان مقارنة بالأوضاع الأخرى الاقتصادية والفكرية[1]. وهناك نقطة مهمة لا يجب تجاوزها كانت عاملا إيجابيا في الأندلس عصر الطوائف وهي البحرية والنشاط البحري الذي لقى اهتماما بالغا في العصر الأموي وبلغ أوجه في هذه الفترة- الطوائف- سواء كان تجاريا أم حربيا، وسيطر الأندلسيون على الحوض الغربي للمتوسط وكانوا من أنشط الناس في الملاحة البحرية لا يساميهم في ذلك إلا أهل الخليج العربي[2]. ومن هنا يستطيع المتتبع للأحداث ان يرى التناقض الكبير الذي كانت عليه الاندلس في صورة قل نظيرها بين ضعف سياسي وازدهار في مجالات الحياة الاخرى.

و استمرت الأندلس في هذا الوضع حتى قدم المرابطون وملكها يوسف بن تاشفين الملّثَّم من بر العدوة و أنقضها من الضياع التي كانت سائرة اليه[3]. وكانت نهاية حكام الطوائف نتيجة أعمالهم وسياساتهم المتخاذلة وهوان أنفسهم، فقد خضعوا للنصارى وخنعوا لهم، واقبلوا على الدنيا وملذاتها، واهملوا مصير البلاد والعباد وشؤون الرعية، وهذه نهاية كثير من الدول والحكام الذي نحوا منحى ملوك الطوائف، ويشير أبو القاسم بن رضوان المالقي على سبيل المثال إلى نهاية الأمويين في المشرق لما آثروا الشهوات وأقبلوا على الملذات ودخلوا في المعاصي والتعرض لسخط الله فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة[5]، فملوك الطوائف اتخذوا الرعية مطية وملكا ومكسبا فأرهقوهم بالضرائب والمكوس خاصة بعد اشتداد ضغط ملوك النصارى الذين كانوا يطالبون ملوك الطوائف بالجزية، فسلبهم الله تعالى العز والنعمة وأبدلهم الذل والنقمة. وانتهى بهم المآل بين مطرود من ملكه ومشرد في البلدان.

---

[1] محمد عبد عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، ص 129، ص-ص437، 443.

[2] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، دار الشرق، بيروت ، القاهرة، ط1، 1983، ص 56.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، م 1، ص 301. محمد احمد ابو الفضل، تاريخ مدينة المرية الاندلسية ص236.

[5] ابو القاسم بن رضوان المالقي، الشهب الامعة في السياسة النافعة، تح: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1984، ص415.

د- عصر المرابطين: 484هـ- 542هـ (1091م- 1147م)

وكما سبق أن قيل عن فترة الطوائف التي كانت مليئة بالفتن والاضطرابات والفوضى وتصارع الملوك فيما بينهم من أجل الاستحواذ على المزيد من الأملاك والأراضي، كان النصارى في إسبانيا يستجمعون قواهم ويوحدون صفوفهم في حركة استرداد* صليبية يقودها الملوك النصرانيين أدت إلى سقوط عدة مدن إسلامية بأيديهم حتى قدر للدولة المرابطية أن يكون لها تاريخ في الأندلس وسبق في جهاد النصارى، ويد بيضاء في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، فمن هم المرابطون؟ وكيف تأسست دولتهم؟ و كيف وصلوا للأندلس؟

إن قيام دولة المرابطين يثير اهتماما من حيث نشأتها وبلوغها القوة والعظمة، إذ بدأت على أساس ديني يهدف إلى نشر مبادئ الإسلام الصحيحة بعيدا عن الشرك والخرافات، وبعد جهود مضنية تحولت إلى دولة قوية مدت نفوذها على أقاليم واسعة وأراضي شاسعة ضمت الصحراء والمغربين الأوسط والأقصى والأندلس.

ويعود الفضل والجهد في تأسيس هذه الدولة الكبيرة لقبائل صنهاجة التي كانت تقيم في مفاوز الصحراء بعيدا عن التمدن الذي كان في المغرب والأندلس، لكنها استطاعت بناء دولة أعادت البريق للعالم الإسلامي في جزئه الغربي، وضخت دماء جديدة في المجتمع المسلم في الأندلس[1]. ويعود أصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة[2] الصنهاجية[3] البربرية[4] التي أسست دولة المرابطين جنوب المغرب الأقصى فيما وراء جبال درن[5] ويقسم ابن خلدون صنهاجة إلى طبقتين:

---

* عن حركة الاسترداد: أنظر حسين مؤنس، فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية 711م- 756م)، دار المناهل، بيروت، ط1، 2002، ص 367.

[1] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية ، ص 239.

[2] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1867، ص 164.

[3] ابن خلدون، العبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج6، 2000، ص 152.

[4] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، 1972، ص 495. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مر: محمد بن يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، 1987، ص 328.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011، ص 605.

بنو زيري وهم صنهاجة الشمال والطبقة الثانية صنهاجة الجنوب وهم الملثمون أو المرابطون فيما بعد يقيمون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب[1]. ويقول ابن الأثير أن أصل قبائل صنهاجة من حمير اليمنية نزحوا إلى الشام أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم انتقلوا إلى مصر ثم دخلوا بلاد المغرب مع موسى بن نصير[2]، وهذا ما يناقض كلام ابن حزم الذي اكد على أن صنهاجة من قبائل البربر. ثم يقول ابن الأثير أن الصنهاجيين توجهوا إلى طنجة مع طارق بن زياد ثم استوطنوا الصحراء فيما بعد[3] بعيدا عن العمران مستأنسين الأنعام و متخذيها وسائل عيشهم[4]، فهم ضواعنا رحالة في الصحراء بالقرب من السودان لا يمتهنون الزراعة وخدمة الأرض بل تربية الماشية ومنها كسبهم وعيشهم ويتغذون على لبنها ولحومها ومع ذلك قوتهم مكينة وأبدانهم صحيحة[5].

وتعددت قبائل صنهاجة منها لمتونه وجدالة ومسوفة ولمطة وتريكة و ناوكا و زغاوة وأشهر هذه القبائل لمتونه التي تنقسم بدورها إلى بطون منهم: بنو زمال، بنو صولان، بنو ناسجة، بنو ورتنطق التي منها أبو بكر بن عمر زعيم المرابطين[6]. ويتحدث ابن أبي زرع في روض القرطاس عن كثرة عدد الصنهاجيين وان صنهاجة تنقسم:" على سبعين قبيلة وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ"[7].

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج6، 1971، ص 181. الناصري السلاوي،المرجع السابق، ج2، ص3. البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 2003، ص ص343، 344.

[2] ابن الأثير، الكامل ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، 2010، ص 134.

[3] نفسه، ص 138. ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، تح: محمد زينهم محمد عزب واخرون، دار المعارف، القاهرة، ط1، ج1 ،1998، ص124.

[4] ابن خلدون، كاتب العبر، منشورات مؤسسة الأعلمي، ج6، ص 181.

[5] البكري، المسالك والممالك، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، ج2، ص- ص 351، 357. اليعقوبي، البلدان(جزء من الاعلاق النفيسة لابن رسته)، مطبعة بريل، ليدن، 1892، ص360.

[6] ابن خلدون، كتاب العبر، منشورات مؤسسة الاعلمي، ج6، ص 181. ابن عذاري، المصدر السابق، تح، إحسان عباس دار الثقافة بيروت، ط3، ج4، 1983، ص 9 وما بعدها. البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، ط1،ج2،ص ص 350، 351. حسن إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447هـ-656هـ/ 1058م- 1256م)، دار الجيل، بيروت، ط1، ج4، 1996، ص 122.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 120. مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ص ص 144، 145.

وكانت هذه القبائل في منتصف القرن الرابع الهجري يتحكمون في أودغشت* المشهورة بالذهب الإبريز الخالص يفتل خيوطا ويعتبر من أجود وأصح أنواع الذهب، وكان الكثير من ملوك السودان يؤدون الجزية لملكها، كما انها تعتبر منطقة و مدينة تواصل و اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان[1].

ونشأ المرابطون في منطقة الصحراء الغربية ما يلي المحيط الأطلسي والمتصلة شمالا ببلاد المغرب الأقصى وجنوبا بلاد السودان. و قد جمعت بين هذه القبائل رابطة الدين واللغة والتقاليد[2] ،وكانوا بدوا رحلا كما سبق ذكره يتنقلون من واحة إلى أخرى وغذاؤهم لبن الإبل ولحومهم مقددة ومطحونة، ولهم أكلة مشهورة تسمى "اسلوا" باللسان البربري تتكون من الحنطة المقلية باعتدال، ثم تدق دقا متوسطا وتخلط بالعسل والسمن، ثم تعجن الخلطة على النار فتصبح طعاما شهيا إذا شرب مع اللبن وتكون ذات منفعة كبيرة في حال السفر والتنقل[3]. وقد أثرت بداوتهم على مستواهم الفكري اذ لم يكن لهم باع في العلوم والفنون والكتابة وحتى في تعاليم الإسلام الصحيحة رغم مجاورتهم للمسلمين، وفي نفس الوقت كانوا بعدين وفي منأى عن الرذائل[4].

وأما تسميتهم بالملثمين وارتدائهم للثام ففيها أقوال؛ منها أن جميع قبائل الصحراء ومنهم صنهاجة يغطون وجوههم بالنقاب، وهو فوق اللثام ولا يبدوا منهم إلا محاجر عيونهم ولا يفارقوا ذلك في حال من الأحوال[5]، وصار اللثام خاصية يتميزون بها كما يقول اليعقوبي: "

* أودغشت: مدينة لطيفة تشبه مكة بين جبلين بها أسواق، قريبة من بلاد السودان/ الحموي، المصدر السابق، م1، ص ص 277، 278

[1] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص 345.

[2] عبد الحميد حاجيات، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج3، 1984، ص 292

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، تح: نق: محمد حاج صادق، د د ط، باريس، 1983، ص ص 74، 75.

[4] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج2، 1996، ص 68.

[5] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص 357.

يتلثمون بعمائهم سنة فيهم"[1]. وقيل أنهم يتلثمون لشدة الحر والبرد والغالب على ألوانهم السمرة وفيهم قال أحد الشعراء[3]:

أو التــأموا بالســابرية أبــرزوا عيــون الأفــاعي مــن جلــود الأراقــم

وقال شاعر آخر[4]:

قــوم لهــم درك العلــى فــي حميــر وإن انتمــوا صــنهاجة فهــم هــم

لمــا حــووا إحــراز كــل فضــيلة غلــب الحيــاء علــيهم فتلثمــوا

و قيل ايضا أن نساؤهم في احدى المرات عندما غاب الرجال عن الحي حاربن باللثام[5] ،و واجهن الاعداء الذين ظنوا بانهم مقاتلين رجال.

د.1- الحركة الدينية المرابطية:

بدأت الحركة الدينية عند قبائل صنهاجة عندما ارتحل يحي بن إبراهيم زعيم جدالة [6] إلى المشرق لأداء فريضة الحج عام 427هـ/1035م وعند عودته نزل بالقيروان[*] التي كانت مركز شمال إفريقيا الثقافي[7]، والتقى بالفقيه الكبير أبو عمران الفاسي العفجومي[8] الذي كانت له رحلة إلى المشرق عام 399هـ/1010م واجتمع ببغداد بالعالم أبي بكر الباقلاني حامل

[1] اليعقوبي، البلدان (من كتاب: الأعلاق النفسية لابن رستة) ، ص 360.

[3] النويري، نهاية الارب، ج24، ص ص145، 146.

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص134.

[5] المازاري، المصدر السابق، ص124. القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج5، ص189. ابن رشد، فتاوي ابن رشد، تح: المختار التليلي، ط1، س1، ص965.

[6] محمد الامين بلغيث، الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، اش: عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، قسم التاريخ،1987، ص49./ مجهول، مفاخر البربر، تح: عبدالقادر بوباية، ص145.

[*] القيروان: مدينة عظيمة بإفريقيا، بنيت في عهد معاوية بن ابي سفيان/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 420.

[7] مونتغومري وات، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، تر: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط2،1998، ص108.

[8] مجهول، الحلل الموشية في الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1،1979، ص19.

لواء الأشعرية، وعند قفوله واستقراره بالقيروان عمل على نشر الفكر الأشعري[1] . ويقال أن يحي بن إبراهيم الجوهر الجدالي كما يذكره النويري أنه كان رجلا محبا للدين مؤثرا له سمع من أبي عمران الفاسي في رحلة الذهاب إلى الحج، وعند عودته قصده مرة أخرى وشرح له حال المسلمين في الصحراء وجهلهم بالشريعة الإسلامية[2] ومدى حاجتهم لمن يعلمهم أمور الدين ويصحح لهم العقيدة، وطلب ومنه أن يرسل معه أحد الفقهاء لأجل هذه الغاية، وما كان من أبي عمران الفاسي إلا توجيهه بكتاب إلى أحد الفقهاء في بلاد السوس يدعى وجاج بن زلوا اللمطي، فوصل إليه يحي بن إبراهيم الجدالي في نفيس بالسوس في رجب 430هـ /1037م، وسلم عليه ودفع إليه الكتاب[3] .وبعد ذلك انتدب وجاج بن زلوا اللمطي أحد طلبته لهذه المهمة وهو عبد الله بن ياسين الجزولي الذي امتاز بالدين والشهامة وقوة النفس والحزم، وكان ذا رأي وصبر وتدبير حسن[4]، فسار الرجلان معا إلى مضارب الصنهاجيين وعند وصولهما بدأ عبد الله بن ياسين في مهمته وشرع في العمل الموكل إليه، وأخذ يصحح للناس العقيدة ويبين لهم مبادئ الإسلام الحقيقة وهو بين آمر وناصح، ثم انتقل إلى تطبيق الحدود على المخالفين الأمر الذي لم يألفه الناس فأبدوا انزعاجهم وتذمرهم[5] من هذا الواقع الجديد وشق عليهم الامر، حيث كانوا يعيشون بعيدا عن الأوامر و الزواجر التي جاء بها ابن ياسين واراد ان يفرضها عليهم.

ولما لم يجد عبد الله بن ياسين الذي سيكون القائد الروحي للمرابطين[6] إقبالا من الناس غادر مضارب الصنهاجيين الذين طلبوا منه المغادرة والانصراف عنهم[7]، ورافقه هذه المرة

---

[1] إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة (من الفتح إلى نهاية 5هـ)، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2005، ص 253.

[2] النويري، نهاية الإرب ، ج24، ص– ص 139، 144.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 118.

[4] النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص 140.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 608.

[6] عياض موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ج4، ص 78. ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص 8.

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص 135.

الزعيم الاخر يحي بن عمر اللمتوني الذي خلف يحي بن إبراهيم الجدالي بعد وفاته[1]، بينما يقول ابن الأثير أن يحي بن إبراهيم قتل بعد محاكمته لما أراد أن يشق عصا الطاعة والجماعة حسدا منه ليحي بن عمر الذي صار قائدا للملثمين[2]. وكان مع القائدين مجموعة من الرجال فنزلوا على ربوة يحيط بها نهر النيل(النيجر) ضحاحا في الشتاء وغمرا في الصيف، فتسامع به الناس وأقبلوا عليه وكان مقامهم في رباط يتدربون ويدرسون ويتفقهون[3]، ثم اطلق عليهم اسم المرابطين نسبة إلى الرباط الذي كانوا فيه[4].

زاد عدد المرابطين مع الايام وهم بين دراسة وتدريب، ولما بلغوا ألف رجل بقيادة يحي بن عمر اللمتوني[5] أبلغهم عبد الله بن ياسين بأن الوقت قد حان للخروج ونشر أفكارهم ومبادئهم على أرض الواقع، فخرج من رباطهم معلنين الجهاد على القبائل الصنهاجية حتى دانت جميعها، ثم توجهوا إلى المناطق الأخرى لفتحها وإصلاح أحوالها، وحققوا نصرا بعد آخر وعمت جيوش المرابطين الصحراء والمغرب الأقصى في كل الجهات[6].

واتخذ المرابطون بادئ الامر أغمات* التي فتحوها عام 449هـ/1056م عاصمة لهم، و التي كانت تشتهر بالمزارع والمراعي والسهل والجبل وأهلها من بربر صنهاجة[7] معروفون بالتكسب وطلب الرزق[8]. لكنها ضاقت بالناس واكتظت بالأعداد الكبيرة للمرابطين، فاشتكى الأعيان لأبي بكر بن عمر اللمتوني الذي خلف أخاه يحي بن عمر بضيق أغمات فقال:"عينوا لي موضعا أبني فيه مدينة"[9]، و اختير الموقع تحت جبل المصامدة الذين تميزوا

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص- ص 125، 127.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص 136.

[3] الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب،، ص 135.

[4] ابن خلدون، العبر، مرا: سهيل، زكار، ج2، ص 183. ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص 11. يوفيل، تجارة الذهب والمغرب الكبير، ترجمة: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988، ص 136.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس ط3، ج4، ص 9.

[6] يوسف أشباخ، الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 69. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 127.

* اغمات: مدينة قرب مراكش كثيرة الخير/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 224.

[7] اليعقوبي، البلدان، حواشي: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص 199.

[8] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص 350.

[9] ابن عذاري،المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص 19.

بالشدة والقوة[1] بالقرب من نهر تنسفيت بين أغمات ونفيس جنوب المغرب[2]، و يُشار إلى أن هذا الموقع كان خاليا تكثر فيه الغزلان والنعام ونباته سدر وحنظل وبقربه رقعة فسيحة كثيرة العشب[3] وكان مخافة يقطع فيها اللصوص الطريق على القوافل فسمي بعد ذلك مراكش بلغة البربر تعني أسرع المشي أو امشي مسرعا[4]، و قيل أن اسم العاصمة الجديدة مراكش اشْتُق من اسم عبد أسود كان يستوطن غيضة لا عمران بها بجانب الطريق اسمه مراكش[5] وفيما بعد صار هذا المكان الذي كان قاعا صفصفا لا عمارة فيها عامرا و آهلا بالناس[6].

تكفل ببناء العاصمة الجديدة يوسف بن تاشفين اللمتوني ابن عم أبو بكر بن عمر بعد ان ترك له القيادة عام 463هـ/1070م وأخذ في الحركة إلى الصحراء، وابتدأ بأساس مراكش " وذلك قصر الحجر وشرع الناس في بناء الدور دون سور"[7]، ويقول القلقشندي أن مراكش بناها يوسف بن تاشفين ملك المرابطين في أرض صحراوية[8]، و" اتخذها -يوسف- دار ملكه ومقر سكنه"[9]. و استمر بناؤها خمس سنوات متواصلة وكان أول ما بني المسجد وقصبة صغيرة. وفي نفس الوقت قاد جيوش المرابطين في المغرب الأقصى نيابة عن ابن عمه أبو بكر بن عمر مواصلا الفتوحات، وامتاز يوسف بن تاشفين بالحزم والتجربة والدهاء مع ورع وتقوى، فيعتبر بذلك المؤسس الفعلي لدولة المرابطين وصار الحاكم الذي وطد أركانها

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص 137. ابن عذاري، المصدر السابق، تح : احسان عباس، ط3، ج4، ص ص 21، 22.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 617. إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997، ص 19.

[3] حسن إبراهيم حسن،المرجع السابق، ج4، ص 560.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 94.

[5] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 93.

[6] ابن الأثير، الكامل ، تح: محمد عبد السلام تدمري، ج8، ص 137. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 138.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص ص 19، 21.

[8] القلقشندي، صبح الأعشى، المكتبة الأميرية، ج5، ص 161.

[9] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 144.

وأعطاها كيانها الدولي[1]، وفي عام 464هـ/1071م ضرب السكة في مراكش و"دون الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد"[2]،وبعيد وقت قصير صار المرابطون سادة بلاد المغرب.

ونظرا لنشأة دولة المرابطين على أساس ديني يتمثل في تصحيح عقيدة الملثمين ونشر تعاليم الدين الصحيحة أصبحت دولة حامية الدين تنافح عنه وتكافح من أجله وكان الإسلام غايتها وهدفها[3] ونال الفقهاء عندهم مكانة عالية ومرتبة رفيعة، وكانت كلمتهم مسموعة في إدارة شؤون الدولة[4]. ومن عوامل نجاح المرابطين تمسكهم بالدين وتعاليمه وتطبيق حدوده والتجاوب مع دعوة الحق وكلمة النصيحة، وينقادون إلى رجال الدين الذين يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ويقول البكري في ذلك:" وهذه القبائل هي التي قامت بعد الأربعين وأربعمئة بدعوة الحق... وهم على السنة متمسكون بمذهب مالك رضي الله عنه، وكان الذي نهج فيهم ودعا الناس إلى الرباط ودعوة الحق عبد الله بن ياسين" و" هم على السنة مجاهدون للسودان"[5].

وفي فترة لاحقة زادت مكانة المرابطين بإعلان تبعيتهم للخلافة العباسية في بغداد وولائهم للخليفة العباسي بنصح من الفقهاء وبمشورة منهم، وقد بعث يوسف بن تاشفين إلى الخليفة العباسي ببغداد أمير المؤمنين المستظهر بهدايا كثيرة وكتابا مع رسوله يبين فيه ما فتحه من بلاد الأندلس، ويطلب منه تقليدا بولاية المغرب والأندلس، فأجابه الخليفة لمراده وكتب له تقليدا بالولاية من ديوان الخلافة وبعث له الخلع ولقبه بأمير المسلمين، وقد سر يوسف بذلك أتم سرور[6] كما نصحه الخليفة المستظهر بالتقوى والتمسك بالحق وأمره" بالتجرد للدفاع عن الإسلام والمسلمين"[7].

---

[1] علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع الإسلامية، القاهرة، ط1، 2003، ص 23.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق ، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص 23.

[3] محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، الجزائر، 2006، ص 13.

[4] محمود السيد، تاريخ دولة المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص 105.

[5] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص ص 350، 351.

[6] ابن الأثير، الكامل ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص 531. النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 150.

[7] حسين مؤنس، سبعة وثائق جديدة (عن المرابطين وأيامهم في الأندلس)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000، ص ص 17، 18.

وهكذا صار المغرب في ظل حكم المرابطين يتمتع بوحدة سياسية ودينية قوية تحت سلطة حاكم مقتدر مع دين ونزاهة، في حين كانت الأندلس ضعيفة سياسيا وغير مستقرة منقسمة إلى دويلات يحكمها ملوك وحكام في تناحر مستمر، همهم الملذات وديدنهم الشهوات، يقضون أيامهم بين الصيد والنزهات، والتمتع بمجالس الأنس والمغنيات، يتفاخرون بالتحف والدور والقصور واللآلئ والأموال، ويفرحون بمديح الشعراء، وفي غمرة الدنيا نسوا الخطر النصراني القادم الذي سيقوى شأنه وتكثر عساكره[1] وسيصير كابوسا مرعبا لمسلمي الاندلس طيلة عقود، فالنصارى الذين كانوا في العهد الأموي خاضعين خانعين يذوقون علقم الهزائم مرات ومرات في عقر ديارهم ، لا سيما في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر أواخر القرن 4هـ/10م الذي غزاهم الغزوات الكثيرة، و "ألح على ملوك قشتالة بالغزو والإضافة يوالي عليهم الصوائف والشواتي"[2]، صاروا الان قوة مخيفة يستعين بها المسلمون بعضهم ضد بعض[3] منذ بدأت الفتنة أوائل القرن 5هـ/11م، واستمر انحطاط المسلمين بعد ذلك في صورة بائسة.

وفي ظل الصراع الاسلامي النصراني تمكن ملك قشتالة ألفونسو السادس بعد حصار مرير دام سبعة سنوات لطليطلة من دخولها واحتلالها عام 478هـ/1085م[4] مدفوعا بروح صليبية متأججة وعنصرية محمومة، ومدعوما بقوى مسيحية في اسبانيا كما جاءته نجدات من بعض أمراء البورغنديين في فرنسا وكونت تولوز[5]، واثر ذلك جعلها مقر حكمه ومركز سلطته وصارت قاعدة ملك النصارى[6]. ومما يؤسف له ويحزن أنه تلقى التهاني من بعض حكام المسلمين إذ بلغ منهم الهوان والذل أن هرول كثير منهم بتقديم الهدايا والطرف له على

---

[1] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص- ص 23، 25.

[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ص 66.

[3] نفسه، ص ص 113، 114.

[4] ابن الأثير، الكامل ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص 298.

[5] ممدوح حسين، شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري 668هـ- 792هـ/ 1270م- 1390م، دار عمار، عمان، ط1، 1998، ص 132.

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 76.

صنيعه باحتلال طليطلة وتعهدوا له بدفع الضرائب والجزية [1] ، وإثر هذه الفاجعة الأليمة قيلت أشعار كثيرة، منها قول أحد الشعراء[2]:

وكانت دار ايمان وعلم   معالمها التي طمست تنير

مساجدها كنائس اي قلب   على هذا يفتر ولا يطير

و قال الشاعر أبو محمد عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال[3]:

شدوا رواحلكم اهل أندلس   فما المقام بها الا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى   ثوب الجزيرة ينسل من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا   كيف الحياة مع الحيات في وسط

وكان سقوط طليطلة بأيدي النصارى ضربة موجعة وهزة عنيفة وفاجعة أليمة أثرت في قلوب المسلمين قاطبة، وقد شعر رجال الدين أن ما حل بهم إنما هو عقوبة إلهية جراء تفريط حكام المسلمين في حقوق الله تعالى والرعية وانشغالهم في الملذات والملاهي[4]. وزاد الفونسو السادس من غيه وعجرفته أن طلب من المعتمد بن عباد ملك اشبيلية وكبير ملوك الطوائف أن يسلمه الحصون مع الضريبة المفروضة عليه، كما طلب منه أن يسمح لزوجته النصرانية أن تلد في مسجد قرطبة[5]، وتصرف الفونسو السادس هذا ما هو إلا إمعان في إهانة حكام المسلمين وإذلالهم لعلمه مدى ضعفهم وتفرق كلمتهم وصغر نفوسهم، وتشبثهم بعروشهم وحبهم للدنيا غير آبهين لحرمة الدين و حرمة المسلمين.

ولما ضاقت الدنيا بملوك الطوائف واستشعروا الخطر النصراني إثر الزلزال المدوي بعد سقوط طليطلة، بحثوا عمن يساعدهم وينقذهم من الطوق الذي فرضه النصارى عليهم

---

[1] رينهارت دوزي، ملوك الطوائف(نظرات في تاريخ الاسلام)، تر: كامل كيلاني، مطبعة عيسى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، 1933، ص274.

[2] نفسه، ص272.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص21.

[4] ابن حزم، رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي، تح: احسان عباس، مكتبة العروبة، القاهرة، 1960، ص ص 173، 174.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 28.

ويخرجهم من الموقف الحرج، فلاحت أبصارهم نحو بلاد المغرب تحت حكم المرابطين و الذين بنوا دولة قوية وحدت بلاد المغرب واتجه هؤلاء الملوك إلى يوسف بن تاشفين المرابطي يطلبون مساعدته طوعا أو كرها[1] رغم معارضة البعض للاستنجاد بالمرابطين والتخوف من عاقبة الأمور[2]، وأجمعوا على الاستنجاد به وأرسلوا وفدا لإيصال طلب الاستغاثة بالمرابطين وكان قاضي قرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم رسول الأندلسيين إليه، وقد قاد الوفد بطلب وإلحاح من المعتمد بن عباد فوافوه في سبتة[3] حيث اقتنع بنو عباد أصحاب أشبيلية وقرطبة وهم رؤوس ملوك الطوائف بضرورة طلب المساعدة من المرابطين وجنحوا لهذا الأمر[4] اذ لا خيار لهم أمام الزحف النصراني الا طلب المساعدة الخارجية.

وقيل أن المعتمد عباد ركب البحر وقطع المضيق والتقى بيوسف بن تاشفين قرب فاس فأخبره بحال المسلمين ووضع الأندلس المزري " وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والأسر والحصار"[5] ، و استمر وصول وفود أهل الأندلس إلى يوسف بن تاشفين مجهشين بالبكاء[6]، وما بين شدة واسى قال ابن عباد قولته المشهورة:" رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[7].

وما كان لابن عباد وهو الملك المتوج أن يقول هذه المقولة لولا أن الطوق ذاق عليه، و رأى ملكه قاب قوسين أو أدنى من الأنهيار ومعه الأندلس، وارتأى أن يستسلم ويخضع للمرابطين خير له من الاستسلام للنصارى، فقد شاهد من أفاعيلهم وشرهم الكثير، وبات مخططهم لطرد المسلمين واضح وجلي لكل ذي لب وعقل، حتى أن الصلح الذي كان بين ابن عباد والفونسو السادس قد فسد بسبب تأخر ابن عباد عن دفع الضريبة المتفق عليها لانشغاله بحرب ابن صمادح صاحب المرية. فغضب الفونسو وتشطط في مطالبه، وأطلق العنان لجيوشه تعيث فسادا في بلاد المسلمين حتى قابلت أشبيلية نفسها، حينها بادر ابن

---

[1] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص 215.

[2] لسان الدين بن خطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 109. المقري، نفح الطيب، تح: محمد البقاعي، ج5، ص 128.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج8، ص 307.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص 25، 27.

[5] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 31.

[6] نفسه، ص 36.

[7] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 85.

عباد في إرسال قاضيه ابن أدهم كما سبق ذكره في وفد ومعه قاضي بطليوس وغرناطة ومعهم أبو بكر بن زيدون[1]. وحاصل القول ان اهل الاندلس طلبوا مساعدة المرابطين وتعددت وفودهم سواء ملوك او فقهاء او اعيان.

واقتنع يوسف بن تاشفين بضرورة مساعدة إخوانه الأندلسيين وإنجادهم من مخالب أعدائهم النصارى، ومد يد العون لهم وقد هاله ما وصلت إليه الأوضاع في الأندلس بعد استقباله للوفود الأندلسية، وأعلن الجهاد الذي هو من صميم عقيدة دولة المرابطين[2]. وجاز إلى الأندلس عبر المضيق ونزل بالجزيرة الخضراء ثم منها إلى أشبيلية ثم إلى بطليوس لملاقاة النصارى وعسكر الطرفان في سهل تتخله الأحراش يسمى عند العرب بالزلاقة وعند النصارى ساكرلياس sacralias يفصل بينهما نهر صغير يسمى نهر حجير، وضرب يوسف بن تاشفين محلته منفصلا عن الأندلسيين[3] حيث عسكر بعيدا عنهم.

وكان جيش المسلمين يتكون من جند المرابطين وأهل المغرب وجيش الأندلس حيث "لم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلا من بادر وأعان وخرج وأخرج"[4] انتظارا للموقعة المصيرية، وكان المسلمون أقل عددا من النصارى الذين كان بينهم اكثر من اربعين الفا من خيرة مقاتليهم [5]، فقد استنفر الفونسو السادس من جانبه نصارى إسبانيا والفرنج والجلالقة يحضهم ويحثهم رجال الدين النصارى من أساقفة ورهبان وقساوسة وبأيديهم الأناجيل و رافعين الصلبان[6] لاثارة حمية وحماس هؤلاء المقاتلين.

وبدأت الاستعدادات والتحضيرات الأخيرة قبل المواجهة المصيرية والمعركة الحاسمة التي ستحدد مصير الفريقين إمّا النصر أو الهزيمة. إلتقى الجيشان ونشبت المعركة في 11 رجب عام 479هـ/1086م عند الزلاقة[7]، وكان يوما مشهودا للمسلمين لم يروا مثله منذ مدة

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص- ص 130، 132.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 144.

[3] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ط2، ص 91.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص 134.

[5] نفسه، ص 135.

[6] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 39.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 151. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ق3، 1964، ص- ص 233- 252.

أين أحرزت القوات المرابطية والأندلسية نصرا مبينا وانتصارا كبيرا، وصنع المسلمون من جماجم قتلى النصارى صوامع يؤذنون عليها[1] وقيل أنه جمع بين يدي ابن عباد من الرؤوس أربعة وعشرون ألف رأس، ومجموع ما قتل من النصارى نحو ثلاثمئة ألف و" لم يكن في الأندلس غزوة أعظم منها[2]، و اعاد هذا النصر الكبير الأمل للمسلمين في الأندلس، وأوقف تيار الغزو النصراني وبدأت فترة استرداد إسلامية[3] بعد عقود من الانتكاسات.

عاد يوسف بن تاشفين إلى عاصمته مراكش بعد هذه المعركة، وترك الأندلس لأصحابها لكن ملوك الطوائف رجعوا إلى سيرتهم القديمة وسالف عهدهم من الفرقة والاختلاف والتنافر والصراع، والعدو مازال يتربص بهم الدوائر لذلك قرر يوسف بن تاشفين استئصالهم وخلعهم، وقد شاور في ذلك علماء كبار كالغزالي والطرطوشي وكان ذلك عام 483هـ/1091م وكانت البداية بغرناطة[4]، وكلف القائد المرابطي سير بن أبي بكر بفتح مدن الأندلس قرطبة وأشبيلية وبطليوس و المرية[5]، فأرسل القائد المرابطي الآخر أبو زكريا بن واسنو على رأس جيش لفتح المرية[6]، وقيل أن القائد محمد بن عائشة هو من دخل المرية[7] وكانت نهاية ملوك الطوائف تعيسة فقد فقدوا عروشهم ودنياهم، وما كانوا فيه من نعيم حتى أن المعتمد بن عباد الذي أبلى بلاء مشهودا يوم الزلاقة انتهى به المطاف شريدا مكبلا بالأغلال، وأخذ أسيرا إلى أغمات جنوب المغرب الأقصى وحبس هناك[8]، وقضى بها باقي حياته حتى جاءه الأجل وهلك في معتقله[9]، كما صادر المرابطون أموال وكنوز ملوك الطوائف وصادروا أملاكهم ونفائس الذخائر[10]. وهي لا تقدر من كثرتها فمثلا وجد في قصر

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص 138. ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص ص 241، 243.

[2] مجهول(منسوب لابن الخطيب)، الحلل الموشية ، تص: البشير الفورتي، ص ص 43، 44.

[3] حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1992، ص 6.

[4] ابن خلدون، العبر، منشورات مؤسسة الأعلمي، ج5، ص 187.

[5] النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص 148.

[6] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط1، 1960، ص 331.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 155.

[8] ابن بلقين، التبيان (مذكرات الأمير عبد الله)، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة 1953، ص 70.

[9] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص1000.

[10] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص143 .

عبد الله الزيري حاكم غزناطة ذخائر وأموال لا حصر لها منها سبحة فيها أربعمائة جوهرة كل واحدة منها بمائة مثقال، وكثير من الأحجار الكريمة كالجوهر والزمرد والياقوت والثياب الفاخرة وأواني الذهب والفضة[1].

أصبحت الأندلس بعد خلع ملوك الطوائف تتبع الدولة المرابطية تحت حكم يوسف بن تاشفين ثم بعده وليّ عهده علي بن يوسف[2] ثم تاشفين بن علي بن يوسف[3]. وقد قسم المرابطون الأندلس بعد ضمها إلى ستة قواعد كبرى هي قرطبة، أشبيلية، غرناطة، مرسية، بلنسية و سرقطسة[4]. و عملوا على نشر الأمن والعافية والطمأنينة بين الناس في ربوع دولتهم ودعموا الاقتصاد والنشاطات الأخرى، و أزالوا المكوس والضرائب وجاهدوا النصارى جهادا متواصلا وأعانوا إخوانهم الأندلسيين، وبسطوا العدل بين الناس، وقد قال أحدهم:" كانت لمتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب... ولم يجر في عملهم طول أيامهم مكس ولا معونة ولا خراج في بادية ولا في حاضرة وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن... وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة"[5]، وقال القاضي أبو بكر بن العربي:" المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين وهم حماة المسلمين الذابون والمجاهدون دونهم ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم ولا وسيلة إلا وقيعة الزلاقة التي أنسى ذكرها حروب الأوائل"[6].

وبعد فترة آلت دولت المرابطين إلى النهاية والزوال في عام 541هـ/1247م بقتل آخر حكامها إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين[7] وهي التي حكمت المغربين الأوسط والأقصى والأندلس، وقامت بمجابهة النصارى وحققت الانتصارات الخالدة عليهم وهزمتهم أقبح هزائم في اكثر من موقعة.

---

[1] النويري، نهاية الإرب، ج 24، ص ص 147، 148.

[2] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص- ص 80، 83.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة ، ط2، م1، ص 446.

[4] مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ص- ص 189، 192.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 166، 167.

[6] مجهول(منسوب لابن الخطيب)، الحلل الموشية، تح: البشير الفورتي، ص 105.

[7] ابن الأبار، اعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1961، ص 226.

هـ- عصر الموحدين 542هـ- 625هـ(1147م- 1228م):

في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي بدأ حكمه بعد وفاة والده عام 500هـ/1106م، ظهر رجل يدعى ابن تومرت بدعوة جديدة، وقام رفقة أتباعه بمواجهة دولة المرابطين وإضعافها، واستمرت الأوضاع لغير صالح المرابطين حيث إنقرضت دولتهم في آخر المطاف بمقتل إسحاق بن علي بن يوسف عام 541م/1047م على يد عبد المؤمن بن علي الذي استولى على البلاد وملكها بلدا بلدا[1]. و بنهاية دولة المرابطين تظهر دولة جديدة حكمت بلاد المغرب والأندلس لفترة من الزمن حققت فيها إنجازات تاريخية وحضارية عريقة.

ويعود الفضل في بناء أركان هذه الدولة إلى شخص ذي شهرة واسعة في تاريخ الغرب الإسلامي كما يعتبر مؤسسها وقائدها الروحي وواضع لبناتها الأولى. وتجسدت هذه الشخصية في محمد بن تومرت الذي لقب بالمهدي[2] من قبيلة هرغة التي تنتمي لقبائل المصامدة في السوس الأقصى وهي إحدى قبائل البربر الأكثر عددا[3] ومن قبائل المصامدة: هنتانة، كدميوة، وريكة، تينملل، كنفيسة، سكسيوة، هزرجة، هزميرة، ركراكة، حاحا، بني ماغوس، كلاوة وكذلك هسكورة ،هيلانة و دكالة، ويرجع موطنها إلى نواحي جبال درن في إقليم السوس، وإمتاز المصامدة بالعدد والقوة والبأس، وفيهم بدأ أمر ابن تومرت الذي حارب المرابطين وسمى أنصاره في بداية دعوته بالموحدين[4].

و إختلف المؤرخون في نسب ابن تومرت، حيث يصرح بعضهم بأن نسبه الصحيح يعود إلى الحسن بن فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم[5] وكذلك يؤكد الزركشي على نسبه الفاطمي العلوي مع اختلاف في أسماء الأجداد[6]، وقال بعضهم أنه من أحد أقارب إدريس

---

[1] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص152.

[2] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387هـ، ص111.

[3] عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظم دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص35.

[4] ابن خلدون، العبر ،اع: ابو صهيب الكرمي، ص ـ ص 1668، 1699.

[5] البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، ط2، 1986، ص 43.

[6] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص3. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج2، 1984، ص 421.

العلوي مؤسس دولة الأدارسة والذي جاءوا من بعده وأنه دخل في عصبة المصامدة، وعلى كل حال فإن ابن تومرت كان محبا للعلم ونشأ عليه وقد اشتهرت عائلته بالنسك والرباط ورحل في شبابه إلى الأندلس[1].

بدأ ابن تومرت رحلته العلمية بدراسته في قرطبة على يد القاضي ابن حمدين ثم دخل المرية ومنها خرج في مركب إلى الشرق[2]، وحل بالمهدية وإلتقى بالإمام المازري الصقلي[3]، ثم إلى الإسكندرية أين إلتقى بالإمام أبو بكر الطرطوشي[4]، ثم قصد مكة لأداء مناسك الحج وبعد ذلك دخل بغداد وأخذ العلم عن الكثير من علمائها، ونهل من العلوم وأخذ بأراء وأفكار الأشاعرة من أهل السنة[5]، وقيل أنه إلتقى في بغداد بالإمام الغزالي ودار حديث بينهما حول إحراق المرابطين لكتابه الإحياء[6]. وهناك اخرين قد شككوا في حدوث هذا اللقاء[7] كالمؤرخ الكبير ابن الأثير الذي نفي تماما إلتقاء ابن تومرت بالغزالي[8]، وقال بعضهم أن ابن تومرت لم يتجاوز في رحلته بلاد مصر حيث عاد إلى المغرب[9].

و كان ابن تومرت يرى في نفسه القدرة على الإصلاح وتغيير ما يجب تغييره من عادات سيئة ومظاهر الترف والانحلال الأخلاقي[10]، وأخذ على نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن

---

[1] ابن خلدون، العبر، اع: ابو صهيب الكرمي، ص1669.

[2] ابن القطان، نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص62.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص4.

[4] ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار صادر، بيروت، ط2، ج2، 1977، ص85.

[5] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص 1669.

[6] ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 72، 73. مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص104. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص172. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1989، ص117.

[7] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، مطبعة الإستقامة، القاهرة، 2004، ص245.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، م9، 2004، ص 195.

[9] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة، 2004، ص28.

[10] روجي لوتورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982، ص17.

المنكر في أي بلد يدخله لكنه لقي معارضة خاصة من طرف الحكام الذين تخوفوا من كل من يؤلِّب الناس ضدهم[1].

و قد مرّ ابن تومرت في طريق عودته وقفوله في المشرق بعدة مدن وقرى، فمر ببجاية وقرية ملالة القريبة، وكان الحاكم حينها العزير بن الناصر بن المنصور بن علناس الحمادي الذي ثار غضبه من طريقة ابن تومرت في وعظ الناس، وأمره بتعاليم الدين في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فتَخوَّف ابن تومرت من الحاكم وفر متخفيا إلى ملالة مستجيرا بقبيلة بني ورياكل الصنهاجية فأجاره أهلها ومكث فيهم يلقي الدروس العلمية، ثم مر بالونشريس وتلمسان و فاس حتى وصوله إلى مراكش، ولم يغير طريقته التي دأب عليها في وعظ الناس وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن أي منكر يراه، وفي كل ذلك كان يلقي الصد والإعراض[2]. و عرف عن ابن تومرت تاثره بالطريقة الأشعرية بشكل واضح، حيث دأب على الترويج لها في كل مكان يحل به، وأخذت أراؤه تلقى قبولا بين الناس، كما قام بنشر أفكارها وطريقة أهل الكلام[3].

- لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي والصدام مع المرابطين:

بعد خروج ابن تومرت من بجاية إلى ملالة إلتقى برفيقه ونائبه فيما بعد عبد المؤمن بن علي الذي ولد عام 487هـ/1093م والذي يعتبر المؤسس الحقيقي والخليفة الأول للدولة التي ستخلف دولة المرابطين بعد ذلك[4].

استقر ابن تومرت بادئ الأمر في إيكيلين من بلاد هرغة عام 515هـ/1120م، واجتمع إليه الناس وأقلبوا عليه يتلقون منه العلوم ويبثت بينهم أفكاره في رباط بناه هناك للعبادة، وبعد ذلك دعى قبائل المصامدة إلى بيعته عام في ذات العام فانظمت إليه قبيلتي كدميوة

---

[1] المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص246. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور، الرباط، 1972. ص13. عبد المجيد محمد النجار، المهدي بن تومرت (حياته وأراؤه)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، ص ص88، 89.

[2] ابن خلدون، العبر، اع : أبو صهيب الكرمي، ص 1670.

[3] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص ص245، 247.

[4] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص 265. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور، ص 13 وما بعدها.

وكنفسية وتلقب بالمهدي وسمي أصحابه بالطلبة ومنهم العشرة الأوائل ومنهم الخمسين أو أيت الخمسين، وأطلق على أنصاره وأتباعه إسم الموحدين الذين تصادموا بالسلاح مع عامل السوس المرابطي أبو بكر بن محمد اللمتوني وهزموه[1]، ومن ثم أصبحت الدولة الناشئة تسمى الدولة الموحدية[2]. وكان يرى ابن تومرت في الدولة المرابطية عائقا في طريق نجاح دعوته ونشر أفكاره بين الناس لذلك دعا إلى محاربتها ومواجهتها، وأخذ يحرض الناس ضد المرابطين ويؤلبهم عليهم[3] وكان ينعتهم هو وأصحابه بأبشع الصفات ويسميهم المجسمين[4]. وبدورهم كان فقهاء المرابطين يتصدون لابن تومرت في كل مكان ينزل فيه[5]

دخل ابن تومرت واتباعه في صراع دموي مع المرابطين[6] وتوالت انتصاراتهم عليهم، وبعد ثلاث سنوات استقر في تينمل 518هـ/1123م وبنى داره ومسجده وتوجه إلى محاربة قبائل المصامدة التي لم تدخل في طاعته كهزرجة وهسكورة وعجماسة وفي نفس الوقت حارب المرابطين حتى وفاته عام 522هـ/1127م [7] وقيل في عام 524هـ/1129م بعد وقعة البحيرة التي كانت بين المرابطين والموحدين الذين انهزموا هزيمة منكرة وكان له من العمر واحد وخمسون سنة وقيل خمسة وخمسون سنة[8].

بعد وفاة ابن تومرت استقر أمر الموحدين على رياسة عبد المؤمن بن علي رفيقه وخليفته، والذي أخذ الموحدين من نصر إلى نصر على حساب المرابطين ودخل عاصمتهم مراكش بعد حصار شديد اواخر شهر شوال عام 541هـ/1146م وبسط سلطانه على بلاد المرابطين[9] ودانت للموحدين جميع بلاد المغرب، وكانت نهاية عامة الملثمين القتل وعلى

---

[1] ابن خلدون، العبر، اع، أبو صهيب الكرمي، ص1670.

[2] عبد الجيد محمد النجار، المرجع السابق، ص202.

[3] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة (تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1971، ص 147.

[4] ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، دار وليلي للطباعة، الرباط، د ت، ص385.

[5] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص 1670.

[6] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص179.

[7] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص1670.

[8] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص ص 158، 159. ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 123، 128.

[9] الزركشي، المصدر السابق، ص7.

رأسهم إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين. و كان اختيار الموحدين لقيادتهم عبد المؤمن بن علي الكومي صائبا وموفقا، فقد كان من أوائل رفاق ابن تومرت ومن أخص أصحابه ومن جملة العشرة[1]، وكان يتمتع بالدراية السياسية والهمة العالية وحادا على الجبارين[2].

واثر سيطرة الموحدين على المغرب لاحت أبصارهم نحو الأندلس التي كانت تتبع المرابطين، وأرادوا ضمها إلى بلادهم الواسعة، فبعد تهاوي دولة المرابطين صارت الأندلس إلى الفوضى والطوائف مرة أخرى واشتد ضغط النصارى الذين استغلوا الوضع السائد واحتلوا مدنا أندلسية كالمرية عام 542هـ/1147م وبياسة[*] وجيان[*] [3]. واستغل الموحدون فرصة استنجاد الأندلسيين بهم لحمايتهم من النصارى كما فعلوا منذ زمن مع المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين عندما كانت الدولة المرابطية في أعز أيامها وقمة عنفوانها، وكانت إشبيلية بقيادة ابن عزون وبحكم تاريخها ومكانتها بين مدن الأندلس السباقة إلى مبايعة الموحدين[4].

أصبحت الأندلس تابعة للدولة الموحدية ودخلت مرحلة جديدة من تاريخها الحافل، ورغم أن الموحدين لم يرثوا كل الأراضي التي كانت للمرابطين في الأندلس إلا أنهم حققوا إنجازات كبيرة وانتصارات خالدة وانزلوا بالنصارى هزائم منكرة خاصة في عهد الخلفاء الأوائل، فعبد المؤمن بن علي" فتح الأندلس وقمع الجبارين"، وكان ابنه يوسف بن عبد المؤمن قد اتسع ملكه ودولته "وتمهدت البلاد وتأمنت الطرقات وظبطت الثغور" أما يعقوب المنصور بن يوسف فكان" كثير الصدقة محبا للجهاد مواظبا عليه"[5]، ولعل أهم انتصار للموحدين على النصارى كان في معركة الإرك[*] عام 591هـ/1194م[1]، وهي الغزاة التي أعز الله بها

---

[1] ابن خلدون، العبر ، اع: ابو صهيب الكرمي، ص1671.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص204.

[*] بياسة: مدينة جنوب الاندلس قريبة من جيان/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص57.

[*] جيان: جنوب الأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص70.

[3] ابن الأثير، الكامل ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج9، ص152.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط1، ج2، بيروت، 1980، ص33. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ق1، 1990، ص321.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص– ص 204، 217.

[*] الإرك: حصن منيع قرب قلعة رباح/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص12،13.

المسلمين والإسلام وأعلى كلمته[2]، وبعد فترة وجيزة تلقى الموحدون هزيمة قاسية ومؤلمة على أيدي النصارى وكانت قاصمة الظهر لدولتهم وعجلت بتصدعها وتهاوي بنيانها فقد انهزم الموحدون في حصن العقاب* عام 609هـ/1212م وقتل عشرات الآلاف من المسلمين[3] "وكانت الدبرة على المسلمين، فانكشفوا في يوم بلاء وتمحيص[4] وكانت هذه الوقيعة أول وهن دخل على الموحدين، فلم تقم بعد ذلك لأهل الغرب قائمة[5].

وقد أعمل النصارى الحيلة للانتصار على المسلمين في حصن العقاب، فقد استعد ألفونسو الثامن ملك قشالة جيدا لهذه المعركة الفاضلة، اذ بعد أن تلقى الدعم من ملك برشلونة الذي جاءه مددا وعونا، تفاهم هو وقريبه ملك ليون على خديعة الموحدين، حيث ينضم صاحب ليون إليهم ثم ينسحب بجيشه وقواته، ويكشف عورتهم ويثير البلبلة بينهم وبالتالي يجر الهزيمة على الموحدين[6] وكانت الهزيمة في حصن العقاب مصيبة كبيرة حلت بالمسلمين وداهية عظيمة حيث ذهبت قوة الموحدين ومعهم مسلمي الأندلس "ولم تنصر لهم راية فاستطال العدو عليها فملك معاقلها[7]، وفي هذا يقول ابن الأبار: "... ولكن في هذه المائة الأخيرة أدرك مرامهم الروم في الجزيرة، واستحكمت إبارتهم لها بحكم الفتنة المبيرة حتى ملكوها وجزائرها بين الصلح والعنوة وغاية أهلها إلى هذه الغاية أن يتساقطوا على العدوة... ولم يبق الآن إلا أشبيلية أم القواعد والمدائن... وقد أشفت على الذهاب واستوفت على الخراب[8] وهذا الكلام يقصد به ابن الأبار ما جرى من أحداث في الأندلس بعد هزيمته الموحدين في حصن العقاب وتوالي هزائم مسلمي الأندلس وسقوط مدنهم بأيدي النصارى.

---

[1] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص159.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص228.

* العقاب: حصن بين قلعة رباح وجيان/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص137.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص223.

[4] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص1682.

[5] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص138.

[6] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص1682.

[7] ابن أبى زرع، المصدر السابق، ص240.

[8] ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: عبد الله أنيس الطباع، د د ط، بيروت، ج2، 1962، ص292. نفسه، تح: حسين مؤنس، ج2، ص292.

فمحمد الناصر بن يعقوب المنصور انسحب بعد الهزيمة وانكفأ على نفسه وأهمل شؤون البلاد حتى وفاته عام 610هـ/1212م ثم خلفه ابنه يوسف المستنصر الذي تعوزه الحنكة والتجربة "ولم تكن له غزوات تذكر ولم يقدر على الجهاد فضعفت دولة الموحدين في أيامه واعتراها النقص وأخذت في الإدبار[1]. وساء الامر اكثر لما دخل أبناء عبد المؤمن بن علي في صراع على العرش بعد وفاة يوسف المستنصر عام 620هـ/1222م ليكون سببا آخر أضعف دولة الموحدين[2].

كما أن الجيش الموحدي القوي الذي حقق انتصارات مشهورة أصابه ضعف ووهن أواخر الدولة الموحدية، ولم يعد بالجيش الذي يقهر، وأخذ النصارى يلحقون به الهزائم، كما ضم المرتزقة الروم في صفوفه كفرق محاربة ولا شك أن ولاء قادة هؤلاء الجند لا يكون للمسلمين بل لإخوانهم النصارى، فهمهم كان المال والذهب وإذكاء الفتنة بين المسلمين والتفريق بينهم وخذلانهم أثناء المعارك[3].

ونضيف إلى أسباب ضعف دولة الموحدين الاضطرابات الداخلية من حين لأخر التي أثرت على قوتها وتماسكها كخروج بني غانية عليهم[4] وتمرّد ابن مردنيش شرق الأندلس ، و تمرد ابن الفرس، وثورة البياسي وظهور بني مرين[5] في بلاد المغرب.

ومع اضطراب الدولة الموحدية بدأت أقاليمها تتجه نحو الفوضى والانفصال منها الأندلس التي شهدت تصدعا كبيرا ثم تكالب النصارى على أراضيها واحتلال المدن الواحدة بعد الأخرى في مشهد تراجيدي يذهل العقول إلى أن خرجت كل الأندلس عن الموحدين الذين كانوا في يوم من الأيام حماة الأندلس والمدافعين عن أهلها، ولهم يد بيضاء في جهاد النصارى وإلحاق الهزائم المنكرة بهم.

---

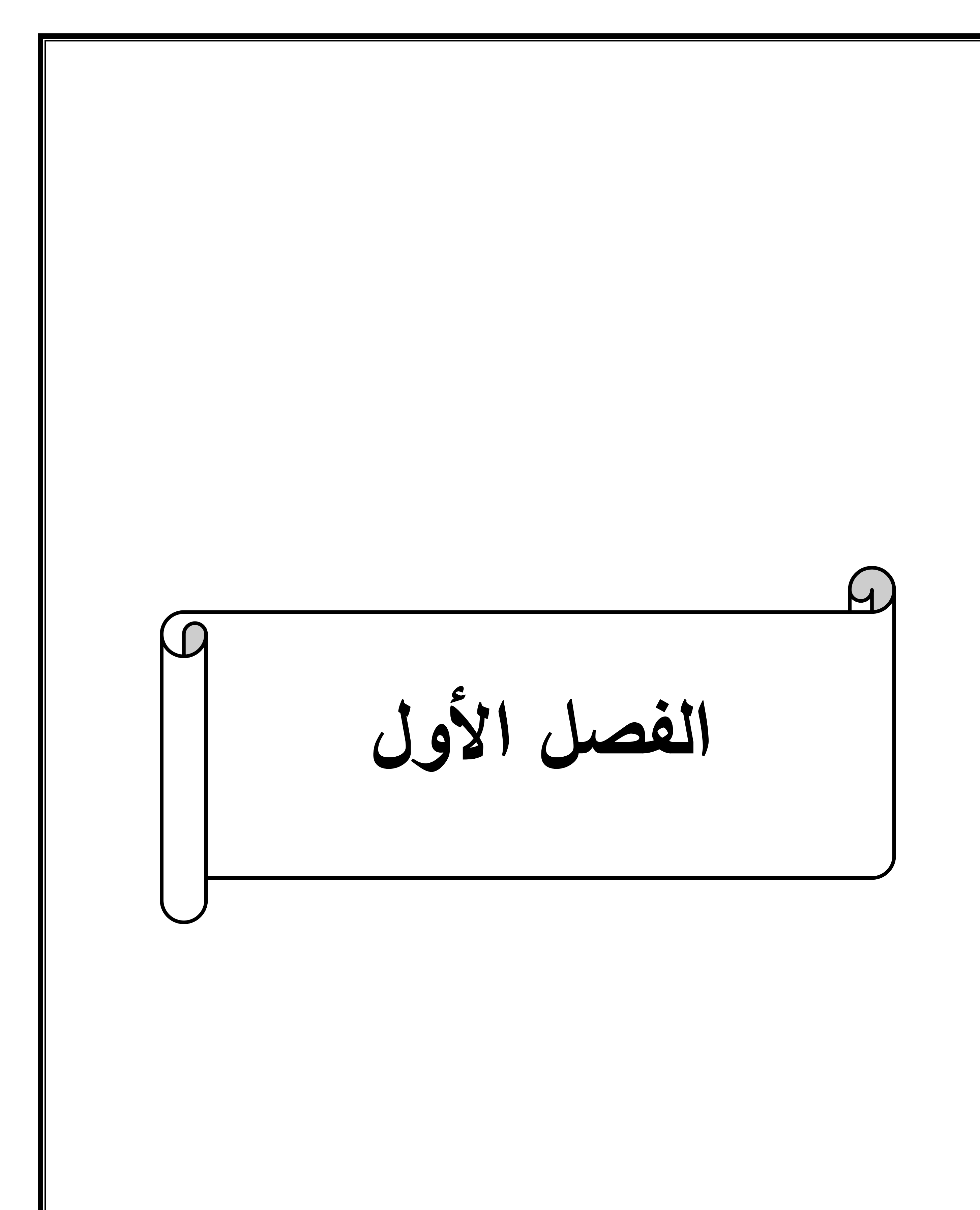
[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص242.

[2] ابن خلدون، العبر، اع : أبو صهيب الكرمي، ص ص 1683، 1684.

[3] أبو القاسم بن رضوان المالقي (ت808هـ)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1984، ص6.

[4] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص223.

[5] ابن خلدون، العبر، اع: أبو صهيب الكرمي، ص ص 1675– 1684.



الفصل الأول

الفصل الأول:

المرية تاريخ وجغرافيا

1- الخصائص الجغرافية والطبيعية للمرية

أ- الموقع

ب- الخصائص الطبيعية

2- نشأة مدينة المرية

أ-ظروف نشأة المرية

ب- بناء بجانة وتطورها

ج- الهدف من بناء المرية وأهميتها

3- تاريخ المرية

أ- العصر الأموي 344 هـ-400هـ/ 955م-1010م

ب- عصر الصقالبة 400 هـ-433 هـ/ 1010م-1041م

ج- عصر بنو صمادح 433هـ -484 هـ/ 1041م-1091م

د- عصر المرابطون 484هـ-542هـ/1091م-1147م

و- عصر الموحدون 552هـ -625هـ/1156م-1228م

تعتبر المرية من المدن الهامة التي كان لها شأن ومكانة وتاريخ حافل في الاندلس والتي لها الحضور التاريخي الدائم بين المدن الإسلامية، وقد مر على حكمها عدة دول، كما كان ميناؤها في كل الفترات قاعدة للأسطول الأندلسي ترسو به السفن الحربية والتجارية، بالاضافة انها شكلت همزة وصل بين الأندلس والبلاد الأخرى.

ومنذ بناء هذه المدينة وتمصيرها وهي تزدهر وتنمو، وبلغت ساكنتها أعدادا كبيرة وعرفت ازدهارا اقتصاديا وفكريا وجمعت عناصر سكانية مختلفة وجدوا فيها المكان الآمن والملاذ المناسب الذي يوفر فرص العيش و العمل والراحة النفسية، وفيها يقول المقري وصفا بديعا وتصويرا رائقا:" فإنها البلد المشهور الذكر والعظيم القدر، وساحلها من أنظف السواحل وأشرحها وأملحها، و واديها المعروف بوادي بجانة من أفرج الأودية ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يسوقون جميع البضائع التي تصلح لهم ولم يوجد لهذا الشأن مثلها لكونها متوسطة ومتسعة وقائمة بالوارد والصادر"[1]، ويقول أيضا: "ووادي المرية طوله أربعين ميلا في مثلها كله بساتين بهجة وجنات نظرة وأنهار مطردة وطيور مغردة وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض، وغربها ربض آخر يسمى بربض الحوض وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أولية، ولها مدن وضياع عامرة متصلة بالأنهار".[2]

ومن خلال كلام المقري يظهر لنا جليا مكانة المرية وأهميتها بين مدن الأندلس اقتصادا و اتساعا حيث جمعت بين اناقة المدينة بعمرانها، وجمال الطبيعة بمناظرها .

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار الأبحاث، ج3، ص ص 19، 20.

[2] نفسه، ج1، ص163.

1- الخصائص الجغرافية والطبيعية لألمرية

أ- الموقع:

تقع المرية في الاندلس على ضفة البحر اي على الساحل الذي يعتبر من انظف السواحل وأشرحها وأملحها[1]، والمرية مدينة عظيمة على ساحل البحر[2]، و" المرية كلأها الله مدينة عظيمة على ساحل البحر[3]، ويبدو أن المؤرخين نقلا من نفس المصدر أو أن أحدهما نقل عن الآخر، أو أنهما نفس الكاتب مع اختلاف بسيط في لفظة كلأها الله. كما يذكر أبو عمر الهوزني الذي كان كاتبا للجيش الموحدي في عهد يوسف بن عبد المومن 558هـ – 580هـ[4]، ثم استكتبه ابنه وخليفته من بعده أبو يوسف يعقوب 580هـ–595هـ[5]، في رسالة إلى صديقه أبو بكر بن صقلاب عامل المرية والذي توفي عام 626هـ/1229م حيث يفاضل فيها بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية وجاء ذكر للمرية وواديها وبحرها، إذ يقول:" ... هذا وبلدكم وافر، وزمانكم متوافر... نعم وبحركم رجراج، واللطائف منه تسريها الرياح والأمواج... لكم الجواري المنشآت..."[6].

والمرية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط[7] جنوبي شرق الأندلس[8] بين مملكتي مرسية ومالقة* وهي حسب التقسيم القديم في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة[9]. ويقول

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار الابحاث، ج3، ص19.

[2] مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013، ص 181.

[3] مجهول، ذكر بلاد الاندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص 77.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص– ص 130،136.

[5] نفسه، ج7، ص– ص 3، 10.

[6] محمود خياري، فضائل أهل الأندلس" مجلة دراسات انسانية"، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ع2، 2002، ص –ص 188، 191.

[7] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 213.

[8] ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانة، القاهرة، د د ط، 2002، ص 103.

* مالقة: مدينة بالاندلس على شاطئ البحر/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص177.

[9] القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5، ص 103.

صاعد بن أحمد أن معظم بلاد الأندلس في الإقليم الخامس وطائفة منها في الاقليم الرابع كمدينة اشبيلية ومالقة وغرناطة والمرية ومرسية[1] ويقول المراكشي:" فالذي على ساحل البحر الرومي من بلاد المسلمين بالاندلس الجزيرة الخضراء ومالقة ومنكب والمرية...[2] ويذكر البكري المراسي التي تقابل المرية من جهة العدوة المغربية فمرسى دلاية وهي من أعمال المرية في غربيها يقابله مرسى عجرود، ومرية بجانة يقابلها مرسى ترنانة وقابطة بني أسود شرق المرية يقابله مرسى أرشقول وبينهما مجريان.[3]

وموقع المرية الاسلامية كان في موضع عمراني فنيقي يعرف باسم باستولوس bastulos ثم خضعت المنطقة للفينقيين وبعدهم جاء الرومان الذين أطلقوا على الموضع اسم بورتس ماجنس portus magnos وهو في الطريق بين مالقة ومرسية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط[4].

وكانت المرية في العصر الإسلامي تقع على نفس المكان للمرية الحديثة على شاطئ خليج واسع عميق و يعرف اليوم بخليج المرية، وهو مرفأ ممتاز يمتد من رأس قابطة بني أسود[*] إلى رأس سابينال porta del Sabinal في الغرب. ويحد المرية من الغرب الركائز الأخيرة من جبال المرية وتؤلف فرعين من سلسلة جبال جادور sierra de gadoz المتفرعة من جبال شلير، ومن جهة الشرق في الاتجاه نحو ناجر nijar يمتد فحص مثلث الشكل وأراضي منبسطة لمسافة ثمانية أميال[*] بين سلسلة جبال رأس القبطة في الجنوب الشرقي من

---

[1] ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، م1 ،1973، ص 94.

[2] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص299.

[3] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص ص 26، 266.

[4] محمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية على الأندلسية في العصر الاسلامي 344هـ-484هـ/955م-1091م الهيأة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1981، ص- ص 27، 30.

[*] قابطة بني اسود: شرق المرية تبعد عنها اثني عشر ميلا/ الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص194.

[*] الميل: يساوي 1588م/ علي جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ط2، 2001، ص 53.

المرية الى جبل الحمة في شمالها الشرقي. ومن هذا التوصيف يظهر لنا ان الجبال تحيط بالمرية من جهات ثلاث عدا الجنوب والفحص الشرقي حيث يوجد ساحل البحر، وتمتاز هذه الجبال بانها صعبة المرتقى لكونها صخرية[1].

ب- الخصائص الطبيعية و الجغرافية:

يمتد شمال المرية مرتفع من الأرض يبعد عن الساحل بثلاثمئة وخمسين مترا(350م) بشكل طولي محاذ للبحر، ويرتفع عنه بنحو خمسة وستون مترا(65م)- وهو الموقع الذي تقوم عليه حاليا المرية- وتحيط بالمرتفع أجراف شديدة الإنحدار، كما ينحدر من حافتي المرتفع الشرقية والغربية وادين صغيرين يسميان رامبلاس Ramblas وهو اشتقاق من كلمة رملة حيث أن الواديين ذوا أرض رملية، وينفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالي بأخدود عميق وفسيح معروف باسم خندق باب موسى[2]، ويوجد بمرسى المرية مضيق يعرف بمضيق البنجس[3].

وقد ساهمت هذه الطبوغرافيا بشكل طبيعي في مناعة المرية وقوة حصانتها، فالمرتفع الشمالي يشكل نقطة استراتيجية لمراقبة الشاطئ والبحر لمسافة بعيدة، والبحر جنوبها يشكل حاجزا طبيعيا وعائقا يحد من هجمات الأعداء ويبطئ من حركتهم، اما الواديان على جانبيها الشرقي والغربي فهما خندقان وحاجزان طبيعيان.[4] لاسيما انهما يقعان اسفل اجراف.

وقد ذكر الإدريسي وصفا لمدينة المرية بقوله:" والمرية في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، والجبل الثاني منها فيه ربضها

---

[1] عبد العزيز سالم، مدينة المرية الاسلامية، ص14.

[2] نفسه، ص15.

[3] العذري، نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965، ص91.

[4] محمد عبد الله الحماد، التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية(ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات)، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996، ص 154.

ويسمى جبل لاهم"[1]. ويضيف ايضا عن طبوغرافيا المرية ما نصه:" وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة وأحجار صلبة مضّرسة... وقُصد موضعها بالحجر"[2].

أما عن المناخ في المرية فإنه يميل إلى الاعتدال و يسوده الجفاف والسماء صحوة معظم السنة والامطار متذبذبة، وتتعرض المرية إلى رياح شرقية جافة تحمل معها غبارا أبيضا من الصخور الملحية المحيطة بها، وقد اثر هذا المناخ في كمية التساقط وجريان المياه إذ أن السيول شكلت شعابا عميقة عبر الجبال المحيطة بها. وقلما تحتفظ بمياه الأمطار حيث تنحدر بسرعة نحو البحر[3].

و أرض المرية في ذاتها جدباء كأنها غربلت من التراب [4]، ولا ينبت فيها إلا نبات الحلفاء، وقد جاء في رسالة الهوزني سابقة الذكر، إلى صديقه ابن صقلاب يقول له فيها:" أنه لا زرع من أرضكم تنتظرونه، ولا قوت من معالجتكم تذخرونه".[5] وإنما المناطق الزراعية والتربة الصالحة للزراعة في اقليم المرية تقع على وادي بجانة حيث تغرس أشجار التوت اللازمة لتربية دودة الحرير، ويصب هذا الوادي شرقي المرية على بعد أربعة كيلومتر منها[6].

أما عن طول وعرض المرية نستطيع استنتاجه من معرض كلام ابن الخطيب عن طول وعرض مدينة غرناطة حيث يقول:" وهي مساوية الطول بيسير لقرطبة وميروقة والمرية وتقرب في العرض من اشبيلية والمرية..."[7]. والدرجة خمسة وعشرون فرسخا، والفرسخ ثلاثة

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 197. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 184، شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 119.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص198.

[3] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص29.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار الابحاث، ج3، ص 163.

[5] محمود خياري، المرجع السابق، ص189.

[6] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص15.

[7] ابن الخطيب، الإحاطة ، ط2، م1، ص 94.

أميال والميل أربعة آلاف ذراع[1]، ويقدر بعضهم الميل عند المالكية بثلاثة وخمس مائة ذراع -3500 ذراع- والذراع بثلاثة وخمسين سنتمترا -53 سم- فيكون الميل بـ : 1855 مترا والفرسخ يكون 5565 مترا أي 5.565 كلم [2].

2- نشأة مدينة المرية:

أ-ظروف نشأة المرية:

تمكن الأمويون منذ أن بسطوا سلطانهم على الأندلس من بناء دولة محترمة ومهابة في معظم عهدهم، إذ اصبحت الأندلس منارة الحضارة والعلم في الغرب الاسلامي، وغدت رمزا للدولة المتحضرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومركز اشعاع حضاري في قارة أوروبا، ولم تساميها أي دولة من الدول النصرانية في مجدها ورقيها.

وشهدت الأندلس في العهد الأموي تطورا وازدهارا في كل الميادين منها العمران فاتسعت المدن وازدادت الكثافة السكانية، وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة والطب والفنون والعلوم، ونبغ الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والبلغاء والفضلاء والنجباء، وكانت الحياة الاجتماعية مفعمة بين المدينة و الريف، والسكان يغدون ويرجعون في نشاطاتهم وهم يرون الأندلس في تقدم وازدهار، وقد حرص الحكام الأمويون على الاهتمام بدولتهم واحاطتها بمظاهر الفخامة والترف، وجلب كل غريبة وفريدة والتألق في العمران، فشجعوا تعمير المدن والارتقاء بالبنيان فتوسعت مدن قديمة وإزدهرت، وبنيت مدن جديدة وعمرت، وشيدت القصور والدور، والمساجد والحدائق و الطرق و الجسور وانشاءات نقل المياه وتخزينها اضافة الى المنشآت الحربية كالحصون والقلاع.

وكان أول من نشط في هذا المجال واهتم به من الحكام الأمويين الامير عبد الرحمن الداخل (الاول) الذي حكم من 138هـ- 172هـ /756م-789م، فبنى المساجد وقصر الحكم

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص ص 35،36.

[2] علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص53

و قصر الرصافة بقرطبة[1]. وكذلك الامير عبد الرحمن الاوسط بن الحكم 206هـ-238هـ /822م-853م الذي يعتبر الأول من الأمويين الذي سار بالملك إلى الزينة والتشكيل والترتيب، وكان له منجزات عمرانية عديدة فشّيَد القصور والحدائق وجلب المياه الى العاصمة وبنى رصيف قرطبة[2]. وكذلك منهم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط 238هـ-273هـ /853م-886م[*] الذي بلغ عدد جيشه مئة ألف فارس وسبعمائة غراب أي مركب حربي[3]. وفي عهده أيضا بدأ الشروع في تأسيس بطليوس وبجانة[4].

وتعتبر مدينة المرية من المدن التي بنيت في الأندلس في العصر الاسلامي وبالضبط خلال الحكم الاموي في القرن الأخير منه و"هي محدثة أحدثها العرب في الاسلام..."[5]. ويضيف المؤرخ العذري[*]:" وليست المرية بأولية العمارة" [6] اي انها من المدن التي بنيت في العصر الاسلامي. وفيما يخص تأسيس المرية فقد ارتبط ارتباطا وثيقا بمدينة بجانة وكان لهما تاريخ مشترك، كما تبادلت المدينتان الأدوار التاريخية وكذا الأهمية، وقبل التطرق إلى تأسيس مدينة المرية لابد من إلقاء الضوء على بناء مدينة بجانة وتعميرها.

---

[1] الزركلي، الأعلام(قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ج3، 2002، ص338.

[2] نفسه، ج3، ص305.

[*] نفسه، ج6، ص189.

[3] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص57. ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص97.

[4] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الاندلسية، ص ص24، 27. البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج2، 1991، ص 906.

[5] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج2، ص77. مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، ص181.

[*] العذري الدلائي: العذري ينسب إلى عذرة القبيلة العربية بدلاية من أعمال المرية توفي عام 487 هـ-1093م/ محمد رستم، أبو العباس العذري، درا الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2010، ص6 وما بعدها. مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم ابن صمادح(443هـ-484هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1994،1 -1416هـ، ص11 وما بعدها.

[6] العذري، المصدر السابق، ص86.

ب- بناء بجانة وتطورها:

ب.1- بناء بجانة:

بجانة كما سبق ذكره من المدن التي ظهرت في العهد الأموي، وكانت قبل تمصيرها تسمى مدينة أورسي Urci أي أرش وقد جعلها الامبراطور قسطنطين في الجزء الرابع من تقسيمه الإداري للأندلس قديما.[1] وهي من أعمال كورة* البيرة* وهي ثلاثة وثلاثون فرسخا[2]، والمقصود أنها كانت تابعة لإقليم أوكورة البيرة في بداية تأسيسها. وكانت بجانة في القديم تسمى أرش اليمن وسبب تسمية الاقليم بهذا الاسم – أرش اليمن- أن بنو أمية لما آلت اليهم الأندلس وأسسوا فيها دولتهم الجديدة كلفوا بنو سراج القضاعيين عندما أنزلوهم وأسكنوهم هناك بحراسة ما يليهم من البحر وكذا حفظ الساحل من مرسى إلى مرسى محددين مقابل امتيازات، فهذه المسافة أو الجهة سميت أرش اليمن أي عطيتهم ونحلتهم.[3]

ويعود الفضل في تأسيس بجانة إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (الأوسط) 238هـ-273 هـ/853م-886م كما سبق ذكره الذي أمر بتشييدها.[4] وقد ذكر المؤرخون أن بجانة من منجزات بني أمية في الأندلس، إذ يقول ابن حوقل:" لم يحدث بها في الاسلام غير مدينة بجانة وهي المرية"[5]، ويقول ابن سعيد المغربي:" هي محدثة بنيت في دولة بني أمية، وهي كانت كرسي المملكة إلى أن ضعفت وعظمت المرية فصارت تابعة"[6]، والمقصود

---

[1] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص ص 379، 380.

* الكورة: الكورة كل صقع يشتمل على قرى عديدة ولكل كورة قصبة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 35 وما بعدها.

* البيرة: كورة بالاندلس بين القبلة والشرق من قرطبة/ ياقوت الحموي: المصدر السابق، م1، ص244.

[2] نفسه، م2، ص 339.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص- ص37، 39.

[4] ابن الحداد الأندلسي، ديوان ابن الحداد الاندلسي، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص 46.

[5] ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972، ص105.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص 190.

بكرسي المملكة أي مركز الإقليم وقاعدته ومستقر عمال الجهة. كما يذكر ابن حيان حسب ابن سعيد المغربي أن بانيها وصاحب المملكة هو ابن أسود بأمر من الامير محمد بن عبد الرحمن المرواني سلطان الأندلس[1]، وابن اسود هو عمر بن اسود الذي ذكره العذري عند بناء جامعها، وذكره الحميري عند بناء بجانة وتمصيرها [2]، ويضيف الإدريسي عن اقدمية بجانة :" ومدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المرية" [3].

وتقوم بجانة على أصول وموقع قديم لمدينة رومانية تسمى أرشي في الطريق بين مالقة وقسطلونة Castulo- Malaga ولا تبعد عن البحر إلا خمسة أميال وسدس، وبينها و بين المرية خمسة أميال أو ستة [4] ،و كانت مدينة بجانة قريتين تسمى احداهما بجانة والأخرى مونتا كانتا من عمل أرش اليمن[5].

وقبل تعمير بجانة تعرضت هاته الجهة أو الإقليم لاعتداءات النورمان الذين قاموا بهجمات متكررة على سواحل الاندلس منذ 230هـ/846م [6]، وفي 244هـ/859م، و 247هـ/ 862م ، فقرر حينها الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم ثم ابنه محمد عبد الرحمن فيما بعد تقوية الثغور وحراستها [7]، ويقول ابن القوطية عن اهتمام الامير عبد الرحمن الأوسط بمواجهة النورمان:" واستعد الامير عبد الرحمن ابن الحكم... وأنشأ المراكب واستعد برجال

---

[1] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 190.

[2] العذري، المصدر السابق، ص87. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص38.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص200.

[4] العذري، المصدر السابق، ص86. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص39. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص22.

[5] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار واقتباس الأنوار، تح: إميليو مولينا، خاثينتو بوسك بيلا، المجلس الاعلى للأبحاث الإسلامية، مدريد، 1990، ص 29.

[6] ابن القوطية، المصدر السابق، ص–ص78،83. ابن عذاري، البيان، تح: كولان، بروفنسال، ط2، ج2، ص ص87،88.

[7] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، 1969، ص ص155،166.

البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط [8]، كما انتدب الناس للاستعداد والجهاد لرد الاعتداءات. وقد سبق ذكر مجيئ بنو سراج القضاعيين من عرب اليمن الى هذا الإقليم لحراسة الساحل وحفظه منذ غزوة النورمان الاولى، وتكليفهم بالتصدي لأي هجوم مقابل منحهم إمتيازات مهمة نظير هذا العمل منها استقلال جزئي واستغلال وادي أش المعروف بوادي بجانة.[1] ومن ثم أصبح الإقليم يسمى بأرش اليمن نسبة إلى هذه القبيلة اليمنية، ثم أخذ الناس يتوافدون شيئا فشيئا على هذه المنطقة ويستوطنونها.[2]

ب.2- تطور بجانة

بدأت بجانة تكبر و تتوسع عمرانيا، وزاد استيطان الناس بها " وأتخذ ببجانة الدور والمنازل في سنة 271هـ وحينئذ ابتنيت الحصون حولها وعمرت حينئذ احسن عمارة" [3]، ففي البداية كانت حارات واحياء متفرقة، ثم صارت مدينة مترابطة الأحياء والحارات، يحيط بها سور ولها مسجد جامع، وكانت من حيث الترتيب والتنظيم تشبه قرطبة. وبدأ هذا التطور العمراني بعد مجيء جماعة من الناس تسمى بالبحريين أو رجال البحر الذين تغلبوا على الجهة واستوطنوها وقاموا بتنظيم المدينة وجمع عمرانها، وأزاحوا عرب اليمن الذين كانوا قائمين بالإقليم، واستمر توافد الناس على بجانة « فكانت أمنا لمن قصدها وحرما لمن لجأ إليها» و " امتها الناس من كل جهة و انجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت أنا ذلك شاملة"[4].

وصارت بجانة مع الوقت قاعدة الجهة وقصبتها بها مرافق متنوعة وعديدة كالمسجد الجامع داخل المدينة الذي بناه عمر بن اسود الغساني، وكان سقفه يحتوي على عجيب

---

[8] ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص83،82.

[1] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص167

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص22.

[3] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص 29.

[4] الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 38.

النقوش وغريبها، وفي صحنه بئر ماء عذب، وبها إحدا عشر حماما، وكانت من أحسن الأقاليم وبها الخيرات الكثيرة « وكانت اشرف قرى وادي اش في القديم وبها كان الجامع الأعظم ومجتمع السلطان»[1]. وتشتهر بجانة أيضا بالزراعة وكثرة الخيرات والزروع والحقول وحولها "جنات وبساتين ومتنزهات وكروم وأموال كثيرة لأهل المرية"[2]. وقد وجد التجار والغرباء في بجانة مرافق ساعدهتم على المكوث وقضاء حوائجهم، فمثلا بلغ عدد الحمامات بها أحدى عشر حماما وإن دل هذا الرقم فإنما يدل على العدد المعتبر للسكان والمقيمين وعلى اهتمام الناس بالنظافة العامة سواء القاطنين او العابرين كالتجار الذين يظطرون إلى تنظيف أبدانهم بعد غياب عن مواطنهم، ويحتاجون إلى تغيير ملابسهم أيضا.

و برزت بجانة في وقت عرفت بلاد الأندلس فتنا واضطرابات خطيرة خاصةً أواخر القرن3 هـ/9م وبداية القرن 4هـ/10م، حيث ظهر الخارجون عن السلطة في عدة نواحي وجهات كثورة ابن حفصون عام 260هـ/874م وبنوه من بعده في أحد حصون رية[*]، والتي استمرت اثنتي وخمسون سنة، وكانت الفتنة في عهد الأمير المنذر بن محمد 273هـ-275هـ/886م-888م[3] ظاهرة وبادية لتغلب العرب والموالي على نواحي من الأندلس، وكذلك في عهده الأمير عبد الله ابن محمد 275هـ- 300هـ/888م-912م[4] .

ففي عهد الامير عبد الله بن محمد خرجت كثير من مدن الأندلس عن الحكم الأموي ومستقلة عن العاصمة قرطبة كخروج ابن عوسجة في أشبونة[*] و برتقال[*]، وخرج محمد بن

[1] العذري، المصدر السابق، ص ص86، 87. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص38.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 200.

[*] رية: كورة في الأندلس قبلي قرطبة، نزلها جند الأردن/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص79.

[3] الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص 294.

[4] نفسه، ج4، ص119.

[*] أشبونة: من كور بجانة غرب الأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص100.

[*] برتقال: غرب الأندلس من بلاد جليقية/ البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ص912.

سليمان في شذونة* ،وخرج عمرو ابن عمرون في لبلة* . ونجد كذلك من الذين خرجوا عن السلطة الاموية الجنيد بن هاشم في ناحية قرمونة* ،وبنو حجاج في اشبيلية، وخرج منذر بن ابراهيم بمدينة ابن السليم*، و ديسم بن اسحاق بمرسية، وابراهيم الخزاعي في شاطبة* وبنو المهاجر في سرقسطة وطرطوشة* وابن لب في تطيلة* وعبد العزيز التجيبي في لاردة* وسوار بغرناطة وابن ميمون في إبدة* وبياسة* وابن عبد الملك في أفراغ* وسعيد ابن الجودي في طليطلة، "ولم تبق بالاندلس مدينة إلا خالفت عليه"[1] و" لم يبق منها الا الاسم فوق ظهر منبر"[2]. ولما تولى عبد الرحمن الناصر عام 300هـ/912م وجد الاندلس تلتهب بنار الفتنة وتموج في بحر الاضطراب، وقد" بويع والأندلس جمرة نفاق تحتدم والأفاق نار فتنة تضطرم"[3].

ويذكر ابن القوطية الفتن في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن فيقول :" واظطربت الأحوال في آخر أيامه"[4]، وعن الامير عبد الله بن محمد والفتن في عهده يقول ايضا:"واستفحل

* شذونة: كورة جنوب الأندلس / الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 100.
* لبلة: مدينة قديمة غرب الاندلس / الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 168.
* قرمونة: مدينة قديمة شرق اشبيلية / الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 158.
* ابن السليم: لم نقف لها على وصف.
* شاطبة: مدينة قديمة شرق الأندلس من عمل بلنسية / العذري ، المصدر السابق، ص18
* طرطوشة: شرق الأندلس على الساحل،/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 124.
* تطيلة: شرق سرقسطة، ذات خيرات/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 64..
* لاردة: في ثغر الأندلس الشرقي وهي مدينة قديمة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 168.
* إبدة: مدينة بالأندلس قريبة من بياسة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 15.
* بياسة: بينها وبين جيان 20 ميلا/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 57.
* افراغ: او افراغة مدينة قرب لاردة، حسنة البناء/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 24.

[1] مجهول، ذكر بلاد الاندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص- ص 155،148.
[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص 27.
[3] نفسه، ص160.
[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 100.

أمر ابن حفصون و أنزى ذلك أكثر أهل الأندلس"[1] هكذا كانت حال الأندلس واقاليمها بين نار الفتنة وخطر الانقسام في حين كانت مدينة بجانة في طور النمو والتوسع، و تعيش هدوءً واستقرارا مقارنة بالمدن الاندلسية الاخرى التي كانت تغلي بالاضطرابات.

إضافة إلى الهدوء أصبحت بجّانة تحظى بمكانة اقتصادية واهمية تجارية في الاندلس لقربها من الساحل وموقعها الممتاز، وصارت طريقا ومنفذا نحو العالم الخارجي[2]. و كل هذه المميزات والخصائص جعلت الناس يتقاطرون عليها واتخذوها مستقرا ومعبرا لهم.

وبقيت بجانة محافظة على مكانتها الهامة طوال النصف الأول من القرن الرابع هجري(10م) كمركز تجاري ومقصد للتجار من مختلف الأقطار، وكانت البضائع والسلع رائجة فيها تأتيها خاصة من بلاد المغرب والتجارة مزدهرة والصناعة قائمة كصناعة الحرير.غير انه في النصف الثاني للقرن4هـ/10م ظهرت بجانبها وبالقرب منها مدينة جديدة هي مدينة المرية فضعفت بجانة وعظمت المرية التي أصبحت مركز الجهة والإقليم[3].

ويعتبر عبد الرحمن الناصر بن محمد 300هـ- 350هـ/912م-961م صاحب المبادرة ف ي تعمير المرية و بناؤها[4]. فقد كان معروفا عنه حبه للعمران والاهتمام به وله عدة منجزات عمرانية [5] تشهد على ذلك، فطلب تمصير المرية وتقوية تحصيناتها الدفاعية، وبتوالي السنين والأيام بدأ بريق بجانة في الأفول، واخذ نجمها الساطع إلى الزوال، وتداعى عمرانها الى التلاشي، وذهبت باقي عمارتها سنة 459هـ/1066م[6] خلال فترة حكم ملوك

---

[1] نفسه، ص 115.

[2] سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية(300هـ -319هـ)، ط1، 2000، ص137.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 190.

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص18.

[5] الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص 324.

[6] العذري، المصدر السابق، ص 87.

الطوائف بالاندلس ومنذ تأسيس المرية تطورت مكانتها وأصبحت قاعدة هامة لتأمين الساحل.

جـ- الهدف من بناء المرية وأهميتها:

كان بنو سراج القضاعيين من عرب اليمن مستوطنين بإقليم بجانة ومنتدبين لحراسة الساحل، وحفظه من كل اعتداء خارجي من قبل الامراء الأمويين، وظلوا قائمين بالمهمة الموكلة إليهم، وأقاموا لهذا الغرض برجا متقدما للحراسة يقع بالقرب من مصب وادي بجانة في البحر الأبيض المتوسط[1] اي قبالة البحر مباشرة، ويعتبر هذا المحرس واحدا من المحارس التي أقامها الأمويون على طول الساحل الشرقي والجنوبي الشرقي للأندلس بعد تعرضها لغارات النورمان، وادراكهم لأهمية نظام المراقبة المستمرة و اليقظة الدائمة والاستعداد التام، فكان نظام الرباطات والطلائع حلا مناسبا ومثاليا لحماية البلاد من الاعتداءات الخارجية، حيث يستعينون برجال للمرابطة والاستنفار عند رؤية العدو[2].

ولا يبعد هذا المحرس أو الرباط الذي أقيم عند مصب الوادي عن مدينة بجّانة إلاّ بخمسة أميال وسدس الميل[3]، ويقع عند رأس القبطة أي قبطة بني أسود Cap de Gata على حاشية البحر بالقرب من قرية البجنس الواقعة في نهاية جون المرية، وقد زود هذا المحرس ببرج حجري مخصص لإشعال النار عندما يرى المراقبون أي ظهور للعدو في البحر على مسافة تصل ستة أميال[4]، وهي مسافة جيدة لأخذ الإحتياطات والإستعدادات الأولية في انتظار قدوم الدعم والقوات لصد العدوان المحتمل خاصة و أن النار المشتعلة تطلق دخانا يرى من مسافات كافية ليراها الناس.

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص22.

[2] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص42.

[3] العذري، المصدر السابق، ص 86.

[4] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص42.

أصبح محرس بجّانة الذي أقيم عند مصب الوادي يتميز بأهمية امنية في مراقبة الساحل، ففي عام 271هـ/884م نزل جماعة من رجال البحر الاندلسيين مشهورين بالنجدة والبأس ولهم دراية وخبرة في ركوب البحر عند هذا المحرس والرباط وكان بعضهم من المولدين والمعاهدة[1]، وهؤلاء الرجال هم من جمع عمران بجانة وبنوا سورها، كما كانوا دائمي التنقل بين الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس وسواحل شمال افريقيا[2]، واغلب هؤلاء البحريين كانوا من البيرة وتدمير* ومعهم كثير من الأندلسيين[3]، وقد اعتادوا على القيام بغارات ضد النصارى انطلاقا من مراكزهم الاندلسية في طرطوشة* وقبل ذلك من إشكوبرس في قرطاجنة الخلفاء*، كالغارات على سواحل الفرنجة، ومن جهة أخرى كان الساحل الجنوبي الشرقي بالأندلس دائما ما يتعرض لغارات النورمان والقطالانيون والبيشيون (بيزا) والبنادقة [4].

ومن المراكز التي كانت قواعدًا للبحريين في شمال إفريقيا تنس* التي أسسوها عام 262هـ/876م وتسمى تنس الحديثة ومن مؤسسيها الكركني وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم وكانوا يتعاملون مع أهلها الامازيغ ولهم روابط تجارية معهم، وكانوا يقضون الشتاء فيها[5]، كما قام بعض الأندلسيين البحريين بتأسيس وهران* عام 290هـ/902م بالاتفاق مع السكان المحليين من بربر نفزة وبني مسقن وهم من بربر إزداجة وكان على رأسهم محمد بن

---

[1] نفسه، ص52

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة الاسلامية، ص23.

* تدمير: من كور الأندلس اشتق اسمها من اسم ملكها تدمير/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 62.

[3] البكري، المغرب في بلاد افريقيا والمغرب(المسالك والممالك) تح: دي سلان، الجزائر، 1857، ص ص 62،61.

* طرطوشة: مدينة أندلسية تبعد عن بلنسية 120 ميلا/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 124.

* قرطاجنة: الخلفاء مدينة قديمة بالأندلس من كورة تدمير (مرسية) / الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 151.

[4] عبد العزيز سالم، احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص150 ، 151.

* تنس: تسمى تنس الحديثة مدينة مسورة على البحر في بلاد المغرب/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2،ص48.

[5] البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص726. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص48. عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص150.

* وهران: مدينة حصينة على البحر في بلاد المغرب بناها البحريون الاندلسيون/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص385.

أبي عون ومحمد بن عبدون وآخرون[1] وفي فترة لاحقة عاودت جماعة من البحريين الذين كانوا نازلين بتنس التنقل إلى الأندلس ونزلت قرية بجانة[2] بالاتفاق مع العرب الغسانيين أي أرش اليمن، وشيئا فشيئا تمكن البحريون أو رجال البحر الاندلسيين من التغلب على عرب اليمن وسيطروا على مكان الحراسة اي البرج المقام عند الساحل ثم على بجانة وتلك الجهة، ومن أسباب قدوم البحريين إلى ساحل بجانة أنه أصابهم مرض واعتلال في فصل الربيع، واستوبأوا المكان – تنس– بعدما قضوا الشتاء هناك فركبوا السفن و" وأظهروا لمن بقي منهم أنهم يمتارون فيحنئذ نزلوا بجانة وتغلبوا عليها"[3]، ثم جعلوا المنطقة قاعدة لتجارتهم في الأندلس وصار الميناء يتردد عليه التجار الذين استقروا فيها، وبتوالي السنين والأيام صار الميناء محطا للمراكب والسفن وتحل به مراكب التجار[4].

أما التسمية التي أطلقت على رباط بجانة أو محرسها القائم على المرتفع الذي عليه المرية اليوم فهي مرية بجانة[5]، وللفظ مرية عدة تفسيرات؛ فمنها إن الاسم مشتق من مري الدم أي مرى الدم بمعنى جرى، والمرأة مرئية، ويجوز أن يكون الشيء المرّي[6]، ومنها بمعنى

---

[1] البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص 738، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص ص 133، 134.

[2] البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص 726.

[3] البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص 726. الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص38.

[4] مجموعة كتاب، فصول في تاريخ الاندلس (بداية النهاية) تر: عبد الفتاح عوض، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 2001، ص ص 36، 37. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119. محفوظ مقديش، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، م1، 1988، ص158. عبد السلام الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس، عصر الخلافة والطوائف 316–484هـ، دار ابن حزم، بيروت، ط1، د ت، ص 519. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص22.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119.

مرأى أو من فعل رأى، أو مرآة البحر[1]، والواضح أن موقع المرية أي البرج هو للرؤية والمراقبة عن بعد، كما دعيت مرية بجانة بفرضة بجانة أي مريتها[2].

وكان القائمون على المحرس أو الرباط يتولون مراقبة الشريط الساحلي لبجانة، والعاملون منهم بالليل يسمون بالسمار، وكانت لهم مراقب عالية ملحقة برباط المرية تعرف بالمنائر والطلائع والطوالع، وإن رأوا سفنا للعدو أعلموا الناس بالهجوم، فإن كان النهار أثاروا دخانا كثيفا، وإن كان الهجوم ليلا عمدوا إلى إشعال النار، ومن المحتمل أنهم يستعملون الطبول والنفير لتحذير الناس في الأماكن المجاورة.[3]

ويعود تأسيس المرية أي المحرس أو الرباط الى بني سراج، اما تاريخه فهو بُعْيد تأسيس مدينة بجانة الذي كان في عهد الأمير محمد ابن عبد الرحمن 238هـ-273هـ/853م-886م وقبل نزول البحريين عند المحرس عام 271هـ/884م، بمعنى أن تاريخ انشاء هذا الرباط هو بين 238هـ و 271هـ. وكان إلى جنب مرية بجانة أي الرباط والمحرس الذي أقيم لغرض المرابطة والمراقبة محارس ورباطات أخرى أنشأت لذا الغرض والمهمة، حيث يقول العذري :"وليست المرية بأولية العمارة، وإنما اتخذها العرب رباطا وأبتنت فيها محارس وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى"[4] ويقول الحميري أن المجوس قدموا المرية بعد أن طافوا بسواحل الأندلس وأغاروا عليها ويضيف:" فاتخذها العرب مرآى وابتنت بها محارس وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها"[5].

---

[1]الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص183. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص19. عبد الله عنان، الآثار الأندلسية، الباقية في اسبانيا والبرتغال، ص191.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص19.

[3] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص- ص48، 50.

[4] العذري، المصدر السابق، ص86.

[5]الحميري، صفة جزيرة الاندلس ، ص183.

وتوسع البحريون في بناء المحارس والأبراج في عهد الأمير عبد الله بن محمد 275هـ-300هـ/888م-912م* فبالإضافة إلى مرية بجانة بنوا عشرون حصنا في هذه الجهة منها حصن الخابية، حصن الحامة، حصن برشانة، حصن عالية، حصن بني طارق، وحصن ناشر[1]، وهي كلها قرى لا تبعد عن مرية بجانة أو بالقرب منها ويقول الإدريسي عن بعض المحارس في مرية بجانة:" وذلك أنك تخرج من المرية إلى قرية البجانس على البحر ستة أميال ... ومن قرية البجانس إلى آخر الجون وعليه برج مبنى بالحجارة مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو في البحر6 أميال" [2] وعن المحرس في الرابطة يقول :" ومن العقبة إلى الرابطة مرحلة وليس هناك حصن ولا قرية وإنما بها قصر فيه قوم حراس للطريق ومن هذه الرابطة إلى المرية مرحلة خفيفة"[3]، وعن حصن بيرة وهي من أعمال المرية يضيف الإدريسي:"...إلى حصن بيرة مرحلة وهذا الحصن حصن منيع على حافة مطلة على البحر".[4]

وبناء هذه المحارس كان بهدف المرابطة والجهاد وحماية بلاد الأندلس من الإعتداءات الخارجية التي ما فتئت تتعرض لها بين فترة وأخرى خاصة أن الأندلس تقع على مرمى حجر من ممالك النصارى الذين يحيطون بها تقريبا من كل الجهات، وكانت "الأندلس دار جهاد وموطن رباط قد أحاط بشرقها وشمالها وبعض غربها أصناف أهل الكفر"[5]، ولم يبق مأمن للأندلس إلا من جهة الجنوب أي بلاد العدوة المغربية وهي بلاد الاسلام فلا يخاف الأندلسيون شر العادية والغائلة.

* الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 115.

1 عبد العزيز سالم، أحمد مختار عبادي، المرجع السابق، ص52.

2 الإدريسي، نزهة المشتاق، ص198.

3 الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

4 نفسه، ص ص 196، 197.

5 البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص998.

وكان الصراع على أَشُدِّهِ بين المسلمين والنصارى في البحر في الحوض الغربي للمتوسط ومن الأمثلة على كون مرية بجانة كانت منطلقا لمهاجمة سواحل النصارى وقاعدة للأسطول الأندلس هو خروج قائد البحر محمد بن رماحس صاحب الصيت والسمعة في الجهاد البحري بمركبين كبيرين مجهزين بالعدة والعتاد والرجال والمال لمهاجمة النصارى عام 328هـ/938م من مرية بجانة وقد توقف في طرطوشة وانضاف إلى المركبين مراكب أخرى بلغت العشرة ومعها أربعة شواني وفتاشين (من أنواع السفن) ثم واصل سيره حتى بلغ سواحل برشلونة[1]، وكذلك الأمر عام 331هـ/841م عندما خرج القائد محمد بن رماحس بعد أن استخلف ابنه عبد الرحمن على مرية بجانة، رفقة القائدين الآخرين غالب ابن عبد الرحمن الناصري وسهل ابن أسيد لغزو سواحل الفرنجة، وكانت عدة الأسطول معتبرة اذ بلغت ستة وثلاثون مركبا حربيا منه ستة شواني، وحقق المسلمون في هذه الغزوة مغانم معتبرة بعد أن هاجموا القيطنة* وأنينوة* ومشينية* من بلاد الفرنجة.

وفي مطلع القرن 4هـ/10م ظهر خطر جديد في غرب البحر الأبيض المتوسط يتمثل في الخطر الفاطمي الشيعي حيث تأسست الدولة الفاطمية عام 296هـ/909م التي أخذت تنتهج سياسة توسعية في المنطقة، وسلك حكامها الأوائل بدءًا بعبيد الله المهدي 297هـ-322هـ/909م-933م ثم ابنه القائم 322هـ-334هـ/933م-945م وبعده المنصور 334هـ-341هـ/945م-952م، وبعدهم المعز لدين الله 341هـ-365هـ/952م-974م سياسة مهاجمة الجيران والتوسع على حسابهم[2]. و من بين البلدان التي رأى فيها الفاطميون مجالا للتوسع وضمها إلى دولتهم هي بلاد الأندلس التي عاشت أواخر القرن 3هـ/9م ظروفا صعبة وكانت تغلي في أتون الانقسامات.

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص81.

* القيطنة: ربما كاتانيا أو قطانة، مدينة بجزيرة صقلية، / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 370.

* أنينوة: لم نقف لها على أي تعريف

* مشينية: ربما مسينية مدينة على ساحل صقلية/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 130.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986، ص331.

لكن عبد الرحمن الناصر كان له رأيه هو الآخر لم يقف مكتوف اليدين بل استعد لحماية بلاده وأعلن نفسه خليفة عام 316هـ/928م[1]، وهاجم الفاطميين في بلاد المغرب انطلاقا من مرية بجانة حيث أصدر أمرا لأهالي بجانة بإعداد خمسة عشر مركبا حربيا لمهاجمة جزيرة أرشقول* قرب تلمسان* وبعد حصار لهذه الجزيرة عاد الأسطول إلى المرية ودخل مينائها في شهر رمضان عام 320هـ/931م[2]، إضافة إلى ذلك كان للقائد محمد بن رماحس غزوة إلى سبتة* في العدوة المغربية في إطار المواجهة مع الفاطميين[3]، وغزوة أخرى عام 333هـ/944م إلى سبتة، وغزوة إلى افريقية* في عام 334هـ/945م وكان الأسطول يحتوي على مراكب وشواني وفتاش[4].

انتقلت مرية بجانة إلى مرحلة مهمة في تاريخها وعرفت نقطة تحول عام 344هـ/955م إذ تعرضت إلى هجوم خاطف ومباغت من طرف أسطول فاطمي ألحق ضررا بالغا بها وبمينائها وبسكانها، فقد ادرك الفاطميون أهمية مرية بجانة وأهمية مينائها الذي ترسوا به قطعا حربية كثيرة تمثل قوة ضاربة للأسطول الأندلسي، وكانت هذه القوة سدا منيعا وحاجزا متينا للأطماع التوسعية للفاطميين لذلك اغتنموا فرصة سانحة وهاجموا مرية بجانة أي المرية، وفي ذلك يقول القاضي النعمان:« وغزا المعز بني أمية بالأندلس فأحرق أساطيلهم ودار صناعة مراكبهم واحتوى على المرية وما فيها بعدد قليل من المراكب»[5]

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص 29.

* جزيرة أرشقول: قبال مدينة أرشقول على ساحل تلمسان/ البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص 747.

* تلمسان: مدينة قديمة ببلاد المغرب/ البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2 ،ص 748.

[2] نفسه، ص 748.

* سبتة: مدينة مشهورة في بلاد المغرب / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 183.

[3] ابن عذاري، البيان ، تح: كولان، بروفسنال، ط2، ج2، ص 204.

* افريقية: اسم لبلاد واسعة في بلاد المغرب مقابل صقلية والاندلس/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 228.

[4] العذري، المصدر السابق، ص ص81، 82.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 334.

وكلام القاضي النعمان وإن كان فيه تجنّي على الاندلسيين وانحياز للفاطميين الذين هاجموا بعدد قليل من المراكب وحققوا فوزا كبيرا إلا أنه صرح بوجود دار الصناعة في المرية قبل هذا التاريخ، وهذا ما يؤكد أمر الناصر لأهل بجانة بإعداد مراكب لمهاجمة جزيرة أرشقول كما سبق ذكره، ويتأكد أكثر ما جاء في اقتباس الأنوار للرشاطي الذي وضح سير الحملة الفاطمية على المرية حيث انطلق الأسطول الفاطمي من المهدية* ووصل إلى تنس، ثم توجه يوم السبت 05 ربيع الأول عام 344هـ/955م ورسى أولا في القبطة شرق المرية ومنها يبدأ الجوف الذي فيه المرية، وفي يوم الثلاثاء 08 ربيع الأول 344هـ/955م دخل ميناء المرية وأحرق كل سفينة ومركب راس فيه، وقام المهاجمون بالسلب والنهب والقتل والتخريب و" أكل – الأسطول الفاطمي– المرية ونهبها وقتل وبات ليلة ثم رفع وجه الصباح يوم الأربعاء ووصل يوم الجمعة مرسى تنس فهذا كان سبب بناء دار صناعتها"[1]

أسرع عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموي الذي اهتم بالعمران والتشييد و" كان كلفا بعمارة الأرض وإقامة معالمها"[2] إلى اتخاذ قرار مهم ينص على بناء المرية وتجديد دار صناعتها بعد الهجوم الفاطمي وتعميرها وتمصيرها لتصبح أقوى وأمنع مما كانت عليه، وإن كان تضارب في سنة بنائها بين 343هـ أو 344هـ فالمؤكد هو سنة 344هـ/955م بعد هجوم الفاطميين عليها وتخريب دار صناعتها وحرق المراكب الراسية بالميناء، ويقول العذري عن بنائها: "وعليها سور صخر منيع بناه الناصر أمير المؤمنين سنة 343هـ"[3]،ويقول مجهول: " وبنى صورها –الناصر– وهو سور منيع من صخر"[4]، بينما يقول الحميري عن

* المهدية: مدينة بإفريقيا بناها عبيد الله المهدي عام 303هـ/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص ص229، 230.

[1] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي،المصدر السابق، ص59.

[2] ابن خاقان، مطمح الانفس، تح: محمد على شوابكة، ط1، ص 245.

[3] العذري، المصدر السابق، ص86.

[4] مجهول، ذكر بلاد الاندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص 77. أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي،المصدر السابق، ص59. أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د ت، ص 176.

المرية بالأندلس "مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344هـ" و "عليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن"[1].

ونستنتج مما سبق أن عبد الرحمن الناصر أمر بتمصير المرية وتحصينها وتقوية دفاعاتها حتى لا تتعرض لهجوم آخر يأتي على ما فيها، ومن أجل أن تكون مدينة قوية تليق بوظيفتها في مراقبة الساحل، وكذلك كان الحال في عهد خليفة الناصر وليّ عهده الحكم المستنصر 350هـ -366هـ/962م-977م[*] الذي أمر بمجابهة أي خطر فاطمي حيث تحرك من قرطبة إلى المرية للوقوف على أوضاعها و" معاينة ما استكمله بها من الحصانة ومطالعة حال رابطة القبطة ومشارفة حال الرعايا في تلك الجهة"[2] فالغرض من هذه الزيارة هو الوقوف عن كثب لمعاينة الدفاعات بالمرية، وفي ذات الوقت معرفة أحوال الناس وظروف حياتهم، كما أمر الحكم قائد البحر للخروج إلى المرية والاستعداد هناك بالأسطول والمراكب ثم التوجه إلى اشبيلية بعد أن وصلت مراكب الأردمانيين (النورمان) إلى غرب الأندلس وظهورهم في البحر[3].

والواضح أن الخطر البحري بمختلف مصادره والذي تعرضت له الأندلس نبه الأمويين إلى أهمية نظام الدفاع البحري، ففي عهد عبد الرحمن الناصر توسع اهتمام الدولة بالأسطول البحري واولت له عناية فائقة، حيث قام بانشاء أسطول دفاعي لصد الأخطار والاعتداءات الخارجية وحماية الأندلس، و عرف عهده نشاطا بحريا و أُنشأت دور صناعة في عدة مدن أندلسية[4]، وصارت للأندلس قوة بحرية كبيرة وكذلك الأمر بالنسبة لابنه الحكم المستنصر،

---

[1] الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 183.

[*] الحكم المستنصر: بن عبد الرحمن الناصر كان له باع في العلم / الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص 267.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط2، ج2، ص 226.

[3] نفسه، ص 241.

[4] رفيق خليفي، الاندلسيون وتنشيط حركة الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، ص-ص 131،134. خزعل ياسين مصطفى، الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية، عصر الإمارة والخلافة، مجلة التجربة والعلم، مج: 18، ع1، الموصل، 2014، ص 187.

ومن ثم فرض المسلمون أنفسهم في البحر الأبيض المتوسط بعدما نشطت الحركة البحرية وازدهرت الموانئ الأندلسية.[1]

إضافة إلى دور المرية وأسطولها في صد الاعتداءات و الغارات أو الهجوم على مواقع خارج الأندلس، كانت دار الصناعة تنتج المراكب وعدة القتال وآلات الحرب اللازمة، كما ضمّ خليج المرية قطعا حربية كثيرة فهو يتميز بالاتساع والعمق ما يجعله يستوعب عدد كبير من السفن، و في أعلى الخليج أقيمت قصبة المرية الحصينة على أحد جبلي المرية وعليها السور المنيع، و لزيادة مناعتها الحربية وحصانتها تمّ إقامة حصون إلى جانبها كحصن برجة وحصن شنش[2]، كما كان للمرية مرسى آخر ترسو به السفن والمراكب وهو مرسى مَحْمَلَة[3] .

إن بناء المرية وانشاءها وتقوية تحصينها جاءاستكمالا لوظيفتها التي أنشأت لأجلها أول مرة وهي وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى غايتها استراتيجية لحماية سواحل جنوب شرق الأندلس، فالموقع الذي عليه المرية والخصائص الطبيعية للمنطقة زاد من مناعتها وحصانتها، حيث تقع على مرتفع جبلي قبالة البحر مباشرة ما يضمن رؤية جيدة ولمسافة بعيدة لأي مراقب أو حارس، إذ يتم مشاهدة المراكب والسفن القادمة والتي تريد الإغارة على أراضي الاندلس في تلك الجهة، كما أن الجبال والمرتفعات تحيط بالمرية من جهات عدة سوى ناحية البحر. و صارت المرية في عهد الناصر عبد الرحمن الخليفة الأموي قاعدةً أساسية لصد الاعتداءات الخارجية من الفاطميين أو الفرنج، ومنطلقًا لحملات وغزوات كثيرة خارج الأندلس وأخذت تتبوأ الريادة البحرية الأندلسية[4]، وصار ميناؤها مرسى للسفن والمراكب

---

[1] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص– ص 159، 161. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاندلس، ص 289.

[2] عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص–ص39،، 42.

[3] عبد العزيز سالم، احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص54.

[4] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص13.

و" فيها يتم ترتيب الأسطول الذي للمسلمين ومنها يخرج إلى غزو الإفرنج"[1] حيث يتم اعداد المراكب وتهيأتها بالعدة والعتاد والرجال ويتم الاستعداد للخروج في غزوة أو حملة بحرية خاصة لغزو النصارى.

تعدَّت أهمية المرية الجانب العسكري إلى الجانب الاقتصادي خاصة التجارة الخارجية مع البلدان والأصقاع الأخرى، وشكلت هي وبجانة قطبا اقتصاديا وتجاريا هاما جنوب شرق الأندلس، وكانت السفن التجارية تقلع منها وتحط بها بأنواع التجارات والسلع لا سيما مع بلاد المشرق والمشرق، وصارت مدينة بجانة ونظيرتها المرية "بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار..."[2]، و يقول الحميري أيضا:" وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام" [3] . ونشطت التجارة الصادرة والواردة من وإلى المرية واعتبر مينائها ميناءً رئيسيا من مواني الأندلس، إضافة إلى اتساع خليجها فقد تميز ساحلها بانه أحسن السواحل في بلاد الأندلس[4]، وقد وصفت المرية بأنها "باب الشرق ومفتاح الرزق"[5]، وأنه "إليها تقصد مراكب البحر من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم..." [6]، فالتجارة أكسبت سكان المرية أموالا وثراء وجعلت منهم أغنياء خاصة أن الميناء كان مقصدا للتجار من كل الجهات فتأتي المراكب والسفن ببضائعها وتخرج محملة بأصناف السلع والمواد.

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119.

[2] نفسه.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

[4] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (اليمن والمغرب الاسلامي وقبائل العرب)، تح: حمزة أحمد عباس، س 4 ،2002، ص ص233،، 234

[5] أبو الفداء، المصدر السابق، ص176.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص197. ابراهيم السيد الناقة، دراسات في تاريخ الأندلس الاقتصادي (الأسواق التجارية)، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 2010، ص346.

كما ترتبط المرية بشبكة طرق واسعة داخل الأندلس إضافة إلى الطرق البحرية خارجها، فمثلا بين طليطلة وسط الأندلس والمرية تسعة مراحل[1]، وبين مرسية والمرية على الساحل خمسة مراحل[2]، وبين المرية والمنكب أربعة مراحل، وبين المرية ودانية نحو من ثمانية مراحل وبين وادي آش[*] والمرية مرحلتان للمُجِّدْ[3]، ومن قرطبة إلى المرية سبعة أيام [4] وبين المرية وغرناطة مسيرة ثلاثة أيام[5]، ومن المرية الى مالقة في البر سبعة ايام، وبين المرية والمناطق القريبة منها مسافات ليست بالطويلة، فمن الرابطة إلى المرية مرحلة خفيفة وبين المرية وبجانة ستة اميال، وبين المرية وبرجة مرحلة كبيرة، ومن المرية إلى قرية البجنس على البحر ستة أميال، ومن المرية إلى عذرة ثلاثة وثلاثون ميلا، ومن المرية إلى إلى الحَمَّة على يمين بجانة اثنا عشر ميلا، ومن المرية ثم بجانة إلى قرية بني عبدوس اثنا عشر ميلا، وبين المرية ومندوجر مرحلة خفيفة[6]. ونلاحظ أن للمرية شبكة طرق متنوعة تربطها بقرى ومدن صغيرة تابعة لها، كما تربطها بمدن الأندلس الكبرى مما سهل حركة الناس و لا سيما البضائع والسلع من وإلى المرية، وهذا ما سيحرك عجلة الاقتصاد فيها.

3- تاريخ المرية:

مرت المرية بمراحل تاريخية من حياتها بدءًا بتأسيسها إلى غاية سقوطها عام 897هـ-1492م، وما يهمنا هنا هو الفترة الزمنية موضوع الدراسة من 433هـ إلى 625هـ/1041م-1228م حيث حكم المرية ثلاثة أنظمة تتمثل في بني صمادح ثم المرابطون ثم الموحدون وكان حكم المرابطين والموحدين على عموم الأندلس حيث تطورت الأوضاع السياسية ما

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 173.

[2] نفسه، ص195.

[*] وادي آش، ناحية من كورة البيرة بين بجانة وغرناطة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 198.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص ص 455،456.

[4] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص12.

[5] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 217.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص- ص 197، 201.

استدعى تدخل المرابطين وبعدهم الموحدين لإنقاذ الأندلس من حافة الانهيار وسقوطها بأيدي النصارى الذين كانوا يحاولون طرد المسلمين بشتى الوسائل والطرق.

وقبل التطرق لعهود حكم المرية بين433هـ-625هـ/1041م-1091م لابد من ذكر المرحلة التي سبقتها أي منذ تأسيسها إلى سنة 344م/955م، ومن الملاحظ أنه رغم تغير أنظمة الحكم إلا أن الميزة المشتركة بينها هو أهمية المرية لديها، حيث حظيت دوما بالعناية والاهتمام وتشجيع الازدهار الاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي عاد بالفائدة على المدينة وسكانها من حيث العمران واتساعه وكثرة المرافق والثراء والثروة.

أ- العصر الأموي 344هـ-400هـ / 955م-1010م

يعود الفضل إلى قيام المرية كمدينة وقاعدة للجهة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أمر بتحصينها وتسويرها عام 344هـ/955م، وحظيت باهتمام ومتابعة من قبله حيث أُعتبِرت قاعدة مهمة للأسطول الأندلسي وخط دفاع أمامي وأساسي للأندلس، وكان بها دار الصناعة التي تنتج المراكب والعدة[1]، وفيها يتم إعداد الأسطول الذي يخرج للغزو[2]، وكذلك في عهد خلفه الحكم المستنصر الذي اهتم بالمرية وقام في احدى المرات بزيارتها ومعاينتها عن كثب وتفقد التحصينات وأمور الدفاع فيها[3].

والأمر سيان في عهد الخليفة هشام المؤيد بن الحكم الذي حكم بين 366هـ-399هـ/977م-1010م [4]، والذي ترك السلطة الفعلية بيد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(326هـ-392هـ/938م-1003م) حيث كان له دور في استقرار الأندلس وازدهارها، وقام بغزو النصارى غزوات كثيرة كان له النصر والظفر المبين، وعلت كلمة المسلمين في

---

[1] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص 59.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط2، ج2، ص 266 وما بعدها. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص41.

[4] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص43 وما بعدها.

عهده على أعدائهم وغزا المسلمون قشتاله* وليون* وأراغون*ونبارة* وكتالونية*، وقام بشؤون الدولة خير قيام[1]، و لا شك أن الحاجب المنصور اهتم بالأسطول الحربي والقواعدالساحلية في الأندلس كالمرية كما اهتم بإعداد السفن والمراكب لغزو النصارى عبر البحر رغم انشغاله بالغزو عبر البر[2].

وقد تولَّى حكم المرية في هذا العهد الكثير من الرجال المشهورين بالأندلس وقبلها تولوا حكم بجانة؛ منهم احمد بن عيسى بن أبي عبدة وهو من عائلة مشهورة بالاندلس خدمت الدولة الاموية عينه الخليفة عبد الرحمن الناصر على بجانة ونواحيها[3]، ومِمَّن ولي المرية بعهد من عبد الرحمن الناصر يحي بن هاشم بن محمد بن عبد الرحمن التجيبي، وهذيل بن هاشم بن محمد بن عبد الرحمن التجيبي عام 341ه/953م من عائلة بني هاشم التجيبيون[4] المشهورة بالأندلس، كما تولى المرية حاكم البيرة جعفر بن عثمان الكاتب ثم عزل عنها، وتولاها محمد بن رماحس القائد المشهور وجمع له الناصر المرية والبيرة عام 329ه/940م، ومن ولاة المرية بعدهم ابن مسلمة، ثم القاسم بن القاسم بن عبد الرحمن سنة 286ه/997م، ثم ابن حيدر، ثم ابن فرجون المعروف بابن الربولوا. وفي عام 393ه/1004م تولاها قائد الشرطة محمد بن عبد الله بن حمدين ومعها بجانة ، ثم ولي المرية ابن صاعد، ثم وليها عبد

* قشتالة: اقليم كبير بالأندلس / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 352.
* ليون: من قواعد قشتالة بالأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 174.
* أراغون: اقليم شمال الأندلس / الحميري، صفة جزية الأندلس، ص12.
* نبرة أو نبارة: شمال الاندلس.
* كتالونية: اقليم شمال شرق الأندلس قاعدته برشلونة/ الحميري، صفة جزية الأندلس، ص42.

[1] الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص226.
[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص– ص 59، 83.
[3] ابن عذاري، البيان المغرب، تح: كولان، بروفسنال، ط2، ج2، ص 208.
[4] تجيب: قبيلة عربية من كندة / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص 16.

الرحمن بن رويش مع بجانة أيضا وهذا سنة 400هـ/1010م، وكان يشاركه في حكم المرية أفلح الفتى الذي استقر بقصبتها، وابن رويش في المدينة الداخلية[1].

وجرت العادة ان يُخْتار من الولاة ذوي الكفاءة و أصحاب الخبرة والتجربة، ومنهم من كانت عائلته ذات مكانة في الأندلس اشتهرت بخدمة الدولة. كما عرفت المرية والأندلس عامة خلال العهد الأموي ازدهارا وتطورا في مختلف الميادين من زراعة وتجارة و حرف وصناعات وعلوم وأدب.[2]

ب. عصر الصقالبة 400 هـ-433 هـ/ 1010م-1041م:

لاحت بوادر الفتنة والانقسام في الأندلس مطلع القرن 5هـ/11م، ودخلت في فترة حرجة من تاريخها، و أخذت أركان الدولة الأموية تتهاوى وقواعدها تنهار، فتلك الدولة القوية التي شيدها الأُمويون وساسها الأمراء والحجاب كالحاجب ابن أبي عامر خير سياسة وتدبير، وازدهرت ازدهارا منقطع النظير صارت قاب قوسين أو أدنى من السقوط والزوال. وأسباب هذا الانحدار كثيرة منها السياسي والاجتماعي وأخطرها لما فرض الحاجب عبد الرحمن بن محمد ابن أبي عامر على الخليفة هشام المؤيد أن يكون ولي عهده، ففتح المجال للطامعين والناقمين لإعلان التمرد على الدولة والخلافة.

ولم يمهل الانتهازيون سقوط الدولة الأُموية نهائيا عام 422هـ/1031م بل اغتنموا فرصة ضعف السلطة الاموية منذ مطلع القرن 5هـ/11م واختلال موازين الدولة حيث فقدت السيطرة على أرجاء البلاد، واخذوا ينتزون في جهاتها. وأفضت هذه الفتن التي قضت على وحدة الأندلس السابقة على متغلبين وطوائف، وأما أمراء الجهات فقد " ثار كل واحد منهم

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص ص81، 82.

[2] يحي بن عبد الله الأسدي، الحميدي و جهوده في علم الحديث، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، ج1، 1424هـ، ص 31.

في بلده لمن عنده من الاجناد"[1]. وظهر في هذه الفترة القصيرة من400هـ الى 422هـ/1010م-1031م اطراف كثيرة تريد الاستئثار بحكم قرطبة العاصمة او الاقاليم، حيث حدث صراع مرير على كرسي العرش بين الأمويين انفسهم وظهر عدد ممّن يريد الخلافة كالمهدي في عام 399هـ/1010م، و سليمان المستعين عام 400هـ/1010م، وبعدهم المستظهر عام 414هـ/1023م والمستكفي عام 417/1026م، واخرهم هشام المعتد الذي عزل عام 422هـ/1031م. ثم بينهم وبين الحموديين على رأسهم علي بن حمود عام 407هـ/1016م ثم القاسم بن حمود عام 408هـ و 413هـ(1017م و1022م) ثم يحي بن علي بن حمود عام 412هـ/1016م. كما ظهر العرب والبربر والصقالبة الذين اعتمد عليهم الحجاب العامريون في سيطرتهم على الدولة ومقاليدها، وافترق امر الأندلس على هذا النحو من التنافس والإنقسام [2].

وكان من جملة المنتزين في الأندلس جماعة الصقالبة[*] العامريون نسبة الى الحاجب محمد بن أبي عامر الذي شكل منهم قوة يستند عليها في تصريف شؤون الدولة[3]، وقد اشتهر منهم الكثير من بينهم فتى يدعى خيران الصقلبي أو العامري الذي ولي المرية من قبل الحاجب المنصور[4]، وكانت له مكانة معتبرة بين الصقالبة في عهد هشام المؤيد، ونال حظوة ورفعة بين رجال الدولة الذين كانت إليهم تصريف أمورها وشؤونها، وعند دخول سليمان المستعين قرطبة قتل الكثير من الصقالبة، فكان خيران ممّن نجا وأفلت وفر منها متخفيا

---

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص67.

[2] أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص- ص 8، 10 .

[*] الصقالبة او الصقلب: جيل حمر الألوان صهب الشعور يتخامون بلاد الخزر أعالي جبال الروم. وقد وقيل أن موطن الصقالبة بين البلغار وقسطنطينية، وأحدهم صقلبي. وقيل أن الصقالبة أجناس مختلفة. / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 416.

[3] احمد عزاوي، المرجع السابق، ص-ص10،8.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج1، ص183.

وقصد حسن اوريولة*، و جاءه الكثير من أصحابه الصقالبة لما سمعوا به، وبدأ يتوسع في تلك الجهة ثم تغلب على مرسية واستولى عليها عام 403هـ/1012م[1].

ثم صرف خيران وجهه الى المرية "معقل الأندلس"[2]، وكانت بيد أفلح الصقلبي الذي كان يشارك ابن رويش في حكم المرية بداية الفتنة، فقتل ابن رويش في بجانة، ثم تشارك أفلح الصقلبي مع ابن حامد في حكم المرية وجرت بينهما خصومة[3]. وكان أفلح يتميز بالعجب والجهالة يرى نفسه أفضل من الصقالبة الاخرين لقدمه في خدمة الدولة وكبر سنه واستهان بغيره حتى جاءه خيران بمن معه ونازله في المرية ودخل القصبة عام 405هـ/ 1015م ثم قتله هو وابنيه، واستولى على الاموال وما وجده فيها من عده وغيرها، واستقر خيران في المرية وجعلها قاعدة ملكه واستخلف اخرين على اعماله الاخرى كمرسيه واريولة، ثم قام بضبط المرية وترتيب شؤونها وحَصَّن قصبة المرية بشكل جيد يصعب اختراقها ودخولها و "سد عوراتها الى ان صيرها في الحد الذي هي اليوم فيه، فلا يرام التعلق بها واتخذها دار سلطانه"[4].

أمَّن خيران الناس وعدل في حكمه ورفق بالرعية، واستعان بمن يثق به من رجاله وأصحابه في تسيير المرية والأعمال التي اخذها سابقا، واستوزر أبا جعفر احمد بن عباس بن أبي زكرياء المعروف بالدهاء ورجاحة العقل، وترك خيران الكثير من المنجزات في المرية كتوصيل الماء الى المدينة وبناء الحمّة المشهورة. وازدهر العمران في المرية على عهد خيران وفشت الصناعة ونمت نموا كبيرا حتى صارت مدينه رائدة وقوية في الأندلس. كما اشتهر خيران بالقصد والجود والكرم و الخبرة والشجاعة والحصافة وحسن التدبير وجودة

---

* أريولة: حصن بجهة تدمير/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 34.

[1] عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس منذ قيامها حتى فتح المرابطين، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط1، 1960، ص 157.

[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص ص 211،210. العذري، المصدر السابق، ص83.

[3] العذري، المصدر السابق، ص ص83،82 .

[4] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 211.

الرأي، وكان له مكر ودهاء في حروبه وذكاء في هزم غيره، ولم يتخذ القابا فخمة سوى الخليفة اي خليفة العامريين او الفتى الكبير، ولم يتشبه بالأسماء الرنانة كغيره من المنتزين[1] كما كان يُكنَّى بأبي العافية ولُقِّب بالحاجب سيف الدولة[2]. وتوطد له حكم المرية واعمالها و"حُمِدت سيرته بين الناس"[3]، واضافة الى درايته السياسية كان له اهتمام بالآداب والعلوم، وشجع العلماء والادباء، وصارت المرية تعيش ازدهارا و رُقِيًّا منقطعي النظير[4]. كما كانت المرية مملكة واسعة في عهد خيران الفتى تضم اليها مدنا و أعمالاً كثيرة جنوب شرق الأندلس فقط ضمّت وادي آش وجيّان وباغة* و شوذر* وبسطة* وأرجونة* وباجة* وطلياطة* وشنتجيلة*، ولم يبلغ احد من الثوار والمنتزين ما بلغه خيران من سعة الملك[5].

وقد دخل خيران في صراع مع جيرانه الصنهاجيين –بنو زيري– في البيرة، وجرت بينهم وقائع وأحداث كثيرة[6]، وقبل ذلك شارك خيران الفتى في معركة وادي آرة في الجزيرة الخضراء* الى جنب سليمان المستعين والبربر ضد محمد المهدي وذلك في ذي القعدة عام 400هـ/1010م[7]، كما قدم المساعدة العسكرية بجيش من الفتيان لعلي بن حمود الذي عينه

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص212.

[2] مجهول، ذكر بلاد الاندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص218.

[3] العذري، المصدر السابق، ص83.

[4] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص105.

* باغة: مدينة بالأندلس من كورة البيرة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 326.

* شوذر: قرية من كورة جيان مشهورة بالزيت/ الحميري صفة جزيرة الأندلس ، ص 117.

* بسطة: مدينة متوسطة قريبة من وادي آش وقريبة من جيان/ الحميري: صفة جزيرة الأندلس ، ص ص 45،44.

* أرجونة: قلعة أو مدينة (جهة البيرة)، / الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 12.

* باجة: مدينة قديمة بالأندلس نزلها جند مصر/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 36..

* طلياطة: مدينة قريبة من اشبيلية / الحميري، صفة جزيرة الأندلس،ص 128.

* شنتجيلة: أو شنتجالة مدينة جهة كورة تدمير/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 112.

[5] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص 218.

[6] ابن الخطيب، تاريخ اسباينا الاسلامية ، ص212.

* الجزيرة الخضراء: أو الخضراء بالأندلس مدينة قصبتها منيعة حصينة / الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 75.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص 96.

سليمان المستعين واليا على سبتة وطنجة* في حصاره لقرطبة عام 406هـ/1015م ودخولها بعد ذلك إثر خروجه وتمرده على سليمان المستعين وقتله اياه وتوليه الخلافة في الأندلس[1]، وعندما لم يجد خيران الفتى الخليفة هشام المؤيد في قرطبة قام بمبايعة امير أُموي اخر هو المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الناصر[2].

استمر خيران الفتى في حكم المرية وأعمالها إلى أن اعْتَّل ومرض، وكان مُصرّف أُمور الدولة وزيره احمد بن عباس المذكور وتوفي عام 419هـ/1028م، ثم آل الأمر إلى زهير الفتى[3]، وقد مدح الشاعر الأندلسي المشهور ابن دراج القسطلي خيران بشعر كثير منه عند لجوؤه الى المرية 407هـ/ 1016م رفقة اهله بعد محنة اصابته يقول[4]:

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران   وبشرى قد أواك ملك وسلطان

هو النجم لا يدعى الى الصبح شاهد   هو النور لا يبتغي على الشمس برهان

وفي نفس الموضوع يقول ابن دراج:

ولا بأس من روح وفي الله مطمع   ولا بعد من خير وفي الارض خيران

ومنه أيضا :

فلو نثر الأملاك يومك فيهم   لألقى اليك التاج كسرى وخفان

و لو رُدَ في المنصور روح حياته   غداة الموت والموت ألوان

وناديت للهيجاء أبناء مُلكِه   فلبّاك أساد عبيد وفتيان

* طنجة: مدينة قديمة على البحر ببلاد المغرب / الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 43.

[1] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص 204.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص ص 122،121.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص215.

[4] نفسه، ص ص212، 215.

انتقل حكم المرية واعمالها الى زهير العامري أو الفتى وهو ايضا من الفتيان العامريين الذين برزوا في عهد الدولة الأموية وفي عهد الحُجَّاب العامريين، وكان زهير أميرا على مرسية نائبا لخيران الذي استدعاه لما أحس بدُنوِّ أجله في العلّة التي اصابته، وبقي زهير ملازما له حتى وفاته ثم تقدم الوزير ابن عباس الى الناس وأخبرهم بموت خيران وانه قد ارتضى لهم زهيرا حاكما من بعده، فرضي الناس به وبُويِع يوم الجمعة 3 جمادى الاولى عام 419هـ /1028م ، وقام بأمر المرية خير قيام وساسها أحسن سياسة[1]، وقد حدث خلاف بين زهير ومُسَلَّم الفتى وهو صقلبي آخر حول الحكم، فقام زهير بمحاصرة مُسلَّم في أريولة ستة أشهر ثم تنازل هذا الاخير لزهير عن الأمر[2].

امتاز زهير الفتى بصفات كثيرة فقد كان شهما داهية سديد الرأي والمذهب متأنيا في عمله واحكامه، وكان يشاور الفقهاء قبل القيام بعمل او غيره ويأخذ بنصيحتهم ومشورتهم وكان عالي الهمة منقادا لهم، وله عدة أثار في المرية فهو الذي بنى المسجد الجامع به وزاد فيه من جهات ثلاث ما عدا القبلة[3] كما بنى مسجدا ببجانة[4]. واتسعت مملكة المرية في عهده الى نواحي وأعمال كثيرة، فقد وصلت الى قرطبة ونواحيها والى شاطبة وما يليها الى بياسة الى الفجّ من أول طليطلة[5]، ثمّ سلّم شاطبة لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر حفيد الحاجب المنصور بن أبي عامر[6].

وتمكن زهير من دخول قرطبة وحكمها لمدة خمسة عشر شهرا بعد انقضاء عهد الخلافة الاموية وزوال رسومها ودخل قصر الحكم يوم 25 شعبان 425هـ/1034م[7]. وفي

---

[1] نفسه، ص ص 517، 518.

[2] العذري، المصدر السابق، ص83.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسباينا الاسلامية ، ص216.

[4] نفسه، الاحاطة ، ط2، م1، ص 518.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص- ص169، 172.

[6] العذري، المصدر السابق، ص 83.

[7] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص216.

اواخر حكمه حدث نزاع وخلاف بينه وبين باديس بن حبوس الزيري صاحب غرناطة الذي طلب تجديد الحلف القديم، لكن زهير كان له تدبير آخر، و رغم حزمه وفطنته فإن اعجابه بنفسه وكثرة جيشه واتساع ملكه أطمعه في التوسع على حساب جاره الزيري[1]، و لأجل ذلك جمع حوله جيشا كبيرا من صقالبة الأندلس لمواجهة الزيريين و"احتفل وبالغ"[2]. و هذه العبارة للامير عبد الله الزيري آخر حكّام غرناطة توضِّح تحامله على زهير والصقالبة فقد وصفه بالجهل والغباوة وأنه لا يصلح لأمر، ونعته بأبشع الصفات للعداوة التي كانت بينه وبين جده باديس بن حبوس، فلا يمكن لحاكم مملكة واسعة مثل المرية و جهات عديدة ان يكون غبيا وجاهلا و ربيبا لغيره او تابعا لشخص آخر، حتى وان كان زهير يستمع لمشوره وزيره ويعمل بنصيحته فإنه لم يوسِّع مملكته الا بخبرة ودهاء وحنكة وتجربة اكتسبها مع الايام.

وعند قيام زهير بمهاجمة جيرانه الصنهاجيين في غرناطة كانت نهايته ونهاية وزيره ابن عباس المعدود من الكُتّاب وحملة الاقلام وذوي العلم[3]، وقد ذكر ابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة ان العداوة بين زهير وباديس بن حبوس بسبب مساعدة زهير لمحمد بن عبد الله زعيم زناتة في قرمونة [*]، وكان العداء مستحكما بين صنهاجة و زناتة حول رئاسة البربر، لذلك اعتبر بنو زيري موالاة زهير لمحمد بن عبد الله الزناتي تحديا لهم واصطفافا ضدهم، واعانة لعدوهم عليهم، فقد ارسل زهير المدد إلى قرمونة[4]، الأمر الذي اغضب الزيريين واشعل نار الفتنة بين الطرفين، والتي زاد من استعارها وزير زهير ومدبر دولته ابن عباس الذي كان يأمل في مهلك زهير والاستيلاء على المرية و ملكها، فقد ذكر احمد القيسي مُتقبِّل السكة في المرية ان الوزير ابن عباس كان فاسد الضمير على زهير ويضمر

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص- ص169، 172. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص216.

[2] – عبد الله الزيري، كتاب التبيان(مذكرات الأمير عبد الله)، تح: بروفسنال، دار المعارف، مصر، 1955، ص 34.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص- ص172 ،196.

[*] قرمونة: مدينة بالأندلس شرق اشبيلية، / الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 158.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، دار الثقافة بيروت، 1997، ص- ص 656، 663.

له الشر والهلاك لأنه يعتبر المرية دار ابائه واهلها صنائعه وجندها الى صفه "فهو يرى ان مهلكه تراثه ويحرص على زواله [1].

ودارت المعركة بين زهير واتباعه ضد بني زيري عام 429هـ/1038م، فانهزم شرّ هزيمة بعد التقاء العسكريين بالفنت خارج غرناطة و قتل جميع الصقالبة في عسكر المرية من الخصيان وخفي زهير عن العسكر، وقيل انّه قتل وجهل مصرعه[2].

وكان على مُقدِّمة الصقلب في جيش المرية هذيل الصقلبي الذي اندفع بالصقالبة في وجه صنهاجة لكنه اسِر وضربت رقبته، ومن ثم تبعثر هذا الجيش وتبدّد في كل جهة وجيش صنهاجة يركبون الجنود كل مركب لا يفرقون بين اندلسي ولا جندي ولا سوقي وابادوا عددا كبيرا. وقد كان في جنود زهير فرقة من السودان تقدر بخمسمائة رجل لكنهم غدروا به وانقلبوا ضده واستباحوا خزنته وامواله وانضموا الى صنهاجة بعدما ادخرهم زهير للنوائب والشدائد، وبعد المعركة غنم باديس بن حبوس غنائم كبيرة من مال وأسلحة وحلية وعدة وخيام وغلمان مالا يحاط به وصفا ولا يُقدّر بثمن، وأُسِر ايضا عدد كبيرا منهم العلماء كابن حزم وابن الباجي صاحب الرسائل وغيرهم فمن عليهم باديس واطلق سراحهم، واما الوزير ابن عباس فقد أسر هو الاخر واراد فكاك نفسه بأموال جليلة بذلها لباديس بن حبوس لكنه أبى عليه، وقرّر قتله رغم شفاعة ابو الحزم بن جهور كما اورد ذلك ابن حيان، وقام باديس رفقه اخيه بلقين وعلي ابن القروي من اصحابهما بقتل ابن عباس، ونقل ابن حيان ان عبد العزيز بن أبي عامر لما خلصت له المرية بعد مقتل زهير سعى على دم ابن عباس ودماء من معه من الأسرى اصحاب زهير خوفا من اطلاق سراحه وتكديره للمرية وإثارة الناس عليه، فأرسل

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص ص 660، 661.

[2] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص 35. ابن الخطيب، الاحاطة، ط 2، م 1، ص 520.

أبو الأحوص معن بن صمادح مبعوثا إلى باديس في هذا الأمر، فحينئذ قتل باديس ابن عباس بعد انصراف بن صمادح عنه[1].

بعد ان بلغ خبر مقتل زهير الصقلبي وانهزام جيشه في واقعة الفنت ضد بني زيري، قام أهل المرية بضبط بلدهم والقيام بأمورها وتدبير شؤونها، واسندوا الرياسة لشيخهم وكبيرهم أبو بكر بن الرميمي، ثم كاتبوا صاحب بلنسية عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر بن الحاجب المنصور الذي نجى قبل ذلك من المذبحة التي جرت عقب الفتنة وطالت الموالي العامريين ففرّ من قرطبة قاصدا سرقسطة، ثم دعاه أنصار ابيه وجده العامريين الى بلسنية وقلدوه رئاستهم عام 417هـ/1026م فجدّد ملك ابائه هناك واطاعه الناس[2]، ولُقِّب بأبي الحسن عبد العزيز[3]، كما اتّبع ادعاء بني عباد في مبايعة رجل مزعوم قيل انه هشام المؤيد[4] وفي هذه المكاتبة طلبوا منه ان يقدم عليهم ويتولى حكم المرية.[5]

كانت المرية مضبوطة وشؤونها قائمة بتدبير كبيرها ابو بكر بن الرميمي الذي سهر على حمايه العباد والبلاد عندما دخل عبد العزيز بن أبي عامر، و الذي حصل على اموال جليلة ممّا كان في خزائن العامريين[6]، فقد كان بيت المال مليئا بالذهب والدراهم والجواهر وغيرها، ونقل كل ذلك الى قاعدته بلنسية[7]. وبُعيْدَ ذلك وصل إلى عبد العزيز خبرا مفاده مهاجمة مجاهد العامري* صاحب دانية* لبلنسية مملكة ابن عامر، فقفل راجعا لاستصلاح

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق ، ق1، م2، ص–ص658، 667.

[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص–ص193، 195.

[3] ابن الآبار، الحلة السراء، ج2، 1985، ص 81.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان ، بروفسنال، ط3، ج3، ص 167.

[5] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 217.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان ، بروفسنال، ط3، ج3، ص 167.

[7] العذري، المصدر السابق، ص– ص84، 93. عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 77.

* مجاهد العامري: من الصقالبة العامريين استقل بدانية عام412هـ–1021م/ الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص278.

* دانية: مدينة شرق الاندلس على البحر كثيرة الفواكه/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص434.

مجاهد ودرأ خطره، وترك في المرية صهره و وزيره معن بن صمادح[1]، وقيل انه تركه وزيرا لابنه عبد الله بن عبد العزيز الذي استخلفه على المرية عام 430هـ/1038م[2]، لكن أبو الاحوص معن بن صمادح استولى على المرية واخذها لنفسه، وفي ذلك يقول ابن عذاري يصف معن في إعمالِه الحيلة للاستيلاء على المرية عندما تركه عبد العزيز بن أبي عامر واليا عليها من قبله أنه غدره، وخلع طاعته ونقض عهده و انتزى فيها، و دعا لنفسه وذلك في عام 433هـ/1041م، فملك مدينة المرية واعمالها وبقي حاكما لها الى غاية وفاته عام443هـ/1051م[3]. وقد دخلت كذلك في طاعته لورقة* و بياسة[4]، ومن ثَمَّ تبدأ مرحلة أخرى من تاريخ المرية تحت حكم بني صمادح.

ج- عصر بنو صمادح 433 هـ -484 هـ (1041م- 1091 م):

يعود أصل بنو صمادح الى قبيلة تجيب العربية، ويعرفون ببني صمادح التيجيبيون من قبيلة تجيب العربية[5]، و الذين استوطنوا اقليم أراغون* منذ الفتح الإسلامي ، وبدأ ظهورهم في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط 238هـ-273هـ/853م-886م عندما تولّى جدّهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح ناحية دورقة* شبه مستقل، واستعان به الأمير محمد بن عبد الرحمن للقضاء على بني قسي الذين كان لهم حكم سرقسطة بالثغر الأعلى شبه مستقلين كذلك منذ بديات الفتح، فكافأه أن أضاف إليه عمل قلعة أيوب*،

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 190.

[2] محمد احمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص 118.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق ، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص 167. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص737.

* لورقة: من بلاد تدمير، كثيرة الزرع والضرع/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 171.

[4] النويري، نهاية الإرب، ج23، ص274.

[5] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: محمد عبد السلام هارون، ص 429.

* أراغون: بلاد شمال اسبانيا تحتوي على بلاد ومنازل وأعمال/ الحميري، صفة جزية الأندلس، ص 12.

* دورقة: مدينة بالأندلس نواحي سرقسطة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص484..

* قلعة أيوب: مدينة في الأندلس قرب مدينة سالم حصينة كثيرة الخيرات/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص 163.

فصار عبد الرحمن بن صمادح يحكم من قلعة أيوب الى البرانس، واستفحل امره جدّا في عهد الامير عبد الله بن محمد 275هـ -300 هـ/888م-912م، فما كان من هذا الاخير إلّا أن كبح جموحه وكسر شوكته بابن عمّ له يُعرَف بمحمد الأنقر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله التجيبي، ومن ثم صار امر سرقسطة والثغر الاعلى الى هذا الفرع الآخر من التجيبيين واصبح هاشم بن محمد الانقر صاحب سرقسطة والثغر، وبقي لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بلدة وشقة*، فملكها وحصّنها وخلّف ابناءه عليها[1].

وقد اشتهرت وشقة التي لا تبعد كثيرا عن سرقسطة انها طيبة ومدينتها عظيمة وازلية قديمة "رائقة العمران واتقنت احسن اتقان"[2]. كما كانت وشقة كثيرة المساجد ولها نهر صغير يشقها يسمى نهر بانشة، كما تمتاز تربتها بالجودة والخصوبة و تقوم عليها بساتين الزيتون، وجنان تنتج الفاكهة الطيبة كالتفاح والكمثري والزعرور المأكول والمجفف، ونوع من الفاكهة ينمو هناك يسمى المُصَّعْ يشبه الزعرور ويختلف عنه في المذاق والحجم، ولوشقة حصون كثيرة وعامرة كحصن بيطرة شلج، وحصن عَبَّرَدَة، حصن نوبة و حصن ربرش، حصن يُلويُه، و حصن لبّانة، حصن بشير، حصن التان ومان[3].

وفي اواخر العهد الاموي نهاية القرن4هـ/10م كان يحكم وشقة أبو يحي محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن صمادح الذي جاء ذكره سابقا، وهو والد معن بن صمادح الذي اخذ المرية من عبد العزيز بن ابي عامر. وصار محمد بن صمادح صاحب وشقة وعاملها ايام هشام المؤيد[4]، وتولّى اعمالا للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر و قاد له جيوشا، فلقي منه

---

*وشقة: مدينة بالاندلس تبعد 50ميلا عن سرقسطة من شرقيها/ ابو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص93.

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص79.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 55

[3] نفسه، ص ص 55،56 . ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 337. ابن غالب، المصدر السابق، م1، 1955، ص287.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص 39.

رضىً وامتناناً فاكرمه واوطنه بلده[1]. وأظهر محمد بن صمادح ميزات وصفات كالنباهة والفطنة أيام حكمه لوشقة، ومع بداية الفتنة مطلع القرن 5هـ/11م التي عمت الأندلس تمكن من الوصول إلى سليمان المستعين الذي كان يحارب ابن عمه محمد المهدي، فأبقاه في حكم وشقة والتصرف في ناحيته كما كان سابقا و" ثنّى له الوزارة وأمضاه على عمله"[2]،

كانت علاقة محمد بن صمادح[*] ودية بادئ الأمر مع ابن عمه منذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة، ثم دبَّت العداوة والبغضاء بينهما بعد وفاة سليمان المستعين، ودخلا في حرب لفترة لكن محمد بن صمادح عجز عن الصمود والمطاولة لقوة منذر التجيبي، و كثرة عساكره فسلّم له البلد وفّر هاربا بنفسه[3]. واتجه إلى غير وجهة تاركا ما كان فيه من عزّ، ولم يدم ملكه على وشقة كغيره من الذين استبدوا في جهات الأندلس المختلفة و"كان اول من سقط من المنتزين والثوار"[4]. ولجأ بعد خروجه من وشقة بلده وبلد ابائه واجداده التجيبيين إلى بلسنية التي كانت تحت حكم أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر، الذي اكرم وفادته وضيَّفه في بلده وأسكنه وأوطنه في بلسنية ثم صاهر ابنيه أبو الأحوص معن بن محمد بن صمادح وابو عتبة صمادح بن محمد بن صمادح حيث زوجهما اختيه ابنتا عبد الرحمن بن ابي عامر. وبعد مدة في بلسنية رأى محمد بن صمادح أن يذهب الى المشرق لكنه مات في الطريق و هلك غريقا في البحر وكان اليَّم نهاية لمسيرته الطويلة[5].

وبقي معن بن محمد بن صمادح في بلسنية عند صهره عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر مُقدَّما بين رجاله الى وقت مقتل زهير العامري صاحب المرية في حربه مع بني زيري، حيث سطع نجمه وبدأ ظهوره السياسي في الأندلس، فهذه الحادثة فتحت الباب واسعا

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص167. ابن الأبار، الحلة السراء، ج2، ص 81.

[2] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 189.

[*] صمادح: تعني الشديد/ ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص45.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص 189.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق ، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص173.

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص 81.

امامه ليتولى دورا سياسيا كبيرا اذ قدَّمه صهره عبد العزيز بن ابي عامر ليقوم بشؤون المرية عندما خلصت له وصارت من أعماله، لكن معن بن صمادح أحسن ضبطها ثمّ استبد بها عام 433هـ/1041م وجعل نفسه ملكا عليها كغيره من ملوك الطوائف، واستمر في حكمها كما ذُكِر سابقا حتى وفاته عام 443هـ/1051م[1].

ويفهم من عدة نصوص تاريخية أنّ معن بن صمادح استولى على المرية عن دهاء ومكر إذ لم يتعب في تحصيلها ولم يحارب كما حارب غيره من الثوار بالأندلس فقد اخذها "دون تعب أو اجتهاد"[2]، بينما العذري المؤرخ الكبير في كتابه ترصيع الأخبار أوردِ نصّا عن تولية معن بن صمادح للمرية مغايرا لما جاء به مؤرخون آخرين كابن بسام و ابن عذاري و ابن الخطيب مفاده أنّ عبد العزيز بن أبي عامر ولّى معن بن صمادح على المرية، فكان واليا عليها مع اخيه أبو عتبة صمادح، ثمّ أرسل إلى أهلها يطلب منهم تعيين خواص منهم، فاجتمع رأي الناس على ذي الوزارتين معن بن صمادح، وأشركوا معهم في اختيارهم هذا صاحب غرناطة باديس بن حبوس الذي تعهّد بتقديم العون و المساعدة له[3].

ومن ناحية التسيير وادارة الدولة فقد اهتم معن بن صمادح بشؤون المرية التي استقرت احوالها، وعاش الناس في دعة وسكون وهدوء وأمن ورخاء، وكان يولي اهتماما كبيرا للعلوم والآداب[4] ودانت لأبي الاحوص معن بن صمادح زيادة على المرية لورقة وبياسة وجيان ومناطق أخرى شكّلت مملكة واسعة، واستمر في الحكم مدافعا عن ملكه الى غاية وفاته، و قد خلّف ميراثا كبيرا لبنيه من بعده[5].

---

[1] ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص81. ابن عذاري المصدر السابق ، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص167 وما يليها. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص190.

[2] ابن عذاري المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص192.

[3] العذري، المصدر السابق، ص84.

[4] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص 135 وما بعدها. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 104.

[5] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 190. ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 195.

وكان أبو الإحوص معن بن صمادح يُلقَّب بذي الوزارتين[1]، وهو لقب يطلق على من علا شأنه في السيف والقلم والقيادة والعلم. ويمدّنا العذري بصورة عن معن بن صمادح الذي تميّز بصفات كثيرة، فهو ينتمي الى بيت علم ورياسة، مع فضل وعلم وأدب وتأليف وغيرها من حميد الصفات وأحسنها جعلته محبوبا بين الرعية، فعمل على نشر العدل والانصاف، وسدّ باب الظلم والبغي، وغدت المرية في عهده نامية مزدهرة مأثورة على ما سواها من مدن الأندلس و"انتهى بالمرية في دولته الريع منتهاه، وأوثر بلده على بلد سواه للسيرة الجميلة والخصال المحمودة"[2] وهذا كلّه في مدة عشر سنوات التي قضاها في الحكم.

و رغم هذه الصفات الحسنة التي اتصف بها معن بن صمادح وطبعت شخصيته إلّا إن استيلاءه على المرية من صهره عبد العزيز لم تشفع له عند الكثير فقد اعتبروها خيانة وغدر وطعنة في الظهر، وهو فعل مستقبح لا يستصيغه الرجال والفحول، فقد وثب على المرية وغدر بصهره ابن أبي عامر" فلم يبقى في ملوك الطوائف بالأندلس احد الا ذمه على هذه الفعلة"[3] ويقول ابن عذاري يصف هذه الفعلة "فكان شرُّ خليفة اسْتُخلِف، لم يكد عبد العزيز يُواري وجهه عنه حتى خانه الأمانة"[4]، و يقول ابن الخطيب: " فكان شر مُستخلَف بدار ملك، فلم يكد يواري عبد العزيز وجهه حتى خانه الأمانة، وطرده عن الإمارة ونصب له الحرب، وفازت بها قِداحُه واستقر فيها ملكه"[5]، ونستنتج من ذلك أن معن بن صمادح إضافة الى غدره وخيانة صهره فانه عاداه وربما حاربه أو نصب له الحرب، كما يمكن ان نستنتج أن انفصاله عن عبد العزيز و بلنسية قد يكون في سنة 433هـ/1041م كما يمكن ان يكون بعد عودة العزيز بن ابي عامر الى قاعدته ومقرّ ملكه إثر حركة مجاهد العامري.

---

[1] ابن الخطيب، رقم الحلل في نَظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1317 هـ، ص49.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 84.

[3] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص 40.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص 174.

[5] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص190.

بعد عشر سنين على كرسي العرش توفِي معن بن صمادح، ويرث ابنه محمد السلطة في المرية، حيث حكمها مدة طويلة بلغت اربعين سنة كانت له فيها انجازات كبيرة، كما يعتبر أهم ملك حكم المرية في في فترة الطوائف، و محمد هذا هو بن معن بن محمد بن صمادح التجيبي الذي ولد سنة 429هـ/1037م[1].

و يعتبر العذري وهو قريب العهد بالمعتصم و المرية من القلائل أو الوحيد الذي أتى بنسبه كاملا فيذكره بأبي يحي محمد بن معن بن محمد بن صمادح بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة بن المهاجر بن نجوة بن شريح بن حرملة بن يزيد بن عبد ربه بن يزيد بن سعد بن عامر بن عدي وهو تجيب بن أشرس بن شبث بن السكون بن أشرس بن شيث بن كندة وهو ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أَدَد بن يزيد بن مَهْصَع بن عمرو بن عريب بن يشجن بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو -محمد بن معن- ذو الرياستين المعتصم بالله تولّى الحكم 446هـ[2]، حيث أخَّر ولايته وحكمه الى عام 446هـ/1054م اي بعد عام 443هـ/1051م، وهو التاريخ الذي ذكره عدد من المؤرخين. أمّا أمّه فهي بريهة بنت عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر وخاله عبد العزيز صاحب بلسنية، و زوجة المعتصم تكون ابنة حاكم دانية علي بن مجاهد العامري[3] وجدّه سابق الذكر ومشهور الصيت محمد بن صمادح الذي كان على وشقة وأعمالها امتاز بالدهاء والرأي السديد مع لسان وبيان، ورغم غلبة ابن عمه منذر بن يحي التجيبي عليه إلا أنه لم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في هذه الخلال في ذلك العصر[4].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص 192.

[2] العذري، المصدر السابق، ص ص 84، 85.

[3] ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص ص81، 82.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص ص 39، 40. العذري، المصدر السابق، ص 73.

ونشير أنّ بعض المؤرخين كذلك جاء بنسب المعتصم كابن الخطيب الذي ذكره بمحمد بن معن مع اختلاف في بعض الاسماء ويقول انهم يعرفون بتجيب نسبة إلى أمّهم[1]، ويقول ابن الأبار ان المعتصم هو محمد بن معن بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن صمادح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة وهو الداخل الى الأندلس[2]، ويذكر ابن دحية أنهم ينسبون الى امرأة تسمى تجيب بنت ثوبان من قبيلة مذحج[3]

وعلى هذا فإنّ محمد بن صمادح جمع النسب الشريف من عدة جهات، من جهة عائلته إذ كان والده و جدّه من أصحاب الرياسة والعلم والسؤدد والمكانة بين العائلات العربية والأندلسية، ومن جهة أخواله الحجاّب أواخر العهد الأموي بالأندلس لاسيما الحاجب المنصور صاحب الجولات والصولات، أو من جهة أصهاره أصحاب دانية، فصار بذلك المعتصم من الملوك الكبار في الأندلس في فتره ملوك الطوائف إبّان القرن5هـ/11م.

وكان المعتصم محمد بن معن صغير السنّ عندما تقلّد حكم المرية، فقد اخذت له البيعة في حياة والده معن بعد ان رفضها عمه ابو عتبة صمادح بن محمد وأبى قبولها، وحين وفاه ابيه بايعه بنو عمّه ورجال ابيه على السمع والطاعة واجلسوه كرسي الملك ولم يستكمل بعد سنّه الثامنة عشرة، وكان لقبه حين كان اميرا ووليا للعهد معزّ الدولة، ثم تلقّب بالقاب اخرى بعد توليه مملكة المرية يسمي نفسه المعتصم بالله والواثق بفضل الله وهما القاب العباسيين في المشرق، وفي ذلك متابعة لسائر ملوك الطوائف كعباد بن محمد صاحب إشبيلية لمّا تسمى بالمعتضد بالله والمنصور بفضل الله[4]، كما كان للمعتصم لقب اخر تسمّى به هو الرشيد[5].

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 189.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص78.

[3] ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: ابراهيم الأبياري وأخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955، ص34.

[4] ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص 81.

[5] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 190.

وامتاز المعتصم بن صمادح عن غيره من ملوك الطوائف باللين والأناة، بعيدا عن العنف وسفك الدماء، حليما عطوفا رقيق الجانب سهل العريكة و"كان حسن السيره في رعيته وجنده وقرابته، فانتظمت ايامه واتصلت دولته واستقامت اموره"[1]، ويصفه احمد بن عامر السالمي: " بأنّه –المعتصم– رحب الفناء، جزيل العطاء، حليما عن الدماء والدهماء، فطافت به الأمال واتسع فيه المقال، وأُعمِلت الى حضرته الرحال" و" لم يكن من فحولة ملوك الأندلس، بل اخلد الى الدعة، واكتفى بالضيق من السعة واقتصر على قصر يبنيه وعلق يقتنيه" وقال غيره: " كان المعتصم ساكن الطائر، مأمون الجانب، حصيف العقل، طاهرا، معنيا بالدين واقامة الشرع، يعقد مجالس المذاكرة ويجلس في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث، ولزم حضرته فحول من الشعراء كأبي عبد الله بن الحداد و فيه استفرغ شعره و كابن عبادة وابن ملك والأسعد بن بليطة وأبي العباس أحمد بن قاسم المُحدِّث، رغم اتصافه بكثرة الجبن وقلّة الجود، وعلى ذلك قصده العلماء والأدباء"[2]

ويقول الاديب ابي محمد بن مالك القرطبي عن المعتصم: " قسّم العدل بين البدو والحضر كقسمة الغيث بين النبت والشجر"[3] ويصف ابن خاقان اقبال الناس على المعتصم من كل جهة وناحية لكريم خصاله وجود في فعاله. وحسن العشرة والضيافة فيقول: "بعدما خامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق، وامَّهُم الناس من كل مكان سحيق، وانتجعوا انتجاع الانواء، واستطعموا في المحلّ واللأواء، صالوا بالدهر و سطَوا، و بين النهي والامر فيه خطوا"[4]، ويذكر ابن خلكان صفات المعتصم بقوله: "كان رحب الفناء جزل العطاء، حليما

---

[1] ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص82.

[2] نفسه، ص ص 82، 83.

[3] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 748.

[4] المقري، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، تح: سعيد احمد أعراب، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المحمدية، ج5، 198.، ص144.

عن الدماء، طافت به الأمال واتسع في مدحه المقال واعملت الى حضرته الرحال و لزمة جماعة من فحول الشعراء" [1].

ونقل ابن بسّام في الذخيرة عن ابن حيان- وكلاهما عاصر فترة الطوائف وشاهد الكثير من الاحداث ذلك الوقت- صفات عن المعتصم الذي اهتم بحياته الشخصية أيّما اهتمام، وتمرّغ في النعمة تمرّغا بما ورثه من اموال وذخائر، فالمرية كانت من أحسن المدن واثراها واطيبها مكانا ومستقرا. و كان المعتصم يقضي وقتا معتبرا في النزهات بين البحر والخضرة، ويستلذّ باطيب المآكل ويتنعّم بافخر الملابس " مستبدا بمال الفاه لا يتجاوز به شهواته ومآربه الى قضاء حق في جهاد عدو او سدّ ثغر"[2]. ويضيف ابن بسام انّ المعتصم لم يكن ملوك الطوائف الأشداء والعتاة الذين يبحثون عن التوسع والاستترادة في الاملاك والاراضي بل اقتصر على حياته وملذاته وكان " اخلد الى الدعة واكتفى بالضيق من السعة واقتصر على قصر يبنيه وعلق يقتنيه وميدان من اللذة يستولي عليه ويبرز فيه، غير انه كان رحب الفناء جزيل العطاء، حليما عن الدماء والدهماء..."[3]،

واذا تمعّنا في ما ذُكِر في الحلة السيراء لابن الابار نجد انّ المعتصم كان بخيلا وقليل الجود، بينما يذكره غيره بانه كان جوادا كريما ويده طليقة في العطاء. ولولا هذه الصفة المحمودة لما جاءه فحول الشعراء وكثير من الأدباء وغيرهم، وهذه الظاهرة اي انتجاع الشعراء عند الملوك والحكام كانت بسبب الصلات والاعطيات الكثيرة التي تجود بها خزائنهم عليهم، فيتبارزون في المدح ونظم القصائد للتقرب من الملوك فتعلو مراتبهم عندهم، ويحضون بالرعاية اللائقة والاهتمام المناسب.

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، م2، ص 40.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 731.

[3] نفسه، ص ص 733،732.

ومن جهة اخرى كان المعتصم شغوفا بالعلم والادب وصنوف الفن ، فيعقد المجالس العلمية لخواصه وحاشيته تشجيعا للحياة الفكرية والثقافية خاصة لما كبر المعتصم واشتد عوده ورجح عقله واتزن فكره و"أخذ نفسه بالانشغال بالعلوم ومكارم الاخلاق، فامتدّ صيته واشتد ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك" [1]. و اذا اخدنا بالاعتبار ما تحلّى به المعتصم من أحسن الصفات واخيرها واجملها، كالحلم و الكرم والجود والعطاء، والعقل والحصافة واللّب، وكرم الاخلاق و النفس وُحب العلوم والعلماء، والبعد عن العنف والدماء، فإن ذلك سَيَعود بالفائدة على البلاد والعباد حيث تعمّ الطمأنينة والامن في ربوع مملكته وبين الرعية.

وقد وصف الشعراء المعتصم بن صمادح باشعار كثيرة يمدحونها فيها ويعددون خصاله منهم الشاعر ابن الحداد، الذي نظم فيه اشعار كثيرة منها[2]:

لعلّك بالوادي المقدس شاطئ   فكالعنبر الهندي ما انا واطئ

وإنّي في ريّاك واجدٌ ريحهم   فرَوح الهوى بين الجوانح ناشئ

وقال فيه الشاعر عمر بن شهيد[3] :

لا عيش إلاّ حيث أنت وإنّمّا   تمضي ليالي العمر بعدك باطلا

لا عُطِّلت منك الحياة فإنّها   لولاك ما سرّت لبيبا عاقلا

ومدحه الشاعر ابن بلّيطة بشعر منه[4] :

أفي المجد تبغي لإبن معن مُناقِضا   ومن يوقِد المصباح في الشمس قد اخطأ

[1] النويري، نهاية الارب، ط1، ج23، ص 275.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص709.

[3] نفسه، ص686.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص43.

وفي الجانب السياسي فيما يخص علاقة المعتصم بجيرانه من ملوك الطوائف، فقد تراوحت بين الصفاء والكدر وبين الهدوء والتوتر اذ لم يكن ندّا قويا لغيره من الملوك، ولم يكن له طول نفس في الحروب، فنراه احيانا مستكينا خاملا واحيانا مؤججا لنار الحرب ومعاديا لغيره، وكانت بينه وبين الملوك الاخرين " فتون مبيرة، غلبوه عليها واخرجوه من سجيته مكرها اليها، ولم يكن مكانه منها بمكين ولا صبحه فيها بيمين"[1]. فقد اراد المعتصم اخذ احد الحصون لابن خاله عبد الملك بن عبد العزيز بن ابي عامر صاحب بلسنية، وقد دعمه في مسعاه ومبتغاه باديس بن حبوس صاحب غرناطة الذي كان يريد الفرقة بين الأندلسيين بحكم العصبية حسب ابن حيان، لكن لم يحقق المعتصم ما اراد وخاب رجاءه وخسر اموالا لاجل هذه الغاية، كما خسر سابقا في اخذ لورقة من خاله عبد العزيز بن ابي عامر[2].

كما دخل المعتصم بن صمادح في نزاع وخلاف مع جاره الزيري باديس بن حبوس. فقد طمع في أخذ غرناطة بتحريض من وزير غرناطة بن النغريلة الذي سيطر على مقاليد الحكم. وتبوأ مكانه لم يحصل عليها الكثير من المسلمين رغم كونه يهودي، فقد حرّض اليهودي ابن النغريلة عمّال كثير من حصون غرناطة أن يسلموها للمعتصم الذي بعث له أموالا جليلة، لكن اليهودي كان يضمر الشر للمعتصم ولباديس في نفس الوقت وفي نيته الاستفراد بالمعتصم وقتله بعد قتل باديس لكن اللعبة انكشفت، ورجع المعتصم خائبا مرة أخرى، وقُتل اليهودي ابن النغريلة ومعه أكثر من أربعة ألاف يهودي[3]، ويعود تاريخ هذه الحادثة بين465ه و469ه/1072م و1077م[4]، ويورد عبد الله الزيري حفيد باديس بن حبوس قصة هذا الخلاف بشكل من التفصيل– وعبد الله هذا كان اخر الحكام الزيريين في

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 733.

[2] نفسه، ق1، م2، ص 709، ابن عذاري، البيان المغرب، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص 174.

[3] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص–ص767، 769.

[4] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص231.

غرناطة في فترة الطوائف– حيث يقول ان العلاقة بين باديس بن حبوس جدّه وبني صمادح في المرية كانت بادئ الأمر جيدة و ودّية حيث ان باديس ساعد معن بن صمادح في حربه ضد عبد العزيز بن أبي عامر، وعضَده في رياسته وأثبته في ملكه بعد انفصاله بالمرية عن بلنسية واعانه فيما يحتاج و"صار ابو الاحوص بن صمادح طاعة له لا يروم شيئا من كل ما بالمرية إلا وصار اليه"[1]، وبالتالي فإن الزيريين اصبح لهم تأثير كبير على سياسة المرية وتوازنات المنطقة ككل، ولا شك انهم كانوا مدفوعين بحسابات ومصالح تضمن لهم الامن والاستقرار في مناطق نفوذهم .

وتوطدت العلاقة بين بني صمادح وبني زيري بشكل وثيق، حيث لمّا تولّى المعتصم بن صمادح اتصل بباديس يسأله حسن الجوار والود كما كان الحال مع والده معن ووعده ان يكون مطيعا منقادا له. واستمر الحال على ذلك وقتا و العلاقة لا يكدّرها شيئ حتى دخل الوزير اليهودي ابن الغريلة بين الطرفين وحرّض المعتصم ضد باديس، واطمعه في اخذ غرناطه فتحرك المعتصم بجيشه حتى وصل حصن قبريرة على مقربة من غرناطة مستوليا على اراضي للزيريين، وبعد فشل العملية العسكرية انتقم باديس من بني صمادح واستولي على واد آش واموال كثيرة كانت لرجال المعتصم بمساعدة ابن ذي النون صاحب طليطلة مقابل التنازل عن بسطة حينها لم يجد المعتصم ملجأ و مفرا إلا طلب العفو والتصالح على ما كانا عليه في سالف الأيام، وورث عبد الله الزيري حفيد باديس هذه العلاقة الطيبة المبنية على الهدنة والمصالحة، وضلاّ متعاقدين متشاركين "في الحلو والمر الى انصرام الأجل"[2].

كما كانت هناك عداوة بين المعتصم والمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الذي كان دائم البحث على التوسع على حساب جيرانه، فحاول النيل من بني صمادح و غزو المرية[3]،

---

[1] عبد الله الزيري، المصدر السابق ، ص ص 44، 45

[2] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص90. ابن عذاري، البيان، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص 266.

[3] الحميري، الروض المعطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص 288. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة السعادة، مصر، د ت، ص 85.

ففي اواخر عهد الطوائف ساءت العلاقة بين المعتصم والمعتمد رغم أن ظاهرها الاحترام المتبادل إذ لم يكن في ملوك الطوائف من يناوئه غيره، بحكم انتسابهما لأسرتين عريقتين في الاندلس جاها واصالة ومالا وماضيا في الوظائف والمناصب. فيذكر أنّ المعتصم أخذ يوغر صدر يوسف بن تاشفين ضد المعتمد ويقلل من شأنه، ويعمل على افساد العلاقة بينهما، وفي نفس الوقت يتقرب منه و يتودد له[1] خاصة بعد حصار حصن لبيط عام 481هـ/1088م الذي شارك فيه المعتصم رفقة غيره من ملوك الطوائف ولبس حينها البرنس تقرّبا من يوسف بن تاشفين وتشبّها بالمرابطين، فاستهجن المعتمد فعله وازدراه، حتّى أنه ضحك رفقة من كان معه من وزرائه[2]. وبعدها انشغل المعتمد بصراعه مع المعتصم عن دفع الجزية التي كان يؤديها لألفونسو السادس ملك قشتالة[3]، والتي ستكون من أسباب عزل ملوك الطوائف عن عروشهم وانقطاعهم من كراسيهم مع ما عُرف عنهم من تخاذل وتناحر فيما بينهم. وحين حانت ساعة الحسم وتأكد ملوك الطوائف من تغيّر نية يوسف بن تاشفين عليهم تمالأ المعتصم والمعتمد على المجاهرة بعصيان المرابطين والتمرد عليهم[4].

ونشير هنا أن المعتصم بن صمادح كان قد استقبل في المرية اخر الحموديين بمالقة وهو محمد المستعلي بن ادريس العالي بن يحي المعتلي بن علي بن حمود الذي لجأ الى المرية بعد ان استولى باديس بن حبوس على مالقة عام 447هـ/1054م وبقي خامل الذكر مدّة حتى استدعاه اهل مليلية عام 459هـ[5].

وفي جانب اخر فإنّ علاقة المعتصم بالمرابطين واتصاله بهم بدأت منذ دخولهم الى الاندلس لمساعدة الاندلسيين الذين كانت ممالكهم على وشك الانهيار وانتصارهم في معركة

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 121.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص ص 86، 87.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج4، ص 357.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 734.

[5] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 2003، ص ص 317، 318.

الزلاقة 479هـ/1084م على النصارى، فقد شارك المعتصم بجيش في هذه المعركة مع ملوك الطوائف، وقد امر يوسف بن تاشفين ان يكون الأندلسيون رفقه ابن عباد محلة واحدة، وجرت المعركة يوم الجمعة 11 رجب عام 479هـ/23 اكتوبر1086م وكان الظفر فيها للمسلمين[1]، وفي عام 481هـ/1088م حاصر المرابطون حصن لبيط من عمل ابن عباد والذي استولى عليه النصارى وشحنوه بالرجال والعدة، وحسب ابن ابي زرع فإن المعتصم بن صمادح لم يشارك في عملية الحصار[2]، بينما يذكر اخرون عكس ذلك حيث اكدوا حضوره ومساهمته مع غيره من الملوك[3].

وتوفي المعتصم بعد ذلك بمدة وجيزة في المرية والمرابطون يحاصرونها بين اهله وولده و "في سلطانه وبلده" و"مات وليس بينه وبين حلول الفاقرة إلاّ ايام يسيرة"[4] وقال شعرا عند رؤيته لجاريه له تبكي عند راسه و المرض غلب لسانه وبدنه[5] :

ترفّق بدمعــك لا تفنــه فبين يديك بكاء طويل

و اثناء الحصار سمع جلبة أصوات الخيل والرجال، فقال متوجعا ومتحسرا:" نُغِّص علينا كل شيء حتى الموت"[6]، ولم يلبث ان دخلت عليه جيوش لمتونة وهو يحتضر[7]، فكانت وفاته عند طلوع شمس يوم الخميس 22 ربيع الأول عام 484هـ/1091م، ودفن في تربة له عند باب الخوخة[8]، وبلغت مدة حكمه أربعون سنة كخاله عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بنلسية. وترك المعتصم أبناء منهم؛ أحمد معز الدولة الذي اختاره لولاية العهد من

---

[1] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 146، 149.

[2] نفسه، ص ص 151، 152.

[3] ابن بسام، المصدر السابق، ق 1، م2، ص 732. ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص86.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص ص733، 734.

[5] نفسه، ص732.

[6] ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص84.

[7] ابن عذاري، البيان المغرب، تح: كولان، بروفسنال، ط3، ج3، ص 168.

[8] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص44. وقيل توفي شهر ربيع الاخر عام484هـ؛ ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص191.

بعده، وأبو يحي رفيع الدولة، وأبو مروان عبيد الله عز الدولة[1] وابنة مشهورة بالأدب تسمى أم الكرام بنت المعتصم، وعلى عكس ابن الأبار وابن الخطيب فإن ابن سعيد المغربي يذكر أن ولي عهد المعتصم هو ابنه الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله الذي حل ببجاية* عند الحماديين بعيدا عن وطنه كما كنّى أحمد ابن المعتصم بأبي جعفر[2]، فربما يكون أحمد معز الدولة هو الواثق ابو محمد عبد الله عز الدولة الذي يذكره ابن الابار بأبي مروان عبيد الله عز الدولة أو هما شخصان مختلفان وإبنان للمعتصم.

بعد وفاة المعتصم خلفه ابنه أحمد معز الدولة، والذي يلقب أيضا بحسام الدولة[3]، وقد أوصاه والده المعتصم قبل وفاته أن يبقى متمسكا بالمرية ما دام ابن عباد باقيا في اشبيلية، فإن بلغه خبر سقوطه بأيدي المرابطين فعليه أن يخرج من بلده إلى جزائر بني مزغنة* حيث أوفد أحد رجال المرية المدعو أحمد بن عبد العزيز بن عيشون مبعوثا إلى المنصور بن الناصر يطلب منه استضافة أهله والمكوث عندهم[4] معولاً على العلاقة الودية والطيّبة التي جمعت بين الحماديين وبني صمادح والتي تعود الى ما قبل هذه الكائنة[5] وقد لبّى المنصور بن الناصر الحمادي طلبهم و أذن لهم بالقدوم[6].

لم يبق معز الدولة في الحكم سوى أشهر معدودة بعد وفاة أبيه، وركب البحر بأهله وولده في مراكب اعدها للهرب من قبضة المرابطين، واسلم المرية وتركها لهم في

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ، ص- ص 84، 92. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص192

* بجاية: مدينة على ساحل البحر بين المغرب وافريقيا، بناها الناصر بن علناس الحمادي حوالي457ه/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص339.

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص- ص200، 202. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص735.

[3] محفوظ مقيدش، المصدر السابق، ص429.

*الجزائر: مدينة على ساحل البحر بين بين المغرب وافريقيا تبتعد عن بجاية أربعة أيام/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص 132.

[4] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 191.

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص90.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بوفسنال، ط3، ج3، ص 168.

رمضان عام 484هـ/1091م وقصد بجاية قاعدة الحماديين عند المنصور بن ناصر الحمادي الذي تلقّاه بالرحب والسعة، وأنزله بتنس من الأعمال الغربية لبلاده[1]. ويقول ابن بسام في الذخيرة عن ابن المعتصم أنه لما بلغه خبر سقوط ابن عباد صاحب اشبيلية حمل ما قدر عليه متوجها نحو بلاد العدوة ميمّما وجهه عند الحماديين بأهله وولده، و"باع ذروة الملك بصهوة الفلك... وسُخِّر له البحر فنجا ولم يعقله شرَك ولا رجع عليه درَك"[2]، وقد خرج ابن المعتصم من وطنه دون أن يمسه سوء أو يناله مكروه بما قدر عليه حمله واستطاع رفده و قد "خلّى اهل المرية بيه وبين شأنه رعيا للذمام ومكافأة عن سالف أياديه الجسام"[3]، فآل صمادح كانت أياديهم بيضاء مع رعيتهم مقارنة بالملوك الآخرين، وقد سبق في ترجمة المعتصم بأنه كان بعيدا عن الدماء والهدم وامتاز باللين والحلم ولم يكن جبارا عنيدا فقد كان المعتصم يتصف بالورع والعدل ، وأولى عنايته للعلوم و المعارف كما ساهم فيها بنفسه قولا وفعلا[4]. وقد قال الشاعر والأديب أبي طالب عبد الجبار من جهة شقر* شعرا كثيرا في أصناف شتى منه في وصف ملوك الطوائف و خصّ بني صمادح ببيتين قال فيهما[5]:

و آل معن ملكوا المرية بسيرة محمودة مرضية

ذكرهم في غير مقاصد يشرق مثل النحر بالفريد

خرج عز الدولة- أو معز الدولة- من المرية تاركا عزه ومجده وحياته المترفة التي درج عليها في المرية موطنه وبلده الذي ألفه وعاش فيه مرحلة طويلة من عمره، فإذا به يجد نفسه في بلد آخر ووطن آخر بعيدا عن الأندلس في صورة مؤلمة وبئيسة، وقد وصف ابن

---

1 ابن الأبار، الحلة السراء، ج2، ص 90. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص191.

2 ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 735.

3 نفسه.

4 ابن سعيد المغربي، المصدر السابق ، ج2، ص ص196، 197.

* شقر: جزية بالأندلس قريبة من شاطبة، كثيرة الثمار/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص102.

5 ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص943.

بسام خروجه وفراره بقوله: " و اعتاض من مناسمة الروح والريحان بمزاحمة الشراع والسكان، ومن سماع نغم المزامير والأوتار بالتصامم عن تلك الأثباج والغمار"[1]، ويضيف ابن سعيد المغربي أن عز الدولة حلّ عند الحماديين مستوحشا في بلد غير بلده، وفي وحشته هذه قال شعرا منه[2]:

لك الحمد بعد الملك أصبح خاملا بأرض اغتراب لا أمُّر ولا أحلي

وقد أصدأتْ فيها الهوادة مُنصلي كما نسِيتْ ركض الجياد بها رجلي

ولا مسمعي يصغي لنغمة شاعر وكفِّي لا تمتدُّ يوما إلى بذل

وبقي ابن المعتصم فترة عند الحماديين و في ضيافتهم إلى أن مات[3]، أمّا الابن الآخر للمعتصم عبيد الله ابو مروان عز الدولة فقد لجأ إلى أحد المرابطين لذمّة بينهما وبقي لاهيا بحياته إلى حين وفاته بين آس وكأس، و قيل أنه حضر مع يحي بن أبي بكر اللمتوني في غزوته لطليطلة عام 505هـ/1111م ، و بالنسبة لابن المعتصم الآخر أبو يحي رفيع الدولة قيل أنه بقي الى آخر دولة المرابطين ، ودخل تلمسان وكان أثيرا ومقربا عند واليها إذاك ابو بكر بن مزدلي اللمتوني وذلك عام 539هـ/1144م عندما حاصرها الموحدون وقيل أن ابن أخيه أبو يحي بن عز الدولة كان معه[4].

د- عصر المرابطون 484هـ -542هـ /1091م- 1147م

تميزت فترة الطوائف بضعف المسلمين وتشتت قواهم بسبب التحاسد والتباعد والصراع على الأراضي والأملاك والانشغال بالملذات والشهوات، بينما كان العدو منهمكا في رصّ صفوفه وتوحيد جهوده حتى أن النصارى فرضوا الجزية على المسلمين الذين أدّوها وهم

---

[1] نفسه، ص 735.

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص ص200، 201.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص 192.

[4] ابن الأبار، الحلة السراء، ج2، ص 90

صاغرون، وانذلّوا بعد عز وتمكين[1]. وها هو الشاعر ابن رشيق الذي ولد بالمسيلة* –وكانت صنعة أبيه الصياغة وتعلمها منه– وانتقل إلى القيروان* ثم إلى مازر* بصقلية* اين عاش و مات هناك[2] ينظم شعرا يعطي لنا فيه صورة واقعية عن ملوك الطوائف تُبيِّن التناقض الكبير بين اسمائهم الرنانة وحقيقتهم البئيسة[3]، وممّا يعجب له المرء كيفية وصول هؤلاء الملوك الى السلطة و سُدّة الحكم دون أوّلية ولا جهد حتّى سادوا الناس واستعلوا عليهم، فيذكرهم ابن الخطيب بأصدق وصف في قوله:" ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب...اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار وجبوا العمالات والأمصار...ووقفت بأبوابهم العلماء وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين مجبوب وبربري مجلوب ومجند غير محبوب و غفل ليس في السراة بمحسوب... من معتمد ومعتضد ومرتضى وموفق..."[4]

انتهز ملوك النصارى حالة الأندلس والمسلمين الضعيفة و المتهالكة، فساموهم الخسف والجور و أمعنوا في أذيتهم، وكان يتزعم النصارى في ذلك الوقت ملك قشتالة* ألفونسو السادس الذي أذاق ملوك الطوائف شرا كبيرا وسقاهم علقما مُرّا، واهانهم أشدّ الاهانة وأذلهم إذلالا بطلب الضريبة الباهضة واقتطاع أراضيهم، وكان يشنّ عليهم الغارات المتواصلة، و يغزوهم الغزوات المتتالية، وكان يغير بجيوشه على المسلمين في كل وقت ومتى و أين يريد لا سيما على الأطراف والثغور و الجهات المتاخمة لمملكته، ومع ذلك واصل ملوك الطوائف حياتهم اللاهية والماجنة التي اعتادوها و ألفوها بين الغناء والخمور

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق ص144، ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 159.

* المسيلة: يقال لها المحمدية بإقليم الزاب/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 64.

* القيروان: مدينة عظيمة بأفريقية بناها عقبة بن نافع/ الحموي، المصدر السابق، م4، ص ص 420،421.

* مازر: مدينة بصقلية/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 40

* صقلية: جزيرة كبيرة في البحر مقابل افريقية/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص416.

[2] ابن خلكان،المصدر السابق م2، ص 85.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 144. المراكشي، المعجب، مطبعة الثقافة، المغرب، 1938، ص43.

[4] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 144.

* قشتالة: اقليم عظيم بالأندلس للفرنج/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 352.

والعربدة والفجور والصراع فيما بينهم" فبذلوا للفنش – الفونسو– ما يحبه من الأموال ليعينهم عن مناوئهم بأنجاد الرجال ...وهم من ذلك مشغولون بشرب الخمور واقتناء القيان وركوب المعاصي وسماع العيدان ... وزالت من النفوس الأنفة الاسلامية وصاروا للفنش عمالا يجبون له الأموال"[1].

و كان من ملوك الطوائف من يجثو على قدميه عند النصراني لإعانتهم ضد بعضهم البعض، أو خوفا من غاراته وهجماته وهو أي ألفونسو السادس يمدّ لهم الحبل ليشنقوا به أنفسهم، ويحفر لهم حفرا للوقوع فيها ويذكي نار الفتنة، ويغذي داء الأحقاد بين المسلمين، وقد جمع أموالا طائلة منهم صرفها في تكوين جيش قوي وتوحيد الصفوف رغم أن بلاده فقيرة وخيرها شحيح، وكانت نيته الإطاحة بملوك الطوائف ومحو آثار المسلمين من اسبانيا وساعده في ذلك توحيد قشتالة وليون وأشتوريس* وتمكنى حتى من الوصول إلى قادش* جنوب الأندلس[2]. وما هو إلا وقت وتمكن النصارى بقيادة ألفونسو السادس وبعد حصار من احتلال طليطلة عام 478هـ/1085م و" قضيت القضية وتُعجِّلت البلية بحصول طليطلة بأيدي النصارى"[3].

وكانت طليطلة بيد القادر بالله بن ذي النون سقطت يوم الثلاثاء مستهل صفر من العام المذكور، وفي سقوطها قال الشاعر أبو محمد عبد الله فرج بن غزلون اليحصبي المعروف بابن العسال الطليطلي شعرا حزينا ومرثيا[4]:

حثّوا مطاياكم يا أهل الأندلس   فما المقام بها إلاّ من الغلط

---

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص–ص68، 77.

* قشتالة، ليون، أشتوريس: من مدن النصارى بإسبانيا / البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن، أندري فيري، ج2، ص 912.

* قادس: مدينة وجزيرة بالأندلس بها مزارع كثيرة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 145.

[2] ستانلي ليون بول، قصة العرب في اسبانيا، تر: على الجارم، كلمات للترجة والنشر، القاهرة، ط1، 2014، ص 118.

[3] ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص 249.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص ص 27، 28.

السلك ينثر من أطرافه و أرى　　سلك الجزيرة منثورا من الوسط

من جاور الشّر لم يأمن عواقبه　　كيف الحياة مع الحيّات في سفط.

وجاء عند ابن بسام هذا الشعر باختلاف في الألفاظ:

حثوا مطاياكم عن أرض أندلس　　فما المقام بها إلا من الغلط.

فالثوب ينسل من أطرافه وأرى　　ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

و على كلّ فإن الفاجعة التي حلّت بالمسلمين كبيرة، والرزية عظيمة وصار الناس في هرج ومرج، وبلغت القلوب الحناجر كمدا وحسرة، واشتد بالمسلمين الألم والحسرة من هول الفاجعة.

وكان القادر بن ذي النون ضعيف الهمة والعزيمة، ودوما ما تعرض لضغط جيرانه المعتمد ابن عباد والمقتدر سليمان بن هود صاحب سرقسطة اللّذان أخذا منه أراضي ومدن كثيرة، كما كانت الرعية ضده فلم يجد ملجأ إلا الاستعانة بألفونسو السادس ملكه قشتالة ليطلب نصرته ضد اخوانه المسلمين وهو الذي يسعد كثيرا بإذكاء نار العداوة و الفتنة بين المسلمين، ثم بعد ذلك دخل المتوكل عمر بن الأفطس صاحب بطليوس إلى طليطلة عام 478هـ/1085م بمداخلة أهلها فهرب يحي القادر إلى احد الحصون بأموال وما قدر حمله واستصرخ ألفونسو السادس الذي أسرع لحصار طليطلة وقد طلب مقابل ذلك حصن سرية[*] وحصن قورية[*]، وشحنهما بالعدة والرجال وبعد حصار هرب ابن الأفطس من طليطلة وتركها لمصيرها بين يدي يحي القادر الذي سلم أموالا جمة وذخائر نفيسة للنصارى ثم خرج منها نهائيا وتسلمها ألفونسو السادس لغمة سائغة بعهود قطعها للمسلمين[1].

---

[*] سرية: لم نقف لها على تعريف.

[*] قورية: مدينة بالأندلس ناحية ماردة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4،، ص412.

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص- ص 79، 85.

وبعد طليطلة استولى ألفونسو السادس على كل أملاك يحي القادر بن ذي النون و" ذلك ثمانون منبرا سوى البنيان والقرى المعمورات وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة وفحص اللج وأعمال شنتمرية كلها"[1]. وجاءه الناس للتهنئة والمباركة ومنهم المسلمين الذين هنأوه على هذا النصر، وتقربوا إليه بالهدايا الثمينة والأموال الجليلة حتى أن حسام الدولة بن رزين صاحب شنتمرية[*] ذهب إلى ألفونسو بهدية فخمة فكافأه مقابل ذلك بقرد إمعانا في إذلاله وإذلال المسلمين معه، وكان ألفونسو السادس يحتقر ملوك الطوائف احتقارا كبيرا لوهنهم وضعفهم وسوء معاملتهم للرعية. وواصل النصارى اغارتهم على أراضي المسلمين حتى إنهم أغاروا على أرض المرية بثمانين فارسا[2]، وأما يحي القادر فقد استولى على بلسنية بمساعدة ألفونسو السادس تعويضا عن طليطلة[3]، وبقي فيها إلى ان دخلها المرابطون عام 485هـ/1091م وقتل في ذات الدخلة بأمر من القاضي ابن جحاف قتله أحد بني الحديدي وزير طليطلة السابق[4].

وفي حين كانت الاندلس ممزقة مضطربة والأندلسيون في ضعف شديد والرعب يمتلك قلوبهم كما أهلكتهم الصراعات وغرتهم الشهوات ولبسوا ملابس الذل والهوان و" إنما أهلهم التحاسد واختلاف الكلمة "[5]، كان في الجانب الآخر في بلاد المغرب دولة المرابطين القوية التي وحدت المغرب وملكوها واستقامت أيامهم وسمت أخبارهم واقروا الأمن والاستقرار في بلاد المغرب بعد اضطراب طويل، هاته الدولة المجاهدة قولا وفعلا علقت عليها الآمال لإنقاذ الاندلس الجريحة والمثقلة بالمآسي، و الواقعة تحت رحمة النصارى و زعيمهم ألفونسو السادس الذي كان يغري بين ملوك الطوائف ويوقع بينهم العداوة و البغضاء و الشحناء،

---

[1] نفسه، ص 87.

[*] شنتمرية: مدينة بالأندلس شرقي قرطبة بينهما80 فرسخا/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص366.

[2] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص– ص 87، 89.

[3] القلقشدني، المصدر السابق، ج5، ص 252.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص 182.

[5] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، ص 98.

ويعين أحدهم على الآخر ويستأصل أموالهم بالترغيب والترهيب ويفرض عليهم الجزية[1] وتمكّن بالحيلة والمكر ونكث العهود من احتلال طليطلة واسطة مدن الاندلس يوم الثلاثاء مستهل شهر صفر عام 478هـ/1085م [2]، و أحدث هذا العمل زلزالا عنيفا في الاندلس وغيرها و" وقع من ذلك في الأندلس رجة عظيمة وأشرب أهلها خوفا وقطع رجاء من استيطانهاص [3].

لكن الصلحاء والعقلاء من أهل الاندلس اجتمع أمرهم واتفقت كلمتهم على الاستنجاد بالمرابطين لينقذوهم من النصارى، وأرسلت الكتب وسيرت الوفود إلى يوسف بن تاشفين من الاندلس يطلبون مساعدته وعونه وتمسك الأندلسيون بأهدابه وتعلقوا بثيابه، " فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة 479هـ وبادر بنفسه وجماعته عجالا وتداركوها ركابا ورجالا ونفروا خفافا وثقالا"[4]، وجمع يوسف تاشفين جيشا عبر به إلى الأندلس وكانت قاعدة التجمع والاحتشاد بالنسبة للمسلمين هي الجزيرة الخضراء جنوب الأندلس أين تم الإعداد والتحضير لمعركة فاصلة، وعبر يوسف في جيش بلغ عشرة آلاف في آخر من عبر[5]، وقيل أنّه عبر في كتيبته الخضراء التي تبلغ أثني عشر ألف من صناديد الاجناد[6]، وقد ضم جيش المرابطين قبائل صنهاجة وعلى رأسهم لمتونة وقبائل المغرب من زناتة وغمارة والمصامدة، ولبّت القبائل دعوة ابن تاشفين للجهاد الأكبر من الصحراء والقبلة والزاب وكان الجيش في كثرة ممّا لا يحص[7].

---

[1] نفسه، ص–ص96، 98 .

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص 27.

[3] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص101.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص255.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص 29.

[6] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 90.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص– ص144، 149.

وعندما بلغت الأخبار إلى ألفونسو السادس بجواز المرابطين و احتشادهم جنوب الأندلس تحرك من عاصمته ومركز سلطانه إلى طليطلة التي احتلها قبل ذلك يقود أربعين ألف فارس[1]، و انضمَّت إليه جموع من قشتالة والروم[2]، كما استدعى ابن رذمير – ملك أراغون– الذي كان يضرب الحصار على طرطوشة، وأرسل إلى احد أبرز قواده المدعو ألبر هانس الذي كان محاصرا لبلنسية وبعث إلى النصارى يطلب منهم الدعم والحضور إلى جانبه فاجتمعت له جيوش كبيرة فقد جاءته الأمداد من قشتالة وجليقية* وبنبلونة* ، وقد جرت مراسلة بين ألفونسو السادس وبين يوسف ابن تاشفين يهدِّد فيها زعيم النصارى المرابطين، فأجابه ابن تاشفين بمراسلة تضمنت بيتا شعريا للمتنبي (ت 344هـ) ففيها الجواب الكافي والدواء الشافي حيث يقول[1]:

فلا كتب إلا المشرفية و القنا   ولا رسل إلاّ بالخميس العرمرم

ثم سارت كل طائفة إلى أحواز بطليوس أين جرت معركة محتدمة ولقاء دام في 11 رجب 479هـ/1086م صبر فيه المسلمون واجتهدوا للقضاء على عدوهم الشرس واظهروا صورا نادرة من البطولات وخبرة وكفاءة في تسيير مراحل المعركة لصالحهم، وابلى المرابطون والأندلسيون بلاء عظيما وتفانوا في التضحية بأنفسهم، وكان في ذلك اليوم ظهور للمعتمد ابن عباد وشجاعة[3]، و ذُكِر انّ المواجهة جرت في الزلاقة يوم الجمعة شهر رجب عام 479هـ/1086م وقيل شهر رمضان من ذات العام[4]، وعلى كلٍّ أفرزت المعركة عن فوز كاسح ونصر باهر للمسلمين على أعدائهم أثلج به صدور المسلمين و أقرّ عيونهم وشفى

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، م5، ص 29.

[2] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 92.

* جليقية: شمالي الاندلس/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص157.

* بنبلونة: شمال الأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 55.

[1]ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص91.

[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص– ص 147، 149.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، م2، ص 29.

غليلهم، وحقّق امانيهم بعد سنين عجاف وهوان طويل، وهبّت ريح النصر و ايّد الله عز وجل عباده المجاهدين الصابرين و" ركب المسلمين النصارى بالسيف ومات من جيشهم خلائق"[1] وقُتِل من النصارى دفعة واحدة نحو عشرة آلاف بين فارس وراجل عندما هاجم المرابطون معقلهم[2]، ويقول ابن دحية الكلبي:" وقتل فيها من شجعان النصارى ثلاثون ألف فارس ومن الرجالة ما لا يحصى وبعيدا أن يستقصى[3] وجُمِعت من رؤوسهم أكوام كالجبال[4]، وصوامع أَذَّن عليها المسلمون ثلاثة أيام[5].

واستبشر الناس بهذا الفتح المبين وأظهروا السرور والحبور في الأندلس وخارجها، و ارسلت الكتب بأخبار النصر إلى بلاد المغرب وأفريقية، و أخرج الناس الصدقات و أعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى على منه وفضله وتأييده لعباده المؤمنين الصابرين وسمي يوسف ابن تاشفين حينئذ بأمير المسلمين ولم يكن يدعى به قبل ذلك[6]، وكان له فضل كبير في هذا النصر فقد لبّى نداء اخوانه الأندلسيين واستدعى الناس لجهاد النصارى والدفاع عن بيضة المسلمين في الأندلس، وقد جمع به الله تعالى كلمة الاندلس بعد الفرقة والتنافر ورأب به صدع الشقاق والنفاق، فبيَّض به وجه المسلمين ويمَّن أيديهم وحفظ به وجوههم. وعن ناصر الدين أبي يعقوب يوسف تاشفين اللمتوني[7] يقول ابن بسام صاحب الذخيرة: « وجزى الله

---

[1] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص106.

[2] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 94.

[3] ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، تح: الأبياري وآخرون، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1955، ص 26.

[4] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ص148-149.

[5] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 95/ ibn abu zara, raoud elkartas(histoire des souvevains du maghrab , traduire a.beaunmier ;imprimerie impériale ,paris p p 106-110

[6] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص149.

[7] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم، محمد عزب، ص 87.

أمير المسلمين ناصر الدين أبا يعقوب بن تاشفين أفضل جزاء المحسنين بما بلّ به رماق ونفَّس من خناق ووصل هذه الجزيرة من حبل... حتى ثلّ عروش المشركين»[1]

وتعتبر معركة الزلاقة معركة كبيرة في التاريخ الاسلامي وتاريخ المرابطين والاندلسيين على السواء، فقد أنهت سنوات طويلة من خنوع المسلمين للنصارى، وقطعت حبل الخوف الذي تملَّكهم وسيطر عليهم حتى ظنّ مسلمو الاندلس أنهم لا يستطيعون غلبة النصارى خاصة بعد سقوط طليطلة، و أعاد نصر الزلاقة الأمل للمسلمين في البقاء بالاندلس والحفاظ على ميراث المسلمين، واستنشقوا بفضله نسيم الحياة مرة أخرى بعد يأس وقنوط، و أظهر لهم أهمية الاتحاد والتعاون بين المسلمين في تحقيق النصر على أعدائهم الذين استغلوا حالة الانقسام والتشرذم وعاثوا في بلاد المسلمين قتلا وسبيا ونهبا وتخريبا.

أما عن مشاركة المعتصم بن صمادح صاحب المرية في معركة الزلاقة فقد تباينت الأقوال فإبن أبي زرع فقد أكّد مشاركته في هذه الواقعة رفقة أمراء الطوائف بقيادة المعتمد بن عباد وبأمر من يوسف بن تاشفين وقد كانت محلة الاندلسيين تتقدم جيش المرابطين بقيادة داوود ابن عائشة المرابطي[2] بينما ينفي الامير عبد الله الزيري حاكم غرطانة حضور المعتصم بن صمادح مع أمراء الطوائف عندما دعاهم يوسف بن تاشفين إلى الاحتشاد والتجمع لمواجهة النصارى و " أبى عليه وبقي متربصا ليرى كيف الأمر ومخرجه مع الروم، واعتذر بكبر السن مع الضعف وارسل ابنه معتذرا"[3] كما اكتفى بارسال كتيبة من الفرسان [4].

عاد يوسف بن تاشفين إلى بلاده وعاد أمراء الطوائف إلى ممالكهم كما عاد ألفونسو السادس إلى عادة التحرش بالمسلمين والاغارة على اراضيهم، ولم تردعه هزيمة الزلاقة ولم

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ق4، م1، ص 169.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 146.

[3] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص 107.

[4] رينهارت دوزي، ملوك الطوائف، تر: كامل كيلاني، مطبعة عسى ألباني الحلبي، القاهرة، ط1، 1933، ص294.

تفتَّ في عضده فقد استجمع قواه لمواصلة خطته في القضاء على المسلمين وهاجم النصارى عدة مدن أندلسية كبلنسية ودانية وشاطبة ومرسية وتطيلة* والمرية[1].

اتخذ ألفونسو السادس حصن لييط الذي شحنه بالعدة والرجال منطلقا لمهاجمة المسلمين والإغارة عليهم خاصة على أراضي المعتمد ابن عباد الذي يعتبره سببا في جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس قبيل الزلاقة وما كان من ابن عباد إلا الاستنجاد مرة أخرى بالمرابطين، فجاز ابن تاشفين مرة أخرى عام 481هـ/1088م شهر ربيع الأول لحصار حصن لبيط وكان معه ابن عباد صاحب اشبيلية وأبو بكر ابن عبد العزيز صاحب مرسية[2] وجاء المعتصم ابن صمادح إلى الجيش الاسلامي من مرابطين وأندلسيين ليشارك في الحصار المضروب على الحصن ومعه فيل على غير العادة أصابه من الحصن قبس من نار فأحرقه[3]، وقد فشل الحصار بعد انتظار طويل وأقبل ألفونسو السادس بأمم من النصارى لحماية الحصن هناك قرر يوسف بن تاشفين رفع الحصار و الانسحاب نحو لورقة ثم المرية ثم عاد إلى بلاد المغرب وكلُّه غضب من أمراء الطوائف المتخاذلين[4] حيث رأى منهم التنافر والتخاصم والشحناء الكبيرة التي بينهم، وقد دبت العداوة بين ابن صمادح وابن عباد اللذان انفصلا على غير وفاق[5].

وفي عام 483هـ/1090م عبر الامير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مرة ثالثة قصد الجهاد و فيها حاصر طليطلة وخرب أحوازها كما قتل وسبى، و قفل راجعا وفي نفسه خنق وغيض على أمراء الطوائف الين خذلوه ولم يقدموا إليه حتى أن عبد الله بن بلكين الزيري

---

* تطيلة: مدينة في شمال الأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس،ص 64.

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص– ص 96، 101.

[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 152، 153.

[3] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص 109.

[4] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 153.

[5] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص113.

مال الى ألفونسو السادس وظاهره على المرابطين وأجزل له المال وأخذ في تحصين بلده[1]، لكن يوسف ابن تاشفين قرّر هذه المرة الإطاحة بأمراء الطوائف واستئصال شأفتهم وقطع دابرهم وتخليص العباد والبلاد منهم ومن هوانهم ومن تخاذله، فقد كانوا وصمة عار في جبين مسلمي الاندلس و كادوا يضيعون أملاك المسلمين لو استمروا في حكمهم. وكان عند ابن تاشفين الكثير من القرائن والدلائل التي تثبت عدم أهليتهم وجدارتهم في حكم بلاد المسلمين.

و أوّل أمير أطيح به في الأندلس هو عبد الله بن بلكين الزيري صاحب غرناطة وأخيه تميم صاحب مالقة اللذان أرسلا بأهلهما إلى مراكش، ثم صار القائد المرابطي سير بن أبي بكر مفوضا في الأندلس من قبل يوسف ابن تاشفين له الامر والنهي، و أخذ يرسل قُوادُه إلى استنزال أمراء الطوائف واحدا تلو الآخر، فأرسل القائد الشهير محمد ابن عائشة المرابطي إلى المرية فنزل بها وفر صاحبها معز الدولة بن صمادح إلى افريقيا بأمواله وأهله، وكتب محمد ابن عائشة إلى يوسف ابن تاشفين بالفتح[2]، وقيل أن المرية حوصرت برا وبحرا من طرف المرابطين بقيادة أبو زكرياء يحي بن واسنو حيث أمره يوسف بن تاشفين بأخذها واستنزال صاحبها بن صمادح والتضييق عليه " فطار به الحصار وتملكت حصونها وجهاتها فلم يبقى بيد المعتصم غيرها"[3].

ورغم حصانة المرية و قلعتها إلا أنها لم تقف أمام رغبة المرابطين في دخولها والسيطرة عليها، ولم يبق عند بني صمادح أجناد و"لا أنجاد من الرجال"[4]، واضطربت المدينة وضاقت بالناس الحال وهالهم الأمر وارعبهم، فالمرابطون أحكموا قبضتهم على جهات المدينة وشرع

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 153.

[2] نفسه، ص–ص155، 169.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص 191. ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص144. مجهول(منسوب لابن الخطيب)، الحلل الموشية، تص: البشير الفورتي، ص52.

[4] ابن خلكان،المصدر السابق، م7، ص 123.

سكان المرية في الفرار[1]، و أثناء الحصار توفي المعتصم بن صمادح قبل أن يستتزل من عرشه ومعاقبته كغيره من ملوك الطوائف في بلده وسلطانه وبين أهله وولده[2] وأثناء موته سمع جارية تبكي عند رأسه فقال لها بيتا من الشعر[3]:

ترفّق بدمعك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل

وكان ابن صمادح متهما عند المرابطين عبد الله الزيري ملك غرناطة وكان موسوما بالنفاق لعدم مشاركته في معركة الزلاقة وقد أصابه هم وغم وكمد لما سمع بنهاية بني زيري وإرسالهم إلى بلاد المغرب " واعتل لما رأى من هوله وسوء عاقبته"[4] غير أن المرابطين كانوا مهتمين بإزالة ملوك الطوائف والقضاء عليهم. و تمكنوا من دخول المرية أخيرا والاعلام تخفق فوق رؤوسهم والطبول تضرب بين ايديهم [5]، و قد أوصى المعتصم بن صمادح إبنه و ولّي عهده معز الدولة عندما يبلغه خبر سقوط ابن عباد و إشبيلية أن يخرج من الأندلس و يتجه إلى جزائر بني مزغنا عند الحمّاديين. وكان قد أوفد قبل ذلك أحمد بن عبد العزيز بن عيشون مبعوثا إلى المنصور بن الناصر بن علناس يطلب جواره ووفادته، فتلقّاه المنصور الحمادي بالرحب و السعة و خيره في أقطار بلاده، وقرّبه منه حتى صار كوَلديه محبة ومنزلة[6].

ولما تم قضاء الله تعالى في إبن عباد وانتهى به المآل إلى الأسر وسقوطه عن عرشه أسرع معز الدولة ابن المعتصم لتنفيذ وصية والده وامتثالها حيث أمر بعض رجاله بثقب

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص 191.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص 734.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان بروفسنال، ج3، ص 168. ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص 196.

[4] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص 167.

[5] رينهارت دوزي، المسلمون في الاندلس، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3، القاهرة، 1995، ص 156.

[6] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص191. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص105.

الصور خارج باب موسى* إلى دار الصنعة فركب مع خاصته في قطعة من القطع، وحمل ماله ومتاعه في قطعتين أخريتين وأمر بحرق باقي الأجفان* حتى لا تتم مطاردته واتباعه و يمّم وجهه جهة المغرب أين قضى باقي حياته وانقضت أيام بني صمادح[1]، وقيل أن معز الدّولة اختار بجاية مقاما له و لأهله[2] ولم يبق معز الدولة في كرسي العرش سوى مدة قصيرة تقدر بستة أشهر قبل خروجه من المرية[3]، و دام حكم بني صمادح في المرية خمسين سنة حتى سقطت بأيدي المرابطين وفي ذلك يقول ابن خاقان: "... إلى أن خوى كوكبهم وهوى مرقبهم فتفرقوا أيادي سبأ..."[4]. و يتفق ابن الخطيب وابن خلدون أن معز الدولة بن صمادح نزل تدلس* من اعمال بني حمّاد.

أصبحت المرية كباقي مدن الأندلس جزءا من الدولة المرابطية الكبيرة، وصارت ذات شأن وأهمية لا سيما في الجانب الاقتصادي من صناعة وزراعة وتجارة حيث تزود مدن الاندلس وخارجها بالخيرات والمنتوجات المختلفة وكان ميناؤها يعج بالمراكب الغادية والآتية محملة بالضائع والسلع إذ يذكر الإدريسي رخاؤها الاقتصادي بقوله:" ومدينة المرية كانت أيام الملثم مدينة الاسلام وكان بها من كل الصناعات كل غريبة" و " كان بها من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص" و" كانت تقصد إلى المرية مراكب البحر من الاسكندرية والشام"[5]

---

* باب موسى : من أبواب المرية

* الجفن: مركب حربي جمعه اجفان.

[1] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 192.

[2] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص105. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 404.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج3، ص 367. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 735.

[4] المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس، ج5، ص ص 141-143.

* تدلس: من اعمال بني حماد بالمغرب الاوسط.. ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية(أعمال الأعلام)، تح، مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص97.

[5] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص ص118، 119.

واهتم المرابطون بها كثيرا خاصة وأن ميناؤها ذو أهمية و شأن في الأندلس[1]، و جعلوا منها مركزا صناعيا وتجاريا وملاحيا[2] وقد تولّى المرية في عهد المرابطين تاشفين بن علي بن يوسف عام 522 هـ/1128م [3] وكذلك القائد المرابطي الكبير مزدلي ابن سلكان عام 505هـ/1111م مع قرطبة وغرناطة وهو ابن عمّ يوسف بن تاشفين[4]، و ايضا عمر ابن الإمام الذي كان له اهتمام بالثقافة وإقبال عليها[5].

وجعل المرابطون من المرية ومينائها قاعدة هامة من قواعد الأسطول المرابطي إذ كانت ترسو بالميناء معظم قطعة بقيادة أمير البحر محمد بن ميمون وعلى أتم تلبية الأوامر [6] وقد انتصر هذا القائد عدة انتصارات على النصارى واذاقهم مرارة الهزيمة وعلقمها مرات ومرات واذلهم أيم إذلال وقتل منهم وغنم وسبأ وبلغت انتصاراته إلى الديار النصرانية وإن بعدت واشعرهم بالخوف الشديد حتى امتنعوا عن سكنى الأرياف[7]. وفي بداياته كان القائد محمد بن ميمون من قواد اسطول ميروقة[*]، وقد ارسله مُبشَر الفتى ناصر الدولة صاحب ميروقة إلى المرابطين طلبا للنجدة عندما حاصرها أسطول بيزا وجنوة عام 508هـ/1114م، فنال إعجابا لدى علي ابن يوسف زعيم المرابطين[8]، وبعد ذلك اختاره لقيادة الأسطول نظرا لما لمسه فيه من خبرة وكفاءة وشجاعة، وجعل مقره في دار الصنعة بالمرية وقدمه على الأسطول وكلفه بحماية الجهة والأندلس، و أن يقف حاجزا أمام النصارى المتكالبين على

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص88.

[2] سراج الدين بن الوردي، عجائب البلدان، تح: محمود زناتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011، ص 32.

[3] ابن الخطيب، الاحاطة، تح: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، م1، ص 446. ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص 79

[4] مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ص189.

[5] الحسن السائح، الحضارة الاسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص56.

[6] حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة العلمية، القاهرة، 2008، ص 312.

[7] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص60.

[*] ميروقة جزيرة في البحر المتوسط قريبة من الأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 188.

[8] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص123.

بلاد المسلمين فقد كان خطرهم كبير واساطيلهم تصعد وتنزل في البحر تقطع السفر على المسلمين فأخذ ابن ميمون يجتهد ويجد في مواجهتهم وغزوهم ورفع راية الجهاد ضدهم و" استعد لذلك أحسن استعداد وعزم عليه أيّ عزيمة بحسن هدى وطريقة قويمة فأيده الله بنصره وقهر العدو أعظم القهر"[1]، و من هيبة و رهبة هذا القائد ميمون النقيبة انّ النصارى مُلِئت قلوبهم رعبا وخوفا منه [2].

و صار القائد أبو عبد الله محمد بن ميمون صاحب البحر من قادة المرابطين العظام ومقربا من علي بن يوسف ناصحا له، مدافعا عن حرمة المسلمين والإسلام، ولا يتبع وال ولا حاكم فنال بعمله وجهاده الذكر الحسن والخصوة والجاه والمال والمنزلة الرفيعة وكان علي ابن يوسف ينوِّه بمكانته ويشيد به، ويخاطبه في مراسلاته وكتبه بذي الوزارتين القائد النصيح المجاهد صاحب الأسطول، وذاعت شهرة ابن ميمون بين النصارى وبلغت أخباره حتى إلى القسطنطينية * و أرمينيا *، فخافوه خوفا عظيما حتى أرسل ملوك النصارى مبعوثيهم يطلبون موادعتهم للمرابطين، والقوا بأيديهم خاضعين إلى علي بن يوسف ناصر الدين مصرين على السلم والمهادنة مضطرين إلى ذلك ومصانعة بعدما لاقوا هزائم منكرة وظهور الملثمون بذلك أتمّ ظهور.[3]

ويذكر أن محمد ابن ميمون قد اتصل به تاشفين بن علي بن تاشفين عندما كان يحارب الموحدين في وهران، وطلب منه تحضير عشرة أجفان غزوية – نوع من المراكب– تكون بمرسى الحصن بوهران معدة وجاهزة لحادث يحدث عليه، وإذا لجأته الضرورة للجواز إلى

---

[1] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص60.

[2] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج3، ص 20.

* القسطنطينية: دار ملك الروم كانت تسمى بيزنطة تحيط بها المياه من الشمال والشرق/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص ص 347، 348.

* أرمينيا بلاد كبيرة في آسيا للروم/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص. ص 159-161.

[3] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص60.

الأندلس[1] لكنه توفي بعد سقوطه من جبل مرتفع في 27 رمضان عام 539هـ/1144م بعد سنتين من ولايته وحربه الدائمة مع الموحدين[2]، كما قام محمد ابن ميمون بنقل القائد المرابط أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن غانية والي بلنسية عام 539هـ/1144م إلى جزيرة ميروقة التي كان يتولاها والده محمد بن علي بن غانية وذلك بعد ظهور ثورات استقلالية عن الحكم المرابطي في الأندلس إثر اضطراب حبل الدولة المرابطية، فلجأ ابن غانية إلى شاطبة ثم إلى المرية ومنها نقل إلى ميروقة[3]

ومن ناحية اخرى احتوى ميناء المرية على قطع متنوعة من الأسطول الأندلسي وكانت دار صناعتها ذات قيمة في توفير ما تحتاج المراكب والأسطول ويذكر ابن غالب بقوله:" ... وبالمرية دار الصنعة وسورها على ضفة البحر، فقد استقرت فيها العدة والآلات للسفن ولما يقوم به الاسطول"[4]، كما يذكرها أبو محمد الرشاطي في قوله: " وهي الآن سنة 527 هـ أعمر دار في الدنيا متخذة لهذا الشأن فيها من الآلات البحرية والعدد الحربية ما لم تجمعه دار قط "[5] وقد ساعد ميناء المرية الهادئ والواسع في استيعاب عدد كبيرا من السفن والمراكب خاصة أنه مرسى صيفي يكن بشرقه وغربه[6] ومن ثَمّ تمكن المرابطون من السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط[7].

---

[1] مجهول(منسوب إلى ابن الخطيب)، الحلل الموشية ، تص: البشير الفورتي، ص 99.

[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 166.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) 510 هـ 546 هـ /1110م- 1151م، دار العرب الاسلامي، ط1، بيروت، ص ص، 84، 88.

[4] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج2، ص 283.

[5] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص60.

[6] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

[7] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص50. سلامة محمد سليمان االهرفي، المرجع السابق، ص ص 264، 265.

ومن أنواع السفن التي كانت ترسو بميناء المرية نجد الحراريق والأغربة والشواني والبطس والشلنديات والطرايد والعشاريات والمسطحات والقرافير[1]. والمرية في عهد المرابطين كانت إضافة إلى دورها العسكري كقاعدة حربية وثغر بحري مهم في حماية الأندلس، ومنطلقا لغزو الافرنج[2] مركزا تجاريا وقطبا اقتصاديا حيث تكفل الأسطول بحماية التجارة الدولية للأندلس، و حماية المراكب المحملة بالبضائع القادمة من جنوة وبيزا وقطلونية وارغون والخارجة بالبضائع بالمتاجر الأندلسية[3].

- فترة احتلال النصارى للمرية 542هـ-552هـ/1147م-1156م

استمر المرابطون في حكم الاندلس وتسير شؤونها كجزء مهم من دولتهم وواظب حكام المرابطين على الجهاد وحماية ثغور الأندلس والذود على حياض المسلمين بعقيدة سليمة وصحيحة عمادها الجهاد في سبيل الله تعالى ورفع راية الاسلام، وكان الامير يوسف ابن تاشفين الذي توفي عام 500هـ/1006م ثم ابنه علي بن يوسف الذي توفي عام 537هـ/1142م مهتمان بمُنازَلة النصارى و الجهاد والحرص عليه، وتسيير الجيش الواحد تلو الآخر إلى الأندلس[4]، ونشروا الأمن بعد خوف والهدوء بعد اضطراب، وقطعوا دابر النصارى وشرهم المتسلط على رقاب المسلمين لاسيما علي بن يوسف الذي كان عهده طويل واستمر حكمه للأندلس لسنوات مديدة حيث أعاد للأندلس معهود أمنها وسالف نظارة عيشها فكانت الأندلس في أيامها حرما أمنا[5]. وفي عهد علي ابن يوسف ظهر قادة مرابطين معدودين في الأنجاد والأبطال وذاع صيتهم كمحاربين أشداء وكمجاهدين أخيار منهم داوود

---

[1] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص 61. توفيق مزاري، المرجع السابق، ص ص 424، 425. عبد الفتاح عبادة، سفن الاسطول الاسلامي وأنواعها ومعداتها في الاسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1913، ص 06.

[2] العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار (اليمن والمغرب الاسلامي وقبائل العرب)، تح: حمزة أحمد عباس، المجتمع الثقافي للنشر أبو بضبي، سفر4، 2002، ص 239. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 239.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص-ص 144، 156.

[5] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عرب، ص 87.

ابن عائشة، و محمد ابن عائشة، محمد ابن الحاج، سير ابن أبي بكر، مزدلي بن سلكان، ابراهيم ابن تافلويت، وغيرهم من الأبطال وفي عهده أيضا كانت وقعة إقليش[1] عام 502هـ/1008م التي أذاق فيها المسلمون النصارى مرارة الهزيمة وقتلوا فيها سانشو ابن ألفونسو السادس ملك قشتالة ومعه ثلاثة وعشرون ألف نصراني[2].

وفي أواخر الدولة المرابطية بدأت موازين السلطة والحكم تختل شيئا فشيئا، واخذت تتجه نحو الضعف والانهيار بعد سنوات طويلة من القوة والصمود والتضحيات الجسام، ومن أكثر الأسباب تأثيرا على أوضاع الدولة المرابطية السياسية وعلى استقرارها ظهور الحركة المهدوية وبروز محمد بن تومرت المدعو بالمهدي كمحرض على الإطاحة والقضاء عليهم بعد عودته من المشرق حاملا أفكار مغايرة لأفكار المرابطين وكان ظهوره منذ عام 514هـ/1020م واشتدت حركته وصارت أكثر قوة وتأثيرا، وجمع حوله الأتباع والمؤيدين بعد ذلك ودخل في صراع مرير مع قوات المرابطين الذين عجزوا عن حماية الأندلس كما انهم اضاعوا جهدا كبيرا ووقتا معتبرا في حرب الخارجين اتباع المهدي بن تومرت، فضعفت أحوالهم واضاعوا بلاد كثيرة لصالح الموحدين[3].

في هذه الظروف الحرجة أخذ بعض الثائرين ينتزون بجهات الأندلس يريدون الاستقلال عن الحكم المرابطي كالثائر القاضي بن حمدين في قرطبة الذي ثار ضد المرابطين عام 539هـ [4] وطردوا عمال المرابطين واستبد كل منهم في ضبط بلده[5]، فاستغل الموحدون الذين سيطروا على معظم بلاد المغرب الفرصة وارسلوا مقدِّميهم لأخذ البيعة والحلول محل المرابطين في حكم الأندلس كما بلاد المغرب منذ عام 539 هـ(1145م) [6]

---

[1] اقليش: أو اقليج من نواحي طليطلة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 237.

[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص–ص، 157، 165.

[3] نفسه ، ص 171.

[4] نفسه.

[5] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 177.

[6] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 188، 189.

وقدموا على المرية عبد الله بن سليمان لكنه قتل على يد رجال القطائع –البحر– عندما خرج إلى برشانة* لمحاربة الثائر ابن مقدام[1]، ثم وقع اختيار أهل المرية على قائد البحر محمد بن ميمون ليتولى حكم المرية بصفته قائدا محنكا وذو دراية كبيرة، لكنه أبى عليهم ورفض عرضهم متحججا بكونه صاحب بحر وعلمه على الأسطول للدفاع عن ثغور الأندلس ونصحهم باختيار شخص آخر لتولي المسؤولية ووقع الاختيار على عبد الله بن محمد المعروف بابن الرميمي ولم يزل بالمرية متوليا أمور أهلها حتى غزته جيوش النصارى برا وبحرا[2] ويعرف بابن يحي الرميمي[3].

هجمت جيوش النصارى القادمة من قشتالة واراغون وقطلونية ونبارة واشتوريس يقودها ألفونسو السابع ملك قشتالة على المرية بعد حصار دام ثلاثة أشهر[4]، ودخلوها من البر والبحر[5] واحتلوها عنوة يوم جمعة عام 542هـ/1147م وأحصِي من سبي أبكارها أربعة عشر ألف بكر[6]، وغنم النصارى مغانم كبيرة وذخائر كثيرة فالمرية كانت مركزا تجاريا مهما وقطبا اقتصاديا فلا شك أن يجد بها النصارى هذه الأموال والنفائس[7]، وفيها قتل العالم الرشاطي[8] ، وكان الإمام الحافظ عبد الرحمن بن حبيش عالم المرية موجودا في قلعتها فاطلق سراحه ملك النصارى[9]، ومن أفاعيل النصارى القبيحة كعادتهم أنهم لما دخلوا المرية

* برشانة حصن من أعمال المرية/ الحميري، صفة بلاد الأندلس ، ص 42.

[1] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1972، ص 88.

[2] المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم عزب، ص 178

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص 198.

[4] عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار العلم، دمشق، ط2، ص 446.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119.

[6] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، م3، ص–ص 461، 463.

[7] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 114.

[8] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ط2، ص 446.

[9] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م4، ص463.

في جمادى الأولى عام 542هـ أكثروا فيها القتل والنهب[1]، وبعدها أخذوا كما ذكر الإدريسي في تغيير محاسنها فخربوا عمرانها وهدموا مشيد بنيانها ولم يبقوا على شيء[2].

وقد ركّز النصارى هجومهم على المرية إذ هاجموها عام 540 هـ/1145م بثمانين جفنا وأحرقوا أرضها ثم أقلعوا عنها[3]، ثم أرادوا احتلالها بأي ثمن لأنهم كانوا يدركون أهميتها الحربية بحكم موقعها الاستراتيجي بإعتبارها مركزا متقدما لحماية شرق الأندلس، وكانوا على يقين بدور الأسطول الأندلسي وقطعه العديد في صد هجمات النصارى انطلاقا من ميناء المرية، حيث في تلك الأوقات كان رجال البحر المسلمين يخرجون من المرية للإغارة على شواطئ جليقية واشتوريس وبرشلونة وشواطئ فرنسا وايطاليا الجنوبية، وكانت غاراتهم أحيانا تصل إلى الشواطئ البيزنطية. فصمّم ألفونسو السابع خاصة مع جنوة على احتلال المرية والقضاء على أسطولها، و أرسل أسقف أسترقة في مهمة لأمير برشلونة الكونت ريموند برنجيز وإلى الكونت غيوم أمير مونبلييه يدعوهما للمشاركة في هذا الغزو والحملة البحرية، كما منح ألفونسو السابع جنوة وبيزا ثلاثين ألف قطعة ذهبية لتجهيز السفن الحربية وتمّ تحديد بداية شهر أوت من عام 1147 م الذي يوافق شهر ربيع الأول عام 542 هـ موعدا للهجوم على المرية التي كان يتولاها ابن الرميمي بعد نقض بيعة الموحدين وقتل واليها الموحدي[4] يوسف بن مخلوف الذي كان من أصحاب عبد المؤمن بن علي[5]. وقد جاء سابقا أن مقدم الموحدين على المرية كان عبد الله ابن سليمان كما ورد عند البيذق والذي قتل على يد رجال القطائع من المرية فربما قام الموحدون بتعيين وال آخر هو يوسف ابن مخلوف بعد مقتل ابن سليمان وحاصل القول أن المرية شهدت هدوء نسبيا بعيدا عن اضطرابات الاندلس ولم تتورط في احداثها حتى فاجأتها أساطيل النصارى من جنوة وبيزا وبرشلونة ومونبولييه

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج9، ص 152. النويري: نهاية الارب، ج24، ص 165.

[2] شكيب أرسلان،المرجع السابق، ج1، ص 119.

[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 262.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 113، 114.

[5] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص 198.

وحوصرت بحرا وبرا، ونفذت الأقوات وما يحتاجه الناس من مواد ومؤن وتأخرت المساعدة وفقد السكان الامل في وصول النجدات لإنقاذ المدينة فاضطروا إلى التسليم[1] لألفونسو السابع ـ السليطين ـ ملك قشتالة وليون[2].

وجاء عند يوسف أشباخ أن الجنويين هم من أرسلوا مبعوثين إلى ألفونسو السابع للتباحث في كيفية ردع رجال البحر في المرية وايقافهم عن مهاجمة شواطئ النصارى في اسبانبا وجليقية واشترووبس وبرشلونة والبرتغال وشاطئ فرنسا و ايطاليا الجنوبية ثم أرسل ألفونسو السابع المدعو أرنولد أسقف أسترقه إلى كونت برشلونة وكونت مونبولييه يدعوهما للاشتراك في الحملة على المرية ومنذ شهر ماي 1147م (542هـ) بدأ الاستعداد للحملة المزمع انطلاقها بداية شهر أوت في نفس العام وحشد ألفونسو السابع قواته في قلعقة رباح* وأقام استعراضا عسكريا بمختلف فرقه المكوَّنة من قشتالة وجليقية وارغون ونفارة –نبرة– وقطلونية بقيادة أمراء أو قادة كبار من النصارى وانطلقت القوات نحو المرية بفرسانها ورجّالتها، وفي طريقهم كانت تخرِّب الحقول وتسوق الماشية وفي نفس الوقت انطلقت القوات البحرية، وضُرب حصار خانق على المرية من جهة البر بقيادة ألفونسو السابع ومن البحر إلتقت قوات جنوة وبيزا وبرشلونة ومونبولييه فاستمر من أوت إلى شهر أكتوبر عام 1147م، وبدأت المؤن تنفذ من المرية وكان المسلمون يخرجون مرارا لمقابلة النصارى، وفقدوا في ذلك خيرة الفرسان حتى نقصت أعدادهم واضطروا لمفاوضة النصارى ثم سلموا المدينة إلى أفونسو السابع[3]، واقتسم حكام النصارى الغنائم التي حصلوها من المرية، ونال الجنويون أوفر قدر ومعهم البيزيون ونال الكونت ريموند حاكم قطلونية الأسرى [4].

---

[1] عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 114.

[2] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 249.

* قلعة رباح: بين قرطبة وطليطلة مدينة حسنة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 163.

[3] يوسف أشباخ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج1، 1996، ص– ص 223، 235.

[4] نفسه ، ص 253.

بعد احتلال النصارى للمرية فعلوا فيها الأفعال القبيحة من قتل و أَسْر وإذلال لأهلها وتخريب لبنيانها، ثمّ اتخذوها قاعدة لتهديد الشواطئ والبحرية الاسلامية بين المغرب الأوسط وجنوبي الأندلس واستغلوا موقعها الاستراتيجي لشن هجماتهم المتكررة الأمر الذي دفع بالموحدين للعمل على استرجاعها من ايديهم حتى يأمنوا عاديتهم وغوائلهم ويضمنوا حماية دولتهم في الأندلس واستقرارها[1].

هـ- عصر الموحدين 552هـ-625هـ /1156م-1226م

ورث الموحدون املاك المرابطين ومن بينها الاندلس التي كانت مظطربة وحالتها سيئة، فارسلوا جيشا لفتح مدنها يبلغ عدده عشرة آلاف من الموحدين بقيادة بدران بن محمد المسوفي من أتباع تاشفين بن علي المرابطي، ثم بعثوا جيوش أخرى منها بقيادة موسى بن سعيد وبقيادة عمر بن صالح الصنهاجي ففتحوا شريش* ولبلة* و شلب* و باجة* وبطليوس في شهر شعبان من عام 541هـ/1146م[2]، ثم جاءت وفود أهل الأندلس عام 545هـ/1150م إلى عبد المؤمن بن علي لمبايعته والتسليم عليه ثم عرض حوائجهم ومطالبهم [3].

أما المرية التي كانت تحت الاحتلال النصراني منذ 542هـ/1147م فقد وضعها الموحدون في حسابهم وقروا استرجاعها لأهميتها الاستراتيجية كثغر مهم في شرق الأندلس، ففي عام 546هـ/1151م كانت المحاولة الأولى لتحريرها حيث انطلق جيش موحدي بقيادة الشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني وعبر إلى الاندلس ولحق به السيد أبو سعيد عثمان

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 118.

* شريش: من كور شذونة بالأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 102.

* لبلة: مدينة غرب الاندلس/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 168.

* شلب: من بلاد الأندلس في غربها / الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 106.

* باجة: مدينة قديمة بالاندلس نزلها جند مصر / الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 36.

[2] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص ص، 104، 105.

[3] نفسه، ص ص، 106،107.

بن أمير المؤمنين برسم الجهاد ونزل الجيش على المرية وضرب عليها الحصار وقام أبو سعيد بن عبد المؤمن بتسوير محلته، و اراد النصارى الذين كانوا بالمرية الاستعانة بألفونسو السابع ومعه محمد بن مردنيش المتعاون معه لكن لم يجد ذلك نفعا ورجع ملك النصارى ومعه ابن مردنيش خاليي الوفاض يجران خيبة الفشل، وبقي الموحدون محاصرين لمدينة المرية مدة من الزمن[1] وكانوا قد وصلوا إلى مينائها وأحرقوا سفنا وأجفانا كانت راسية بها[2].

وورد في مجموع رسائل موحدية أن أسطولا انطلق في مهمة انقاذ المرية واسترجاعها تحت قيادة أبي محمد عبد الله بن سليمان ومعه أصحابه بنيّة الغزو والجهاد وعندما وصلوا إلى ميناء المرية وجدوا النصارى على شخاتيرهم[*] مستعدين بالعدة والسلاح، وابتدر الموحدون بقطع حبال مراكب النصارى الذين دافعوا هربا وفرارا إلى داخل المدينة، فأتبعهم الموحدون بالضرب والقتل، واستأصلوا بالقتل كل ما أدركوا ولحقوا[3]، و غنموا ما أمكنهم غنمه وأضرموا النار في باقي المراكب التي لم يسعفهم الحال في جلبها معهم بعدما أخذوا معهم ما قدروا عليه من أغربة وشخاتير.

وقد جاءت أحداث هذه الواقعة وحيثياتها في رسالة أنشأها الكاتب أبي جعفر بن عطية بأمر من عبد المؤمن بن علي إلى طلبة سبتة يعلمهم فيها بهذا النصر[4]، وتدل هذه التفاصيل على اهمية المرية كقاعدة بحرية و احتوائها على عدد كبير من انواع السفن الحربية، فهاهم النصارى بدورهم يستفيدون من مينائها بالمراكب والسفن والعدة للاغارة والهجوم على بلاد المسلمين.

---

[1] نفسه، ص139.

[2] صالح بن قربة، عبد المومن بن علي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985، ص47.

[*] شخاتير: مفرده شختير وهو نوع من المراكب.

[3] مجهول، مجموع رسائل موحدية، اع: ليفي بروفسنال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ج10، 1941، ص ص 11، 12.

[4] نفسه، ص 12.

وبقي وضع المرية على حاله من حصار الموحدين لها حتى تمكنوا من دخولها و الاستحواذ على المدينة والقصبة عام 552هـ/1156م[1] بعد أن استتبّت لهم الأمور في غرناطة التي استعصت عليهم قبل ذلك، فتلقى واليها السيد أبو سعيد عثمان امرا من والده عبد المؤمن بمحاصرة المرية واستعادتها، وقد دعّمه بأخيه السيد أبو حفص ثم بعث اليه عبد المؤمن بن علي بمدد من الموحدين كان فيها ابنه يوسف بن عبد المومن والي اشبيلية والكاتب أبو جعفر بن عطية وضرب الحصار على المرية سبعة أشهر والموحدون يقاتلون النصارى والمسلمين المتعاونين معهم داخلا وخارجا وفي الأخير تمكن الموحدون من اخراج النصارى من المرية بعهد وأمان[2].

ويورد ابن ابي زرع تفاصيل حصار واسترجاع المرية حيث يعيد حصارها الأول إلى عام 546هـ/1151م عندما جاء الموحدون بقيادة الشيخ أبو حفص ومعه أبو سعيد عثمان اللذان ضيقا على المرية الخناق ولم تفلح جهود ألفونسو السابع ومعه محمد بن مردينش في استنقاذ النصارى وتخليصهم، ولزم ابو سعيد عثمان الحصار حتى فتحها واستنزل النصارى صلحا بالأمان على يد الوزير الكاتب أحمد بن عطية أبو جعفر[3] دون أن يعطي تاريخا واضحا لخروج النصارى بالتحديد كما يرجع دخول غرناطة في طاعة الموحدين إلى عام 551هـ/1156م[4]، كما يؤكد النويري أن الموحدين دخلوا المرية عام 552هـ/1156م وتم استرجاعها بعهد للنصارى[5]، ويذكر ابن الأثير أبا سعيد عثمان الذي كان متمركزا بغرناطة التي انطلق منها إلى المرية وحاصرها برا وبحرا بعد أن جاءه الأسطول من سبتة وبنى سورا إلى البحر من الجبل المطل على المرية، وضيق الخناق على النصارى حتى طلبوا الأمان

---

[1] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 47.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدية المرية الاسلامية، ص- ص 95، 97.

[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص193، 194.

[4] نفسه، ص 196.

[5] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 170.

من الموحدين[1]، وممّا ساعد في نجاح الموحدون هو حبهم للجهاد و تميّزهم بدراية واسعة في فنون الحرب والحصار وبتنوع الأسلحة وكثرتها [2] .

كما جرت عليه العادة ومرة اخرى فقد كتبت رسالة حول فتح الموحدين للمرية أنشأها الكاتب أبو عقيل عطية بن عطية إلى طلبة و اشياخ بجاية بأمر من عبد المؤمن بن على يبشرهم بفتح المرية وانهزام النصارى و العزيمة القوية التي تحلى بها الموحدون بردّ كيد الاعداء ومداومة الجهاد لاسترجاع المرية التي لها مكانة خاصة في بلاد الأندلس، وكان عبد المؤمن بن علي حريصا وعازما على استرداد المرية من قبضة النصارى لانها حلقة بين الجهات الشرقية والغربية، و رابطة بين البلاد البرية و البحرية[3] كما كان متأكدا من أهمية المرية الاستراتيجية ودورها في حماية السواحل الأندلسية والدفاع عن بلاد المسلمين في الأندلس وحتى في المغرب، فوجود النصارى بها يعتبر خنجرا في خاصرة المسلمين وتهديدا مستمرا للدولة الاسلامية، ومن الخطأ ترك النصارى يمرحون ويتجولون في المنطقة و يبيّتُون المكائد للمسلمين، ثم توالت جيوش الموحدين من نواحي عدة و أحدقت بالمرية من جهاتها وكانت الغلبة أخيرا للمسلمين فنصرهم الله تعالى وايدهم، و أذرعوا قتلا في النصارى بالمدينة والقلعة وبدَّل خوف تلك المدينة حرسها الله أمانا وكفرها إيمانا[4] بعد عشرة سنوات عجاف من احتلال النصارى لها فقد أبدلوا محاسنها وغيروا معالمها وجثموا على صدور أهلها، وقد علم

---

[1] ابن الأثير، الكامل، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج9، ص 242.

[2] عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي (تنظيماتهم ونظمهم)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص– ص 244، 246.

[3] مجهول، مجموع رسائل موحدية، ص ص 73، 74.

[4] نفسه، ص 77.

أبو سعيد عثمان بقلة النصارى في قلعة المرية بعد أن أخبره أهل برجة* بذلك فجمع الأجناد وحاصر المرية واستنزل من كان بها من نصارى على العهد والأمان[1].

وقد أبدى الموحدون اهتماما أيضا بالمرية كسابقيهم بنو صمادح خاصة في عهد المعتصم الذي أنشأ مرافق عديدة كالقصور والمتنزهات، و أبدى اهتماما بالمراكب والسفن الراسية بالميناء[2] و المرابطين التي ازدهرت في عهدهم المرية وصارت ذا شأن ومكانة ودور اقتصادي كبير في الأندلس، وصارت المرية كما يقول الادريسي أيام المُلثَّم مدينة الإسلام[3] ،حيث قاموا بترميم بعض المرافق كالمسجد الجامع الذي به زخارف موحدية والقلعة والاسوار و ربض الحوض ، و الملاحظ أن المرية حافظت مع بداية القرن7هـ/13م على دورها التجاري باعتبار مينائها نقطة تعامل تجاري هام مع الدول النصرانية، إذ كانت تصل إليه سفن أراغون والجمهوريات الايطالية ومناطق أخرى محملة بالبضائع والسلع، ثم تصدُر بالمنتوجات الاندلسية. و الملاحظ أن هذا الاهتمام بالمرية تناقص عما سبقه فقد غير النصارى من محاسنها ومشيد بنيانها ولم تستطع استعادته بريقها السابق وازدهارها المعهود في حين صارت اشبيلية المدينة المفضلة والهامة في الأندلس عند الموحدين، فأخذت اهتمامهم و علت مكانتها على غيرها من المدن الأندلسية[4].

حتّى و إن طرأ تفاوت وتباين بين مدن الاندلس من حيث القيمة والأهمية في العهد الموحدي إلا أن الموحدين أبدوا اهتماما ومتابعة لشؤون الاندلس وتصريف امورها[5] خاصة

---

* برجة: مدينة بالأندلس من أعمال المرية/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 374.

[1] ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م1، ص 265. ابن عذاري، البيان، تح: محمد ابراهمي الكتاني وآخرون، ص 56. النويري، نهاية الارب، ج24، ص170.

[2] ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1989، ص 179.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ص 97-98.

[5] ابن الأثير، الكامل، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج9، ص 299.

في عهد الخلفاء الأوائل عبد المؤمن بن علي الذي دخلت الأندلس في عهده [1] وابنه يوسف أبو يعقوب بن عبد المؤمن الذي ظهر في عهده ثوار كابن مردنيش وابراهيم بن همشك أو ابن الرنك[2] ويعتبر ثالثهم أبو يوسف يعقوب أشهرهم فقد ساس الناس أحسن سياسة ورفع راية الجهاد واهتم بثغور الأندلس، فشحنها بالعدة والرجال ورتب المقاتلة في سائر بلاد الاندلس[3].

و اهتم الموحدون بشكل كبير بتكوين أسطول قوي وبناء أنواع من السفن الحربية فعبد المؤمن بن علي بعد جمع المغارب الثلاث والاندلس في دولة واحدة عزم على الجهاد وغزو النصارى برا وبحرا وأمر في سنة 557هـ/1162م ببناء المراكب والسفن في جميع سواحل دولته، فتم تجهيز أربعمائة قطعة منها ثمانون أنشأت بدور الصناعة الاندلسية[4]. ولا شك أن دار الصناعة بالمرية بحكم مكانتها لها نصيب في بناء السفن والمراكب.

واشتهر من قادة الأسطول الموحدي أفراد من عائلة ابن ميمون الذين كان لهم شأن أيام المرابطين و سُمِّي القادة البحريون بصاحب امارة البحر[5]، ويمكن الجزم أن المرية حافظت على أهميتها العسكرية كقاعدة بحرية للأسطول الأندلسي واحتواء مينائها على قطع متنوعة كالشوانئ و الطرائد و الشلدنيات و المسطحات و الحراريق و الزوارق و الأجفان[6].

وقد تولّى حكم المرية في عهد الموحدين عدد من الولاة كالرئيس أبو العباس أحمد بن كمال المشهور بالجود وحسن المعاملة والرفق، ونجد في بداية القرن 7هـ/13م الأمير أبو عمران بن ابي حفص[7]، و أبو عبد الله محمد بن صقلاب ومن بعده ابنه أبو بكر يزيد بن محمد

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 188 وما بعدها.

[2] ابن خلدون، العبر، تح: أبو صهيب الكرمي، ص ص1675، 1676.

[3] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص 180.

[4] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص 128.

[5] عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي ، ص 270، ص217.

[6] نفسه ، ص 268. مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص18.

[7] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، م4، ص 464.

بن صقلاب[1]، وقد ذكر ابن سعيد المغربي أن أبا بكر يزيد بن محمد بن صقلاب له ادب واسع، وكان ممتع الحديث والأشعار[2].

سيطر الموحدون على الاندلس منذ دخولهم إلى بداية القرن7ه/13م سيطرة شبه تامة وفرضوا أنفسهم كالعادة على الأندلس وحققوا انتصارات كان لها صدى كبير فاسترجعوا المرية وبياسة وابذة*وبطليوس في عهد عبد المؤمن بن علي 528ه –558ه كما كان ابنه يوسف بن عبد المؤمن 558– 580ه/1162م–1184م محبا للجهاد على نهج أبيه فغزا بنفسه و واظب عليه، و جيَّش الجيوش واستشهد في غزوة شنترين* عام 580ه (1184م) وسلك من بعدهما الخليفة يعقوب بن يوسف 580ه 595ه /1184م–1198 م طريق والده وجده في حب الجهاد والاستعداد له والمواظبة عليه وفي عهده كانت واقعة الإراك* عام 591ه–1195م التي ضاهت معركة الزلاقة في قيمتها وأهميتها في حروب المسلمين ضد النصارى[3].

و في بداية القرن 7هـ/13م بدأت أحوال الدولة الموحدية تسوء والوهن يتغلغل في مفاصلها، فالحروب المتواصلة خاصة ضد النصارى في الاندلس قد استنزفت قواهم وأخذت من وقتهم الكثير، كما أن ثورة بنوغانية * ارهقتهم كثيرا واستمرت لوقت طويل و استولى يحي بن علي بن غانية على أراضي واسعة في بلاد المغرب في بداية عهد محمد الناصر بن المنصور595ه–610ه/ 1199م–1213م، وتلقى بعدها الموحدون ضربة موجعة ومؤلمة

---

[1] ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص 179.

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 207.

* أبذة: مدينة بالأندلس قرب النهر الكبير/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 15.

* شنترين: مدينة بالأندلس في غربها جهة باجة/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص113.

* الإرك: حصن يقع قرب قلعة رباح بالأندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس ، ص ص 12،13.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 202، 228.

* بنوغانية: يرجعون الى أبيهم أبو إبراهيم إسحاق بن حمو بن علي من المرابطين ابنه علي بن إسحاق يعرف بابن غانية الصنهاجي وغانية أمه، كان صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة، ترك أربعة أبناء منهم يحي بن علي بن غانية الذي توفي عام 633ه/ 1236م استولى على أراضي كثيرة في بلاد المغرب / ابن خلكان، المصدر السابق، م7، ص18.

عام 609هـ /1212م في معركة حصن العقاب* اين انهزموا هزيمة منكرة على يد النصارى بقيادة الفونسو الثامن ملك قشتالة، وراح الالاف من الموحدين والمطوعة قتلى وصرعى على ايدي النصارى الذين اعملوا فيهم السيف وقتلوهم شر قتلة تحذوهم روح صليبية زاد في تأجيجها القساوسة والرهبان، وكانت هذه المعركة قاصمة الظهر للموحدين اضعفتهم بشدة ونالت من هيبتهم وقوتهم، وتوالت الهزائم على الموحدين في الاندلس واستحوذ النصارى على أراضي كثيرة من بلاد المسلمين[1]، كما ظهر منتزون جدد يريدون الاستقلال بأقطارهم، واقتطاع أجزاء من الدولة الموحدية وتكوين دول جديدة [2] .

و بُعيْد هذه الضربة القاصمة حكَم الدولة الموحدية الخليفة يوسف المستنصر 610هـ-620هـ/1213-1222م و الذي لم تكن له دراية وكفاية سياسية، فوكَّل أمور الدولة للوزراء واشياخ الموحدين فظهر بينهم التنافس والتحاسد والسعايات وتولى الضعاف من العمال والموظفين المناصب والوظائف فضاعت هيبة الدولة [3]. و أول من بدأ بالاستقلال شيئا فشيئا عن الموحدين والاستبداد بحكم إقليم هم بنو حفص* الذين استبدوا بإفريقيا منذ عام 602هـ 1206م[4]، وظهر بنو مرين الزناتيين* منذ عام 610هـ/1212م وهزموا الموحدين هزيمة منكرة عام 613هـ/1215م [5].

ومن جهة اخرى ظهر صراع مرير حول الحكم داخل البيت الموحدي خاصة بعد وفاة يوسف المستنصر عام 620هـ/1222م حيث بايع الموحدون عبد الواحد المخلوع بن يوسف

---

* حصن العقاب: بين جيان وقلعة رباح في الاندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس،ص137.

[1] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص-ص232، 241.

[2] ابن خلدون، العبر، تح: أبو صهيب الكرمي، ص1006.

[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 281.

* بنو حفص: يعود نسبهم الى عمر بن يحي بن محمد الهنتاني ابو حفص، جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس من قبيلة هنتانة من المصامدة، كان مواليا للمهدي بن تومرت ولعبد المؤمن بن علي/ الزركلي، المرجع السابق ،ج 5، ص69.

[4] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص246.

* بنو مرين: ينتسبون الى عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة بن محمد المريني 542هـ- 614هـ (1147م،1217م)، مؤسس الدولة المرينية في المغرب الأقصى من قبيلة زناتة البربرية/الزركلي،الاعلام(قاموس التراجم) ،ج3،ص282.

[5] ابن ابي زرع، روض القرطاس،ص ص 271،272.

بن عبد المؤمن أواخر عام 620هـ/1222م، ثم خرج عليه عبد الله العادل بن يعقوب المنصور في صفر 621هـ/1223م، ثم خرج عبد الله البياسي بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن على العادل عام 621هـ/1223م، واستنصر بالنصارى مقابل التنازل عن ثغور إسلامية وهو اول من سَنّ هذه السنة القبيحة والتي لم يفعلها قبله احد من الموحدين، ثم خرج ادريس المأمون اخو العادل عام 624هـ/1227م على أخيه، ثم بويع ليحي بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور في شوال 624هـ/1227م وحارب جيوش المأمون الذي استقوى بالنصارى ضد ابن أخيه يحي، واغتنم اشياخ الموحدين ضعف الحكام واخذوا يلعبون بهم يبايعون هذا ويقتلون ذاك وفي عام 630هـ/1232م بويع للرشيد ابن المأمون [1].

و شهدت الاندلس كذلك اضطرابات وفوضي اثر الصراع بين الموحدين بعد وفاة يوسف المستنصر عام 620هـ/1222م[2]، وبدورهم هؤلاء المنتزون في الاندلس استعانوا بالنصارى لتحقيق غاياتهم والثمن كان التنازل عن مدن وحصون المسلمين[3]، وكان كبير الثوار في الاندلس محمد بن يوسف بن هود الجزامي توفي عام 635هـ/1238م، وكان من الاجناد بسرقسطة[4]، يعود نسبه الى بني هود حكام سرقسطة في فترة الطوائف، بدأ خروجه على الموحدين جهة اوريولة*، عندما رأى حالهم البائسة و حال الاندلس المتردية فاستغل الوضع وثار عام 626هـ/1228م[5]، و قيل انّه ثار عام 625هـ/1227م كما تسمّى بأمير المؤمنين[6]، و ذُكِر انّه خرج في حصن الصخور على نهر مرسية، حيث حدَّث نفسه بحكم الاندلس وملكها، فجمع حوله قُطَّاع طرق وذُعَّار الشعاري والضياع، ثم اعلن خروجه على

[1] نفسه، ص– ص213، 254.

[2] نفسه، ص243.

[3] ابن خلدون،العبر، تح:أبو صهيب الكرمي، ص 1007.

[4] الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص ص 149، 150.

* اوريولة: مدينة قديمة من اعمال تدمير ذات بساتين/ ياقوت الحصوي، المصدر السابق، م1، ص 280.

[5] ابن خلدون، العبر، تح: أبو صهيب الكرمي ص– ص 1006، 1008.

[6] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 275،274.

الموحدين[1]، و سيطر على مدن عدة كمرسية وبايعه أهل شاطبة*، وجزيرة شقر*، وجيان وقرطبة واشبيلية، كما اتصل بالخليفة العباسي المستنصر* يبايعه ويعلن الدخول في طاعته، اثرها اوفد الخليفة مبعوثه أبو علي الحسن بن علي الكردلي بالعهد والراية والخلع ولقبه بالمتوكِّل في عام 631هـ/1234م[2]، وقد دخل ابن هود المنتزي في حروب مع اخرين خاصة مع محمد بن يوسف بن نصر ـ ابن الأحمر ـ الذي تلقب بأمير المسلمين[3] .

وفيما يخص المرية فقد دخلت في طاعة ابن هود الذي ولّى عليها أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرميمي، وكان يدعوه بذي الوزارتين[4]، وقام ابن الرميمي بالدعوة لإبن هود في المرية والاستكانة لحكمه[5]، ويذكر ابن سعيد المغربي ان ابن الرميمي اسمه محمد ابن أبي عبد الله بن أبي يحي بن الرميمي قد خطب لابن هود بالطاعة والاذعان ثم غدر به في المرية ومنها فرّ الى تونس [6]، بعدما قتله عام 635هـ/1238م [7]، وقد هرب ابن الرميمي في أحد الاجفان التي أعدها لهذا الغرض وقام بحرق باقي الاجفان[8].

وهكذا مرّت المرية بعهود طويلة ومتباينة تحت حكم بنو أمية ثم الصقالبة العامريين لفترة وجيزة، وبعدهم بنو صمادح في فترة الطوائف و في عهدهم ازدهرت المرية كثيرا، ثم جاء المرابطون والموحدون من بلاد المغرب الى الاندلس وضمّوها الى دولتيهم تواليا، ودخلت المرية تحت حكمهم لينتهي موضوع الدراسة بدخول المرية في حكم ابن هود الذي

---

[1] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 118.

* شاطبة: مدينة شرقي الاندلس كبيرة وقديمة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م 3، ص 309.

* جزيرة شقر، شرق الاندلس ذات شجر وماء / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 354.

* المستنصر: خليفة العباسيين توفي عام 640هـ 1243م/ الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 214.

[2] ابن خلدون، العبر، اع : أبو صهيب الكرمي، ص 1008.

[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 274.

[4] ابن خلدون، العبر، تح: أبو صهيب الكرمي، ص ص 1007، 1008.

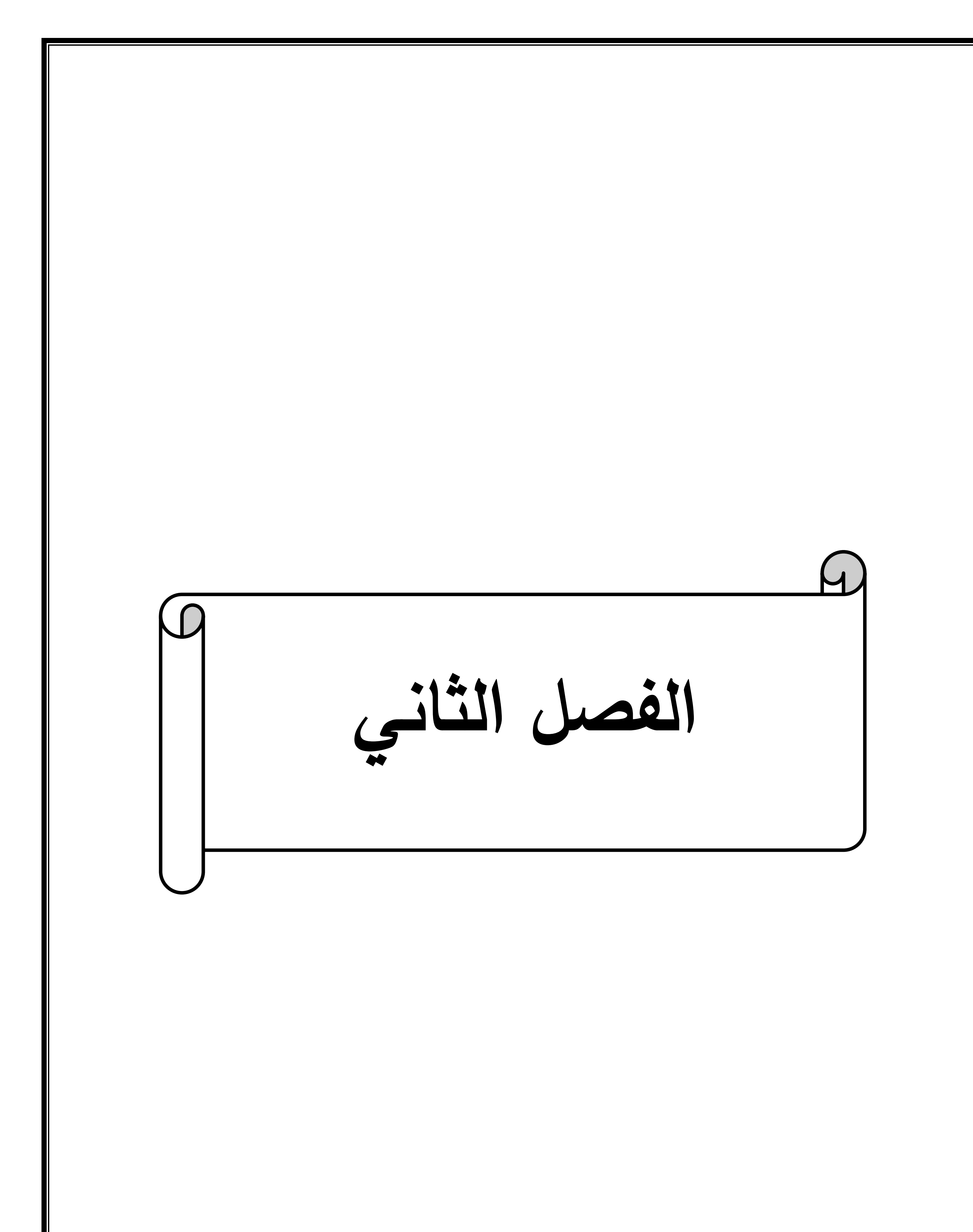
[5] ابن عذاري، المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص ص 274، 288. ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م2، ص129.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 199.

[7] ابن الخطيب، الإحاطة، ط2، م2، ص 132.

[8] نفسه، تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ص 286.

ثار على الموحدين بالأندلس، وخلال هذه الفترات او المراحل التاريخية عرفت المرية ازدهارا وانكماشا وشهدت احداث كثيرة، وعاش سكانها أوضاعا سياسية و اجتماعية واقتصادية متباينة من فترة الى أخرى.



الفصل الثاني

الفصل الثاني: المرية: العمران والمجتمع

1- أعمال المرية وعمرانها.

أ- أعمال المرية.

ب- عمران المرية.

2 - مجتمع المرية .

أ- عناصر المجتمع.

ب- فئات المجتمع.

3- المدينة و السكان.

أ- المدينة.

ب- السكان.

تعتبر المرية مدينة من مدن الأندلس المهمة استراتيجيا واقتصاديا، ونالت مكانة وحضوة عند كل سلطنة حاكمة منذ تأسيسها في النصف الأول من القرن 4ه/10م إلى بدايات القرن 7ه/13م، وإقليم المرية كان يتكون من المرية المدينة وهي مركز الإقليم وقاعدة الحكم وكرسي السلطة، يُضاف إليها أعمال تابعة تتراوح بين المدن الصغيرة والقرى والحصون تنتشر بالقرب منها وحواليها، اما عمران المرية فقد تطور مع الوقت وازدياد سكانها والوافدين اليها لمختلف الاغراض.

1- أعمال المرية وعمرانها:

وقبل تأسيس المرية عام 344ه/955م وأيضا بجانة كان الإقليم تابعا للبيرة[*]، بحيث ذكر ابن غالب أن البيرة كان لها أعمال منها بجانة ومدينة المرية وهي باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق[1]، والبيرة أرض طيبة ذات سقيا ومياه جارية ولها من المعادن الكثير كالذهب والفضة والرصاص والنحاس[2]، ويضيف أحمد بن محمد بن موسى الرازي أن البيرة تمتاز بالثمار والمعادن المختلفة[3].

وفي أواخر القرن 3ه/9م كان ظهور بجانة في جنوب شرق الاندلس قريبا من البحر ثم توافد الناس إليها وعمرت وتبحّر عمرانها واتسع فصارت هي قاعدة الجهة والإقليم " وبها كان الجامع الأعظم ومجتمع السلطان"[4] ولها توابع وأعمال كالمرية وبرجة وغيرها[5]، ويذكر

---

[*]البيرة: أو لبيرة كورة كبيرة بالأندلس أرضها كثيرة الأنهار وبها عدة مدن كغرناطة/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص ص 344، 345.

[1] إبن غالب، المصدر السابق، م1، ص 283.

[2] نفسه.

[3] ابن الخطيب، الاحاطة، ط1، م1، ص 98.

[4] العذري، المصدر السابق، ص 92. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص 460.

[5] محفوظ مقديش، المصدر السابق، ص 162.

الإدريسي أن إقليم بجانة من اقاليم الأندلس له من المدن المرية وبرجة وحصون كثيرة[1]، بينما نجد العذري يضيف بجانة ومدن أخرى كدلاية وبرجة إلى إقليم البيرة[2].

وعلى هذا الأساس فإن المرية في بداية تأسيسها كانت من اعمال بجانة التي كانت مركزا للجهة وللإقليم، وبدورها كانت بجانة إقليما من أعمال البيرة، وبمرور الوقت تطورت المرية منذ تأسيسها عام 344هـ/955م، في العمران والاقتصاد وفي عدد السكان حتى هيمنت على مدن الإقليم وصارت هي وقاعدة السلطة ومقر الحكام.

أ- أعمال المرية:

أصبحت المرية على قدر من التطور والازدهار ولها أعمال وتوابع عدة تختلف بين المدن المتوسطة والصغيرة والقرى والحصون أي جمعت بين المراكز الحضرية والريفية، التي اعتبرت خزانا لأمرية ومزودا لاقتصادها ورافدا لتجارتها، وكانت الخيرات والموارد تصل منها إلى المرية في كل وقت وحين، وهناك جملة من مشهور الأعمال التابعة للمرية لعلّ أشهرها بجانة وبرجة ودلاية.

أ-1 بجانة:

بجانة مدينة جليلة مشهورة بُنِيت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط 238هـ-273هـ/852م-883م مكان قرية قديمة على سهل منبسط شمالي المرية على الضفة اليسرى لنهر أندرش[3]، وكانت مقر الحكم وبها الجامع الأعظم[4]. ويعرف وادي أندرش أيضا بوادي بجانة الذي كان يُستغَل من طرف بنو سراج القضاعيون وهم من عرب اليمن كامتياز لهم بعدما وَكَّلَ إليهم بنو أمية حراسة وحفظ الجهة والساحل نظير مهامهم وخدمتهم. وفي

[1] الإدريس، نزهة المشتاقن ص ص 174، 175.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 92. ياقوت الحموي، المرجع السابق، م2، ص 460.

[3] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص ص 24.22.

[4] العذري، المصدر السابق، ص 86.

سنة 271هـ/851م قدم إلى ساحل بجانة جماعة من رجال البحر اعتادوا التنقل بين الساحل الافريقي ـ أين أسسوا تنس في المغرب الأوسط عام 262هـ-842م وجعلوها مقرا لهم ـ وبين الساحل الأندلسي، وقد جذبتهم المنطقة بخيراتها وموقعها، واتفقوا مع عرب اليمن وهم بنو سراج أن ينزلوا هناك ويقيموا معهم، ثم شيئا فشيئا صارت لهم الغلبة والكلمة على غيرهم[1]، وقبل ذلك كان البحريون ينزلون مرسى أشكوبرش حتى أعجبهم مرسى بجانة وهو مرية بجانة[2].

و يبعد موقع بجانة عن البحر مسافة فرسخان اي ما يعادل ستة أميال[3] ، و اشتهرت بجانة بالحقول والبساتين والكروم والمنتزهات[4] ذات الخيرات و الثمار الكثيرة، و هي من أشهر قرى وادي آش قديما حتى الداخل إليها لا يراها إلا بعد دخولها من كثرة البساتين والجنان[5]، و تشتهر ايضا بأرديتها التي وصلت المشرق الاسلامي إلى مصر ومكة واليمن[6]. وزيادة على ذلك تشتهر بجانة بالحمّة التي تقع على يمينها مسافة ستة اميال، وهي ذات مياه ساخنة يقصدها الناس من جهات مختلفة للتداوي و النقاهة والاستجمام والسياحة[7] بعد مدة من الزمن آلت بجانة إلى الانحسار وصارت مدينة من مدن المرية التي أضحت هي المدينة الأم والمركز الحضاري[8] وتلاشى معظم عمارة بجانة أواسط القرن 5هـ/11م [9] .

---

[1]عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص- ص 23 ،21.

[2] البكري، المسالك والممالك، تح: فان ليوفن،أندري فيري، ط1، ج2، ص 755.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 339. ص ص35، 36.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 200.

[5] العذري، المصدر السابق، ص 86.

[6] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 109.

[7] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص200، 201.

[8] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص 190.

[9] العذري، المصدر السابق، ص 86.

و من الناحية العمرانية فقد قام ابن أسود بالوقوف على عمارة بجانة بأمر من الامير الأموي محمد بن عبد الرحمن 238هـ- 273م (852-883م)، وبنو أسود يعتبرون من العائلات المهمة والمشهورة في بجانة و افرادها من أعيانها[1].

كانت بجانة بادئ الأمر عبارة عن حارات متفرقة وبقربها الجامع الأعظم، ثم توسّع عمرانها واتسعت بعد تَغلُّب البحريين عليها، حيث جمعوا الحارات وبنوا عليها سورا ورتبوها ترتيبا شبيها بعمران قراطبة، و وضعوا على أحد أبوابها صورة تشبه الصورة على باب القنطرة بقرطبة. واستوطن الناس بجانة وأنِسوا بها وقصدها التجار بالبضائع والسلع من بلاد المغرب، وقد توفَّر بها الأمن والسكينة بعيدا عن الفتن والاضطرابات التي عمت الأندلس إذاك، وتشكلت أرباض كثيرة حول بجانة، وكان هناك نهر (وادي بجانة) يتفرع منه جدولان أحدهما يدخل من أعلى المدينة من جانب الشرق فتسقي به البساتين كلها والأخر يشق الأرباض الجوفية ويخرج نحو الأرباض القبلية حتى يقع في النهر، واحتوت بجانة على حمامات عدة وطرز الحرير، ومتاجر رابحة وعند فيضان الوادي أو الجداول الذي يأتي من الشرق يغمر كثير من الأرباض والأسواق[2].

أ- 2- بُرجَة:

مدينة من أعمال المرية تقع إلى الجنوب الغربي منها على نهر بهيج يعرف بوادي عذراء كثير الجنان والخيرات[3]، ومحدق بالأزهار والأشجار[4]، وتتوفر برجة على كثير من الامكانيات كالأسواق والصناعات و المزارع والحروث، كما تبعد عن المرية بمرحلة كبيرة،

---

[1] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، 190.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص37، 38. العذري، المصدر السابق، ص ص 92، 82.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 288. الادريسي، نزهة المشتاق، ص 198، ابن غالب، المصدر السابق، ص 284.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 150.

وبرجة من حيث المساحة تُعدُّ أكبر من دلاية[1]، و من مميزات بُرجة كذلك الجمال وحسن منظر والجنان المحدقة بها، و الفواكه الجليلة، وتختص ايضا بمعدن الرصاص[2].

أ-3- دلاّية:

من اشهر مناطق المرية و القريبة منها تقع على الساحل[3]، و يذكر الحموي أنّ دلاية بلد قريب من المرية من سواحل بحر الأندلس[4]، وتشتهر هذه المنطقة بخرفانها وأجبانها[5].

أ-4- حصن شنش:

تعتبر شنش من اشهر حصون المرية على مرحلة منها، ويكثر فيه شجر التوت لتربية دودة الحرير، ولأهله غلال عظيمة[6] وله واد يعرف بوادي طبرنش[7].

أ-5- طبرنش:

بلد كبير يقع شرقي المرية[8].

أ-6- أندرش:

مدينة تابعة للمرية تشتهر بالهواء النقي والجنان الخلابة، ولها نهر منساب ينبع من جبل شلير (سييرا نيفادا) و ينحدر إلى الشرق ليصب عند المرية في البحر المتوسط[9]، ويصف الحميري أندرش بأنها من أنزه البلدان[10] أما الحجاري في المسهب يصفها بأنها قطعة

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 198.

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 228.

[3] ابو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص 139.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص 460.

[5] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص-ص 12، 28.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 225.

[7] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص- ص 22، 24.

[8] نفسه، ص ص 22، 24.

[9] نفسه، ص 25.

[10] الحميري، الروض المعطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975، ص 42.

من جنّات النعيم ذات ثغر بسيم وخدّ رقيم[1]، و يُسمِّيها ياقوت الحموي أندراش مضيفا الألف بعد الراء وهي من كورة البيرة تمتاز بكتّانها الفاخر[2]، و فيها يقول الشاعر أبو الحجاج بن عتبة الإشبيلي[3]:

لله أندرش لقد جازت على   حسن ثنية به على البلدان

النهر منساب سرت خلجانه   في الروض بين أزاهر الكتان

أ-6- مرشانة:

مرشانة أو مرشان حصن يبعد عن المرية 18 ميلا [4]، و يذكر ابن سعيد المغربي أنّ من أعيانها بني خالص[5]، كما تسمى برشانة عند ابن الخطيب الذي يذكرها في كعرض حديثة عن محاولة ابن رذمير ملك أراغون عزو غرناطة عام 515هـ/1122م في عصر المرابطين بالأندلس[6] وحصن مرشانة الذي يقع على مجمع نهرين يمتاز بالمنعة والحصانة وبجودة البناء وكثرة العمران[7]، و لمرشانة اسم أخر هو مرسانة[8].

أ-7- دوجر:

دوجر حصن يقع على وادي المرية إلى الغرب منها ويبعد عنها 12 ميلا [9]، و يذكر الحميري حصن مندوجر الذي بينه وبين المرية مرحلة (42 كلم) وهو على تل تراب أحمر

---

[1] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 235.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 260.

[3] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ص31، 32.

[4] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 26. أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص 63.

[5] ابن سعيد المغربي، المغرب، ص 224.

[6] ابن الخطيب، الاحاطة، ط1، م1، ص 109.

[7] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 43.

[8] نفسه، ص 181. الادريسي، نزهة المشتاق، ص 201.

[9] ابن سعيد المغربي، المغرب، ص 227.

له قرية يباع فيها الخبز والسمك وجميع الفواكه[1]، وربما الحصنين هما نفس الحصن لكن اختلاف المسافة بينه وبين المرية عند الحميري وابن سعيد المغربي ليست نفسها ممّا يبعث التساؤل و يجعل كل دوجر ومندوجر حصنين منفصلين.

وإضافة إلى هذه المدن والحصون المشهورة، يذكر ابن فضل الله العمري أن حول المرية قرى وحصون كثيرة وجبال شامخة[2]، ومنها البيرة وهي على ساحل المرية تشتهر بكثرة المرجان[3] ويذكر ابن الخطيب المنصورة في الطريق بين بيرة وبرشانة في معرض حديثه عن غزوة ملك أراغوان عام 512هـ/ 1122م كما سبق ذكره إلى غرناطة والبيرة أو بيرة حصن منيع على حافة مطلة على البحر[4].

ومن أعمال المرية مكان يقال له قنشاير[5]، واخر يسمى العصابة تداول على شؤونها ولاة من المرية وأحيانا من غرناطة لكن الغالب أنها تتبع المرية[6]، ويذكر الادريسي ق6هـ في نزهة المشتاق جملة من البلدات والقرى والحصون كانت تتبع المرية منها عذرة التي تطل على البحر بها خلق كثير وحمامات وفنادق رغم أنها تفتقر إلى سوق، وقرية تدعى البجانس على 6 أميال من المرية، وقرية بني عبدوس التي تبعد عن بجانة 6 أميال ومن بني عبدوس إلى حصن مندوجر 6 أميال كذلك، وغير بعيد عن يمين بجانة بمسافة 6 أميال يقع حصن الحمّة على رأس جبل، وبعد حصن مندوجر تأتي حمّة غشتر ثم حمّة وشتن، ويضيف الادريسي أماكن وحصون أخرى للمرية في الطريق عبر بجانة نحو غرناطة منها بعد مرشانة قرية البلذوذ ثم حصن القصير المنيع ثمّ خندق فبير ثم الرتبة ثم قرية عبلة وبها المنزل ثم

---

[1] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 105.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية ، ج5، ص 217.

[3] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 2003، ص 385. المقري نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار الأبحاث، ج1، ص 142.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[5] الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص124.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 228.

إلى حصن فنيانة ثم قرية هنصل ثم فحص عبلة طوله 12 ميلا وعن شمال المار عبر الفحص جبل شلير أوجبل الثلج وفي أسفل الجبل حصون كثيرة منها حصن فريرة، وحصن دلر[1] ويسمِّى الادريسي طرجالة وبالش التي كانت تتبع إقليم بجانة[2] وبالتالي ستتبع فيما بعد إقليم المرية حيث هيمنت هذه المدينة على بجانة وصارت مركز وقاعدة الاقليم و أمُّ مدنه.

ب- العمران في المرية:

إن الغرض من إنشاء المرية بادئ الأمر كان حماية بجانة وساحل تلك الجهة أي جنوب شرق الأندلس، ثم ما لبث أن تحول ذلك المحرس إلى مكان يجذب السكان ويستقطبهم، واستأنس الناس بما وجدوه من ظروف ملائمة للاستقرار والاستيطان، ثم نمت مرية بجانة بعد أن أمر عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي ببنائها وتحصينها منذ عام 344هـ/955م، وتطورت التجارة عبر المرفأ المذكور، وتحوّل المركز العمراني البسيط الذي يسكنه بنو سراج والبحريين ببرجه وقلعته وجامعه إلى مدينة محصنة ومسورة[3].

فرضت التضاريس وطبيعة السطع في المرية نفسها في تخطيط المدينة والأسوار المحيطة بها، فالمدينة كانت ذات شكل مستطيل تمتد من القلعة المنسوبة لخيران العامري(الصقلبي) شمالا إلى ساحل البحر جنوبا، ويحدها شرقا واد ضحل عموديا تقريبا من شرقي القصبة إلى البحر، وغربا واد أخر معروف برملة لاشنكا حيث يتجه من الخندق الفاصل بين جبل الكنيسة والقسم الغربي من جبل القصبة، في نفس الاتجاه الوادي الشرقي، وفي كلا الجهتين الشرقية والغربية سورين يصل بينهما سور قبلي بمحاذاة البحر، ويبدو أن بُنَاتُها استفادوا من هذه التضاريس لتحصين المرية وتقوية دفاعاتها[4]. ومع الوقت ازداد توافد الناس إلى المرية ومن جهات عدة وطاب لهم المقام فيها، ووجدوا حياة هادئة لا توجد في مدن

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص- ص 198، 202.

[2] نفسه، ص ص 174. 175.

[3] عبد الغزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 109.

[4] نفسه، ص 110.

أخرى بعيدا عن الصراعات المستمرة التي ظهرت في الأندلس مع بداية القرن 5هـ / 11م، وشكّل أهل بجانة عددا كبيرا من الوافدين الجدد إلى المرية في ذلك الوقت لقرب المسافة والعلاقات القديمة بين المدينتين، حيث في عام 402هـ/1010م انتقل سكان بجانة إلى المرية طالبين الأمان والهدوء[1]، وكذلك لجأ الناس إلى المرية من قرطبة[2] التي كثرت فيها المشاكل والاضطرابات السياسية لكونها قلب الأندلس السياسي ومركز السلطة فيها منذ زمن طويل، واحتدم الصراع بين الأطراف المتنازعة والطامعة في الحكم سواء داخل البيت الأموي أو العناصر العربية والبربرية وحتى الصقالبة أرادوا حصتهم، وانخرط النصارى في هذا الصراع بتأييدهم لطرف ضد آخر مستغلين طمع المسلمين وتناحرهم[3]، ومن المشاهير الذين لجأوا إلى المرية على سبيل الذكر الأديب الفقيه ابن حزم عام 404هـ/1012م[4].

وأصبحت المرية في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م أهم مدينة جنوب شرق الأندلس وهيمنت على نظيراتها، و إزدهرت في نواحي الحياة خلال حكم المعتصم بن صمادح 444هـ-484هـ/ 1051م-1091م، وتضاءلت بجانة المركز القديم للجهة وصارت من أعمال المرية، وخرب عمرانها وباقي عمارتها تلاشي تماما عام 459هـ/1065م[5]، ثم انتقل الازدهار والعمران إلى الساحل أي إلى المرية لمنافع الناس ومعايشهم وتجارتهم[6].

وقبل ذلك كما أسلفنا كان أن زاد عدد الساكنين بالمرية وضاقت بهم وأصبح ضروريا زيادة البناء والتوسعة وفاض الناس جانبي المدينة شرقا وغربا وراء الأسوار، وفي هذين الاتجاهين ظهر الربضين الشرقي والمُسمَّى بربض المُصلَّى أو الشريعة القديمة و هو الأكبر

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص 82.

[2] يوسف علي طويل، ديوان ابن الحداد الأندلسي (ت480هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1990، ص 47.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج2، ص- ص 5، 8.

[4] ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: فاروق سعد، دار مكتبة الحياة بيروت، 1972، ص 261.

[5] العذري، المصدر السابق، ص 87.

[6] العمري، مسالك الأقطار في ممالك الأمصار (وصف افريقيا والمغرب والأندلس)، ش: حسن حسيني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، 1339هـ، ص 46.

والأخر في الغرب معروف بإسم ربض الحوض بين وادي الرملة (رملة لاشنكا) وبين جبل الكنيسة، وسُمِّيَ بربض الحوض كما قيل ربما لوجود بئر كبيرة في هذه المنطقة، وقد سُوِّر الربضين أيضا بأسوار لتأمينهما من الغارات والاعتداءات في هذه الظروف المضطربة والمشحونة سياسيا[1]، كما فعل خيران العامري الذي حكم المرية من 405هـ-419هـ/ 1014م-1028م حيث بنى سورا على ساحل ربض المصلى الواقع شرق المرية، وسورا ينزل من جبل لاهم أو لَيْهَم نحو البحر وجعل له أربعة أبواب لدخول و خروج الناس[2]، وهكذا كانت المرية في الربع الأول للقرن 5هـ/11م تتكون من أربعة مراكز عمرانية آهلة تتمثل في المدينة الداخلية وهي الأقدم، والقصبة شماليها على جبل مرتفع يفصله عن الجبل الشمالي الشرقي للمرية أي جبل لاهم خندق يعرف بخندق باب موسى، وربض المصلى، وربض الحوض[3]، و كانت الاقسام العمرانية في المرية كعادة المدن الاسلامية حينذاك مُسورة باسوار تتخللها ابواب للولوج والخروج[4].

وفي عصر الطوائف أصبحت المرية عامرة مزدهرة متقنة البناء[5]. وبالتالي ضمّت عددا كبيرا من الساكنة والوافدين، كم حافظت المرية على مكانتها كذلك في عصر المرابطين وبلغت قمة مجدها وازدهارها بما توفر فيها من مرافق ونشاطات اقتصادية متنوعة حتى سميت مدينة الإسلام، غير أنّ النصارى الذين احتلوا المرية عام 542 هـ/1147م قاموا بإفساد جمالها و تغيير محاسنها و تخريب بنيانها[6].

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 112.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 83.

[3] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المري الاسلامية، ص ص 113. 114.

[4] العذري، المصدر السابق، ص ص85، 86.

[5] نفسه، ص 86.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق،ص 197 ص 202.

ب.1 المدينة الداخلية:

تعتبر المدينة الداخلية أو القديمة نواة المرية وبداية عمرانها، وقد أمر عبد الرحمن الناصر ببنائها وتعميرها، وتبلغ مساحتها 19,5هكتار دون حساب القصبة[1]، وفي وسطها يقع المسجد الجامع الذي زاد في مساحته وتوسيعه خيران العامري عام 410 هـ/1018م عندما كان يتولى حكم المرية فزاد في قبلته زيادة معتبرة، كما قام خليفته زهير العامري 419هـ-429هـ/1027م 1037م بتوسعة المسجد الجامع من غربيه وشرقيه وجوفيه اي من الجهات الثلاث مُكمِّلا ما بدأه خيران العامري حاكم المرية السابق، وحبس عليه أوقاف الحوانيت والفنادق التي حوله خاصة من قبلته و شرقه وفي كثير من جوفيه، و بنى له سقاية تأتي من عين النطية، وجلب الماء وأوصله لمدينة المرية التي عرفت وفرة في الماء وانتفع به الناس، وفي عصر الطوائف قام المعتصم بن صمادح عام458هـ /1064م بجلب الماء في ساقية الى سقاية غربي المسجد الجامع[2].

ويعتبر المسجد الجامع في المدن الاسلامية القلب النابض للمدينة ومركز الحياة، ففي المرية كانت تتوزع حول ساحة المسجد الحوانيت والأسواق والفنادق والحمامات والناس يزاولون اعمالهم ونشاطاتهم المتنوعة، و في جنوبي المسجد تقع القيسارية، وبالقرب من البحر تقع دار الصناعة تحتل الركن الجنوبي الشرقي للمدينة لصق السور المحاذي للبحر[3]، ودار الصناعة مقسمة الى قسمين: قسم خاص بقطع الاسطول من سفن حربية وآلات وعدة، وقسم ثان يحتوي على القيسارية التي سبق ذكرها رتبت فيها الصناعات حسب كل نوع، ولتوفر الأمن قصدها الناس والتجار من كل الاقطار وأمنوا على انفسهم واموالهم وبالقرب

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 115.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 83.

[3] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 115.

من باب دار الصناعة وكان يوجد برج جميل هدمه أفلح الفتى[1]، و المدينة الداخلية أو القديمة مسورة بسور عجيب من جهة ربض المصلى شرقا ومن جهة ربض الحوض غربا[2]، ومن جهة الجنوب تضرب امواج البحر السور المحاذي له[3].

ب.2 الربضين:

تعتبر الأرباض في المدن الأندلسية مكان جد آهل بالسكان، ونشأتها أملتها الضرورة الملحة بعد ازدياد عدد سكان المدينة الأم، فيلجأ الناس للتوسع خارجها وإقامة مباني ومرافق جديدة، ودائما تكون الأرباض بمحاذاة المدينة القديمة وإن كانت تبتعد عن وسطها إلا أنها تشكل قسما من أقسامها، وعادة ما تحتوي الأرباض على مقابر كمقبرتي المرية ومنيات ومرافق لصناعات مختلفة كصناعة الآجُر والطوب لتوفر المواد الخام قريبا منها، والصناعات التي تضر بصحة الناس وتلوث المحيط بفضلاتها ورائحتها الكريهة[4]،

أمّا المرية فقد ضاقت بالناس ولم تعد المدينة القديمة والقصبة تستوعبان الأعداد الهائلة من النازحين إليها بداية القرن 5هـ/11م، حيث لجأ الناس إلى المرية بعدما لمسوا هدوءا وسكينة، فاطمأنوا على أنفسهم وأموالهم بعيدا عن بؤر الفتن والاضطرابات، ونظرا لتضاريس المنطقة الوعرة وانحصار المرية بين المرتفعات الجبلية شمالا والبحر جنوبا تشكلت منطقتان عمرانيتان جديدتان شرق وغرب المدينة القديمة عرفتا بالربضين الشرقي أو ربض المصلى وهو المصلى الذي كان خارج المدينة القديمة، أما الربض الغربي فيعرف

---

[1] الذي كان يحكم المرية بداية القرن 5هـ /11م وتم قتله من طرف خيران العامري عام 405هـ/1015م وأخذ منه المرية ؛ العذري، المصدر السابق، ص–ص 83، 86.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 86.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم عزب، ص 298.

[4] محمد عبد الله الحماد،التخطيط العمراني لمدن الأندلس الاسلامية (ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، ق 03 ،الحضارة والعمارة والفنون)، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة،الرياض، ط 1،1996،ص 161.

بربض الحوض به فنادق وحمامات وصناعات متنوعة[1]، ويقول الادريسي عن هذا الربض بأنه ربض كبير له سور وهو عامر بالديار والأسواق والفنادق والحمامات[2]، أما ربض المصلى فقد أوصل إليه خيران العامري 405هـ-419هـ/1014م-1028م الماء واجراه عبر ساقية ثم قام المعتصم صمادح 444هـ-484هـ /1051م-1091م بتمديد قناة الماء من ربض المصلى الى ساقية عند المسجد الجامع داخل المدينة القديمة، وعن سور ربض المصلى فكان من تراب وهو من أعمال خيران العامري[3]، ابتدأه من جبل لاهم أو لَيْهم شمالا لينزل جنوبا نحو البحر، وأما سور ربض المصلى من جهة البحر على الساحل فقد بناه خليفته زهير العامري[4]، ويمتاز الربضان وحتى المدينة القديمة بالاتساع وانتظام التخطيط خلاف مدن اندلسية أخرى[5] .

ب.3 القصبة:

تُنسَب القصبة التي ترتفع عن سطح والبحر بـ 65 مترا وبطول 530 مترا إلى خيران العامري الذي ولي المرية في أواخر العهد الأموي[6]، تقع قصبة المرية جوفيها أي شمال المدينة الداخلية القديمة وهي حصن منيع صعب المرتقى يمتد من الشرق إلى الغرب وعلى القصبة سور دائري عرض ممشاه خمسة أشبار[7]، والقصبة على جبل يطل على المدينة أعطاها حصانة ومنعة وهي مرتبة أحسن ترتيب، ويلقى الداخل إليها صعوبة ومشقة لإرتقائها ولا يمكنه الصعود إلا بعد شقاء وجهد كبير[8]، وللقصبة باب قبلي يؤدي إلى المدينة الداخلية

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر م1، ص 163.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[3] الحميري صفة جزيرة الأندلس،ص 184.

[4] العذري، المصدر السابق، ص-ص83، 86.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 120.

[6] نفسه، ص - ص120، 137.

[7] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

[8] العذري، المصدر السابق، ص 86.

ومسافة ما بينهما مائتا وثمانون ذراعا، وباب آخر شرقي خارج أسوار المدينة يؤدي إلى الربض الشرقي أي ربض المصلى المتصل بجبالها، والصعود إلى القصبة من هذه الجهة سهل مقارنة بالباب القبلي[1].

و ضمّت القصبة منشآت عدة كالمسجد الجامع والسجن المطبق والقصر المنسوب لخيران[2]، وفي فترة الطوائف أضاف المعتصم بن صمادح منشأت جديدة في القصبة زادتها رونقا بمنعتها وإتقان بنائها منها: قصر كبير مقابل جبل لاهم(ليهم) من جهة الجوف، وقبلي القصر بستان عظيم جدا به فواكه كثيرة وغريبة لا يمكن وصفها ويبلغ طوله عرض القصبة، وفي قبلة البستان مجلس عظيم له أبواب ودفف مفتوحة على الطراز المشرقي، مفروش بالرخام الأبيض ومزخرف بإتقان، ويلي البستان من القبلة دار كبيرة غريبة التذهيب والإتقان ومجلس آخر عظيم مقرنس بالرفوف المنقوشة والمنمقة والمذهبة، ومكسو بالرخام الأبيض ومزخرف بغريب الأشكال والنقوش فيها تاريخ بنائه وصاحبه، ويلي ذلك صحن واسع قبليه أبواب عليها شراجب يطل منها إلى المدينة والبحر، وبنى المعتصم شرقيها دار للحكم كما مد ساقية ماء إلى سقاية غربي جامع المرية في أول يوم من رمضان عام 458هـ/1063م،ومد ساقية صغيرة إلى القصبة تحت الأرض تتصل بالبئر الذي في جوفي القصبة، وعلى سواني ترفع الماء إلى الرياض التي أنشأها[3]، عبر جداول تخترق مستراحات القصر ومجالسه[4]، ويتميز البئر بعمقه الكبير حتى ضرب فيه مثل عامّي يقول:" أعمق من بئر ابن صمادح الذي وقع فيه الحمار جذع و وصل للقاع قارح"[5]، و أنشأ المعتصم بن صمادح خارج المرية وغير بعيد منها بستانا كبيرا وقصورا بديعة وغريبة في بنائه، و بها أصناف من

---

[1] الحميري صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

[2] عبد العزيز بن سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص–ص 120، 123.

[3] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[4] الحميري، الروض المعطار، ع، إحسان عباس مؤسسة ناصر للثقافة،القاهرة 1986، ص 538.

[5] أبو عبد الله الزجالي، أمثال العوام في الأندلس (ري الأوام ومرعي السوام في نكت الخواص والعوام)،تح، محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة للثقافة، الرباط،ق2، د.ت، ص 121.

الفواكه الغربية مثل الموز على كثرته وقصب السكر وسائر الثمار جليلة القدر وفي وسط البستان بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض وسمي هذا المكان بالصمادحية واتصلت به بساتين ومتنزهات كثيرة لا تضاهيها أي ومتنزهات[1]، وللشاعر ابن الحداد الأندلسي(ت 480 هـ/ 1086م) شعر جميل يصف مجالس الصمادحية حيث يقول[2]:

و المجلسان النيِّران تآلفا   هذا لهذا في البهاء قرين

كالمقلتين أو اليدين تأيَّدا   والحسن يعضد أمره التحسين

ب-4- الأبواب:

أصبحت المرية بعد زيادة سكانها بدايات القرن 5هـ/11م والتوسعات الجديدة على جانبيها تتشكل من أربعة مراكز عمرانية تتمثل في القصبة و المدينة الداخلية و الربضين وكل قسم منها محاط بأسوار تتخللها الأبواب[3] التي تؤدي من قسم إلى آخر وتؤدي إلى خارج النطاق العمراني للمدينة، كما تسمح للوافدين من الدخول للمدينة من كل جهة .

احتوت المرية كما قلنا عدة أبواب منها أربعة أبواب التي في السور الذي بناه خيران العامري والذي ينزل من جبل لاهم (ليهم) إلى البحر ويحيط بربض المصلى وهي الباب الذي في الجبل ويسمى باب جبل ليهم، وباب يخرج إلى الطريق نحو بجانة، وباب المُربَّى، وباب السودان عند ضفة البحر، وسُمِّي في عصر الطوائف بباب الأسد[4]، وللقصبة بابين واحد قبلي يؤدي إلى المدينة القديمة، و الآخر شرقي خارج عن أسوار المدينة[5]، ويعتبر باب بجانة أكثر الأبواب حركة وإكتظاظا بالناس فهو ينفتح إلى الطريق المؤدي إلى بجانة ومنه

[1] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[2] يوسف علي طويل، ديوان ابن الحداد، ص271.

[3] الحميري، الروض المعطار، تح، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ص 538.

[4] العذري، المصدر السابق، ص 83.

[5] الحميري صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

إلى مرسية وغرناطة يقع في السور الشرقي للمدينة القديمة، وبعد إنشاء ربض المصلى شرق المدينة الداخلية فُتح باب آخر يسمى باب برشانة، وباب موسى في سور الخندق الذي بين جبل لاهم وجبل القصبة، وباب الزياتين في السور الجنوبي للمدينة القديمة، وكانت عنده معاصر للزيتون قرب الساحل لتسهيل تصدير زيت الزيتون فأخذ الإسم منها، وباب المرسى في منتصف السور القبلي للمدينة القديمة قرب دار الصناعة، وباب البحر قريب من الساحل، فيخرج الناس إلى المرفأ جهة ربض المصلى، وباب مقبرة الحوض ينفتح في السور القبلي لربض الحوض عند المقبرة، وهناك أبواب أخرى للمرية كباب الخروج في السور الغربي للمدينة القديمة، و باب كارميا وباب الصورة و باب العجلات اللّذان يؤديان من المدينة القديمة إلى ربض المصلى[1]، وأيضا باب يسمى بباب العقاب في منتصف السور الشرقي لربض المصلى[2].

و جرت العادة أنّ للأبواب نظام و مواقيت لفتحها و إغلاقها، ولا يمكن الدخول إلى المرية أو الخروج منها إلاّ في الأوقات المعينة والمحدّدة، وبالتالي اعطى هذا النظام للمدينة حماية أكثر وزادت هذه الأبواب من حصانة المدينة إضافة إلى الاسوار والتضاريس.

ب-5- الميناء:

يعتبر ميناء المرية جزءا من عمرانها على العموم حيث نشأ وتطور بشكل مستمر، ففي بادئ الأمر كان ميناءً لمحرس وبرج مراقبة ورباط لحماية بجانة والإقليم وحماية ساحل جنوب شرق الأندلس من الاعتداءات والغارات المفاجئة لاسيما مع ظهور الخطر النورماني في الربع الأول من القرن 3هـ/9م والخطر الفاطمي في النصف الأول من القرن 4هـ/10م كما أن الضرورة العسكرية تستلزم وجود قواعد بحرية مجهزة بالمراكب والعدة والعتاد لحماية الأندلس من أي هجوم محتمل خاصة أن الأندلس صارت دولة قوية لها مكانتها العالمية.

---

[1] عبد العزيز بن سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص-ص 124، 128.

[2] المقري، نفح الطيب، تح، احسان عباس، دار صادر، م1 ،ص ص 162، 163.

ومن هنا تطورت المرية وتزايد عمرانها واتسع، وانجذب إليها الناس من كل الجهات منذ العهد الأموي إلى عهد الطوائف وبعدهم المرابطون والموحدون، وأصبح ميناء المرية من أهم موانئ الأندلس وأكثرها نشاطا وحركة للناس وللتجارة يضاهي في ذلك موانئ غرب البحر المتوسط خاصة في العصر المرابطي وارتفع حجم المبادلات التجارية من صادر ووارد وحط وإقلاع للمراكب والسفن[1].

ويمكننا أن نضيف إلى عمران المرية المقابر حتى وإن لم تكن عمرانا بالمفهوم المعروف في الانشاءات إلا أن المسلمين كانوا حريصين على حماية المقابر و إحاطتها بالأسوار والاعتناء بها. وكان يوجد في المرية مقبرة الشريعة القديمة خارج المدينة القديمة، ومقبرة الشريعة الجديدة في عهد خيران العامري خارج ربض المصلى، ومقبرة باب بجانة ومقبرة الحوض[2].

و زيادة على العمران الذي كان بالمرية جمعت بجانة عمرانا متميزا ومرافقا متنوعة بما أنها كانت مركز الإقليم والجهة حيث جذبت بجانة البحريين بخيراتها من بساتين وعيون وبُعْدَها النِّسبي عن البحر مايجعلها آمنة من الغارات البحرية، وأخذ البحريون في تعمير بجانة وإحاطتها بسور بعد عام277هـ/888م، ثم جمعت عناصر مختلفة من عرب وبحريين وحتى مستعربين، واشتهر من رجال البحر أميرهم عبد الرزاق بن عيسى الذي في عهده اتسعت بجانة وضمّت عدة أرباض[3]. ويتوسط المدينة مسجدها الجامع الذي بناه أحد الأعيان المسمى عمر بن أسود الغساني[4]، اضافة الى أسواق وحمامات وحوانيت وطرز الحرير

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص-ص 197، 200. عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (دراسة اجتماعية واقتصادية)، 480 هـ-540هـ/1086م-1145م إشراف: أحمد شريفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر 2008/2009، ص 562. محمود خياري، المرجع السابق، ص- ص 188 ، 191.

[2] يوسف علي طويل، ديوان ابن الحداد، ص ص 53، 54.

[3] عبد العزيز بن سالم، تاريخ المرية الاسلامية، ص-ص 22 ، 27.

[4] العذري، المصدر السابق ، ص 87.

الكثيرة، واقبل عليها الناس فارين من الفتن التي عرفتها مناطق الاندلس وصارت بجانة حرما لقاصديها تصلهم الخيرات والأرزاق والبضائع من العدوة[1] واتسعت شرقا وشمالا وجنوبا تحت حكم واليها عبد الرزاق بن عيسى وذلك في عهد الأمير عبد الله بن محمد 275هـ-300هـ/888م-912م، وضمت إليها قرى مجاورة وأقيمت حولها حصون كحصن الحمة والخابية وبني طارق في غربها وحصن برشانة شمالا على نهر المنصورة وراء جبل سيرا دي لوس فيلابريس المشهورة بالرخام[2]، وبقيت بجانة محافظة على أهميتها حتى نافستها فرضتها ومريتها أي المرية التي ازدهرت بشكل كبير بدايات القرن 5هـ/ 11م، وخربت بجانة بعد سقوط الدولة الأموية عام 422 هـ/1031م وإشتداد الفتنة ليذهب باقي عمارتها في عصر الطوائف عام 459 هـ/ 1066م[3]، ولم يبق من بنيانها إلا الأثار والمسجد الجامع في عصر المرابطين[4] . وكذلك الأمر بالنسبة للمناطق التابعة للمرية من قرى وحصون كانت لا تخلو من عمران ومرافق و أسواق و فنادق و حمامات.

ونشير في هذا المقام أنّ المرية ولمدة عشر سنوات تعرضت منذ عام 542هـ/1147م للاحتلال النصراني المَقيت حيث بطش النصارى بالسكان و قتلوا وسبوا، و كعادة الغزاة الجهلة هدموا العمران البديع الذي كان فيها وغيروا محاسنه، وأفسدوا في المدينة إفسادا ذهب بجمالها ورونقها[5].

2- مجتمع المرية:

لقد عاش في مجتمع المرية عناصر و فئات متنوعة مارست نشاطاتها و حياتها في وئام وانسجام بعد تأسيسها عام 344هـ/ 955 م، و تطورت المرية من مركز بحري للحراسة

---

[1] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص 37 ، 38.

[2] عبد العزيز بن سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 28.

[3] العذري، المصدر السابق، ص 87.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 200.

[5] نفسه، ص 198.

والمرابطة إلى مدينة يطيب فيها للناس السكن و الاستقرار و المقام بها و اتخاذها دارا وموطنا، و جمعت حولها توابع و أعمال آهلة بالسكان، كما حافظت على مكانتها كحاضرة اندلسية مهمة جنوب شرق الاندلس في هذه المرحلة من عصر الطوائف إلى العصر الموحدي، وصارت المرية منطقة اقتصادية ومعبرا للتجارة الدولية مما زاد من توافد الناس اليها و بالتالي منطقة للاستقرار البشري.

أ- عناصر المجتمع:

سكن المرية عناصر مختلفة وجدت ما يستلزم للاستقرار من أمن وعمل وسكن وغيرها، فسكنها العرب و البربر والصقالبة والسود والنصارى واليهود أي عناصر مسلمة وغير مسلمة، وقد لهج الشعراء بمدح المرية التي استقطبت هذه العناصر المتنوعة فيقول ابن درّاج القسطلي من أهل القرن 5هـ/11 م مادحا المرية[1]:

متى تلحظوا قصر المرية تظفروا   ببحر حصى يمناه دُرٌّ ومرجان

وتستبدلوا من موجِ البحر شجاكم   ببحر لكم منه لُجَين وعِقْيان

وقال شاعر آخر[2]:

أرض وطئت الدُر رضراضٌ بها   و الترب مسك و الرياض جنانا

أ-1 العرب :

يعتبر العرب ممّن سكن الأندلس منذ فتحها عام 92هـ/711م، فشاركوا في الجيش الفاتح وتوافدوا عليها أفرادا وجماعات ولم تنقطع هجرتهم لوقت طويل [3]. و انتشر العرب في كل جهات الأندلس مدنها و ريفها، و سهلها و جبلها، و حظيوا بمكانة رفيعة وامتلكوا

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ق1،م1،ص 94.

[2] المقري، نفح الطيب، تح، إحسان عباس دار صادر، م3،ص 220.

[3] صلاح خالص، المرجع السابق،ص 29.

الاراضي والعقارات والاملاك، واستحوذوا على المناصب الكبيرة والمرموقة[1]. و كان العصر الأموي أكثر العصور التي عرفت هجرة العرب[2]، و أكثر عرب الأندلس من اليمن الذين هاجروا واستقرو بعمائرهم وقبائلهم وبطونهم وأفخاذهم وتميزوا بالكثرة والمكانة ورسوخ الملك[3]، بتبوأهم المناصب العليا في الدولة وشغلهم الخطط المهمة .

وقد سكن المرية العرب في جملة من سكنها، واختلطوا بالنصارى إمّا بالزواج أو الجوار أو المعاملة، وأثروا فيهم بلغتهم وثقافتهم العربية، وبعادتهم وتقاليدهم كالختان وغيرها، وحتى بالاحتفالات وما شابهها، وقد تشارك العرب والنصارى في عدة أعياد منها :عيد العنصرة عند جني محصول العنب الذي تشتهر به المرية[4]، وممّن سكن المرية بنو سراج القضاعيون من عرب اليمن الذين استوطنو في اقليم بجانة سابقا وكانت لهم حراسة الساحل وتأمين المنطقة من الاعداء والهجمات المفاجئة[5]، وأقاموا لهذا الغرض محارس وأبراج عند مصب نهر بجانة في الموقع الذي أسست فيه المرية، ويذكر ابن غالب أن الأنصار انتشروا في غرب الأندلس وشرقها[6]، فذلك لا نستبعد إقامة الأنصار في اقليم المرية وبجانة، وبجانة كانت قريتين احداهما بجانة وأخرى مورة كانتا جُمِعتا في مدينة واحدة عام 274هـ/883م وسكنها اليمنيون من غسان و رُعَيْن[7]، وكذلك سكن المرية عرب عذرة من قضاعة واستوطنوا دلاية[8]، وإليهم ينتسب المحدث والمؤرخ الكبير العذري[9] و كذلك نجد من التجيبين من عرب

---

[1] إبن القطان، المصدر السابق، ص 10.

[2] كولان، الاندلس(دائرة المعارف الاسلامية) ، ص 90.

[3] شكيب أرسلان، المرجع السابق،ج1، ص–ص 273 ، 294.

[4] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص–ص 63، 67.

[5] العذري، المصدر السابق، ص–ص 83، 86. الحميري صفة جزيرة الأندلس، ص 37

[6] شكيب ارسلان،المرجع السابق،ج1، ص 295. واشنطن إيراڤنغ، أخبار سقوط غرناطة، تر: هاني يحي نصري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت،ط1، 2000،ص 17.

[7] أبو محمد الرشاطي، إبن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص 29.

[8] إبن حزم،جمهرة انساب العرب،تح، عبد السلام علي هارون ، ط 5،ج2، ص 450

[9] أبو محمد الرشاطي، إبن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص 139.

اليمن الذين كانوا مقميين بالثغر الأعلى[1] بنو صمادح الذين أسسوا مُلْكا لهم في المرية[2] وفي عهدهم ازدهرت المرية وتطورت بشكل كبير في عدة مجالات[3]، ومن عرب المرية الذين استوطنوا بجانة بعض من بني منصور أصحاب نكور ببلاد المغرب الأقصى بعد سنة 324هـ/935م وهم من عرب اليمن الحميريين ولجأ موسى بن صالح من أحفاد المعتصم بن صالح بن منصور إلى بجانة بأهله وماله بعد فقدان نكور وضاع حكمه عليها[4]، وإن كانت هذه نماذج فقط من مشاهير العرب الذين سكنوا المرية، فمن المؤكد أن غيرهم كثير ممن أتخذها موطنا ومستقرا له.

ونشير هنا أن النعرات القبلية التي كانت سائدة خاصة بين العرب وبينهم وبين العناصر الأخرى فقدت قوتها وتأثيرها فلم يعد العرب كما كانوا سابقا متمسكين بشكل كبير بانتمائهم القبلي والعشائري، حيث عمل عبد الرحمن الناصر على إذابة هذه النعرات والقضاء على الافكار العرقية والفئوية، و اخضع كبار الوزراء والقواد من العرب وغيرهم لحكمة ولسلطة الدولة[5]، وتعمق في هذا المفهوم في عهد حجابة المنصور محمد بن أبي عامر فصار العرب ينسبون إلى أماكن إقامتهم عوض الانساب القبلية[6]، و لا نشك أن المرابطين والموحدين واصلو سياسة التوفيق بين العناصر المختلفة سواء في المرية أو غيرها، ومواجهة الافكار والنعرات القبلية التي تهدد وحدة الدولة رغم ما يقال على الصراعات التي كانت تظهر من حين لأخر وجلها نشأت لأسباب سياسية والصراع على السلطة .

[1] إبن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح:عبد السلام علي هارون، ط5، ج2، ص 465.

[2] إبن عذاري، المصدر السابق، تح، كولان، بروفنسال، ط3،ج3، ص 167.

[3] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ المرية الأندلسية، ص 122.

[4] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1،ج2، ص–ص 274، 282.

[5] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها،تح: ابراهيم الابياري، ط2، ص 137.

[6] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 247، 248.

أمّا عدد العرب في المرية فلا يمكن تقديره بأي حال إذا لم تذكر المصادر التي تتحدث عن تلك المرحلة عددهم يقينا، ولكن نستطيع القول أن عددهم معتبر جدا فالمرية كانت مكتظة بالناس وعرفت كثافة سكانية عالية خاصة في عهد الطوائف والمرابطين، ويكفي أنه بعد احتلال النصارى للمرية عام 542هـ/1147م خرج الكثير من العرب وتفرقوا في جهات شتّى طلبا للأمن وخوفا على أنفسهم[1].

وسكن العرب المدينة والريف ومارسوا وظائفا ومهنا عديدة منها الإمامة والتدريس والنساخة والحسبة والوزارة والكتابة عند الحكام، و ولاية الأمور الصالحة وما إلى ذلك من أمور التعليم والدين، وفي الأرياف والقرى مارسوا الزراعة وخدمة الأرض ونسج الحرير وبيعه ونسج الكتان، وبيع الفواكه والعطور[2]، ونشير هنا أن العرب لم يكونوا يمارسون الزراعة على نطاق أوسع وبأنفسهم، فقد تركوا خدمة الأرض لغيرهم من العناصر الأخرى[3].

أ-2- البربر:

يعتبر العنصر البربري من أقدم ساكني الاندلس بعد فتحها نهاية القرن 1هـ/7م، كما يُرجِع كثير من المؤرخين المسلمين أصل البربر إلى قبيلة حمير هاجروا قديما من اليمن أو فلسطين[4] كابن عبد الحكم والبلاذري والطبري والادريسي وحتى ابن خلدون. ممن سار على

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة، بيروت، 1997، ص 43

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص- ص 280، 305.

[3] كولان، الأندلس في التاريخ (دائرة المعارف الاسلامية) ، ص 90.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، نش: شارل توري، نيو هيفن، ليدن 1922، ص 225، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نش: دي غوية، ليدن، 1879، ص 219.

طريقهم بينما نجد ابن حزم صاحب الجمهرة ينفي هذه النسبة و يعتبر ذلك من أكاذيب مؤرخي اليمن، ويرفع نسبة البربر إلى حام بن نوح عليه السلام[1].

ودخل البربر كذلك في جيش المسلمين الذي فتح الأندلس، وبعد ذلك دخلوا أفرادا وجماعات مستفيدين من قرب المسافة بين بلاد المغرب والاندلس خاصة جهة المغرب الأقصى، كما دفعتهم الظروف والأوضاع السياسية والاقتصادية لهجرة أوطانهم من المغارب الثلاث الأقصى والأوسط والأدنى[2]، وتدافعوا على الأندلس وزادت أعدادهم بشكل كبير وانتشروا في نواحي الأندلس، وانصهروا في المجتمع مع العناصر الأخرى مكوِّنين علاقات مختلفة و تعلموا العربية بشكل متقن[3]. واستمر دخول البربر إلى الأندلس كالعرب دون انقطاع [4].

ويمكن تمييز ثلاث مراحل عرفت هجرة كبيرة للبربر نحو الأندلس وبشكل جماعي، مرحلة الفتح الاسلامي حيث دخل مع طارق بن زياد إثنا عشر ألفا من البربر ومع موسى بن نصير بعد ذلك عدد من البربر[5]، أقام أغلبهم في الأندلس واستوطنوها وانتشروا في أقاليمها، ثم موجة ثانية كبيرة في العهد الأموي أواخر القرن 4هـ/10م في أيام حجابة المنصور محمد ابن أبي عامر الذي استقدم أعدادا من بربر زناتة وصنهاجة ومغراوة ومكناسة وبني يفرن وبني برزال وضمهم إلى الجيش وجعل منهم فئة مهمة من الجند[6]، واستعملهم كقوة ضاربة لكل مناوئ ومعاند للسلطة والدولة. وكانوا من الكثرة أن فرضوا أنفسهم بداية

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 461. مجهول، مفاخر البربر، ص 186.

[2] كولان، الأندلس في التاريخ، ص ص 88، 89.

[3] يوسف علي طويل، المرجع السابق، ص ص 66. 71.

[4] صلاح خالص، المرجع السابق، ص 31.

[5] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، تح: محمد زينهم محمد غرب، دار الفرجاني، القاهرة، ط1، 1994، ص ص 53، 55.

[6] ابن خلدون، العبر: اع: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ص 994.

القرن 5هـ/11م لما بدأت الفتنة في الأتدلس و صاروا قوة سياسية لها وزنها وكلمتها وتغلبوا على الجمهور وسلبوا منهم الظهور كما يقول ابن خاقان[1]. واشتهرت بيوتات بربرية كثيرة من صنهاجة وزناتة ومصمودة ومكناسة[2]، فقد قام عبد الرحمن بن رويش باستدعاء البربر لمواجهة أفلح الفتى الذي تقاسم معه حكم المرية عام 400هـ/ 1010م[3].

والموجة الثالثة للهجرة البربرية إلى الأندلس كانت في العهد المرابطي أين قدمت أعدادا أخرى من البربر مع المرابطين لدرء الخطر النصراني الذي تفاقم في عصر الطوائف وانتهى بسقوط طليطلة عام 478هـ/ 1085م ثم دخول الأندلس تحت الحكم المرابطي، فتفرق البربر خاصة من لمتونة في مناطق الأندلس، ونزلوا بالمدن والثغور ثم كانت هجرتي عام 515هـ/ 1122م وعام 535هـ/1141م أين قَدِم المزيد من البربر ونزلوا أقاليم الاندلس[4]، وباعتبار المرية ثغرا من ثغور الأندلس المهمة وقاعدة رئيسية للأسطول المرابطي، فإنه من المؤكد أن البربر نزلوا بها وعاشوا فيها لسنوات طويلة في هذا العصر، وحتى مع التحول السياسي الذي شهدته الأندلس وظهور الدولة الموحدية كوريث للمرابطين في المغرب والأندلس، فإن البربر نزلوا بالمرية كقبيلة كومية التي استوطنت مرشانة وبجانة[5]، وتعزز الوجود البربري في مدن الأندلس المختلفة بالشكل الذي يجعل منهم العنصر الأكثر عددا في الأندلس و بكثافة معتبرة في المدن والقرى.

واشتغل البربر في مهن كثيرة في اقليم المرية، فمارسوا في الريف الزراعة وتربية المواشي وحلب الأبقار، وزراعة القمح والشعير وانتاج العسل والزيتون والسمن والصوف، وقطع الأخشاب وإعداد الفحم في الجبال. ومن سكن المدينة اشتغل في ظفر الحلفاء

---

[1] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج5، ص ص 108، 109.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: بروفنسال، ص– ص 643، 466.

[3] العذري، المجع السابق، ص 82.

[4] ابراهيم القادري بونشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص 35.

[5] البيذق، المصدر السابق، ص 89.

وصناعة الاوعية، والصيد، وبيع السلع في الأسواق[1]، و كان منهم الصناع والعمال واشتهروا في خدمة الارض وتربية الحيوانات الداجنة[2]، وصناعة الأوعية والسلال المتنوعة كسلاع الزرع وفتل القنب لإعداد الحبال الخاصة، وصناعة البراذع والمحاريث، وخرز الدلاء وجلب الماء وفي مجال البناء وكساء الديار وطبخ الجير والجص[3].

أ-3- المولدون:

يشكل المولدون عنصرا من العناصر التي سكنت المرية، وكانوا أوفر العناصر عددا و أنشطهم وأكثرهم أهمية في الحياة العامة[4]، و يطلق هذا الاسم على كل من وُلِد لأب مسلم وأم نصرانية، وتربوا بتربية الاسلام وعلى عادات المسلمين[5]، كما يطلق الاسم على النصارى الذين أسلموا وعلى أبنائهم وهم المسالمة، وقد تميزوا بإتقان اللغة العربية نطقا وكتابة وساهموا بنقل الحضارة الاسلامية إلى نصارى الأندلس[6].

وكانت المرية مكانا ملائما لسُكنى المولدون واستقرارهم، فسكنوا المدينة ومارسوا الصيد البحري أي صيد الأسماك والعمل على المراكب وركوب البحر، و عملوا بالارياف في الزراعة والغراسة وتربية الماشية، أما سكان الجبال من المولدين فاهتموا بغرس الأشجار والفواكه[7]. و وجود المولدون في المرية يعود لوقت سابق لهذه المرحلة اواخر القرن 3هـ/9م عندما نزل رجال البحر أو البحريون عام 271هـ/ 883م عند مصب وادي بجانة في البحر المتوسط وهو المكان الذي كان به برج الحراسة والمراقبة الذي أقامه بنو سراج القضاعيون

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 35.

[2] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 67.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 283.

[4] حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 33.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 250.

[6] يوسف علي الطويل، المرجع السابق، ص 71.

[7] ابراهيم القادري بوتيشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص 44.

لحراسة البحر والاستعداد لصدّ غارات الأعداء، ثم تغلبوا على المكان وأقاموا فيه، وكان من بين رجال البحر هؤلاء مولدون ومعاهدة[1]، أعجبتهم الحياة عند الساحل بالمرية، واستمر تواجد المولدون في العصر الأموي وعصر الطوائف وعصري المرابطين والموحدين.

أ-4- المستعربون:

المستعربون نصارى من أهل الذمة بقوا على دينهم وتعاليم المسيحية، وفي نفس الوقت استعربوا لغة وثقافة ولباسا وعادات، وشكلوا عنصرا من ساكني المرية، وفئة كبيرة في الأندلس[2]، ومن تأثرهم بالمسلمين أضافوا إلى أسمائهم المسيحية أسماء عربية وساهموا في نقل الحضارة الاسلامية إلى الممالك النصرانية. وعلى صعيد حياتهم فإنهم مارسوا شعائرهم وعباداتهم بسلام بعد أن وجدوا الحماية من طرف المسلمين، كما كانت لهم مع المسلمين عادات وتقاليد مشتركة[3] تعبر عن التعايش وعن مدى تسامح المسلمين سلطة وسكانا، مع المستعربين ما داموا ملتزمين بالأوامر ومحافظين على هدوئهم، ودفعهم الجزية المفروضة عليهم وكأمثلة على هذا التسامح، احتفال المسلمين بالأحد الذي كان عطلة رسمية منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط 238هـ-273هـ/ 852م-883م إلى أواخر القرن 5هـ/11م [4]، وقد شارك مسلمو المرية المستعربين في الاحتفال بميلاد المسيح، وبداية العام المسيحي وخميس العهد الذي يسبق عيد الفصح وعيد العنصرة أو سَان خوان في 24 من جوان اضافة إلى أن الأجراس كانت تدق في دور عبادة النصارى[5]، وفي العصر المرابطي بالأندلس كان للمستعربين النصارى مسؤول يعرف بالقومس لإدارة شؤونهم وللتعامل مع

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الاسلامية، ص ص 22-23.

[2] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 154.

[3] حسين الوراكلي، ياقوتة الأندلس(دراسات في التراث الأندلسي)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994، ص ص 132. 133.

[4] ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، ص 138.

[5] أحمد مختار العبادي، مجلة عالم الفكر، م 10، ع2، د د ط، 1979، ص- ص 60، 107.

السلطة المرابطين، كما كان لهم قاضٍ خاص بهم للفصل في القضايا التي تخصهم[1]، وقد استعمل علي بن يوسف بن تاشفين 500هـ-537هـ/ 1106م-1143م النصارى بالمغرب لجباية الأموال والمغارم[2].

غير أن السلطة المرابطية أخذت تشدد عليهم مع الوقت واتهمت النصارى بممالءة الممالك النصرانية التي كانت تشن حرب استرداد شرسة منذ أواخر القرن 5هـ/11م وخاصة بعد أن تآمر نصارى غرناطة مع نصارى اسبانيا في الاستلاء على المدينة، فأصدر علي بن يوسف بن تاشفين أمرا بإجلاء النصارى من أوطانهم وكتب عهدة إلى جميع بلاد الأندلس بعد أن استفتى الفقية ابن رشد الجد ونفى عدد كبير منهم فأصابهم الوباء ومات من مات منهم في الطريق[3]. وكذلك في عهد الموحدين تم التشديد على النصارى في مدن الأندلس لممالئتهم النصارى الإسبان وتأمرهم على المسلمين[4].

اشتغل المستعربون على صعيد العمل و المهن في مجالات عديدة ومتنوعة كالإدراة والحرس والجيش وصناعة الأسلحة وحفظ الذخائر، والطب والتجارة[5]، وفي الدباغة والحياكة وصناعة الفخار والقدور، وفي النجارة وصنع الأثاث، وفي مجال المال وضرب العملة وصك النقود، وكان للمستعربين مكانة واعتبار في تجارة الاندلس لاهتمامهم بها وفوائدها المالية جراء تعاطيها مع تفوقهم في فنونها، واكتسبوا ثروات كبيرة في هذا المجال تحت حماية السلطة الحاكمة وكان لهم نصيب في نجاح التجارة الأندلسية، وفي ربط علاقات تجارية مع ممالك الغرب المسيحي، إذ أدوا دور الوسيط التجاري بين مسلمين الأندلس واسبانيا المسيحية

[1] خير الله طلفاح، حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية للطباعة بغداد، ج6، 1977، ص 161.

[2] مجهول، الحلل الموشية ، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص ص 84، 85.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص ص 72، 73.

[4] محمد عبد الله الحماد، المرجع السابق، ص 165.

[5] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 75.

ودول البحر المتوسط[1] تحت رعاية الحكام المسلمين الذين اتصف أكثرهم بالاستقامة والأمانة مما وفر مناخا ملائما التجارة وتشجيع التجار في تسويق بضائعهم دون أن يخافوا من استغلال أو جور أو حيف[2]، وفي المرية كانت الظروف مواتية لإزدهار التجارة باعتبارها ميناء هاما، والمرافق كثيرة والتجارات عديدة، والمراكب التجارية في حركة دؤوبة، وبذلك استقطب أعدادا من المستعربين خاضوا في مجال المال والتجارة.

أ-5- الصقالبة:

أطلق المسلمين بالأندلس اسم الصقالبة أو الخصيان على نوع من الرقيق والعبيد، وهم من المنطقة التي تمتد من بحر الروم أو البحر المتوسط إلى ما وراء القسطنطية وبالضبط من وسط أوروبا إلى بحر الخزر أي بحر قزوين والصقالبة هم العنصر السلافي، ومع الوقت عُمِّم هذا الاسم على جميع العبيد والأسرى من المسيحيين، ويعتبر الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل 180هـ- 206هـ/796م-821م وهو ثالث الأمراء الأمويين بالأندلس أول من اهتم بجمع العبيد الصقالبة واستخدمهم في مهام مختلفة واطلق عليهم اسم الخرس[3]، لعجمتهم وعدم اتقانهم اللغة العربية.

واستمر جلب الصقالبة إلى مدن الأندلس حتى تشكلت منهم طائفة كبيرة فمثلا كان في الزهراء بقرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر 300هـ-350هـ/912م-962م لوحدها ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وخمسين صقلبي وستة ألاف وثلاثمائه وأربعة عشر جارية(6314) للخدمة[4]، كما استكثر المنصور محمد بن ابي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد 366هـ-399هـ/977م-1009م من الصقالبة أو العلوج وضمهم إلى خاصته وجعل منهم

---

[1] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج1، ص 222.

[2] سلامة محمد سليمان الهرفي، المرجع السابق، ص 286.

[3] ابن خلدون، العبر، تح: أبو صهيب الكرمي، دار الأفكار الدولية، ص ص 980،981.

[4] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2، ص 268.

فئة متميزة يكلفها بالمهام والمناصب الكبيرة[1]، وهذه الأعداد الكبيرة وإن دلت فإنما تدل على كثرة الصقالبة في الأندلس وانتشارهم في مدنها وعن سبب تسميتهم بالخصيان لأنه يتم إخصائهم وهم صغار بعد جلبهم إلى الأندلس مع ما يصاحب هذه العملية من شدة وألم، فأحيانا تتم عملية الإخصاء بشكل غير صحيح فتبقى إحدى الخصيتين إذا تصعد إلى الأعلى إذا فزع الفتى وبعد مدة تنزل إلى مكانها، واشتهرت في الاندلس إحدى المدن خلف بجانة أهلها من اليهود بإخصاء الفتيان الصغار من الرقيق[2].

ويتم تربية هؤلاء الفتيان الصقالبة على الطريقة الاسلامية فيكتسبوا عادات وثقافة المسلمين، وعادات مؤدبيهم ثم يدمجون في أعمال ووظائف متنوعة بعد أن يُتموا تدربيتاهم ويكتسبون المهارات اللازمة، واستخدم الذكور في الخدمة والحروب و خدمة نساء القصر لمن كان خصيا أما الجواري فللخدمة والمتعة والتسرّي[3].

انتشر الصقالبة في المدن الأندلسية كفئة معتبرة ونجدهم في المرية مطلع القرن 5ه/11م عندما بدأت الفتنة تعصف بالأندلس مع أفلح الفتى أو العامري وعصبته الصقالبة حيث دخل افلح الفتى الذي كان يتولى حكم المرية عام 400ه/1010م في صراع مع عبد الرحمن بن رويش شريكه في حكم المرية وانحاز إلى إبن رويش البربر الذين إستعان بهم وكانت الغلبة لأفلح الفتى، لكنه هو الآخر تم قتله عام 405 ه/1115م من طرف خيران العامري بعد صراع للسيطرة على المرية وصار خيران حاكم عليها[4].

وشكّل فحول الفتيان الصقالبة العامريين وخصيانهم طائفة كبيرة سواء في عهد خيران أو في عهد خليفته وصاحبه زهير العامري الذي تولى حكم المرية عام 419ه/1129م بعد

[1] ابن خلدون، العبر، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية، ص 994.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906، ص 242.

[3] جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ج2، ص 495.

[4] العذري، المصدر السابق، ص–ص 83 ، 86.

وفاة خيران، و جمع الصقالبة اموالا ضخمة بعد سنوات طويلة في حكم المرية التي نعمت بالهدوء، واطمأن فيها الناس وازدهرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية خاصة التجارة التي راجت بشكل كبير وازدحمت المراكب التجارية في ميناء المرية الذي أصبح مهما في تجارة الأندلس. وقد دخل زهير في صراع شرس مع باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة عام429هـ/1038م، وقدَّم على رأس جيشه و عشيرته الصقلب هذيل الصقلبي، و أدّى هذا النزاع الى مقتله ، ثم آلت المرية إلى عبد العزيز بن أبي عامر الذي كان يحكم بلنسية فوجد في خزائن العامريين ثروات وأموال ضخمة أخذها كلها معه لما عاد إلى بلنسية قاعدة حكمه[1].

ونفس الأمر في عهد الطوائف أين كانت المرية عاصمة مملكة بني صمادح وحاضرة اندلسية لها مكانتها وأهميتها السياسية و الإقتصادية، فتواجد بها عناصر مختلفة منهم الصقالبة للخدمة والوظائف المختلفة. واستمر وضع الصقالبة في العصر المرابطي وكان يطلق عليهم الفتيان والروم والحشم والعلوج، وقد وظفهم المرابطون في وظائف الدولة كجباية الضرائب وفي الجيش وعند الولاة[2]، ومن قبل كانوا يتواجدون في حاشية الحكام وفي الحرس والجيش، وحتى الأغنياء والميسورين جمعوا من الصقالبة ما يكفيهم للخدمة والأشغال واستخدمت الجواري مثلا للرقص والغناء[3]، ولا نستبعد أن يبق الصقالبة في المرية في العصر الموحدي كفئة لها مكانتها في الحياة العامة.

أ-6 السودان:

جعلت المسافة القريبة بين العدوتين الأندلسية والمغربية التواصل بينهما سهلا وميسورا في عدة مجالات منذ الفتح الإسلامي ولعصور طويلة، كما لم ينقطع إنتقال الناس بين

[1] إبن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص 166، 167.

[2] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 47.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص-ص 258 ، 264.

الجانبين في هجرات فردية وجماعية، وحتى الاتصال بين بلاد المغرب والسودان سمح لهؤلاء الأخرين في تجريب حظهم في الأندلس سواء عن ارادة منهم كالتجارة والعلم أو تم جلبهم كعبيد وخدم، والتي كانت عامرة زاهرة تجذب الناس إليها وتوفر لهم ظروف حياة أفضل واشتهرت السودانيات مثلا بفضائل ومهارات في الشؤون المنزلية[1].

وعن المرية فمن المؤكد أن السودان عاشوا فيها على الأقل بعد تأسيسها وازدهارها بالأعمال والنشاطات، وازدياد كثافتها السكانية مع إقبال الناس للإقامة فيها، وفي بدايات القرن 5ه /11م ضم زهير العامري حاكم المرية في جيشه فرقة مشاة من السودان شاركوا معه عام 429 ه/1037م في حربه ضد باديس بن حبوس الصنهاجي حاكم غرناطة، ولكنهم غدروا به بداية المعركة ونهبوا خزانة سلاحه ثم انضموا إلى جيش غرناطة حاربوا زهير وجيشه وكانوا كما قال ابن بسام في الذخيرة قطعة خشنة تقارب الخمسمائة وكان زهير يُعدُّهم للنوائب[2].

واذا علمنا أن المرية عرفت نهضة كبيرة في عصر الطوائف تحت حكم بنو صمادح، فمن المؤكد أن السودان كانوا بها يستعين بهم الناس في الاعمال الشاقة التي تتطلب مجهودا كبيرا وهذا ما عرف به السودان، و لما دخل المرابطون إلى الأندلس استخدموا السودان في جيشهم واعتمدوا عليهم في الحروب والغزوات وفي الأسطول للتجديف، والاعمال المختلفة وعند الأغنياء[3]. ويذكر ابن عذاري أن يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين كان قد اشترى عددا لابأس به من عبيد السودان[4]، كما شكل السودان فرقا مهمة

---

[1] كولان، الأندلس ، ص 91.

[2] إبن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 695. إبن عذاري، المصدر السابق، تح، كولان،بروفنسال،ط3،ج3،ص 171.

[3] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص 50.

[4] إبن عذاري، المصدر السابق، تح، احسان عباس، ط3،ج4،ص 23.

في الجيش المرابطي حيث كانوا يأتون بهم إمّا شراء كعبيد أو يُرَغَّبون في الجهاد[1]، اضافة الى تميزهم بالقوة اللازمة مع شجاعة و إقدام[2]. ولما جاء الموحدون إلى الأندلس وجدوا السودان في مدن الأندلس خاصة المهمة منها كما جلبوا معهم أعدادا أخرى وتنافس الأمراء على اقتنائهم وملأ بلاطاتهم بأمثالهم[3]، و استخدموهم في شتى الأعمال في المنازل و مجال الزراعة وخاصة في الجيش[4] .

أ-7- اليهود:

يعود وجود اليهود في الأندلس إلى ما قبل الفتح الاسلامي، حيث تعرضوا لمعاملة مسيئة وشديدة من قبل القوط الذين حكموا الأندلس كغيرهم من الفئات الدنيا، وفرضت عليهم الضرائب المتنوعة، وما إن لاحت جيوش المسلمين الفاتحين على أبواب الأندلس حتى أسرع اليهود لعرض خدماتهم على المسلمين رغبة في التخلص من جور القوط وقسوتهم[5].

و اثناء الحكم الاسلامي فُرض على اليهود الجزية نظير حمايتهم واعفائهم من الخدمة العسكرية في حين أعفى الكثير من النساء والأطفال والعبيد، كما تسقط عنهم في حال دخلوا الاسلام[6]. وفي جو من التسامح خلال الحكم الاسلامي نبغ كثير من اليهود في شتى المجالات وتقلدوا المهام والمناصب، وساهم علماء منهم في الحركة العلمية وترجموا من العربية إلى اللاتينية لإتقانهم اللغتين[7]، واتقنوا كذلك اللغة الرومنثية الاسبانية واتبعوا المسلمين في الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، فاكتسبوا خبرة ما أَهَّلَهُم ليكونوا متمرسين في التجارة سواء

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص142.

[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 154.

[3] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص 197.

[4] عز الدين عمرو موسى، الموحدون (تنظيماتهم ونظمهم)، ص 230.

[5] عبد العزيز بن سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1988، ص 133.

[6] عبد الواحد طه ذا النون، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس(صور من التواصل الاجتماعي الحضاري مع المشرق)، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2014، ص 254.

[7] محمد عبدالله الحماد، المرجع السابق، ص ص164، 165.

كتجار أو وسطاء تجاريين لا سيما في تجارة العبيد والخصيان والجواري والفرو والحرير في مدن الاندلس منها المرية المعروفة بتجارتها عبر مينائها وشهرتها الكبير في منسوجات الحرير فساهموا بنصيب في تقدم المرية وتطورها[1].

وشكل اليهود عنصرا من عنصرا من عناصر مجتمعها منذ تأسيسها وفي عصر الطوائف الذي عرفت فيه المرية ازدهارا تحت حكم بني صمادح، وفي عصر المرابطين أين تمتعوا بوضع مريح نسبيا خاصة خلال عهد علي بن يوسف بن تاشفين، وكان يرأس طائفتهم رجل يسمى مُقدَّم أو نعمان ليكون حلقة تواصل مع السلطات المرابطية، أما عن إقامتهم في المرية فكان عددهم قليل في الأرياف والبوادي ولم يمتهنوا الزراعة كثيرا بينما أقام جلهم في المدينة حيث مارسوا التجارة بشكل واسع اذ تعتبر المرية محطة تجارية كبيرة في الحوض المتوسط، كما اهتم يهود المرية بالصياغة و صنع الحُلّي وبيعها وصناعة الزجاج والحرير[2] وإلى جانب ذلك أولى اليهود اهتماما بالدلالة ومجال المال والصيرفة[3].

واليهود كالنصارى وجدوا عدالة عند الحكام المسلمين وأمانة، وتسامحا لدى السلطة الحاكمة التي وفرت لهم الأمن والحماية، و بالتالي حققوا أرباحا ومداخيل وراجت تجارتهم مع تفوقهم وخبرتهم في هذا المجال ليشكلوا عاملا في ازدهار التجارة الأندلسية[4]، وربما من حين لأخر كان اليهود يَلقون معاملة مشددة من طرف السلطة لسبب من الأسباب وللاوضاع السياسية أو تجاوز اليهود للقوانين و الالتزامات الموضوعة لهم كأهل ذمة مثل ما حدث في أواخر عهد الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور 58هـ-595هـ/1184م- 1198م

---

[1] يوسف علي طويل، المرجع السابق، ص 72.

[2] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص 97.

[3] بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، تح: مصطفى الرقي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،ج2، 1998، ص 986.

[4] محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، ص 34.

حيث تمَّ تحديد لباس اليهود الذين أخذوا يتشبهون بالمسلمين في لباسهم وأحوالهم[1]، و القرارات التي تصدر عن الحكام لا محال أنها تعمم على جميع الأقاليم التابعة للدولة سواء المرابطية أو الموحدية.

أ-8- النصارى:

شكل النصارى المرتزقة طائفة في المجتمع الأندلسي وحتى وإن لم يكونوا بالأعداد الكبيرة، فوجودهم في المجتمع يعود إلى بدايات الدولة الأموية والأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل مؤسسها عام 138هـ/756م الذي ضم منهم أعدادا، وكثر وجود المرتزقة النصاري بين المسلمين وشكلوا فرقا هامة يستعين بها الحكام المسلمون في البقاء في مناصبهم وضد بعضهم البعض واسكنوهم بين أظهرهم وأعطوهم الأموال الجليلة وقاسموهم الغنائم عند كل نصرن عندما اطلت الفتنة برأسها مطلع القرن 5هـ /11م ودخول الأندلس في فوضى سياسة كبيرة[2] وجد النصارى فرصة لشفاء غليلهم من المسلمين فقتلوا منهم أعداد غفيرة[3].

واستمر ملوك الطوائف يستعينون بفرق النصارى ويستقوون بها ضد اخوانهم المسلمين[4] ويطعمونهم ويدفعون لهم الرواتب وهم صاغرون وكان المرتزقة النصارى في مدن الأندلس في عصر الطوائف ولم تخل أي مدينة منهم[5]، وكذلك أدخل المرابطون فرقا من النصارى المرتزقة إلى جيشهم واستخدموهم في حروبهم ضد أعدائهم[6] وبعد سقوط الدولة المرابطية عام

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص 228.

[2] رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية(في عصر بني امية وملوك الطوائف)، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، 1985، ص 263 وما بعدها.

[3] إبن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص-ص 36 ، 45.

[4] عبدالله الزيري، المصدر السابق ص 44 ص69ومابعدها.

[5] إبن عذاري، المصدر السابق، تح، كولان، بروفنسال، ط3،ج3،ص 104 ص107 ص 121 ص 160ص 261.

[6]نفسه، تح: إحسان عباس، ط3،ج4، ص-ص 98، 120.

542هـ/1147م انضم كثير من النصارى الذين عملوا في الجيش المرابطي إلى صفوف الموحدين[1]، ولا شك أن المرية قاعدة الأسطول في العصر المرابطي كان بها من النصارى من خدم في الأسطول فبقوا في الأسطول الموحدي.

ب- فئات مجتمع المرية:

إن مجتمع المرية كأي مجتمع ضم عناصر سكانية مختلفة سواء عرب أو بربر أو مولدون أو صقالبة، نصارى ويهود وسودان مشكلين فئات اجتماعية متفاوتة في المكانة أو في حجم الثروة التي تملكها، وترتبط هذه الفئات علاقات متباينة أيضا سواء التبعية أو الحاجة التي تؤدي إلى التبادل والتكامل في شتى المجالات، فمن غير المنطقي أن تستغني فئة عن أخرى نزولا أو صعودا في السلم الاجتماعي.

وفي المرية كغيرها من مدن الأندلس انحلت العصبيات والأفكار القبلية تقريبا ولم يكن لها تأثير كبير في التنظيم الاجتماعي اللهم في حالات قليلة أين يشتد الصراع السياسي، فتظهر بعض التأثيرات العصبية تهدف إلى شحن الناس وإيجاد قوة دعم ومساندة في هذا الصراع وقد عملت السلطة على الدوام على نشر الأمن والطمأنينة في المجتمع ودفع الناس إلى العمل والنشاط وخلق جو من التنافس الذي يؤدي إلى الازدهار والتطور فظهرت في المرية ومدن الأندلس علاقات مبنية على العمل والتبادل والثروة وملكية وسائل الإنتاج[2] خاصة وإن المرية تعتبر مركزا هاما للصناعة والتجارة والزراعة والاقتصاد الأندلس، ويمكننا تمييز فئات مختلفة في مجتمع المرية من أعلى فئة في الهرم الاجتماعي إلى أدناها بحيث نجد فئات تعيش في مسرة وهناء وأخرى تكابد مشقة الحياة.

---

[1] جمال أحمد طه، مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين ص 168.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي،ص 181.

ب-1 فئة الارستقراطية:

شكلت الارستقراطية فئة متميزة في المرية لها حياتها ونمط معيشة مختلف عن الأخرين فقد سمحت لها ثروتها وغناها أن تعيش في يسر وراحة بال، وانغمست في حياة اللهو والغناء والصيد والتمتع ببهجة الملذات و إنفاق الأموال في تحقيق رضاها وسعادتها، و في عهد نبي صمادح في عصر الطوائف أين عرفت المرية إزدهارا معتبرا تشكلت الارستقراطية من الأسرة الحاكمة وحاشيتها المقربة و الأمراء و الوزراء وشعراء البلاط والولاة والبيوت الوجيهة المرتبطة بالسلطة[1] و كبار المُلّاك والاغنياء، وقد مثل المعتصم بن صمادح 444 هـ-484 هـ/1051م -1091م أعلى هرم السلطة والمال بأملاكه وثرائه، وقد استقطب الكثير من فحول الشعراء والأدباء ومن الفقهاء، كما كان مولعا بالشعر وله ذوق أدبي رفيع[2]. وكانت حياة الأسرة الحاكمة رغيدة مع إسراف وتبذير وتأنق في الملبس والمأكل وهيمنة على مقدرات الناس، وارهاقهم بالضرائب من أجل ملأ الخزينة وتوفير أموال لبناء القصور والبساتين واقتناء الأثاث الفاخرة والمنجزات الأخرى[3]، ولدفع رواتب الجند والجزية للنصاري[4].وقد أدت هذه السياسية إلى تأثر الفئات الهشة و اختناق الناس وحرمانهم[5].

أما المرأة عند الارستقراطية فكانت حياتها هنيئة ميسورة، فلها الهام بالثقافة والأدب والفنون ومنهن من نبغت في الشعر والأدب إضافة إلى إكتفائها المادي، فلم تكن مضطرة للعمل داخل وخارج البيت كنظيراتها في الفئة الوسطى أو العامة حيث كفتها الجواري مؤونة ذلك كتربية الاطفال والشؤون المنزلية وحتى العازبات لا تضطر إلى العمل، وعن خروج النساء فقد كان مقيدا بأوقات ومناسبات معينة وتحت رقابة الرجال اللذين تمتعوا بحرية

---

[1] جلال صابر، ملامح الاصالة في الشعر الأندلسي ،كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر،القاهرة،1994، ص 279.

[2] إبن الأبار،الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج2، ص-ص 81 ، 83.

[3] العذري، المصدر السابق، ص-ص 83، 86.

[4] عبدالله الزيري، المصدر السابق، ص 123.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص ص 338 ، 339.

كبيرة[1]. وشاعت بين فئة الارستقراطية عموما مجالس الغناء واللهو والطرب والرقص وحتى العربدة والمجون.

وفي عصري المرابطين والموحدين تألفت فئة الارستقراطية بالأساس من القائمين على الحكم والإدارة والجيش إضافة إلى العلماء والفقهاء وكبار الموظفين،لاسيما رجال الدين اللذين كانت لهم مكانة متميزة في المجتمع خاصة أن كِلا الدولتين قامتا على أسس دينية و اهتمت بأمور الدين وتعظيم رجاله[2]، وكان قادة الأسطول كأسرة ابن ميمون يتمتعون بنفوذ كبير في المجتمع الارستقراطي[3]، و تمتع افراد الأسرتين المرابطية والموحدية من لمتونة ومصامدة بمكانة ورئاسة في المجتمع[4]، و نالوا مناصب مهمة وقيادية وحصَّلوا بحكم هذه المكانة الأموال والضياع[5].

وعلى صعيد التأثير الاجتماعي لهذه الفئة فقد كان كبيرا شمل جميع المجالات بحكم مكانتها وثرواتها و تاريخها، وظهرت خصوصيتها واضحة في الحياة العامة للمرية اقتصاديا وفكريا وأدبيا سواء في عصر الطوائف أو عصري المرابطين والموحدين.

ب-2 الفئة الوسطى:

شهدت المرية نهضة كبيرة في عصر الطوائف وعصر والمرابطين الموحدين، حيث بلغت أوج قيمتها في العصر المرابطي فوجد الناس في هذه المدينة وفي أعمالها وسيلة للعيش وفرص للعمل والاغتناء، وضمت هذه الفئة شرائح إجتماعية عديدة وتعتبر اسلم

---

[1] غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1979،ص 495.

[2] حمدي عبد المنعم حسين،التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1، 1980،ص 150، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 267.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي، ص 150.

[4] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين دار العلوم، القاهرة،ط1، 1980،ص 329.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 271.

الفئات التي تحافظ على مستواها المعيشي ومكانتها[1]. وظلت على ارتباط دائم بالفئة الارستقراطية خاصة السلطة الحاكمة للحفاظ على امتيازاتها ومصالحها وطلبا للحماية والدعم، وعملت دوما لتوسيع ثرواتها وأملاكها، غير أنها في ذات الوقت تتأثر بالأوضاع السائدة بين هدوء وامن أو اضطراب وحرب، وشكلت هذه الفئة معظم سكان المرية باختلاف عناصرهم[2]،

وضمت هذه الفئة الاجتماعية التجار كبار ومتوسطين، وصُنَّاع وأصحاب مشاريع وملاك صغار و زُرَّاع ومُلَّاك كبار والحرفيين وأصحاب الصناعات والموظفين الصغار ورجال العلم والأدب[3]، ويلحق بهم المهندسون والفنانون والمعماريون حيث وجدوا فرصهم عند الحكام والأمراء الذين تنافسوا على جلب أحسنهم واتقنهم لإنجاز مشاريع و منشآت مختلفة في صورة واضحة للترف والبذخ والتأنق في العمران والقصور والبساتين[4] كما فعل المعتصم بن صمادح داخل قصبة المرية اذ أنشأ مجالس وبساتين يعجز المرء عن وصف جمالها وروعتها، وبنى قصر الصمادحية الذي يعتبر رمز للمرية بشكل قل نظيره في مدن الأندلس[5] . أما عن حياة الفئة الوسطى فكانت مقبولة جدا ومريحة عند كثير من شرائحها خاصة أصحاب الدخل المرتفع إذ لم تكن تعاني شظف العيش ومشقة الحياة وكانت تحصل على احتياجاتها المختلفة لتوفر المال كالمسكن والملبس والمأكل وغيرها، وإن لم تتمتّع بالمزايا التي عند الفئة الارستقراطية[6].

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص-ص 160 ، 164.

[2] يوسف علي طويل، المرجع السابق، ص 70.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص-ص 279 ، 281.

[4] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص 164.

[5] العذري، المصدر السابق، ص-ص 83 ، 86.

[6] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 280 ، 281.

وكان اهتمامها مُنصَّب على تحقيق مكاسب مالية من خلال نشاطاتها المختلفة في جو من الهدوء والاستقرار بعيدا عن الفتن والاضطرابات وهذا ما عرفته المرية خلال هذه المدة الزمنية إذ كانت بعيدة نوعا ما عن التأثيرات الناجمة عن الصراعات السياسية، كما انتشر بين الفئة الوسطى مجالس الأنس واللهو والغناء وإقامة الحفلات.

ب-3 فئة العامة :

تشكل الفئة العامة أغلبية سكان المرية ومعظم قاطنيها سواء في محيط المدينة أو خارجها في المناطق والأعمال التابعة لها، وعناصر هذه الفئة اشتغلوا في معظم المهن والحرف في الزراعة والصناعة والتجارة والنشاطات المختلفة والصناعات الحرفية. ويزيد نشاطها نتيجة الازدهار الاقتصادي فيحقق أصحابها مداخيل جيدة تسمح لهم بالتنعم بالملذات والطيبات ومجالس الأنس، وما يميز هذه الفئة أنها سريعة التأثر بالأزمات سواء سياسية أو طبيعية كالحروب والقحط و حياتها بعيدة كل البعد عن حياة الفئة الارستقراطية والوسطى وتزداد بؤسا بفرض المزيد من الضرائب ما يرهق كاهلها كما كان يحدث في عصر الطوائف أين كان التنافس كبيرا بين الملوك في التشييد والعمران والنفقات الكبيرة، وتضطر الظروف المرأة عند هذه الفئة للعمل والاشتغال للحصول على أموال إضافية لمساعدة الازواج و إعالة الاسرة والتغلب على ظروف المعيشة الصعبة اضافة إلى تربية الأبناء وشؤون المنزل، حيث يعد اقتناء الجواري أمرا أكبر من قدرة و ميزانية الأسرة[1].

وتألفت فئة العامة من صناع وتجار وزراع وحرفيين وجميع من نزل المدينة بحثا عن التكسب والارتزاق.

[1] يوسف علي طويل، المرجع السابق، ص ص 72 ، 73.

*** التجار:**

كانت التجارة في المرية تحتل مكانة هامة إذا ساعدت الظروف على ازدهارها ونموها من وجود مرافق للتجارة وميناء كثير الحركة والنشاط من صادر و وارد، علما أن التجارة تؤدي دورا كبيرا في حياة الأفراد والمجتمعات ونهضتها[1] ولا شك أن التجار شكلوا شريحة واسعة في المرية لها أهميتها ودورها الاقتصادي، فقد كان في المرية أيام الطوائف الأسواق والقيساريات والفنادق والحمامات والحوانيت وغيرها مع هدوء وأمن فقصدها الناس من كل الجهات[2]، وفي عصر المرابطين ألغيت كثير من الضرائب التي تفوق طاقة التجار فازدهرت أعمالهم وصار بوسعهم تنمية نشاطاتهم وزيادة ثرواتهم ودفع ما عليهم من ضرائب للسلطة[3]، وكذلك الحال في العصر الموحدي أين كانت المرية تزدهر بالتجار وميناؤها من أهم موانئ الأندلس.

*** الصناع:**

تعتبر الصناعة عنصرا أساسيا في النهضة الإقتصادية وعلى أكتاف الصناع كان الازدهار الاقتصادي في الأندلس[4]، و صاروا موضع تقدير واحترام من قبل الحكام والولاة[5] وفي المرية برز الصناع والحرفيون بصناعاتهم المتنوعة في النسيج خاصة الحرير، والصناعات المعدنية والحجرية وصناعة السفن وغيرها مما كان موجودا فيها.

---

[1] جمال أحمد طه، مدينة فاس في عهدي المرابطين والموحدين، ،ص 167.

[2] العذري، المصدر السابق، ص–ص 83 ، 86.

[3] حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 338.

[4] إبن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري،بيروت،ط1، 1970،ص 140.

[5] حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 339.

*** الزراع:**

اهتمت السلطة في المرية بدعم الزراعة والمزارعين مع وجود أراضي خصبة خاصة على ضفاف الوديان كوادي بجانة و وادي أندرش أين توزعت البساتين، وتنوعت المحاصيل من خضر وفواكه وزيتون وأشجار التوت ومواشي سائمة، واهتم الزراع بخدمة الأرض وما تعلق بها، وزودوا الأسواق بالمنتجات والمحاصيل، وتزدهر أعمال المزارعين عادة في الظروف المستقرة و عند إعفائهم من الضرائب الكبيرة[1] .

ب-4 فئة أهل الذمة :

أبدى الحكام المسلمون تسامحا كبيرا مع فئة أهل الذمة ما داموا مطيعين للأوامر و ملتزمين بالقوانين، ومن أهل الذمة من تبوأ مكانة معتبرة وتقلد منصبا كبيرا في ظل سلطة قدمت لهم المأوى الهانئ والملاذ الآمن[2]، وعاشوا بين المسلمين يمارسون شعائرهم ومعتقداتهم بسلام على مر السنين وكانوا جزءا من المجتمع الإسلامي، وفي المرية كان لهم نصيب في الحياة العامة ولهم كنائس مثل: كنيسة سان بيدرو، وسان خوان[3]، ومارسوا ونشاطات متنوعة في التجارة والصناعة والزراعة وإن كانت بشكل أقل، وكان لهم دور في تجارة المرية والتجارة الأندلسية كتجار ووسطاء[4]، وبلغ من تسامح المسلمين انهم كانوا يشتركون مع اهل الذمة في أعياد واحتفالات، وكان النصارى يؤدون عبادتهم ومواعظهم على مرأى ومسمع من المسلمين ومساجدهم القريبة، وسمح لهم ببناء الأدْيِرة ولبس ملابسهم الخاصة، وأعفي الكثير من أهل الذمة من الجزية كالضعفاء والرهبان والعجزة وغيرهم، وهذا إبن حزم في القرن 5 هـ/11م يؤكد هذا الوضع المتسامح ببيت من الشعر.

---

[1] حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 339.

[2] الحميري، الروض المعطار، تح: إحسان عباس ،ص 45.

[3] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 185.

[4] محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 286.

أتيتني وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيص

وكذلك المستشرق توماس ارنولد يؤكد على تسامح المسلمين مع أهل الذمة بأن حياتهم وأوضاعهم استمرت كما كانت قبل الفتح الإسلامي[1]. لكن في أوقات أخرى تلقوا معاملة مشددة من طرف السلطة حيث كانوا يقومون بأعمال ضد المسلمين والتحريض بينهم مثل ما حدث لليهود في الفتنة بين بنو صمادح وبنو زيري أصحاب غرناطة في عصر الطوائف[2]. وكذلك اعْتُبِر النصارى في عدة مناسبات عيون لنصارى إسبانيا و سببا في إضعاف المسلمين ومحاصرة المدن الاسلامية[3] وسقوطها بأيدي المسيحيين الإسبان، مثل ما حدث للنصارى في عهد المرابطين ومحاولة احتلال غرناطة، وحتى في بدايات الدولة والموحدية اسْتُعمِلت الشدة مع الذميين عندما كان يتم تخييرهم بين الإسلام أو الخروج من بلاد المسلمين في عهد عبد المؤمن بن علي أول حكام الموحدين[4] .

ب-5 فئة العبيد:

لم تخل أي مدينة اندلسية من العبيد والرقيق والجواري سواء صقالبة أوسود والذين كانوا بأعداد كبيرة حيث دعت الحاجة والضرورة لوجودهم واستخدامهم في مختلف الأعمال والمهمات كالجيش والقصور والنشاطات الإقتصادية والأشغال التي تتطلب مجهودا بدنيا، ويزداد اعتماد السادة على العبيد عند ازدياد نشاطاتهم وعندما يحسون بضعف سلطانهم ونفوذهم[5]، ووجود العبيد في المرية يعود مع نشأتها بلا شك، فقد تطورت المدينة بسرعة لتصبح حاضرة مزدهرة في عدة نواحي لاسيما في النشاط الاقتصادي ووجود ميناء يعج بالحركة وحركة صناعية كبيرة، فمثلا في الثلث الاول من القرن 5 هـ/11م عندما تحارب

---

[1] عبد الواحد ذو نون، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس، ص-ص 249، 254.

[2] إبن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية ، ص ص 230 ، 231.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: يوسف علي طويل، ج5، ص ص 67 ، 68.

[4] النويري، نهاية الأرب،ج 24، ص 177.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 286 ، 287.

زهير العامري مع الزيريين عام 429 هـ/1037م كان من جملة الغنائم التي حصّلها الزيريون عدد كبير من الغلمان الذين كانوا في جيش زهير العامري[1] وقس على هذا في عصر الطوائف عندما أصبحت المرية حاضرة وعاصمة لمملكة بني صمادح وكذاك الأمر بالنسبة للعصر المرابطي والموحدي حيث صارت المرية قاعدة للأسطول ومركز تجاري مهم في البحر المتوسط. وبالنسبة لحياة العبيد فقد اقتصرت على أداء المهام وتنفيذ أوامر السادة والقيام على خدمتهم وتلبية رغباتهم، فلم يكن للعبيد أموال أو ثروة أو منازل، وتتم معاملتهم حسب طبيعة كل مالك وأخلاقه، وتختلف من مكان لأخر ومن فئة لأخرى، فربما جواري القصور وعبيدهم كانوا أحسن حالا من غيرهم، وعملهم ينحصر في الخدمة وادخال البهجة على نفوس اسيادهم في مجالس الغناء واللهو والرقص كحال الكثير من الجواري، وحتى لباسهم وأكلهم أفضل كما يعاملون معاملة حسنة.

3- المدينة و السكان:

تتميز المدينة بتنظيماتها وعمرانها ونشاط سكانها المتنوع، وكلما تبحر العمران وكثرت المرافق حَسُن حال الناس ووجدوا ضالتهم وازداد نشاطهم وكثر انتاجهم، وهذا ما ينعكس على تحضرهم وتمدنهم، ومدينة المرية منذ تأسيسها وهي تشهد التطور والازدهار الذي جذب مزيدا من الساكنة والمقيمين وحتى الأعمال التابعة لها عرفت الازدهار الموجود في المدينة لاسيما مع الموقع الهام على ساحل البحر الذي أعطى لها إضافة وجعلها تستقطب المزيد من الناس الذين اكتسبوا صفات تميزهم عن غيرهم من سكان الأندلس.

أ- المدينة:

حظيت المدينة بمكانة خاصة منذ أقدم العصور والأزمنة في تاريخ الإنسانية حيث تمثل مركز الكثافة السكانية بتعدد العناصر والفئات واختلاف الأمزجة والمواهب ومكان

[1] إبن بسام، المصدر السابق، ق1،م1،ص 659.

الأموال والأنشطة الاجتماعية و الاقتصادية مما يضفي لمسة واضحة على الحياة العامة وتفاعل السكان، وانجذاب المزيد منهم من كل الجهات والأماكن[1]. وتختلف أسباب ونشأة المدن من واحدة لأخرى، فمنها من تنشأ لغرض عسكري أو لغرض تجاري على طرق التجارة أو السواحل البحرية حيث تعتبر مراكز لتسويق البضائع وتصريفها نحو مختلف الجهات وما يتبع ذلك من استقرار بشري وتوطن الناس حيث تزداد الكثافة السكانية أو تنقص حسب الظروف وتغيرها.

ويُرَاعى في إنشاء المدن جملة من الشروط والعوامل كتوفر الماء لاستعماله في الشرب وإقامة النشاطات الصناعية والزراعية، والهواء النقي حتى يطيب المقام والسكن، ومن المهم توفر الأمن حيث تبنى الاسوار لدفع الأخطار والمضار عن الساكنة، كما يجب أن تُبنَى المدينة غير بعيد عن المدن الأخرى لضمان حماية أكبر[2]، ولا شك أن أهم الشروط يجب توفرها عند انشاء المدن كمدن الأندلس وفرة المياه للاستعمال المنزلي وللنشاط الاقتصادي وللنظافة العامة وفي الحدائق والمتنزهات، وقد وضعت تنظيمات للمحافظة عليها وعلى نظافتها كعدم غسل الملابس بجانب موارد المياه وعدم رمى النفايات، وحتى أنه حدد للسقائين أماكن معينة للتزود بالمياه، ويسهر على هذه العملية المحتسب الذي يقوم بالمراقبة ومتابعة المخالفات التي يرتكبها الناس ضد الثروة المائية[3]، واشتهرت الأندلس بعرفاء مُلمِّين بطرق استخراج المياه وسحبها من أبعد الأماكن وتخزينها في صهاريج مع معرفتهم بطرق بناء القناطر التي تقام عليها قنوات جر المياه[4].

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في تاريخ الاسلام وحضارته، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1987،ص 201.

[2] إبن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق،ط1،ج2، 2004، ص-ص 15 ، 17.

[3] محمد عبد الله الحماد، المرجع السابق،ص 162.

[4] محمد محمد الكحلاوي، عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية(ندوة الأندلس)، ق3: الحضارة والعمارة والفنون، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1996، ص 204.

ومدن الأندلس الاسلامية كانت تنبض بالحياة وتعج بالنشاطات الاقتصادية والاجتماعية، وتحتوي على المرافق الدينية كالمساجد والكتاتيب، وعلى المرافق المدينة من دور وأسواق ومساكن مريحة كما توجد بها شبكة طرق و دروب وأزقة تتفرع حول المرافق والمباني، ويكتظ السكان داخلها وخارجها[1]، ومعظم مدن الأندلس كانت مُمَصرَة و معاقل حصينة وقلاع جريرة ومصانع[2] كان لها من الثروات والخيرات مالا يوصف من كثرة المياه وتبحر العمران وبلوغ درجة من التمدن وكثرة الجباية والأموال والثروات البرية والبحرية[3]. ويزداد السكان في الأرباض التي حول المدينة عند اكتظاظها ويتم احاطتها بأسوار في فترات لاحقة، وقد تختص فئات أو طوائف معينة بالسكن في جهة ما من الربض، والوافدين على المدينة من تجار أو مسافرين فتكون إقامتهم في الفنادق خاصة قرب الأسواق.

ويقوم على المدينة جهاز يضمّ عدة أشخاص يمثلون الهرم الإداري على رأسه الحاكم أو الوالي المكلف بتسيير شؤونها، ويساعده صاحب الشرطة في ضبط الأمن والنظام بالمراقبة والمتابعة للمخالفين، والقاضي لإحقاق العدل وتحصيل حقوق السكان، أما المحتسب فدوره مراقبة الأسواق والسلوكيات العامة، والعسس أو الداربين يقومون بدوريات حفظ الأمن في أرجاء المدينة وأحيائها خاصة في الليل[4]، وتمتاز مدن الأندلس بالنظافة الدائمة وحتى القرى يتم تزيينها وتبييضها لتكون في منتهى الجمال[5].

ويمتاز العمران الاسلامي بالجودة والإتقان والاهتمام بكل التفاصيل الفنية كالإضاءة ودخول اشعة الضوء إلى المباني والمساجد والمرافق المختلفة، واهتم المعماريون والفنانون بالزخرفة والتزيين في معظم الأماكن التي تقابل الناظرين منها استعمال الآيات القرآنية

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في تاريخ الاسلام وحضارته، ص 207.

[2] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص ص9، 10.

[3] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج 1، ص ص 60 ،61.

[4] محمد عبد الله الحماد، المرجع السابق، ص–ص 163 ، 172.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1 ص 205.

والاحاديث الشريفة والاشعار والأمثال[1] وبهذه المواصفات صارت مدن الأندلس مدنا عظيمة ومعاقل حصينة[2].

ومدينة المرية التي نشأت بادئ الامر لغاية أمنية وضرورة عسكرية جمعت كل المواصفات التي جعلت منها حاضرة وقاعدة اندلسية مهمة كالموقع الجغرافي الهام وتوفر المياه ووجود البحر والساحل والسهل والجبل والمدينة والريف، والكثافة السكانية والنشاط الاقتصادي، وكثرة البضائع والمنتوجات وفشوّ الصنائع والمرافق، وتعتبر من المدن التي كان لها أقطار متسعة وأعمال ضخام وقرى واسعة مزينة[3].

وهي في حد ذاتها أي المرية تمتاز عن غيرها من مدن الأندلس بميزات عديدة، حيث يصفها إبن سعيد بوصف جميل نقلا عن الحجاري صاحب المسهب فيقول:" فلها على غيرها من نظرائها اظهر مزية بنهرها الفضي، وبحرها الزبرجدي، وساحلها التبري، وحصاها المجزع، ومنظرها المرصع، وأسوارها العالية الراسخة، وقلعتها المنيعة الرفيعة"[4]، ضف إلى ذلك أن مدن الاندلس تستطيع الصمود للحصار لوقت طويل لوجود الحبوب والغلة المخزنة في المطامير مع مناعة أسوارها التي تحيط بها[5] وبحكم موقع المرية عند مصب نهر بجانة في البحر المتوسط، فكان الماء متوفرا يُجلَب إليها من هذا النهر بواسطة ساقية[6]، وعمل خيران العامري الذي كان يحكمها مطلع 5 هـ/11م على توفير الماء وايصاله الى المرية لاستعمال الناس في حياتهم وأشغالهم، واهتم بالبناء والعمران وتحصينها بشكل جيد حتى يمنع عنها الاعتداءات في خضم الأهوال التي طحنت الأندلس في ذلك الوقت، حتى صارت

[1] شكيب ارسلان، المرجع السابق ،ج1،ص 307.

[2] أبو محمد الرشاطي، إبن الخراط الإشبيلي، اقتباس الأنوار، ص 19.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر،م1 ص–ص 165، 205.

[4] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 193.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 206.

[6] محمد عبدالله الحماد، المرجع السابق ،ط1، ص.165

المرية عامرة مزدهرة ومنيعة، وفشت فيها العمارة والصنائع ما جعلها أشهر مدن الأندلس، وحافظ زهير العامري الذي خلف خيران في حكم المرية على نسق التطور والاهتمام بالعمران وانجاز منشآت ومرافق[1]. وفي عهد المعتصم بن صمادح صارت المرية حاضرة أندلسية لها وزنها واعتبارها وطاب السكن للناس فيها، واستقامت للمعتصم الأمور وازدهرت دولته ايمّا ازدهار[2].

وفي أواخر القرن 5 هـ/11م ضمّ المرابطون الأندلس إلى دولتهم الكبيرة، و صارت المرية قاعدة عسكرية للأسطول الأندلسي الذي كان يرابط بعدد معتبر من السفن والمراكب لحماية الأندلس في الحوض الغربي للمتوسط، كما تطورت فيها النشاطات الاقتصادية لاسيما منتوجات الحرير الذي تشتهر بها المرية والمناطق التابعة لها، وكثرت معامل الطرز والنسيج حتى بلغت رقما كبيرا يقدر بثمانمئة طراز، وفنادق لإقامة التجار والمسافرين قُدِّرت بألف إلا ثلاثين فندقا، وكان في المرية صناعات كثيرة ومتنوعة جعلت منها قطبا تجاريا مهما في البحر المتوسط إضافة إلى التجارة عبر الميناء الذي قصدته المراكب والسفن من جهات مختلفة، وسميت المرية في هذه المرحلة وهي تعيش هذا الازدهار مدينة الاسلام[3]، غير أن المدينة تعرضت لنكسة في نهاية حكم المرابطين في الأندلس، فاحتلها النصارى عام 542 هـ/1147م وفعلوا فيها الافاعيل من سبي وقتل، ولم يسلم العمران من بطشهم ومن آلة التدمير فتعرض للتخريب و الهدم، وغير النصارى من محاسن المدينة ومشيد بنيانها[4]، وبذلك فقدت المدينة جزء هام من بريقها واشعاعها الذي عرفت به لوقت طويل.

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية ،ص-ص 210 ، 217.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص82.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 196 ، 197.

[4] نفسه، ص 198.

وبالرغم من تمكن الموحدين الذين خلفوا المرابطين في حكم الأندلس من استرجاعها عام 552 هـ/1156م[1] إلا أن المرية تراجعت أهميتها عندهم مقارنة بمدن أخرى وفي نفس الوقت حافظت على ميزتها كقاعدة للأسطول ومركز للتجارة في البحر المتوسط، ونستشف من رسالة مفاضلة بين العدوتين ألَّفها أبو عمرو بن الهوزني الذي كان كاتبا للجيش في عهد يوسف بن عبد المؤمن بن علي 558 هـ-580 هـ/1163 م-1184م ولإبنه يوسف يعقوب المنصور 580 هـ-595 هـ/1184م-1198م و بعثه إلى صديقه أبو بكر بن صقلاب الذي كان عاملا للمرية في عصر الموحدين أن المرية كانت تشتهر بالتجارة ومينائها يعج بالمراكب والسفن حيث يقول:"... نعم و بحركم رجراج، واللطائف منه تسريها الرياح والأمواج...لكم الجواري المنشأت كأنها الجياد المضمرات، شروع تشرع وحبال تُحَط و تُرْفع"[2]، وشكّل الميناء قاعدة للأسطول الموحدي اذ ترابط فيها عدة قطع بحرية[3].

وقد ساهم الموقع الجغرافي للمرية في تميزها بالنشاط الاقتصادي خاصة التجاري مع وجود ازدهار صناعي وزراعي بفضل موارد عديدة وظيفية ويد عاملة بارعة تطورت مهاراتها بمرور الأوقات، هذه الظروف أدت إلى كثرة الساكنة في المدينة زادتها الطبوغرافيا جمالية حيث نجد أقساما عمرانية أربع؛ القصبة والربضين والمدينة الداخلية كلها محاطة بأسوار حصينة تتخللها الأبواب المسماة بأسماء الجهات أو المهن[4]، وعرفت أسوار مدينة المرية في عصر المرابطين تغييرا هندسيا، ففي عهد علي بن يوسف بن تاشفين500هـ-537 هـ/1105 م-1114م عمد المعماريون إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية في الاسوار حيث تأخذ شكلا متعرجا ومنكسرا يقوي من عملية الدفاع ومباغتة العدو المهاجم، الذي ما إن يدخل جنوده في إحدى الزوايا حتى ينقض عليهم المدافعون من أعلى السور،

[1] ابن الاثير، الكامل، تح: عمر عبد السلام تدمري،ج9، ص 242.
[2] محمود خياري، المرجع السابق، ص-ص 188، 191.
[3] عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الاسلامية، ص 51.
[4]نفسه، ص-ص 124 ، 129.

وأثبت هذا النظام الدفاعي فعاليته العسكرية[1]، وقام أحد أبناء المرية المعروف بابن العجمي وهو من أصحاب محمد بن ميمون قائد الأسطول الأندلسي بإصلاح بالأسوار بالتعاون مع أهلها الذين أبدوا تعاونا وقدموا ما استلزمهم من أموال وأعباء أنفقها إبن العجمي الذي عُرِف عنه العزم والسياسة في موضعها مستعينا بكل شخص ناصح له دراية حتى كملت الاسوار وأصلحت وصارت غاية في الحسن والتحصين، وقد جرت هذه الاصلاحات بعد صدور قرار التعتيب وإصلاح أسوار مدن الأندلس من طرف علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في عام 520 هـ/1425م لتقوية الدفاعات وزيادة في المنعة[2].

ويظهر أن التعتيب ضريبة فرضها المرابطون على السكان وبالاخص على مُلاك العقارات يدفعونها إلى ديوان مخصص لهذا الغرض، ويذكر الادريسي أنّه كان بالمرية ثمانمئة طراز و الف إلاّ ثلاثين فندقا اخذها عدّ الديوان في التعتيب[3] أي فرضت عليها ضرائب ومنها تم بناء وإصلاح أسوار المدينة وتقويتها.

أما من ناحية التخطيط العمراني للمرية نجد أن الطريق الرئيسي الفسيح يشكل شريان المدينة ومركز الحياة العامة، و يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مخترقا المدينة القديمة و الربضين ويمر بمحاذاة المسجد الجامع للمرية ويتصل بالأبواب المؤدية لكل قسم من أقسام المدينة، ومن هذه الطريق تتفرع الأزقة والدروب وتقام الدور والمرافق على جنباتها، وكثير من الناس من يفضل السكن خارج المدينة تجنبا للاكتظاظ والضجيج الناتج على نشاط السكان وتنقلاتهم، والمسجد الجامع يقع وسط المدينة وغير بعيد عنه السوق والحمامات والفنادق حيث تشكل هذه المرافق مركز المدينة وقلبها النابض، ويعتبر المسجد عند المسلمين نواة الحياة الاجتماعية وفيه تتم العبادات والمعاملات وتصدر القرارات المهتمة

---

[1] حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 374

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح، إحسان عباس، ط3،ج4، ص ص 73،74.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 198.

وغيرها مما يخص حياة الناس وقد أصلح الموحدون المسجد الذي خربه النصارى لما احتلوا المرية[1] كما اهتم السكان بالحمامات والطهارة والنظافة العامة لاسيما إن كانت قريبة من المسجد[2].

وعن بيوت المرية سواء بيوت الأثرياء والأغنياء فهي متشابهة كعادة بيوت الأندلس عامة على طراز واحد تتكون من حجرات وفناء وأحيانا توجد بئر وسط الفناء وغرفتان علويتان يصعد إليهما بواسطة درج طولي أو سلم خشبي، ويعتبر الآجر والقرميد من المواد الأساسية في البناء، وفي أغلب الأحيان لا تتجاوز الدار طابقين وقد تكون وسط الفناء بركة صغيرة تغرس حولها الأشجار[3].

وفي المرية كانت دار الامارة و مقر الحكم موجودة في القصبة التي تمتاز بعمران رائع متقن البناء والتزيين، وقد أعطاها الموقع المرتفع مقارنة بالمدينة القديمة والربضين ميزة وأفضلية حيث يمكن للحاكم أو الرائي مشاهدة كل المدينة والبحر وإقبال السفن والمراكب إلى وخروجها منه[4]، وهذه الميزة قلّ وجودها في مدن اندلسية أخرى، حيث تتمكن السلطة من مراقبة الأوضاع في المدينة، واكتشاف أي اضطراب يحدث فيها أو خطر يأتي من البحر.

وعن تسيير المدينة فالأمر موكل للسلطة التي تهتم بضبط الامور حيث في عهد بني صمادح كانت المرية مقر حكمهم ودار مملكتهم لذلك كانت إدارة المدينة من اختصاصهم يعينون الأشخاص الموثوق بهم لمساعدتهم في الإدارة، أما في العصر المرابطي ثم الموحدي فكانت الإدارة من اختصاص الولاة المعينين من قبل السلطة الحاكمة خاصة العسكريين بحكم أهمية المرية العسكرية والاستراتيجية وممن تتوفر فيهم الكفاءة والحزم والأمانة و خدمة

---

[1] عبد العزيز سالم، المرية، ص 98.

[2] محمد عبدالله الحماد، المرجع السابق، ص– ص 154 ، 160.

[3] نفسه، ص–ص 161 ، 164.

[4] العذري، المصدر السابق، ص–ص 83 ، 86.

السكان وأعطيت الوالي صلاحيات واسعة في تسيير شؤون ولايته بما يحفظ الأمن والهدوء ويحقق مداخيل للدولة، ويساعده في وظيفته عدة أشخاص من أصحاب الخطط المهمة والمناصب الرفيعة كالقاضي الذي يعتبر منصبه حساس وهام في إحقاق الحق وحماية خصوصية السكان وحرياتهم، ومراقبة عمل الوالي والعمال في المناطق التابعة له، والمحتسب و المكلف بجباية الأموال وصاحب المدينة، ومساعدو الوالي وهم الأعوان الذين يكلفهم بمهام معينة وتزيد أجرتهم إن كانت مهامهم خارج المدينة في الأرياف والبوادي، وجل هذه المناصب الكثيرة شغلها الاندلسيون بحكم خبرتهم ومعرفتهم بالبلاد والسكان، كما كان للموظفين السامين أعوان يساعدونهم أيضا في وظائفهم، فصاحب المدينة مثلا كان له أعوان يسمون المُخلَّفون عملهم رفع الأخبار إلى السلطة وابلاغها بكل ما يجري في المدينة حتى تكون على دراية وعلم بالمتغيرات التي تحصل في الولايات ومن ثم الاستعداد وأخذ التدابير اللازمة للحفاظ على الأمن وحياة الناس[1].

وكان يتبع صاحب المدينة جهاز أمني يسهر على فرض الأمن في كل الأوقات لاسيما في الليل أين تكثر الاعتداءات على السكان و الممتلكات في معظم الأحيان، ويعرف المكلفون بالأمن ليلا بالحراس أو الطوافون أو الداربين نسبة للدروب التي تغلق بعد حلول الظلام، و في كل زقاق بائت فيه معه سراج معلق وكلب وسلاح لمنع اللصوص والشطار وكان هذا العمل في كل مدن الأندلس[2]، وكان على الداربين أن يقوموا بدورات عديدة مع تغيير المسالك حتى يُلبِّسوا على اللصوص الذين يراقبون تحركاتهم و ينتظرون الفرصة الملائمة للقيام بعمليات السطو والاعتداء.[3]

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص-ص 126، 132.

[2] شكيب ارسلان، المرجع السابق،ج1، ص253.

[3] إبن عبدون، رسالة في الحسبة، تح: بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955 ص 18/ Lévi Provençal Sioille muslilmane au débrit des XII siecle (le tréte d'ibn Abdun sur la vie urbaine et les corps de métiers ; maison neuve, Paris, 2001, p-p39 ,42.

ب- السكان:

كانت المرية منذ بداياتها تجذب السكان و الناس بما وفرته لهم من ظروف الاستقرار مع موقعها الرائع وهوائها النقي وشبكة الطرق التي تربطها بالمناطق والمدن الأخرى، وحتى العابرين وجدوا ما يرضيهم من ظروف الإقامة وتوفر المرافق اللازمة من فنادق وحمامات وغيرها.

وامتاز الاندلسيون بخصائص وميزات دون غيرهم من البلاد الاسلامية سواء الخُلُقية والخَلْقية، اذ يقول ابن الخطيب: "وقد خصها- الأندلس- الله من الري، وغدق السقيا ولذاذة الأقوات، و فراهة الحيوان، ودرور المياه، وكثرة الفواكه، وتبحر العمران، وجودة اللباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصحة الهواء، وابيضاض ألوان الإنسان، ونبل الأذهان، وقبول الصنائع وشهامة الطباع ونفاذ الإدراك، وإحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الأقطار"[1]، فالأندلسي عموما يمتاز بالتحضر والتمدن في كل شيء في مأكله ومشربه ومسكنه ومدنه وعمرانه، وفكره ومهاراته وأدواته فاق إخوانه المسلمين في غير البلاد الأندلسية وابن الخطيب من الكتاب والمؤرخين المتأخرين بمعنى عاش في مرحلة تقهقر المسلمين وفقدانهم لمعظم البلاد التي كانت تابعة لهم فكيف الأمر لما كان المسلمون أسياد الأندلس يحكمون و يسوسون و يشيدون ويبنون، ويملكون معظم الأندلس.

وكان الاندلسيون مواظبون على الجهاد داخل أسوار مدنهم أو خارجها مستعدين بالعدة والسلاح ومتدربين على الفروسية وركوب الخيل لإحاطة العدو بهم[2]، ويقول ابن غالب: "وأهلها- الأندلس- عرب في العزة والأنفة وعلو الهمة وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباية الضيم وقلة احتمال الذل، هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها، هم أشد الناس بحثا عليها، وأصحّهم ضبطا وتقييدا ورواية لها خاصة لكتاب الله وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية ، ص 4 . المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض،ج5، ص ص60 ، 61.

[2] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1،ص 206.

وسلم، بغداديون في نباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم، وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم، ورقة أخلاقهم وظرفهم ونظافتهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر...صينيون في إتقان الصنائع العلمية وإحكام المهن التصورية فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها، فهم أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب"[1]، ويقول المقري عن الأندلس :" و السماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية"[2] ويستطرد المقري فيذكر أن الأندلسيين قد أعطوا الجزية للنصارى في عصر الطوائف إتقاء لشرهم وخطرهم حيث أصاب المسلمون الضعف وعرفوا انتكاسة كبيرة وتدافع ملوك الطوائف نحو النصارى طالبين ودهم و مسالمتهم[3] ولاشك أن ابن غالب لا يصف الأندلسيين بهذه الصفات لولا وجودها حقيقة، فقد جمع الأندلسيون صفات المسلم المتحضر الذي يشيد الحضارة ويسوس الدول، و سكان المرية مثلهم مثل الأندلسين جمعوا هذه الخلال والصفات.

والمرية كما كانت ثغرا من ثغور المسلمين وقاعدة للجهاد، فقد جمعت بين عناصر مختلفة تآلفوا وتعايشوا وشيدوا صرح المدينة و الجهة، حتى غدت المرية من أهم الحواضر الأندلسية في العمران والحياة الاجتماعية والفكرية، وعرفت كثافة سكانية عالية بعد اتساعها واكتضاضها و تأسيس الربضين و سوّرت المدينة بالأسوار المنيعة، وفر الناس إليها من كل الجهات طلبا للأمن حيث وجدوا الهدوء بعيدا عن الغوائل والفوضى التي عرفتها الأندلس بدايات القرن 5 هـ/11م أين كانت تتشكل معالم أندلس جديدة بعد سقوط الحكم الأموي عام 422 هـ/1031م وأول الموجات من الناس الفارين إلى المرية من أهل بجانة عام 402

[1] إبن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص ص 281 ، 282.

[2] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، م3، ص ص 150، 151.

[3] نفسه، ص 151.

هـ/1011م لقرب المسافة وارتباط المدينتين جغرافيا تاريخيا[1]، ولكون المرية حينذاك كما يقول ابن الخطيب حصن الأندلس ومعقلها[2]، و انحاش إليها الناس قاصدين الحياة الهادئة، وكان أهل المرية ذو ثراء وغنى لهم أموال و ذخائر[3]، ولا أدل على كثرة الأموال التي كانت في المرية ما قام به خيران وخليفته من بعده زهير من انجازات ومنشأت ضخمة وتشييد الاسوار وتحصين المدينة وزيادات في الجامع وغيرها، وحتى عندما قتل زهير عام 429 هـ/1037م وجد عبد العزيز بن أبي عامر حاكم بلنسية الذي آلت إليه المرية الأموال الضخمة والذخائر النفيسة والنقود والدراهم المضروبة من ذهب وفضة والجواهر والتي نقلها إلى خزانته ببلنسية كلها.

وعندما صارت المرية من نصيب بني صمادح جعلوا منها تحفة في العمران وإتقان البناء وللمعتصم بن صمادح 444 هـ/1051م الأثار العجيبة في قصبة المرية وخارجها فقد بني قصر الصمادحية الفحم والمجالس المنمقة والدور المزخرفة والبساتين المتنوعة وجلب المياه من أبعد النقاط ليزود بساتينه وقصوره التي لا مثيل لها في الجمال والإتقان، ضف إلى ذلك المرافق الإقتصادية الموجودة من القيسارية مرتب فيها مختلف الصناعات، والميناء ودار الصناعة حيث تُنشأ السفن والمراكب وتُخزَّن العدة والآلات الحربية، كما يتم تصدير وتوريد البضائع والسلع عبر قسم من الميناء و من ثَمَّ جاءها التجار بأموالهم والناس من كل الأقطار[4].

وهذا الازدهار الاقتصادي والعمراني لم يكن لولا توفر الأموال في المرية وارتفاع الجباية وغنى أهلها وازدهار الأعمال والنشاطات الإقتصادية، فوجدت السلطة متسعا وفائضا ماليا استخدمته في تطوير عمران المدينة، دون أن ننس الأعمال والمناطق التابعة للمرية

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص

[2] إبن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية ، ص 211.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس،دار صادر، م1، ص 163.

[4] العذري، المصدر السابق، ص-ص 83، 86.

والتي كانت تدر على الخزينة الأموال الكثيرة، وبقي أهل المرية ذوي ثراء ومال في عصر المرابطين بعد عام 484هـ/1051م لإزدهار أعمالهم وعائدات نشاطاتهم في الصناعة والتجارة والزراعة، فقد كانوا مهرة خاصة في صناعة الحرير التي أغدقت عليهم الأموال المعتبرة، ولم يكن بالأندلس من يساميهم يسرا ومالا وخبرة في التجارة وأوسع حالا ونقدا[1]، وفي العصر الموحدي بقيت المرية محافظة على ميزتها كمركز للتجارة، وأهلها يشتغلون في التجارة وتصريف البضائع[2] .

أما عدد سكان المرية فلا يمكن معرفته بالتدقيق لصعوبة الأمر وانعدام المصادر التي تتحدث عن عدد السكان، غير أنه من المؤكد أن المرية كانت تشهد كثافة سكانية كبيرة وقد توسعت في الربضين الشرقي والغربي بعد توافد الناس إليها ولم تعد المدينة القديمة تسعهم لاسيما مع إزدهار الأعمال والنشاطات التي تجذب الناس إضافة إلى الأمن والهدوء الذي بدونه تتأثر حياة الناس، ويمكننا أن نستشف من خلال بعض الإشارات التاريخية أن عدد السكان كان كبير جدا فمثلا أن خيران لما أخذ المرية عام 405 هـ/1114م من أفلح الفتى جاءه خلق كثير لينضموا إليه وقد حارب بهم في عدة معارك ليحافظ على مملكته، وخليفته زهير العامري عندما خسر معركته مع الزيريين أصحاب غرناطة فَقَدَ عددا هائلا من القتلى والأسرى[3]، وقس على ذلك ما يلزم الجند من الرواتب والعدة و السلاح حيث توفر كل ذلك في المرية بفضل آلة التصنيع مع ما يتحصل من غنائم.

وفي عصر الطوائف يذكر العذري في احدى المرّات رقما كبيرا لأهل المرية فيما وجبت فيهم الصدقات، وهم الفقراء والضعاف بلغ عشرون ألفا من الضعفاء[4]، واذا اضفنا إلى هذا الرقم عدد الفئة العامة و المتوسطة والغنية سنجد عددا كبيرا من الساكنة في تلك

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص197 ، 198.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 99.

[3] إبن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية، ص–ص 211 ، 217.

[4] العذري، المصدر السابق، ص 86.

المرحلة وهذا ما بين مدى ارتفاع الكثافة السكانية في المرية دون أن نغفل عن عدد السكان في المناطق التابعة لها من مدن وقرى وحصون بين الصغيرة والمتوسطة.

وفي عصر المرابطين عندما صارت المرية مدينة الاسلام كما يقول الادريسي فإنه بلا شك كان بها كثافة سكانية عالية مع وجود إقتصاد مزدهر يوفر العيشة الجيدة للسكان، وقد قُدِّر عدد الدور ذلك الوقت بأكثر من أربعة ألاف دار وتحديدا 4604 دار، واذا تمّ اعتبار معدل ستة أفراد في الدار الواحدة فيمكن تقدير عدد السكان بأكثر من سبعة وعشرون ألف نسمة[1]، والبعض قدر عدد السكان انطلاقا من مساحة المدينة الواقعة داخل الأسوار كما فعل توريس بالباس الذي جعل متوسط العدد السكان يقدر بثلاثمئة شخص في الهكتار الواحد، فإذا كانت مساحة المرية تقدر بتسعة وسبعون هكتار فمجموع السكان يبلغ سبعة وعشرون ألف نسمة وهذا في قمّة مجدها خلال حكم المرابطين، واذا أضيف له عدد سكان المناطق والأعمال التابعة للمرية فالعدد سيكون مرتفعا بلا شك[2] . وعندما احتل النصارى عام 542 هـ/1147م مدينة المرية أمعنوا في التخريب والقتل وسبي النساء والصغار وقُدِّر عدد السبايا فقط أربعة عشرا ألف بكر[3]، وإذا حسبنا بشكل بسيط عدد القتلى والأسرى من رجال ونساء سنجد عددهم كبير ما يبين عدد السكان الذين كانوا في المرية وقت احتلال النصارى لها.

ويمتاز سكان المرية زيادة على ما سبق ذكره بحبهم الكبير للنظافة والتأنق والإهتمام بالنظافة العامة في أنفسهم وفي دورهم وآنيتهم وغيرها، بالإضافة إلى سلوكهم المتحضر وتعايشهم مع غيرهم، ويؤكد ذلك المقري في قوله: " المرية فإنها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذي خُص أهله باعتدال المزاج، ورونق الديباج، ورقة البشرة وحسن الوجوه والأخلاق

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 114.

[2] بيار غيشار التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، تر: مصطفى الرقي مركز الدراسات للوحدة العربية ،بيروت،ط1،ج2، 1998،ص 985.

[3] المقري، نفح الطيب، تح، احسان عباس، دار الابحاث،ج4، ص ص 461، 462.

وكرم المعاشرة والصحبة "[1]، ويضيف الحجاري صاحب كتاب المسهب إلى ذلك اعتدال هواء المرية وطيب مزاج أهلها ولطافة أذهانهم[2] ،ونستطيع أن نستنتج صفات لأهل المرية انطلاقا من صفات الأندلس وهذه الصفات شاملة تنطبق على كل الأندلسين فمنها أن ابن الخطيب يصور أهل غرناطة بأنهم ذوي صور حسنة وأنوفهم معتدلة غير حادة، أما شعورهم سوداء مسترسلة وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر وألوانهم زهرية مشربة بحمرة، ويمتازون بفصاحة اللسان[3].

ويقف اهل الأندلس عند الحدود وإقامتها في غالب الأحيان وينكر التهاون في تعطيلها،وقد يصل الأمر إلى مهاجمة العامة لدار الحكم عند معاينتهم تهاونا في إقامة الحدود على المعتدين، ويبغض الأندلسيون مهنة التسول وطواف المتسولين فمتى شاهدوا متسولا قادرا صحيحا قد يسبونه ويشتمونه إلا من كان به عذر يمنعه من التكسب والعمل، وللأندلسيين دارية وكفاية للاحتياط لمعاشهم، وحفظ لما في أيديهم مع حسن تدبير وتقدير، والأندلسي مهووس كما قلنا بالنظافة والطهارة فلا عجب أن يصل به الأمر إلى حد الجوع مقابل أن يشتري صابونا لتنظيف نفسه وملابسه حتى لا تزدريه الأعين ويقلل الناس من شأنه، ونفس الشيء ينطبق على المفروشات فأهل الأندلس أولوا عناية فائقة لفراشهم[4]، وباعتبار الحمامات مرفقا ضروريا عند المسلمين في الأندلس، فوجودها يعكس مدى عناية الأندلسي بنظافة البدن التي هي أساسية في أداء العبادات خاصة الصلاة، ولا تخلو مدينة اندلسية من الحمامات وبالعدد الذي يفوق الكفاية، وفي حين كان المسلمين شديدي الحرص على النظافة ولا يستغنون عنها بأي حال، كان المسيحيون لا يتنظفون بل ينهون عنها،

[1] نفسه، ج3، ص 219.

[2] إبن سعيد المغربي، المغرب ،ج2 ص 193.

[3] شكيب ارسلان، المرجع السابق، ج1، ص276.

[4] شكيب أرسلان، المرجع السابق،ج1، ص–ص253 ، 259.

ويفتخر الرهبان بقذارتهم وأوساخهم[1] في صورة واضحة تبين الفرق الشاسع بين حضارة المسلمين وواقع الغرب المسيحيي آنذاك، وأنظر إلى حال الشخص الذي تفوح منه روائح كريهة وملابسه متهالكة من كثرة الأدران فلا يمكنه أن يتقدم في الحضارة وميادين التطور بأي حال.

وإذا عدنا إلى المرية ففيها الكثير من الحمامات، فبجانة وحدها كان بها أحد عشر حماما[2] فما بالك بالمرية وهي قاعدة الإقليم ومركز الجهة فمن الأكيد أنها كانت عامرة بالحمامات، فربضها الغربي كما يذكر الادريسي في عصر المرابطين احتوى على مرافق عديدة ومنها الحمامات لاسيما أن المرية معروفة بدخول المسافرين والتجار وفي كل الأوقات[3]، والغالب على لباس أهل المرية كعامة الناس في شرق الأندلس ترك العمائم وجل الناس يلبسون الطليسان وهو ثوب أخضر موصول بغطاء للرأس دون تغطية الرأس عكس الأشياخ المعظمون الذين يضعونه على رؤوسهم، ويلبسون أيضا الغفائر- وهو لباس يغطي العنق والقفا صوفية حمراء وخضراء- وكان العلماء يرخون ذؤابة مسدلة تحت الأذن اليسرى، و اثناء الحزن يرتدي السكان كعادة الأندلسين لباسا ابيضا مخالفين للمشارقة المعروف عنهم ارتداء ملابس سوداء عند الحزن[4].

ويمكننا الجزم أن موقع الجغرافي المتميّز للمرية على ساحل البحر الابيض المتوسط أكسب سكانها ظرافة ولطافة وبشاشة وخبرة في التعامل مع الناس الذين يتوافدون عليها لأغراض شتى خاصة للإتجار والابحار إلى المشرق وغيره، وهذا الاحتكاك المستمر مع الاجانب و العابرين والمتجولين أعطى قيمة لمفهوم التعايش الاجتماعي عند سكان المرية و المزيد من الثقافة و الحضارة و التمدّن.

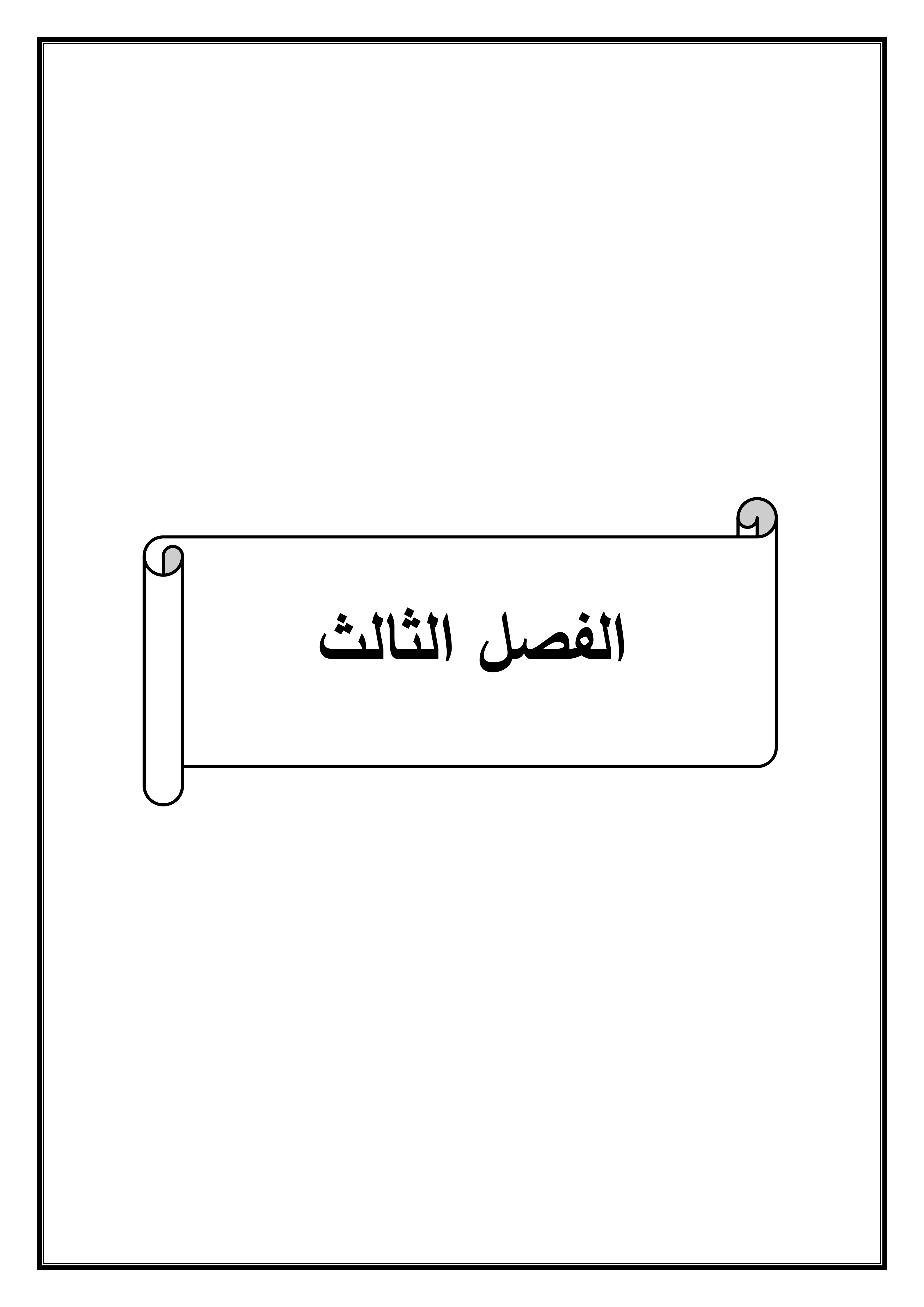
---

[1] علي الجارم بك، قصة العرب في إسبانيا، مطبعة المعارف، القاهرة،1947 ص 125.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 87.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر،م1، ص ص222، 223./ ، م3، ص-ص441، 446.



الفصل الثالث

الفصل الثـــالــــث

صور من الواقع الاجتماعي في المريـة

1 - العلم والعلماء.

أ- علوم الدين.

ب- اللغة والأدب و الشعر.

ج- التاريخ و الجغرافيا.

د- الطب والرياضيات والفلسفة و الفلك.

2- التصوف.

3-المساجد.

4-الجهاد والاسطول.

5-المراة.

6-اللباس

7-الجنائز.

8-المتنزهات و الاستجمام.

9-الإحتفالات و الموسيقى.

10-الطعام و المطبخ.

أصبحت المرية في عصر الطوائف خلال القرن 5هـ/11م حاضرة مميزة وعاصمة لمملكة بني صمادح الذين نافسوا بها أمهات المدن و الحواضر الكبرى، وجعلوها مركزا اقتصاديا وعلميا يشع بالحياة ويجذب الناس من كل الجهات من داخل الأندلس ومن خارجها. كماعرفت المرية الهدوء النسبي مقارنة بغيرها فاتسع عمرانها وازدهر واغتنى أهلها بِما توفرت عليه من أعمال ونشاطات وتعايشت مختلف العناصر التي سكنت المرية وتفاعلت فيما بينها في صورة معبرة عن تميز أهل المرية وتحضرهم.

وقد بلغت المرية أوّج ازدهارها وقمة تطورها في عصر المرابطين الذي أعقب مرحلة الطوائف بعد عام 484هـ/1091م حتى سميت مدينة الإسلام حيث وصلت الى درجة متقدمة من الازدهار الاقتصادي والاجتماعي، ووصل تأثيرها الحضاري إلى عدة جهات. ومما لا شك فيه أنّ المرابطين أولوا عناية بالأندلس ومدنها من خلال التنظيمات المختلفة رغم ارتباطهم بالجهاد ومحاربة النصارى منذ أن وطئت أقدامهم أرض الأندلس، وعملوا على حمايتها وتوفير المناخ الملائم لتحقيق الرقي في كل المجالات، وشغلت المرية حيزا واسعا في السياسة المرابطية حيث كانت مركزا للتجارة ورابط فيها الأسطول الأندلسي بأهم قطعه الحربية و أمْهر قادته العسكريين، وضلت المرية قاعدة من قواعد الأسطول المهمة ومركز للتجارة كذلك بعد مقدم الموحدين إلى الأندلس إثر نهاية الحكم المرابطي عام 542هـ/1147م.

وقد تحدثت المصادر الكثيرة عن اهتمام المرابطين و الموحدين بالأندلس وعن سياسة وحكام الدولتين ورعايتهم للمدن الأندلسية خاصة الثغور منها والعمل على ازدهارها، فهذا يوسف بن تاشفين 400هـ-500هـ/1010م-1110م كان حريصا على ضبط ملكه وتفقد أحوال الرعية وحفظ البلاد و الثغور، وابنه علي بن يوسف بن تاشفين 500هـ-537هـ/1110م-1143م وجد البلاد مضبوطة وهادئة والأموال متوفرة فاتجهت عنايته لرعيته، وكذلك الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي 524هـ-558هـ/1133م-1166م كان

حسن السيرة في رعيته وذو حزم وسياسة، وابنه يوسف بن عبد المؤمن558هـ-580هـ/1166م-1187م كان حليما وحسن السياسة والتدبير[1]، وأبو يوسف يعقوب المنصور 580هـ-595هـ/1187م-1201م عمل على تحقيق العدل في دولته وبين رعيته [2]. وهذه الأمثلة فان دلت إنما تدل على رعاية السلطة واهتمامها بالمدن و منها المرية التي عاش فيها الناس حياة اجتماعية مزدهرة بين العلم والجهاد واللباس والاحتفالات، وتشارك الجميع في هذا الازدهار من نساء ورجال ومختلف العناصر المشكلة لمجتمع المرية.

1- العلم و العلماء:

لقد اهتم الإسلام بالعلم وحضّ المسلمين على العلّم والاستزادة من مختلف العلوم والمعارف التي توافق العقيدة الإسلامية، والإسلام ظهر في بيئة غلب عليها الجهل والأمية، وأول ما نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم قوله تعالى: " **إقرأ بسم ربك الذي خلق1 خلق الإنسان من علق2 إقرأ وربك الأكرم3 الذي علم بالقلم4 علم الإنسان ما لم يعلم5**" [3] ، وكذلك قوله عزّ وجلّ: " **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل ربي زدني علما** " [4]، كما أمر الإسلام المسلمين بطلب العلم في قوله تعالى: " **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذ رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون** " [5].

وكذلك حثّ رسولنا الكريم صلىّ الله عليه وسلم المسلمين على طلب العلم ونشره في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، واهتم الإسلام بجميع مجالات العلم الموافقة للعقيدة،

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 136، ص157، ص203، ص205.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، م7، ص13.

[3] سورة العلق، الآيات1-5.

[4] سورة طه، الآية 114.

[5] سورة التوبة، الآية 122.

وأعطاها قدرها ومكانتها وكان على المسلمين أن يأخذوا بنصيب منها وعلى رأسها العلم الشرعي أي علوم الدين، دون إغفال آداب المعلّم و المتعلِم [1].

ولقد اعتنى الأندلسيون بطلب العلم و العناية به، وقد شجعت السلطة الحياة العلمية وعملت على مراقبة ميدان التعليم ومحاربة البدع و الأفكار الدخيلة على المجتمع الأندلسي بالتعاون مع العلماء والفقهاء. وكان للمحتسب دور كبير حيث يراقب أماكن التدريس أين يُلَّقى العلم في الكتاتيب، و يراقب سلوك المدرسين والمعلمين مع تلامذتهم وطلبتهم ومنع كل دخيل ومتطفل من ممارسة التدريس[2] الذي يعتبر مفتاح نشر العلم وتلَّقيه و الذي به تتقدم الشعوب و يحقق المجتمع نهضته وتكتمل معالم حضارته خاصة في ظل سلطة مهتمة بالعلوم و حُكَّام لهم نصيب من العلم والمشاركة فيه، وكانت الرحلات العلمية من بين وسائل نقل العلم في الأندلس، فقد اهتم العلماء والطلبة الأندلسيون بالرحلة والترحال إلى الحواضر العلمية الكبرى في العالم الإسلامي كفاس ومراكش وتلمسان و القيروان والقاهرة ودمشق وبغداد ومكة و المدينة للنهل من ينابيع العلم والاحتكاك بالعلماء و الأخذ عنهم و الاستزادة من علومهم وتجاربهم، فالرحلة كما يقول ابن خلدون لا بدّ منها والكمال يكون بلقاء الشيوخ ومباشرة الرجال [3].

وتعتبر المرية بحكم موقعها من المحطات الأساسية التي ينطلق منها الأندلسيون في أسفارهم ورحلاتهم لطلب العلم أو الحج سواء أبناءها أو أبناء الأندلس عموما نحو المشرق الإسلامي، وترد كثيرا من المعلومات في المصنفات الإسلامية عن رحلات الأندلسيين لأغراض تعبدية أو ثقافية علمية أو حتى تجارية [4] كالرحلة إلى القاهرة أو بغداد [1]، وكان

---

[1] شحات حبيب الفيومي، الأئمة الأربعة (شموس في سماء الأمة الإسلامية)، مكتبة علاء الدين، القاهرة، 2006، ص-ص 9، 16.

[2] موسى لقبال، الحسبة المذهبية في المغرب العربي (نشأتها وتطورها)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1970، ص 27.

[3] ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ص541.

[4] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا و الجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1986، ص ص 397، 398.

الاهتمام بالرحلات العلمية عند الأندلسيين خاصة الطلبة منذ القديم بعد الفتح الإسلامي للأندلس التي صارت جزءا من العالم الإسلامي [2]، وربما يجتمع غرضا الحج و التجارة في رحلة واحدة عند بعض الأندلسيين عند توجُّههم إلى المراكز العلمية الكبرى في الشام والعراق ومصر[3]، فتتحقق الفائدة الدينية والدنيوية وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم: " **من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجّل به طريقا من طرق الجنة** " [4]، ومن ثَمَّ فإن الرحلة العلمية عند الأندلسيين لها أهميتها في التحصيل العلمي واكتساب الخبرات والمهارات وتبوأ المكانة المرموقة في الساحة العلمية، وممّا زاد في ازدهار الحياة العلمية في الأندلس كثرة المؤلفات وتنوعها في شتى المجالات والتخصصات، وظهرت صناعة الورق وحرفة الوراقة مع توفر الورق أو الكاغط في الأندلس وصارت الوراقة وسيلة لكسب القوت[5]، ومع ازدهار صناعة الورق ازدهرت صناعة التسفير وتجليد الكتب[6].

وإضافة إلى الرحلة العلمية وازدهار حركة التأليف وصناعة التسفير و التجليد بالأندلس سيطرت اللغة العربية والمذهب المالكي على الحياة العلمية وصارا لا ينافسان رغم التغيرات الكثيرة التي حصلت، فكانت اللغة العربية اللغة الرسمية في الأندلس و الاساسية في لغة الخطاب والمعاملات لا تنافسها لغة أخرى، وتلحقها اللغة العربية العامية التي يستعملها

---

[1] أوليفيا كونستيل، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، ص 55.

[2] علي إبراهيم كردي، أداب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيأة العامة، دمشق، 2013، ص85.

[3] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 61.

[4] أبو داوود بن سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، الحجاز، ط1، 2009، ص485.

[5] عزّ الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983، ص-ص 224، 227.

[6] ابن الأبار، التكملة للكتاب الصلة، تح: عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1956، ص ص 150، 151.

الناس في حياتهم كلغة للتفاهم والتواصل، وشاع أيضا في مدن الأندلس انتشار اللغة الرومنثية وهي الاسبانية القديمة خاصة بين المستعربين والنصارى الوافدون[1].

أما المذهب السائد في الأندلس فهو المذهب المالكي الذي ترسَّخ في كل المدن الأندلسية، ولا يعرف الأندلسيون إلاّ مذهب مالك رضي الله عنه وقراءة نافع. وربما لا يقبلون بينهم المذاهب الأخرى كالحنفي أو الشافعي و لا معتزلة ولا شيعة وغيرها من المذاهب التي حاربوها في كل وقت وقد تدعم رسوخ المذهب المالكي بدعم من السلطة الأموية أنذاك[2] في عهد الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالحكم الربضي 180هـ-206هـ/797م-822م، وقبل ذلك كان الأندلسيون على مذهب الأوزاعي إمام الشام المتوفى عام 157هـ/775م في الأحكام والفتيا وعلى مذهبه الاعتماد و التعويل، ثم أُدخِل الموطأ الى الاندلس وتم العمل به، ويعتبر يحي بن يحي الليثي وعيسى بن دينار اول من ادخلا الموطأ ونشراه بين الأندلسيين [3].

و يذكر القاضي عياض أن أصل مذهب مالك(ت 179هـ/795م) المدينة المنورة أين عاش الإمام وبث علمه ونشر مذهبه بين الطلبة الذين قصدوه من كل الجهات في حين كانت الأندلس على رأي الإمام الأوزاعي على عادة الشاميين، وكان بعض الطلبة كزياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغاز بن عيسى قد أخذوا عن مالك، ولما عادوا للأندلس أظهروا للناس علمه وسمته، وأقبل الناس يتدارسونه ويعملون به، ثم أمر الأمير هشام الرضا 172هـ-180هـ/730م-797م ثاني أمراء الدولة الأموية بالأندلس الناس أن يتبعوا مذهب مالك إمام دار الهجرة ويلتزموا به ومنذ ذلك الحين والمذهب المالكي يترسَّخ ويسود في الأندلس، وحماه الناس بالسيف ودافعوا عنه وأقبل عليه الأندلسيون تعّلما وتعليما، ولم تزعزعه محاولات البعض من الأندلسيين والرحالة والغرباء في إزاحته وإدخال البعض من

---

[1] مريم قاسم طويل، المصدر السابق، ص-ص 63، 66.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ليدن 1906، ص ص 236، 237.

[3] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص125.

مذهب أبو حنفية(ت150هـ/768م) أو الشافعي(ت205هـ/821م) أو احمد بن حنبل(ت 241هـ/855م) أو داوود بن علي الظاهري(ت270هـ/883م) ولم يتمكنوا من نشره على اختلاف أزمانهم[1]، وهكذا صار مذهب الامام مالك السائد و الأول بلا منازع في كل الغرب الإسلامي عموما.

و نال علماء المالكية وفقهائها الإجلال والتقدير من قبل السلطة والمجتمع وكانت مكانتهم محفوظة باعتبارهم صفوة القوم وخاصتهم، إليهم يرجع التدبير و المشورة في السراء و الضراء، وكان لعلماء الدين تأثير على الرعية وتوجيه الحياة العامة في مختلف المجالات. و الأندلس منذ فتحها المسلمون أرض علم ودين و فقه، لذلك أحبّ الناس علماء الدين والفقهاء واحترموهم واتبعوهم، وحتى السلطة الحاكمة كانت تُكِنّ كبير الإجلال والاحترام للفقهاء وقربتهم إليها ودعمتهم. فهشام الرضا ثاني الحكام الأمويين بالأندلس أمر بالتزام مذهب مالك وصيّر القضاء والفتيا عليه[2]، كما هددّ الخليفة الحكم المستنصر 350هـ-366هـ/961م-976م كل من خالف مذهب مالك بالعقاب و النكال[3].

وكذلك كان الأمر في عصر الطوائف إذ قام الملوك على ضعفهم وتناحرهم وتخاذلهم بتقريب العلماء والفقهاء وتشجيعهم في بث ونشر علومهم وافكارهم، فمثلا كان المعتصم بن صمادح يجلس مرة كل أسبوع مع الفقهاء لتدارس كتب الحديث والتفسير[4]، وعندما ضاقت السبل بالملوك عندما خنقهم النصارى وسقطت طليطلة عام 478هـ/1084م بأيديهم لجأوا إلى المرابطين لينقذوهم، فأرسلوا فقهاء أجّلاّء لطلب النجدة من يوسف بن تاشفين[5].

---

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك(ت544هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مكتبة فضالة، الرباط، ج1، ص-ص 23-27.

[2] نفسه، تح: أحمد بكير محمود، دار المكتبة الفكرية ليبيا، ج1، 1988، ص55.

[3] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1981، 1983، ص333.

[4] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص83.

[5] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص36.

وفي عصر المرابطين بلغ الفقهاء مبلغا عظيما ونالوا حضوة وجاها عند يوسف بن تاشفين وعند ابنه علي بن يوسف، وكان لهم الأمر والنهي وإليهم القصد والمنتهى [1]، وفسح المرابطون المجال لفقهاء المالكية وضيقوا على أفكار المذاهب الأخرى خاصة الفرق الكلامية [2]. وكان الموحدون كذلك يعظمون الدين ورجاله، فهذا عبد المؤمن بن علي أول حكامها جمع الناس على مذهب مالك في الفروع وعلى طريقة الأشعري في الأصول[3]، وكذلك ممّن جاء بعده سواء ابنه يوسف بن عبد المؤمن أو حفيده يعقوب بن يوسف كلهم بجَّل الفقهاء وقرَّبهم وأخذ بمشورتهم [4]، وكان لنشأة الدولتين المرابطية والموحدية الدينية تأثيرا كبيرا في تقريب الفقهاء ورجال الدين من السلطة، حيث كانوا المحرك والمؤثر في قيام هاتين الدولتين والرعية تأخذ بآرائهم وأفكارهم، فلذلك استمرت حضوة الفقهاء و هيبتهم طوال حكم الدولتين.

وقد برزت المرية كحاضرة علمية لها مكانتها وقيمتها منذ بدايات القرن 5هـ/11م تحت حكم خيران وزهير الذي كان يشاور الفقهاء ويعمل بقولهم[5]، وزاد تطورها العلمي تحت حكم بني صمادح الذين أعطوا دفعا اضافيا للحياة العلمية باهتمامهم بالعلوم ومشاركتهم فيها، فأبو الأحوص معن بن محمد بن صمادح الذي حكم المرية من 433هـ-444هـ/1041م-1051م كان من أهل الدهاء والفضل والعلم والآداب وغير ذلك وله تأليف كما انّه ينتمي إلى بيت راسخ في الرياسة والعلم، فحُمِدت سيرته وشُكِرت خصاله، وانتفع الناس بحكمه وعدله فقد حارب الظلم والبغي، وشجع العلم وعاش الناس في هدوء ودعة وانتهت المرية إلى المكانة الرفيعة[6].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص122، ص 46، ص 59.

[2] المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963، ص ص، 236، 237.

[3] ابن الأثير، الكامل، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج9، ص 300.

[4] النويري، نهاية الإرب، ج24، ص- ص، 175، 185.

[5] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص-ص 212، 216.

[6] العذري، المصدر السابق، ص 84.

و كان أبو يحي محمد بن معن بن صمادح الذي خلفه عام 444هـ/1051م رحب الفِناء، و كريما معطاء، مبتعدا عن الدماء و الدهماء، و مأمون الجانب حصيف العقل، وكان شغوفا بالعلم والادب، ومتمكنا من الشعر وقرضه، ويقرِّب اليه ذوي الشأن والنباهة في مختلف صنوف العلم لذلك شدّ العلماء و الادباء و فحول الشعراء الرحال إلى حاضرته المرية بِما وجدوا عنده من برّ وترحيب وتشجيع، وأشهر شعراء ذلك الوقت الذين كانوا عند المعتصم نجد أبو عبد الله بن الحداد و أبو الفضل بن شرف وابن عبادة المعروف بالقزاز و ابن ملك القرطبي والاسعد بن بلّيطة وابن الشهيد و ايضا المحدّث احمد بن قاسم، كما كان معتنيا بالدين وإقامة الشرع، وكان يجلس يوما كل جمعة للخواص والفقهاء للمناظرة في كتب التفسير والحديث، وفي قصره عُقدت المجالس العلمية للمذاكرة والمناظرة في شتى ميادين العلم والفكر والادب، ولم تخلوا أيامه كما قيل من مناظرة ولا عُمِرت إلاّ بمذاكرة أو محاضرة [1]، و إضافة إلى فضله وعقله وأدبه فقد قرّب اليه الشعراء خاصة و راجت سوق الشعر عنده ونفقت [2]، ونجد أبنائه أبو يحي رفيع الدولة بن المعتصم، وعز الدولة أبو محمد عبد الله بن المعتصم وأبو جعفر أحمد بن المعتصم، وأم الكرم بنت المعتصم قد ورثوا من أبيهم المَلَكة الأدبية وحبّ الشعر ونظمه وقرضه[3].

والعجيب أنه خلال عصر الطوائف في المرية وفي غيرها كان الوضع السياسي لا يعكس أبدا الحياة العلمية المزدهرة، ففي حين كانت الأندلس منقسمة إلى ممالك ضعيفة سياسيا ومواقفها مخزية أمام النصارى الذين ساموا المسلمين الخسف، وأذاقوهم مرارة الذل وتمكنوا حتى من فرض الضرائب على ملوك المسلمين لاسيما في النصف الثاني من القرن

---

[1] الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، القاهرة، د د ط، 1284هـ، ص–ص 47، 49. ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م2، ص733. ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص ص82، 83.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج3، ص 168.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص ص 199، 203. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 737. المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج3، ص– ص 366، 371. ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص– ص 88، 96.

5هـ/11م والتي أرهقتهم واضطروا إلى أخذها من الرعية وبكل الأشكال، نجد في المقابل الحياة العلمية مشرقة والعلوم نافقة، والعلماء على أكثريتهم يجدون الترحيب والتشجيع عند الملوك وينالون الامتيازات والمكافآت منهم، وكما يذكر ابن سعيد المغربي نقلا من رسالة الشقندي(ت629هـ/1232م) أن في تفرق ملوك الطوائف كان الاجتماع على تشجيع الحياة العلمية والفكرية وفي عهدهم نفقت سوق العلوم و تباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم وقّلدتهم الأشعار ومدحهم الشعراء[1].

وقد أجمعت المصادر أنّ المعتصم بن صمادح كان مثالا عن الملوك الأدباء الذين أعطوا فائق عنايتهم للحياة الأدبية والفكرية بعيدا عن المشاركة في الصراعات السياسية والمؤامرات التي ميزّت غيره من ملوك الطوائف، ولم تتلطخ يده بدماء رعيته، فابن بسام الشنتريني يقول عنه: " أنه كان حليما عن الدماء والدهماء "،و يقول الحجاري صاحب المسهب أنه: " ملك تملّكه الإحسان وأطلعه الفضل في وجه الزمان "، وقال الفتح ابن خاقان أنّ المعتصم: "ملك أقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في انتظامها واتساقها " [2] كما يشيد ابن دحية ببني صمادح وحبهم للعلوم والمعارف فيقول: " وبنو صمادح بيت العلوم الفائقة والآداب الرائقة "[3].

ويضيف ابن دحية أن المعتصم له رواية عن أبيه معن عن جده محمد بن صمادح لمختصر غريب تفسير الطبري [4]، وجدّ المعتصم كذلك يسمى محمد بن أحمد بن صمادح كان في بداية الفتنة بالأندلس صاحب وشقة في الثغر الأعلى وله كما يقول ابن بسام رأي ومعرفة وقطعة من الأدب يقضي بها حاجاته مخاطبا ومذكرا [5]، فالعلم وحبّه وحبّ أهله

[1] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م3، ص- ص 366، 371.

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص ص 195، 196.

[3] ابن دحية الكلبي، المصدر السابق، ص34.

[4] نفسه .

[5] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 730.

توارثها بنو صمادح أب عن جد لذلك نجد هذا البيت يشجع الحياة العلمية في المرية التي نبغ فيها رجال مشهورون من أبنائها أو من الوافدين إليها أو حتى العابرين منها.

وخلال عصري المرابطين والموحدين استمر ازدهار حواضر الأندلس التي اشتهرت في عصر الطوائف، واستمر عطاء الأندلسيين بإسهاماتهم العلمية والفكرية. ورغم أنّ اهتمام حكام الدولتين كان منصبا على جهاد النصارى ومنع اعتداءاتهم واقتطاعهم لأراضي المسلمين، إلاّ أنهم كانوا محبين للقضاة والعلماء والفقهاء والصلحاء كما يستشيرونهم عند اتخاذ القرارات المهمة ويقربونهم من مجالسهم[1]، وهذا دليل على عناية المرابطين والموحدين بالعلم والعلماء وتشجيعهم للحياة العلمية والإنتاج الفكري فظهر في عهدهم جلّة من الفقهاء والعلماء وغيرهم سواء في المرية أو المدن الأخرى، وربما هناك ممّن يصف المرابطين بعدم اهتمامهم بالجانب الثقافي والفكري وربما حتى معاداته، إلا أن عصر المرابطين عصر ممّيز بخصائصه ومرحلة من مراحل تاريخ الأندلس العامر بالفتوح الفكرية[2]. وقد وجد المرابطون جمهرة من الفقهاء والعلماء ذوي العلم الغزير في الاندلس فرفعوا مراتبهم وأدنوا منازلهم، وصار الفقهاء لهم صلاحيات كبيرة كأنهم حكام مدنيين إلى جنب الحكام العسكريين في الجهات والأقاليم[3]، وممّا لا شك فيه أنّ الكثير من العلماء والفقهاء بدايات الدولة الموحدية في الأندلس ولدوا وتلّقوا علمهم في عصر المرابطين.

والمرية إضافة إلى كونها مركزا اقتصاديا وتجاريا بامتياز كانت حاضرة علمية وفكرية يتعّلم فيها أبناؤها والوافدين إليها لتوفرها على إمكانيات ومرافق ساعدت على نهضة علمية،

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص137، ص157، ص203 وما بعدها.

[2] محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس عصر المرابطين، أطروحة دكتوراه، إشراف، عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002، 2003، ص103.

[3] حسين مؤنس، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000، ص24.

ونبوغ الكثير من مشاهير الأندلس في شتى ميادين العلم، وسواء كانوا من أبنائها الأصليين أو من أقام فيها أو من مرّ بها وترك بصمته في الحياة العلمية.

أ-علوم الدين:

ومن أشهر أبناء المرية العالم العذري الدلائي الذي يعتبر من محدثي المرية والأندلس ساهم بالتدريس والتأليف في نشر العلم [1]، ونذكر من علماء المرية محمد بن محمد الزبيدي استوطنها وولى قضائها بعد الأربعين وأربعمائة هجرية [2]، والفقيه محمد بن أحمد الحمزي توفي 439هـ/1047م[3]، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الجذامي البرجي توفي509هـ/1115م وينسب إلى برجة له مقام في الإقراء والحديث والأحكام والتفسير[4]، والرشاطي أبو محمد له باع في الحديث ت542هـ/1147م [5]، والقاضي أبو عبد الملك تولي قضاء المرية [6]، وأبو عبد الله محمد بن حسين البلغي نزيل المرية سمع الحديث والفقه في رحلته الى المشرق [7]، والفقيه أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بابن المرابط تولي القضاء والافتاء في المرية له كتاب كبير في شرح البخاري توفي عام 485هـ/1092م [8]، والفقيه المالكي العالم أبو عمر أحمد بن محمد بن أسود الغساني من أهل المرية توفي 469هـ/1076م [9]، والعالم أبو عبد الله محمد بن يبقى اللخمي كان واقفا على الأثر توفي 481هـ/1088م [1]،

---

[1] محمد بن زين العابدين رستم، الحافظ الرواية: أبو العباس العذري المرّي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ص،ص 5، 6.

[2] الضبي(ت 595هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، اللبناني، القاهرة، بيروت، ط1، ج1، 1989، ص69.

[3] نفسه، ص 77.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص374.

[5] نفسه، م3، ص45.

[6] ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خوبوش، مكتبة المنار، الأردن، ط1، ق3، 1989، ص632.

[7] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الأشبيلي، المصدر السابق، ص116.

[8] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس دار صادر، م2، ص90.

[9] ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزّت العطار، القاهرة، 1955، ج1، ص 67.

والفقيه المشهور أبو الفضل جعفر بن شرف[2]، والمحدث أبو علي الصدفي ابن سكرة استوطن المرية واستشهد في معركة كتندة جهة سرقسطة عام 514هـ/1120م بين المرابطين والنصارى[3]، و قد إشتهر بالحديث وطرقه ورجاله وكل ما تعلق بعلم الحديث، والفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن وضاح القيسي الذي نشر علما كثيرا بين الناس، والمحدث أبو عبد الله بن سعدون القروي توفي 485هـ/1092م [4]، والمحدث أبو عبد الله محمد بن حسين الأنصاري له تأليف في علم الحديث جمع فيه بين الصحيحين[5].

وممّن عاش في المرية أبو الوليد الباجي ومات فيها عام 474هـ/1081م له تصانيف في الفقه والتفسير[6]، وعبد الرحمن بن أحمد بن خلف ابن الحوات من طليطلة كانت له مشاركة في الفقه والحديث أقام في المرية وتوفي عام 450هـ/1058م [7]، وقاضي المرية موسى بن أحمد المرسي [8]. وأبو الوليد هشام بن أحمد الهلالي المعروف بابن بقوى من أهل الحديث والفقه وأصول الدين توفي عام 530هـ/1135م أصيل غرناطة سمع في المرية من علمائهما كطاهر بن هشام الأزدي، والعالم أبو محمد حجاج بن قاسم الرعيني المعروف بابن المأموني، وأبو القاسم خلف بن أحمد الجراوي، والمحدث المؤرخ أبو العباس العذري وقدم ابن بقوى المرية وخرج منها عام 492هـ/1098م، وممّن اشتهر في المرية القاضي أبو عبد الله محمد بن شبرين دخل المرية مع أبي الوليد الباجي وأجاز له العذري في الحديث، وكذلك أجاز له أبو عبد الله بن المرابط [9]، و إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي المعروف

---

[1] نفسه، ج2، ص525.

[2] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص256.

[3] المقري، أزهار الرياض، تح: مصطفى السقا و اخرون، ج3، ص154.

[4] المقري، نفح الطيب، تح : احسان عباس، دار صادر، م2، ص 90، ص92 / م2، ص219.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 120.

[6] محمد بن شاكر الكتبي(ت 764هـ)، فوات الوفيات، تح: إ، عباس، دار صادر، بيروت، م2، 1974، ص ص 64، 65.

[7] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 468.

[8] العذري، المصدر السابق، ص86.

[9] المقري، أزهار الرياض ، تح: مصطفى السقا، ج3، ص– ص 154، 156.

بابن قرقول أصله من بلاد حمزة بالمغرب الأوسط عالم بالحديث ومن الأدباء، ولد و نشأ في المرية، وطلب العلم واشتهر وكانت وفاته بفاس عام 569هـ/1174م [1].

و من علماء المرية القاضي محمد بن سعيد تولى قضاء المرية عام 511هـ/1117م، وخلفه في هذا المنصب القاضي أبو الحسن بن أضحى[2] الذي تولى في وقت لاحق قضاء غرناطة، وكان مِمَّن أيَّد القاضي ابن حمدين الذي ثار بقرطبة عام 539هـ/1144م ضد المرابطين [3]. ومن العلماء أبو عبد الله محمد بن الفرّاء كان يعلِّم القرآن في المرية[4]، وكان على ورع ودين وهو الذي كتب إلى يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين جوابا عن كتابه إلى أهل المرية لتقديم المساعدة والعون في ما هو بصدده من جهاد النصارى، وطلب منه أن يحلف- يعني يوسف بن تاشفين- بأنه لا يملك مالا فيستحق بذلك المعونة وحدثت هذه القصة عند وقعة الزلاقة عام 479هـ/1086م التي جرت بين المسلمين والنصارى[5]، ومن أهل المرية النابغين أبو محمد بن عبد الله بن علي الرشاطي كان معتنيا بالحديث ورجاله وبالرواة، قتل في المرية عندما احتلها النصارى عام 542هـ/1147م [6]، والمفسر محمد بن ابراهيم بن أسود الغساني من أبناء المرية من عائلة ورع وعلم رحل إلى مصر، تولى القضاء وله تفسير للقرآن[7]. ومن علماء المرية العالم عمر بن أحمد الوضاحي القيسي توفي عام 536هـ/1142م، وأبو علي الحسن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الرمبيل توفي 585هـ/1188م[8]، والإمام العالم أبو بكر غالب بن عطية المحاربي توفي عام

---

[1] الزركلي، المصدر السابق، م1، ص ص 81، 82.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص- ص 65، 67.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ط1، ص- ص 77، 79.

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص، ص 190، 197.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 119.

[6] الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 105.

[7] نفسه، ج5، ص295.

[8] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص- ص 195، 197.

518هـ/1124م [1]، و ابنه الفقيه عبد الحق بن غالب بن عطية توفي 546هـ/1151م كان عارفا بالأحكام و الحديث والتفسير ضابطا مقيدا[2]، وكان مُقَربا من المرابطين وله شعر يمدحهم فيه [3] :

اذا لُثِّموا بالرُبط خلت وجوههم   أزاهر تبدو من فتوق كمائـم

و إن لُثِّموا بالسامرية أظهروا   عيون الأفاعي من جلود الأراقم

وعاش في المرية الكثير من الزهاد والعباد والفقهاء والفضلاء والمحدثين والرواة كأحمد بن مروان المعروف بابن اليّمنالش توفي عام 496هـ/1103م، وأحمد بن عثمان بن مكحول توفي عام 513هـ/1119م، والزاهد أحمد بن موسى الصنهاجي ابن العريف توفي بمراكش عام 536هـ/1142م [4] وأحمد بن محمد التميمي الملقب بابن ورد التميمي توفي عام 546هـ/1151م [5] كان يروي كتب ابو بكر الباقلاني حامل لواء الأشعرية في بغداد والمشرق، وكان ابن ورد عالم المرية وحبرها المعوّل عليه[6]، ومنهم خلف بن محمد المعروف بابن العريبي توفي عام 580هـ/1183م، والخضر بن الرحمن القيسي توفي عام 540هـ/1145م، وعبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع توفي في 514هـ/1120م، وعبد القادر بن محمد الصدفي توفي عام 507هـ/1113م [7]، والمفسر علي بن عبد الله ابن موهب الجذامي له تفسير القرآن توفي عام 532هـ/1138م [8].

---

[1] ابن خاقان، قلائد العقيان، تح: حسين يوسف خربوش، ط1، ق3، ص 636.

[2] أبو الحسن النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبا العليا)، تح: صلاح الدين الخطوري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص 122.

[3] ابن دحية، المصدر السابق، ص 91.

[4] ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، م1، 2010، ص –ص 118، 131.

[5] نفسه، ص 132.

[6] إبراهيم التهامي، المصدر السابق، ص 256.

[7] ابن بشكوال، المصدر السابق، تح: بشار عواد، ط1، م1، ص243 وما بعدها.

[8] الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 304.

وفي عصر الموحدين ظهر في المرية علماء أجلاء كذلك في صنوف شتى، والملاحظ أن الموحدين في عهد حكم أبو يوسف يعقوب المنصور 580هـ-595هـ/1183م-1197م ضيقوا على المالكية وعلى كتبهم وقيدوا العمل بها وعلى قراءتها، وحمل يعقوب المنصور الناس على الظاهر من الكتاب والسنة وسنن أبي داود [1]، ومن علماء المرية علي بن عيسى المرّي أقام مدة في مالقة [2]، وأحمد بن إبراهيم التميمي رجل صالح مُريد يعرف بأبي العباس المري وهو الذي طلب من يوسف بن عبد المؤمن خليفة الموحدين بتجديد مسجد ابن عبدس في أشبيلية [3] كما أورد ابن الخير الأشبيلي المتوفي عام 575هـ/1178م في فهرسته بعض علماء المرية الذين أخذ عنهم العلم بعد لقائه بهم منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن وضّاح، والمحدث الحافظ أبو عبد الله محمد الأنصاري المعروف بابن احدى عشر، والفقيه أبو الحسن علي بن نافع الجذامي، والفقيه ابو الحسن علي اللّمائي المالطي، والفقيه الخطيب الامام محمد بن خلف القيسي المعروف بابن الحمزي، والفقيه المحدث أبو الحجاج يوسف القضاعي، والأندي القفال[4]، والمحدث عبد الله بن محمد الحجري من قنشاير من عمل المرية رحل عن المرية عام 542هـ/1147م عندما احتلها النصارى وفقد حينها كتبه ما عدا كتابه المسمّى البرنامج جمع فيه سماعاته للعلماء[5]، والعالم المتفنن عبد الرحمن بن محمد حبيش كان فقيها محدّثا عارفا بصناعة الحديث، وعالما بطريق الرواية، مقيدا ضابطا حافظا لأسماء الرجال[6].

---

[1] المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص- ص 254، 256.

[2] ابن عسكر، ابن خميس، علماء مالقة، تح: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دارالامان، الرباط، ط1، 1999،ص 298.

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 397.

[4] ابن الخير الأشبيلي، الفهرسة، تح: فرنسثكة قدار زيدين خيليان ربارة طرغون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص ص 459، 460.

[5] الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 124.

[6] ابن عسكر، ابن خميس، المصدر السابق، ص 251.

ب -اللغة والأدب و الشعر:

ازدهرت الآداب في المرية ونفقت سوقها، وكان للشعر حضور دائم في عصر الطوائف وبرز شعراء كثيرون يأتي على رأسهم عائلة بنو صمادح، وكان المعتصم محبا للشعر له ذوق فيه مع نظمه وقرضه، ومن شعر المعتصم يصف انسياب الماء [1]:

أنظر إلى حسن هذا الماء في صببه   كأنّه أرقم جدّ في هربه.

وللمعتصم أيضا شعر كَتبه للأديب النحلي:

وردت ولليل البهيم مطارف   عليك وعندي للصبـاح برود

ومن بيت بني صمادح ممن اشتهر بالشعر رفيع الدولة أبو يحي بن المعتصم له شعر كثير منه إلى نديمه أبو يحي بن مطروح [2]:

يا أخي بل سيدي بل سندي   في مهمات الزمان الأنكد

ومن هذه العائلة الادبية كان ابو جعفر احمد بن المعتصم محبا للشعر محسنا في نظمه ومن شعره [3]:

أتى بالبدر من فوق القضيب   فطارت نحوه طير القلـوب

وكان ولي عهد المعتصم عز الدولة أبو محمد عبد الله الواثق مثل أبيه و أخوته له شعر كثير حسن منه عند اغترابه عند الحماديين بعد زوال ملك بني صمادح [4]:

لك الحمد بعد الملك أصبح خاملا   بأرض اغتراب لا أُمِرُّ ولا أُحْلِي

---

[1] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص197.

[2] نفسه، ص 200.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص 201.

وسارت أم الكرم بنت المعتصم على طريق أبيها وأخوتها في حب الشعر ونظمه لها شعر في فتى عشقته [1]:

يا معشر الناس ألا فأعجبوا ممّا جنته لوعة الحب

ومن شعراء المرية شاعرة تدعى الغسانية البجانية نسبة إلى بجانة من مدن المرية الشهيرة كانت في عصر الطوائف، وكذلك أبو بحر يوسف بن عبد الصمد اشتهر في النثر والنظم في عصر الطوائف، وأبو مروان عبد الملك بن سميدع برز في الأدب والشعر، وأبو الحسن بن سليمان بن محمد بن الطراوة النحوي توفي 528هـ/1133م اشتهر في النحو وله شعر أيضا عاش في عهد بني صمادح وعهد المرابطين، والكاتب إبراهيم بن حكم خدم عند الصنهاجيين أصحاب غرناطة كان له نثر ونظم وهو من حصن مرشانة، والأديب أبو محمد عبد الله بن خالص من مرشانة ايضا كان من الفضلاء عاصر الدولتين الأموية والصمادحية، والأديب أبو الفضل جعفر بن شرف أصله من القيروان له شعر يمتدح به المعتصم بن صمادح، والأديب الشهير أبو بكر عيسى بن وكيل أصله من أندرش نبغ في المنثور والمنظوم [2]. والشاعر الأندلسي أحمد بن محمد بن أحمد بن برد من بيت فضل ورياسة كان في المرية بعد سنة 440هـ/1048م كما ذكر الحميدي واشتهر بكونه من الكتاب اصحاب البلاغة [3]،

وقصد المعتصم وعاش في كنفه شعراء كُثر منهم شاعر الأندلس الكبير ابن الحّداد الذي وصفه ابن بسام بالشمس الظاهرة [4]، وابن عبد الملك الذي اعْتُبر مفخرة العصر [5]، والأديب أبو محمد بن مالك القرطبي البارع في النثر والنظم أقام مدة في المرية و مدح

[1] نفسه، ص202.

[2] نفسه، ج2، ص- ص192، 236.

[3] الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص 213.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص ص 691، 692.

[5] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 10.

المعتصم بن صمادح [1]، والشاعر أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز أصله من مالقة اشتهر بالموشحات عاش في كنف المعتصم ومدحه، وكذلك الوزير الشاعر المُجِيد وفريد زمانه في النثر والنظم أبو حفص عمر بن الشهيد التجيبي توفي بعد 440هـ/1048م، والشاعر الوشّاح ذو الوزارتين أبو الحسن جعفر بن إبراهيم اللورقي رثى المعتصم بعد وفاته بشعر مؤثر، والوزير الاديب أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة من كبار رجال دولة المعتصم [2]، والشاعر ابن بلّيطة كان مقربا من المعتصم بن صمادح [3]. ومن الادباء الشاعر السُمَيسِر أبو القاسم خلف فرج الالبيري الذي عرف بالهجاء لجأ إلى المرية، والكاتب أبو الأصبغ عبد العزيز بن أرقم النميري الوادي أشي استوزره المعتصم بن صمادح وكان من رجال دولته [4].

ومن النحويين واللغويين برز جماعة في المرية ومنهم من لزم المعتصم لكرمه وفضله وكان من أخص مقربيه كأبي عبيد الله بن أبي مصعب بن عمرو البكري اشتهر في اللغة وصار من مشاهير الأندلس له تأليف " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع " [5]، ونحوي المرية أبو الحسين سليمان بن محمد السبئي ابن الطراوة توفي 528هـ/1133م [6]، والنحوي أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس ت511هـ/1117م [7] أصله من مرسية وعاش بالمرية في عهد المعتصم، ومنهم أبو عبد الله محمد بن معمر بن أخت غانم أصله من مالقة رحل إلى المرية واشتهر في اللغة له تأليف فيها فنال مكانة عن المعتصم [8]، والأديب أبو

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 470، ص 739.

[2] المقري، نفح الطيب، تح : احسان عباس، دار صادر، م3، ص 413، ص419، ص492/ م4، ص 13، ص105، ص222.

[3] ابن خاقان، مطمح الأنفس، تح: محمد علي شوابكة، ص 341.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص882 / ق3، م1، ص 360.

[5] نفسه، ق2، م1، ص ص 232، 238.

[6] السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963، ص 17.

[7] ابن الآبار، التكملة، تح: عزّت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، القاهرة، ج1، 1966، ص ص 412، 413.

[8] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م3، ص 397.

مروان عبد الملك بن سميدع [1]. والشاعر النحوي أبو محمد سليمان بن محمد بن الطراوة نحوي المرية اشتهر في التعبيرات النحوية وغيرها من العلوم [2] وغالب الظن انه ابو الحسين بن الطراوة الذي سبق ذكره. واشتهر في المرية اللغوي و النحوي أبو عبد الله محمد بن الفرّاء كان فطنا ذكيا [3]، والفقيه عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الذي كان من علماء الدين العاملين، وقد برع في الأدب والشعر واللغة مُقيّدا ضابطا لعلومه مع كرم ونبل أخلاق [4]، والشاعر أبو الفضل جعفر بن شرف الجذامي البرجي توفي عام 534هـ/1139م كان شاعرا أديبا جليلا [5]، والأديب اللغوي ابن خلصة من بلنسية انتقل إلى المرية وبها توفي عام 519هـ/1125م أو 521هـ/1127م [6].

ومن أدباء المرية في العصر الموحدي أحمد بن الحاج المعروف بمدغليس الزجال له أزجال كثيرة، وصاحب الموشحات أبو حسن علي بن حزمون، والكاتب أبو محمد عبد الغني بن طاهر من حصن شنش كتب لعثمان بن عبد المؤمن بن علي في غرناطة [7]، والكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عياش توفي عام 619هـ/1222م من أهل برشانة من عمل المرية كان من كتاب الإنشاء له طريقة خاصة في الكتابة اتبعها غيره وسلكوا منهجه، كتب للمنصور الموحدي(580هـ-595هـ/ 1183م-1198م)، ثم لابنه محمد الناصر 595هـ-610هـ/ 1198م-1212م، ثم ليوسف المستنصر ابن الناصر 610هـ-620هـ/ 1212م-1222م، وأبو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك بن عياش كان كاتبا عند محمد الناصر

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص- ص 182، 197.

[2] ابن عسكر، ابن خميس، المصدر السابق، ص 343.

[3] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص- ص 190، 197.

[4] أبو الحسن النباهي المالقي، المصدر السابق، ص 122.

[5] ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، اللبناني القاهرة، بيروت، ط1، ج1، 1410هـ، ص 214.

[6] ابن الآبار، المقتضب من تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، البناني، القاهرة، بيروت، ط3، 1989، ص 54.

[7] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص- ص 214، 225.

و يوسف المستنصر خليفتي الموحدين [1]، و لا يُختار لهذا المنصب إلا من توفرت فيه الدراية والكفاية والمعرفة، ومن الشعراء الوشاح ابو الحسن بن علي المريني توفي في عهد يعقوب المنصور الموحدي[2]، ومن ادباء المرية عالمها عبد الرحمن بن حبيش توفي عام 584هـ/1187م فإضافة على نبوغه في علوم الدين كان أديبا لغويا وخطيبا مصقعا [3].

ج -التاريخ و الجغرافيا:

أشهر من نبغ في المرية في التاريخ والجغرافيا نجد العذري الدلائي نسبة إلى دلاية من عمل المرية توفي 478هـ/1086م له تأليف هام يسمى" ترصيع الأخبار وتنويع الآثار" [4]، وهو مؤلف يجمع بين التاريخ والجغرافيا يذكر فيه بعض الغرائب والظواهر الاجتماعية. وكذلك أبو محمد الرشاطي من ابناء المرية توفي عام 542هـ/1147م عند احتلال النصارى لها، وهو صاحب كتاب " اقتباس الأنوار "[5] يجمع فيه بين الانساب والتاريخ والجغرافيا، وممّن أقام في المرية الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري له تأليف مميّز عبارة عن موسوعة جغرافية وتاريخية سماه "المسالك والممالك" [6]، وصاعد الأندلسي الذي ولد في المرية ونشأ بها وتولى قضاء طليطلة توفي عام 462هـ/1070م و فوق ذلك كان مؤرخا[7]، وممّن اهتم بالتاريخ الشاعر ابن الحداد الأندلسي الذي كانت له اهتمامات واسعة من بينها التاريخ [8]، وكان أبو محمد الرشاطي إضافة إلى نبوغه في التاريخ وعلوم اخرى مهتما بالأنساب [9]، وفي

---

[1] المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص ص 354، 391.

[2] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص 217.

[3] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 466.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص 460.

[5] نفسه، م3، ص 45. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966، ص 136.

[6] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م3، ص ص 184، 185.

[7] الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص 186.

[8] يوسف علي طويل، المرجع السابق، ص 22.

[9] الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 105.

عصر بني صمادح برز المؤرخ أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفياض صاحب كتاب "العبر" أو "العبرة "عاش ومات في المرية عام 459هـ/1067م [1]، والمؤرخ الجغرافي عبد الرحمن بن محمد حبيش من أهل المرية توفي بمرسية عام 584هـ/1187م له كتاب "المغازي" واشتهر في الأنساب [2]. ويتبين ممّا سبق انه كان للمرية ثلاثة مؤرخين عاشوا في عصور مختلفة فالعذري عاش وتوفي في عصر الطوائف، والرشاطي كان في عصر المرابطين، اما ابن حبيش فقد عاش في عصر الموحدين، وهؤلاء الثلاثة كانوا بمثابة شموس في الاندلس.

د- الطب و الفلسفة و الرياضيات و الفلك:

كان البكري ممَّن برز وظهر في الطب ومعرفة الأدوية المفردة وما تعلق بها [3]، وفي الفلسفة برز الشاعر ابن الحداد [4]، والفيلسوف أبو الفضل بن شرف البرجي الذي عرف بالحكمة[5]، وابنه أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن شرف كذلك كان أديبا وفيلسوفا [6]، واشتهر عالم المرية عبد الرحمن بن محمد بن حبيش كذلك في الفلسفة [7]. وكان للشاعر ابن الحداد الأندلسي إضافة للشعر و الفلسفة اهتماما بالرياضيات والفلك[8]. ومن العلماء الذين استوطنوا المرية في عصر الطوائف العالم الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الحلاب له معرفة بالهندسة والفلك وحركة النجوم، وله اهتمام بالمنطق والعلم الطبيعي عاش في المرية عند بني صمادح [9].

---

[1] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 20.

[2] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص ص 465، 466.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 500.

[4] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س6، ص 10.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م3، ص 395.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 232.

[7] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 182.

[8] يوسف علي طويل، المرجع السابق، ص ص 21، 22.

[9] أبو قاسم صاعد بن صاعد الأندلسي(ت 462هـ) كتاب طبقات الأمم، تح: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1952، ص 73.

2- التصوف:

عرفت الأندلس الفكر الصوفي قبل القرن الخامس الهجري(11م)، وتطور هذا الفكر وانتشر بين الناس بشكل كبير في عصر الطوائف الذي تميّز بانقسام سياسي وضعف خطير، وصراعات بالجملة بين ملوك الطوائف الذين أهملوا شؤون الرعية ومصالح البلاد و الدفاع عنها ضد التهديدات النصرانية، واطلقوا العنان لإشباع رغباتهم وشهواتهم، وكان جل اهتمامهم مُنْصَّبا على اللهو والصيد والاستمتاع بالطيبات والملذات وإشباع الرغبات والنزوات، والتنافس في الجواري والقيان وحتى في أبسط الامور وأتفهها وتلقي المدائح والقصائد الشعرية في حين ظهر عليهم عدم القدرة والكفاءة السياسية، والاستهتار في أحيان كثيرة بالدين والأخلاق [1].

اما الفقهاء وهم اعلام الدين، فقد انقسموا إلى أصناف فمنهم من نأى بنفسه خوفا من انتقاد حكام الطوائف مستشعرا لسطوتهم آخذا بالتقية في صدقهم [2]، ومنهم من انغمس في نعماء الملوك وهداياهم، وعندما ساءت الأمور إلى حد كبير في الأندلس سارع الكثير من الفقهاء ومن ورائهم الرعية في طلب المساعدة من المرابطين لإنقاذ بلاد الإسلام من خطر الضياع بأيدي النصارى[3]. وفي ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية التي ميزت الاندلس في عصر الطوائف وجد التصوف مكانا له كسلوك يعبر عن رفض الواقع ويدعو للزهد والعودة لجادة الطريق، كما صار مذهبا له شيوخ ومريدين يتفاوتون الرتبة وفي المنزلة.

وعلى جانب آخر ففي الفكر الصوفي عامة لا ينال المنتمي إلى الصوفية مرتبة ولا ينتقل إليها إلا بعد اجتهاد وعمل دؤوب بدءا من مرتبة اللجباء ثم اللقباء، وبعدها الأبدال ثم

[1] أحمد السحيباني، ظاهرة ضعف القيم الأخلاقية في عصر الطوائف بالأندلس، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة،ع6، م5، 1998، ص311.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ق3، م1، ص 181.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م4، ص 374.

الاخيار، فالأوتاد وأعلاها رتبة قطب الغوث وغوث العالم[1]. ويمتاز المتصوفة بالتقشف والاقتصار على ما يسد الرمق كالخبز والماء وحتى الحشيش وأوراق الدفلى أحيانا[2]. وكان للتصوف طريقان اولهما تصوف سلوكي يقوم على محاسبة النفس وتأديبها ومراقبة تصرفاتها وتعويدها على الفعل الحسن وتقويم السلوكيات والتصرفات، وثانيهما تصوف باطني عرفاني طلبا للمعارف واشتهر في الأندلس متصوفة شكلوا مدارس كان لهم اتباع كثر كمدرسة ابن مسرة (توفي عام 319 هـ/930م) ومدرسة ابن العريف (توفي عام 536هـ/1141م) ومدرسة ابن برجان(المتوفي في 536 هـ/1141م)، ومدرسة ابن قسي(المتوفي في 546هـ/1151م)[3].

ويعتبر ابن مسرة الجلبي توفي عام 319هـ/930م من قدماء المتصوفة في الأندلس وبقيت تأثيراته لوقت طويل، حيث أسس لمذهب صوفي يعمل به وجمع حوله تلاميذه ومردبين وعرف عن ابن مسرة ميله لآراء المعتزلة وأصحاب الكلام فاتُّهِم بالزندقة، وخرج فارا من الأندلس والتقى في المشرق بأهل البدل وأصحاب الكلام وتأثر بهم كثيرا، ثم بعد وقت عاد الى بلاده والتف حوله الناس، وأخذ ينشر أفكار مذهبه الذي أساسه فلسفي مع مغالاة في التصوف[4]، كما كان جامعا لصنوف المعرفة وعلى طريقة من الزهد والعبادة حتى افتتن الناس به[5]، وبقيت أفكاره مستمرة زمنا طويلا حتى بعد وفاته واخذها الذين جاؤوا من بعده

---

[1] عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الاسلام، دار الفكر العربي دمشق، 1967، ص 154 وما بعدها.

[2] التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1984، ص– ص 181، 197. السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش أغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط،ج1، 1998، ص 408.

[3] عبد الرحيم العلمي، الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن 8هـ/14 م، دار الأمان، الرباط، 2009، ص 50.

[4] ابراهيم التهامي، المرجع السابق ص203، ص ص 402، 403.

[5] الحميدي، المصدر السابق، ص63.

كابن برجان وابن قسي وابن العريف و شكلوا مسلكا مغايرا للزهد الحقيقي واتجهوا به إلى التفكير الفلسفي[1].

وكانت المرية حاضرة الأندلس مركزا للفكر الصوفي منذ بدايات القرن5ه/11م عند ظهور الفتنة بالأندلس فقد عاش فيها اسماعيل بن عبد الله الرعيني أحد مشاهير الصوفية ودعاتها ومفكريها، وقد دعاه أنصاره بالإمام وأدوا له الزكاة، وكان فيه تأثير باطني حتى بلغ درجة التطرف في أفكاره وآرائه، فأنكر عليه حينئذ أهل المرية وتبرؤا منه[2]. واستمرت كذلك كمركز للصوفية في العهد المرابطي الذي كثر فيه الزهاد والمتصوفة والفرق الصوفية بحكم موقعها المتميز، حيث كان يفد عليها اصناف من الناس كالتجار والحجاج وطلبة العلم وغيرهم، فصارت ملتقى للأفكار والتيارات الفكرية و ظهر فيها متصوفة وزهاد كالزاهد ابن الاقليش، و أبو بكر بن نمارة، و أبو القاسم عبد الجبار البجاني، وأشهرهم ابن العريف الذي كان له تأثير واسع واتباع كثر وله اتصال مع كبار الصوفية بالأندلس كأبي خالد يزيد بن عبد الجبار بقرطبة، وأبو محمد عبد الغفور بن خلف في لبلة، وابو القاسم أحمد بن قسي في شلب[3].

و ابن العريف هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي الأندلسي المري يلقب بأبي العباس، كان من الفضلاء المشاهير و عرف بالصلاح وله مشاركة في العلوم ولد بالمرية عام 481ه/1089 م وتوفي بمراكش عام 536 ه /1141م ألف كتبا سماه " محاسن المجالس" [4] جمع فيه أفكاره الصوفية واصول طريقته التي أساسها الزهد في كل شيء ما عدا الله عز وجل، وقد نشأ ابن العريف على التواضع والبساطة حتى أنه اشتغل عند حائك بالمرية رغم أن أبوه كان من رجال المعتصم بن صمادح في عصر

[1] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص ص406،405.

[2] نفسه، ص 404.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص- ص51، 54.

[4] الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص 215.

الطوائف، وصرف وقته إلى التعلم والنهل من العلوم فقرأ القرآن على أبي الحسن البرجي بالمرية وعلى أبي القاسم بن النخاس بقرطبة، وأخذ الحديث بالمرية عن أبي خالد يزيد مولى المعتصم، وعن ابن الفصيح وأبي محمد عبد القادر بن الحّناط القروي، فجمع علما ومعرفة، وتصدر للإقراء بالمرية مع زهد وعبادة فتجمع حوله الناس وتأثروا به لمسلكه وسمته وصار له طريقة وأتباع كثر[1]. كما تقلد في وقت ما خطة الحسبة في بلنسية [2].

ولما زاد أتباع ابن العريف في المرية توجس الفقهاء منه خيفة، واتفقوا على انكار مذهبه وسعوا به إلى السلطة المرابطية، وكان قاضي قضاة الشرق الأندلسي أبو بكر محمد بن اسود يتزعم حملة التعريض بابن العريف والتحريض عليه والسعي به الى والي المرية الذي اقتنع بكلام السعاة، و من ثَمَّ تمَّ ارساله إلى العدوة المغربية، لكن علي بن يوسف بن تاشفين رغم تخويف الفقهاء له من ابن العريف وضرره على استقرار الدولة إلا أنه أمر باكرامه وإطلاق سراحه[3] بعد ان أمر باشخاصه رفقة آخرين إلى مراكش بالمغرب الأقصى وهناك توفي في شهر صفر عام 536هـ/1141م[4].

وابن العريف قبل وفاته كان له تأثير واسع على متصوفة آخرين كأبي بكر الملوكيني الذي نشط في غرناطة، وأبو الحكم المعروف بابن برجان الذي كان في اشبيلية، وأبو القاسم بن قسي الذي نشط في غرب الاندلس، ووصلت أفكاره حتى بين الأواسط النصرانية و هو الذي كوّن فرقا من مريديه حارب بها الموحدين عندما ثار عليهم[5]. وكانت وفاة ابن العريف خاتمة لمدرسة صوفية كبيرة في المرية كان رأسها وزعيمها، ومع ذلك بقيت أفكاره مستمرة وتعاليمه منتشرة بين الناس.

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص184.

[2] ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ص 70.

[3] عصمت على الطيف دندش، المرجع السابق، ص ص68، 69، ص ص 132، 133.

[4] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 409.

[5] كروم بومدين، أبو الحسن التشتري الصوفي، الجوال(حياته وشعره)، دار التوفيقية، الجزائر، ط1، 2011، ص31.

وفي عصر الموحدين عرفت الصوفية ازدهارا وانتشارا ولقيت تأييدا و قبولا عند الحكام الذين اعترفوا بهذه الشريحة و رجالها[1] خاصة في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي 850هـ-595هـ/ 1183م-1198م حيث برز المتصوفة وظهروا في عدة أماكن ونقفت سوقهم وعظمت مكانتهم وعلا شأنهم، ومنهم من نال الصلات الجزيلة من السلطة[2] ، والخليفة المنصور نفسه أظهر الزهد والتقشف وخشونة المجلس والمأكل، ولبس الصوف على عادة وطريقة المتصوفة[3]. وكان في المرية حينذاك متصوفة منهم الرجل الصالح المريد أبو العباس المري وهو أحمد بن ابراهيم بن مطرف التميمي الذي توفي بسبتة عام627 هـ/ 1229م[4]، و الزاهد عبد الله بن محمد الحجري الذي رفض المناصب والولايات، وزهد في الدنيا ونأى بنفسه وابتعد عن الناس وكانت وفاته في591هـ/1194م [5]. ويعتبر أبو عبد الله محمد بن يوسف الغزال من أجلاء المتصوفة في ذلك الوقت، وممن صحب ابن العريف وخلفه في المرية ، و جمع ما بقي من مجموع المريدين الذين كانوا حوله [6].

3- المساجد

يعتبر المسجد النواة الأساسية للمجتمع الاسلامي حيث يشكل المركز الذي يلتف حوله العمران والنشاط الانساني، وفيه يلتقي المسلمون للعبادة ومناقشة الأوضاع وحل المشاكل والنوائب وإصدار القرارات التي تهمُّهم، وضلت المساجد تعتني بحياة المسلمين، وتوجههم إلى العزة والكرامة وتحرير بلادهم[7]. ومن جهة اخرى أولى المسلمون عناية فائقة بالمساجد

---

[1] طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ و 7هـ، شركة الهدى، الجزائر، 2007، ص –ص 267، 272.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد زينهم محمد عزب، ص 231.

[3] النويري، نهاية الارب، ج24، ص186. ابن خلكان، المصدر السابق، م7، ص 10.

[4] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 397.

[5] الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص 124.

[6] عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والاندلسية (ق6هـ)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص163.

[7] حسن مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 28.

وتشييدها وتعميرها ومراقبتها وخدمتها وتعظيمها والوقوف عند أداب المسجد، وقد أورد العقابي أمثلة كثيرة عن ذلك، كآراء ابن رشد520هـ/1126م في خروج النساء إلى المساجد وحكم انشاء الشعر وآراء الفقهاء المالكية في النهي عن دخول المسجد لأكل البصل والثوم ومنع عبث الصبيان، ومثله السكير والمجنون، وايقاد النار غير المصابيح، والنداء بالجنائز الذي كرهه ابن رشد، وسؤال الضعفاء بمعنى التسوّل، ورفع الصوت، وقص الشعر وتقليم الأضافر، وأكل الطعام، وادخال الحيوانات وسل السيوف والأسلحة، كما يورد العقابي الكثير من آراء فقهاء المالكية في كيفية وشروط بناء المساجد[1].

وأما في الأندلس فقد اهتم الناس ببناء المساجد وتعهدها، وساهم الحكام والناس في بنائها والقيام عليها واقامة الصلوات المفروضة والأعياد والتعبد والتعلم، واقامة حلقات العلم المتنوعة بشروط كأن لا تكون في أوقات صلاة حتى لا يشوش على المصلين. وكان الأندلسيون حريصين على الصلاة وادائها حتى أن التجار كانوا يؤدونها في الأسواق والحوانيت، والمسجد عادة يحتوي على قاعة الصلاة ومكان للوضوء يسمى الميضأة أبوابها تكون خارج المسجد حفظا للنظافة والطهارة، وصونه من التلوث والدنس والنجاسات [2]. وقد أوقف المسلمون الأحباس والأوقاف لتوفير احتياجات المساجد [3]، وتتنوع مستلزمات المسجد التي يُحتاج اليها في تجهيزه وخدمته وتيسير أداء العبادات و التي لا يجوز التصرف فيها

---

[1] العقابي التلمساني، كتاب تحفة الناظر وغنيمة الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، دمشق، ص–ص36، 50.

[2] محمد عبد الوهاب خلاف، وثائق في شؤون العمران في الأندلس(مستخرجة من محفوظة الأحكام الكبرى لابن سهل)، نش: المركز الدولي للاعلام، القاهرة، 1983، ص– ص 50، 67.

[3] ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص ص 311–312.

بيعا أو استعارة،[1]، ولا شك أن للمسجد طاقم يسهر عليه بدءا من القيّم إلى الإمام الخطيب كل له وظيفة معينة ومحددة يقوم بها داخل المسجد.

وكان في المرية عدة مساجد أهمها المسجد الجامع الذي يعود تاريخ بنائه إلى وقت متقدم من القرن5هـ/11م حيث قام خيران العامري عام 410هـ /1020م بتوسعة وزيادات في قبلة المسجد فإتسع بها وازدادت مساحته، ثم أضاف زهير العامري الذي حكم المرية عام 419هـ /1128 م بعد وفاة خيران زيادات في المسجد العامر من شرقيه وغربيه وجوفيه، وزاد بلاطا من كل ناحية وعظم المسجد واتسع بشكل كبير، كما أوقف وحبس عليه الفنادق والحوانيت التي في قبلي الجامع وفي شرقيه وفي كثير من جوفيه، وزوّده بالماء من عين النطية بالقرب من المرية عبر ساقية إلى السقاية التي بناها فكثر الماء في مدينة المرية. وفي عام 458هـ/1067م في شهر رمضان أوصل المعتصم بن صمادح الماء إلى السقاية التي بناها غربي الجامع عبر ساقية، وكان أيضا في بجانة التي كانت الحاضرة ومجتمع السلطان قبل المرية مسجد جامع بناه عمر بن اسود الغساني له قبو عال من أحد عشر حنية مصنوعة على أربعة أعمدة، و مُنقَّش سقفه بنقوش عجيبة وغريبة وبشرقي القبة ثلاث بلاطات وبغربيه أربعة بلاطات أوسع من الشرقية، ويقع المحراب والمنبر داخل القبة، ويوجد بئر ماء عذبه في صحن الجامع[2] الذي بقي قائما إلى النصف الأول من القرن 6هـ/12م رغم خراب مدينة بجانة[3].

كما وجدت مساجد أخرى في المرية كمسجد البيسي لصاحبه عبد الرحمن بن أبي رجا البلوي يقع في ربض الحوض، ومسجد حبونة، ومسجد طرفة، ومن هذه المساجد من أقيم عليها كنائس عندما عادت المرية تحت حكم النصاري في مرحلة لاحقة مثل كنيسة سان

[1] البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج1، 2002، ص 434.

[2] العذري، المصدر السابق، ص – ص 83، 87.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 200.

بيدرو، وكنيسة سانتياغو، وكنيسة سان خوان إيفانخيليكا التي بُنيت على أساس جامع القصبة، وكنيسة سان غابرييل قرب البحر، وكنيسة سانتالوثيا، وكنيسة سان روكي الواقعة خارج ربض الحوض، وكنيسة سان لاثارو، وكنيسة سان أنطوان داخل المدينة القديمة قرب المسجد الجامع، وكنيسة سانتا آنا في الشارع الرئيسي المتجهة إلى باب بجانة، وثلاث مساجد أخرى أقيم على أساسها دري سان فرانشيسكو، ومسجد في جانب دير سان دومينغو، وكنيسة سان سيباستيان خارج باب بجانة[1].

وأقيمت كنيسة سان خوان على المسجد الجامع للمرية الذي يعود لفترة عبد الرحمن الناصر 300هـ-350هـ/612م-961م و الذي أمر بتمصيرها، ومن الناحية الهندسية فالمسجد يتألف من خمسة بلاطات تتجه عمودية على جدار القبلة على نمط المساجد الأندلسية، ويأخذ المحراب شكل مربع طول ضلعه 1.90 م وتعلوه خصَّة من الحجر مفصصة على شكل قوقعة، والبلاط الأوسط تعلوه أمام المحراب قبة تشبه قبة المحراب في مسجد بجانة، وجدار المحراب يقوم على تعاقب الكتل الحجرية طولا وعرضا، وأضيفت زيادات للمسجد الجامع في عهد زهير العامري فصار بسبعة بلاطات بعد اضافة بلاطان جانبيان أكثر اتساعا كما هو شأن المسجد الجامع في بجانة، وزيد في شمال السجد بلاط عرضي فأصبحت مساحته عظيمة، وتنسب إلى زهير الزخرفة القديمة التي في المحراب والمختفية تحت الزخرفة الموحدية وهي بأشكال متنوعة ورائعة كالعقود المدببة، والمحارات والمساند الملفوفة والأفاريز الزخرفية الصغيرة ذات التشابكات القائمة على خطوط مستقيمة ودوائر، وأما الزخرفة الجديدة فهي تعود لعصر الموحدين الذين رمّموا المسجد الجامع بعد استرجاع المرية عام 552هـ/1156م من أيدي النصارى الذين احتلوها، وبالنسبة للمئذنة فكانت تقوم في جوفي المسجد في منتصف المجنبة الشمالية في الزيادة التي قام بها زهير العامري. و يذكر أن صحن الجامع زيِّن بأشجار مغروسة منها أشجار الليمون، وفُرِش

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص-ص144، 148.

بالرخام ووسطه حوض للوضوء، وأُلحِق بالمسجد خزانة يحفظ فيها زيت الوقود للكؤوس و الثريات[1]. ومن المؤكد أن المناطق التابعة للمرية من مدن وقرى وحصون كانت بها مساجد جميلة كذلك وإن كانت أقل مساحة من مساجد المرية.

4- الجهاد والأسطول :

يعتبر الجهاد أمر أساسي في العقيدة الإسلامية، وواجب على المسلمين سواء لنشر الإسلام أو الدفاع عن بيضة الإسلام وحماية المسلمين وأملاكهم وأعراضهم، وقد حث الإسلام على الإستعداد والتأهب في كل وقت، فقد قال الله تعالى : " **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** "[2].

و الأندلس بحكم موقعها الجغرافي كانت لها خصوصية عن غيرها من بلاد المسلمين، فهي غير متصلة بأراضي المسلمين ويحيط بها الماء من عدة جهات وهي مصاقبة لبلاد النصارى من الشمال وتحيط بها الأمم النصرانية شرقا وشمالا وغربا، فهي بذلك دار جهاد وموطن رباط و ثغر من ثغور المسلمين[3] ، و كان المسلمون منذ دخولهم الأندلس في جهاد مستمر ومرابطة دائمة حيث يجاورهم النصارى المدعومين من الأمم النصرانية في أوروبا، وكانوا على احتكاك دائم بهم، فاستلزم الأمر أخذ الحيطة وأهبة الإستعداد في كل حين سواء لغزو النصارى أو لصد اعتداءاتهم وحماية بلاد الإسلام والمسلمين، وقد تفاوتت قوة المسلمين من مرحلة لأخرى حسب الظروف الداخلية للمسلمين وأوضاعهم المتغيرة.

في هذه الظروف ظهرت المرية كثغر من ثغور المسلمين قبالة البحر بأمر من الخليفة عبد الرحمان الناصر 300هـ-350هـ/912م-961م الذي هابه ملوك النصارى

---

[1] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص – ص 144، 150.

[2] سورة الأنفال، الآية 60.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص3. الضبي، المصدر السابق، ج1، ص30.

وخافوه، و ابنه الحكم المستنصر 350هـ-366هـ/961م-977م الذي واصل غزو الروم[1]، ويعتبر الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر326هـ-392هـ/938م-1002م بطلا من ابطال الجهاد في الأندلس اواخر القرن 4هـ/10م حيث كان مواصلا للحرب وغزو النصارى مُفرِطا فيه لا يشغله شاغل عنه، وقد خرج بعد صلاة العيد مباشرة لغزو النصارى في إحدى المرات منتدبا الجنود للجهاد، وقد غزا أكثر من خمسين غزوة مباركة وصل فيها إلى معاقل النصارى وأذاقهم الهزائم في عقر دارهم وملأ الأندلس غنائما وسبيا من بنات الروم ونسائهم وأولادهم وسار ابنه عبد الملك المظفر الحاجب بعده على سياسته في غزو النصارى[2].

و كانت المرية قبل تطورها إلى حاضرة وقاعدة بحرية عبارة عن برج مراقبة ونقطة حراسة للساحل الأندلسي قرب بجانة، ومنه يتم إنذار المسلمين عند رؤية الأعداء المهاجمين. واقامة برج المراقبة في المرية أملته الضرورة الأمنية والإستراتيجية العسكرية حيث ظهر خطر المجوس أو النورمان و أخذوا في الإغارة على الأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط 206 هـ- 238 هـ/ 817 م- 852 م وابنه محمد بن عبد الرحمن 238 هـ- 273هـ/852 م-886م[3] حيث هاجموا المناطق الساحلية واعتدوا على المسلمين، فقرر الأمويون تعمير الثغور البحرية وتقوية الحراسة وإعداد المراكب، فتم تأسيس بجانة التي أستوطنها بنو سراج القضاعيون وعهد إليهم بحراسة الساحل فأقاموا برجا للحراسة ورباطا للجهاد وسمي مرية بجانة والذي جذب إليه فئة من الناس كان لها أهمية كبيرة في المنطقة بعد ذلك، وتمثلت في رجال البحر أو البحريون الأندلسيون اعتادوا ركوب البحر فاكتسبوا مهارات كبيرة في الإبحار والغزو وحققوا نتائج جيدة ضد النصارى المسيحين، فقد كانوا يهاجمون المدن والسواحل النصرانية فيغنمون ويسبون ويعودون إلى قواعدهم في الأندلس

---

[1] المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص- ص 83، 85.

[2] نفسه، ص-ص55، 74.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط3، ج2، ص -ص 87، 97.

وكان مركزهم الرئيسي بادئ الأمر في طرطوشة* وبلنسية حيث كان والي سرقسطة يدعمهم ويوجههم لغزو السواحل الإفرنجية والإسبانية وجزر البحر المتوسط، وأسسوا قواعد ثابتة جنوب بروفانس في فراكسينت وجزيرة كامرج عند مصب نهر الرون وفي ماجلون، ومن هذه القواعد أغاروا علىال داخل في بروفانس وفي جبال الألب، وتحكموا لمدة في الطريق بين فرنسا وإيطاليا بين مونت سيني والبحر المتوسط،، ثم اتخذ البحريون مرسى إشكوبرس في قرطاجنة الخلفاء نقطة إنطلاق للغزو، وبعد نزولهم بمرية بجانة أعجبهم المكان فصار قاعدة أساسية لهم لتسيير عمليات الغزو والجهاد البحري[1]، و من ثَم بدت مكانة المرية تعلوا كقاعدة للجهاد في الأندلس، واثر تعرض المرية للاعتداء الفاطمي عام 344هـ/956هـ وحرق المراكب الراسية بالميناء[2] أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بالاسراع في ترميم دار الصناعة وتسوير المرية وتحصينها[3]، و مع كثرة المحارس حول المرية صارت المنطقة أكثر تأمينا وحماية وقاعدة للدفاع عن الأندلس.

وقبل هذه الحادثة كثيرا ما كانت المراكب الغزوية تخرج من ميناء المرية بقيادة قائد البحر الشهير محمد بن رحامس كغزوة عام329هـ/941م حيث خرج أسطول مكونا من مركبين بحريين كبيرين محملا بالرجال وانضاف إلى المركبين البحريين أربعة شواني وفتاشين في طرطوشة فصار الأسطول بعشرة مراكب وقصد برشلونة، وفي عام 331هـ /943م خرج أسطول من المرية يتكون من ثلاثين مركبا وستة شواني بقيادة محمد بن رماحس رفقة غالب بن عبد الرحمن وسهل بن أسد وقصدوا جزيرة صقلية على اغلب الظن وعادوا بالغنائم إلى المرية، وفي سنة 333هـ/945م م خرج محمد بن رماحس بأسطول من المرية عدته خمسة

* طرطوشة: مدينة شرق بلنسية قريبة من البحر/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص30.

[1] عبد العزيز سالم، احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 149 – 150.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 336.

[3] العذري، المصدر السابق، ص 86.

عشر مركبا وشينيين وفتاش إلى الادارسة بالمغرب الأقصى، وفي عام 334هـ / 946م خرج أسطول آخر من المرية إلى إفريقيا ـ تونس ـ بقيادة نفس القائد بن رماحس[1].

و يظهر جليا دور المرية كقاعدة بحرية تخرج منها أساطيل الغزو في كل الجهات بقيادة أشهر قادة الأسطول الأندلسي في العصر الأموي حيث حققت انتصارات وكسبت غنائم، وأعطت صورة واضحة عن البحرية الأندلسية في قوتها واستعدادها، وفي عهد الناصر بلغ الأسطول مبلغا من القوة والعدد فقد كان يخرج بين الفينة و الأخرى إلى الغزو والأخرى إلى الغزو خاصة إلى بلاد المغرب اين احتدم الصراع بين الأمويين والفاطميين[2]، و في عهد الحكم المستنصر ظهر المجوس في بلاد الأندلس واعتدوا على المسلمين وحاصروا حصن القبطة في المرية، فتحرك الحكم المستنصر مسرعا الى المرية للوقوف على أحوالها و على الاستعدادات اللازمة لصد هذا العدوان، وأمر بتقوية الأسطول بعد ذلك وتدعيمه بالمراكب والسفن والعدة لغزو المجوس آو أي اعتداء خارجي فبلغ عدد المراكب الحربية رقما كبيرا يقدر بستمائة جفن بين غزوي وغيره[3].

و يقول ابن الخطيب في الإحاطة إن الحكم المستنصر ذهب إلى المرية واشرف على أمورها وعاين أسطولها وأمر بتجديده وكانت عدته يومئذ ثلاثمائة قطعة وبعد استكمال جولته التفقدية عاد إلى حاضرته قرطبة[4]، وبمقارنة النصين نجد أن ميناء المرية جمع على الأقل عددا كبيرا من مراكب الأسطول الأندلسي في عهد الحكم المستنصر، مما جعل المرية قاعدة بحرية مهمة للدفاع عن الأندلس و حمايتها من خطر الاعتداءات، وقد أعطى الحجاب العامريون للجهاد مكانة إجلال وتقديس وفرضوا هيبة الدولة الإسلامية على أعدائها لاسيما كما جاء سابقا الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر الذي والى غزو النصارى في

---

[1] نفسه، ص ص 81، 82.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفنسال، ط2، ج2، ص–ص 218، 222.

[3] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص ص 41، 42.

[4] نفسه، الاحاطة ، ط2، م1، ص 479 .

الصوائف والشواتي في غزوات مباركة منصورة، وملأ أيدي المسلمين بالسبي والغنائم، وكانت الجيوش الإسلامية تخرج للغزو والجهاد برا وبحرا ضد نصارى اسبانيا والفرنجة في بلاد فرنسا وروما، وكذلك فعل الحاجب المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر الذي خلف والده في الحجابة لهشام المؤيد وداوم على الجهاد كأبيه وغزا نصارى اسبانيا والفرنجة[1].

غير أن الأمور آخذت منحى مغاير وخطير بداية القرن 5ه /11م و اتجهت الأندلس الآمنة المزدهرة إلى الفوضى والاضطراب والفتنة، واستقل المنتزون في جهات الأندلس واقتسموا البلاد التي صارت مرتعا للصراع السياسي والدسائس والحروب المهلكة بين المسلمين في حين كان الأعداء النصارى يترقبون الأوضاع ويتحينون الفرص لابتلاع الأندلس والقضاء على المسلمين الغافلين عن الأخطار المحدقة بهم، كما تعطل الجهاد والغزو الذي ميز المرحلة الأموية وفقد زخمه في هذا العصر المظلم، والجيوش التي كانت تخرج للغزو لم تعد تُغني في شيء إذ أن الصراع أصبح بين ملوك الطوائف وحتى الأسطول الأندلسي القوي انقسم إلى أساطيل في اشبيلية وبطليوس ودانية وبلنسية و المرية [2].

و ورث بنو صمادح جزء من الأسطول باعتبار المرية قاعدة بحرية وحربية مهمة، واتسمت سياستهم بالضعف وعدم القدرة على مجابهة العدو النصراني كغيرهم من ملوك الطوائف، وارتضوا بالذل والهوان الذي انطبع في نفوسهم ووقفوا موقف المتفرج على تقهقر المسلمين أمام النصارى رغم امتلاكهم لأسطول معتبر وإمكانيات مالية هائلة نتيجة العائدات التي تأتي من التجارة والنشاطات الأخرى، وكان أبو الأحوص معن بن محمد بن صمادح الذي استقل بحكم المرية عام 433ه/1041م ثم ابنه من بعده المعتصم محمد بن معن مسالمين لا يحبذان العنف والحرب طوال مدة حكمهما، وجل عنايتهما في الفكر والأدب والشعر وعقد مجالس العلم والأدب والعمران الذي شغف به المعتصم و ولع به إلى درجة كبيرة، وأنجز في

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص–ص68، 87.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 48

المرية منشآت عمرانية فريدة من نوعها بين قصور ومجالس وبساتين ومتنزهات، وسار هذا الملكان في رعيتهما أسرة محمودة ارتضاها الناس[1]، و قد مدح الشعراء المجيدون والمشهورون بنو صمادح بأشعار كثيرة مثل ذكر أبو طالب عبد الجبار في شعر يصف ملوك الطوائف ومن جملتهم بنو صمادح حيث قال[2]:

و آل معن ملكوا المرية   بسيرة محمودة مرضية

ذكرهم في غير ما قصيد   يشرق مثل النحر بالفريد

كما ذكر ابن حيان أن المعتصم بن صمادح كان مكتفيا بحياة البذخ والترف والخيرات التي يدرها ساحله و" مستبدا بمال ألفاه لا يتجاوز به شهواته ومآربه إلى قضاء حق في جهاد عدو أو سد ثغر " وأضاف ابن بسام أنّ المعتصم " اقتصر على قصر يبنيه وعِلْق يقتنيه، وميدان من اللذة يستولي عليه ويبرز فيه"[3] و مالَ إلى حياة السكون والدعة والحياة الأدبية خاصة حب الشعر ونظمه واهتم بالقصور والجواري والأسطول[4] الذي كان يستطيع مشاهدته من قصره ومجالسه المنمقة في القصبة التي تعلوا المدينة، كما يمكنه مراقبة الساحل والبحر وإقبال السفن إلى المرسى وخروجها منه إلى العدوة وسائر البلدان[5].

و ضلت المرية على هذا الحال تعطل فيها الجهاد معظم عصر بنو صمادح إلا ما كان من حروب جانبية بين المعتصم وجيرانه ملوك الطوائف حول من يتوسع اكثر ولو على حساب أخوانه المسلمين، وقد اضطر إليها اضطرارا كونه لا يحب الصدام والعنف[6]، و في الثلث الأخير من القرن 5هـ/11م حدث تغيير كبير ومفاجئ على المعادلة السياسية في الأندلس، فقد انتهى الضغط النصراني المتواصل على ملوك الطوائف بسقوط طليطلة قلب

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص85.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 943.

[3] نفسه، ق1، م1 ص-ص 731-732

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان في مجالس الاعيان، القاهرة، 1284 هـ، ص 470.

[5] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[6] ابن بسام، المصدر السابق، ق1. م 2. ص733.

الأندلس عام 478هـ/1085م بأيدي الفونسو السادس ملك قشتالة الذي لم يكتف بالهدايا و الجزية التي كان يؤديها الكثير من ملوك الطوائف[1].

وبُعيْد هذه الضربة القاصمة والحادثة المفجعة استشعر ملوك الطوائف الخطر الحقيقي وأهداف النصرى اللذين يريدون ابتلاع الأندلس، وأدركوا سوء مصيرهم إن بقوا متفرقين لذلك أسرعوا إلى المرابطين ببلاد المغرب يستنجدون بهم، ويطلبون عونهم وإنقاذ الأندلس من مخالب النصارى خاصة أن المرابطين كانوا في أوج قوتهم و سطوع نجمهم مع ما اتصفوا به من حب للجهاد والاستماتة في الدفاع عن الإسلام، كما كان يوسف بن تاشغين مطلعا على أحوال الأندلس وقد اعد العدة من شواني ومراكب للعبور إليها[2]، ثمّ جرت معركة الزلاقة الشهيرة عام 479هـ /1086م التي انتصر فيها المسلمون على النصارى نصرا باهرا وإذاقوهم مرارة الهزيمة وكبدوهم خسائر فاحة واشترك المرابطون في هذا النصر مع الأندلسيين الذين قدّموا كل الدعم لهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلا من بادر وأعان وخرج واخرج [3] في حين يقال أن المعتصم لم يشارك في الزلاقة وبقي مرتقبا لنتائج المواجهة [4]، كما يذكر انه تمنع بسبب وجود النصارى في حصن لييط القريب من المرية[5].

وفي عام 481هـ/1088م عندما جاز المرابطون إلى الأندلس للمرة الثانية لحصار حصن لييط شارك المعتصم بن صمادح في هذا الغزو بجيش من المرية والتقى بيوسف بن تاشفين الزعيم المرابطي الذي أكرم لقاءه وبوّأه جانبا من معسكره[6] حتى أن المعتصم ارتدى البرنس ولبس العمامة متشبها بالمرابطين ومتقربا من أميرهم كما زعم المعتمد بن عباد ملك

[1] مجهول، الحليل الموشية:تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص 83.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، م7 ، ص 113.

[3] الحميري، صفة جزيرة الاندلس.، ص ص87، 88.

[4] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص104، ص167.

[5] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص52 .

[6] ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 734.

اشبيلية الذي شارك أيضا في هذا الحصار [1]، ثم فك يوسف بن تاشفين الحصار عن الحصن ومر من لورقة* والمرية ثم جاز الى بلاد العدوة [2] بينما يذكر ابن ابي زرع في روض القرطاس ان ابن تاشفين كتب لملوك الطوائف للحضور والمشاركة في حصار حصن لبيط او لبيط فلم يأته إلا ابن عباد صاحب اشبيلية وابن عبد العزيز صاحب مرسية، مما غيَّر نفسه عليهم، وفي سنة 483هـ/1091م جاز يوسف للمرة الثالثة إلى الأندلس بغرض الجهاد فلم يأته احد من ملوك الطوائف وقصد طليطلة فقتل وسبا، ثم قرر أخيرا عزلهم وخلعهم ومنهم بنو صمادح حيث اقتحم المرابطون المرية عام 484 هـ/1091 م [3].

وقبل دخول المرابطين المرية كان المعتصم بن صمادح قد أوصى ابنه ولي عهده معز الدولة بن المعتصم الخروج من المدينة في حال بلغه نبا سقوط ابن عباد في اشبيلية، وكما كان الحال توفي المعتصم في بلده ووطنه المرية في عام 484 هـ/1091م ولم يلبث معز الدولة إلا يسيرا وفر من المرية ممثلا لوصية والده " وباع ذروة الملك بصهوة الفلك بعد أن خلَّى أهل المرية بينه وبين شأنه مراعاة لبني صادح وأيامهم [4]، ويذكر ابن الخطيب ان معز الدولة أمر رجاله بثقب الصور قرب باب موسى جهة القصبة ليخرج منه إلى دار الصنعة بالميناء حيث ركب البحر في ثلاث قطع بعياله وماله ومتاعه متوجها إلى بني حماد في المغرب الأوسط، واحرق باقي الأجفان [5] وإن لم يتبين لنا عدد الأجفان التي أحرقت عمدا إلا أنه من المؤكد أنه عدد معتبر ويمكننا أن نستنتج أيضا أنه تم إنقاذ ربما عددا منها بما أنه الميناء يحتوي مراكب وسفن كثيرة كانت ملكا لبني صمادح.

---

[1] ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص ص86، 87.

* لورقة: بالغرب من تدمير أي مرسية / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص25.

[2] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ج2، ص47.

[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص–ص 152، 155.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ق 1، م2، ص73.

[5] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص ص 191، 192.

وبعد دخول المرابطين إلى الأندلس اخذوا في ترتيب أوضاعها وتنظيم شؤونها وما فتئ يوسف بن تاشفين يحض على الجهاد ويدعوا إليه ويوفر الإمكانيات لحماية الأندلس[1]، وامتاز المجاهدون من المرابطين بالجلد والشجاعة واختيار الموت على الإنهزام ولم يُحفظ لهم فرار من زحف، وكانوا يستعملون في القتال النُجُب والخيول. وكان الرجّالة أو المشاة يحملون القنى الطوال ثم المزاريق فلا يخطئ أي رجّال ضربته بالمزراق[2]، وأظهر المرابطون استبسالا في حرب النصارى وحماية المسلمين وسّد الثغور في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي بن يوسف حيث توالت جيوش الجهاد إلى الأندلس الواحدة بعد الأخرى مما أثار الرعب في نفوس النصارى و تملّكهم الخوف[3] رغم ما قيل عن تغيير طباعهم ولاسيما أواخر عهدهم باالندلس وإهمالهم للجهاد الذي فقد وهجه وزخمه عكس بداياتهم، وهذا بعد انطباعهم بالطباع الأندلسية وتأثرهم بحياة الرفاهية وميلهم إلى الراحة والدعة وطاعة النساء فإجترأ عليهم العدو النصراني[4].

وفي عهد المرابطين بلغت المرية منتهى الإزدهار الإقتصادي والإجتماعي حتى سميت مدينة الإسلام، وكان يتم فيها الإعداد للجهاد وترتيب الأسطول لغزو الفرنج وفي دار الصناعة استقرت العدة والآلات وما يحتاجه الأسطول[5]. وقد ذكر أبو محمد الرشاطي وهو من أهل المرية أنه دار صنعتها في عام 527 هـ/1133 م كانت أعظم دار في الدنيا وأعمرها فيها الآلات البحرية والعدد الحربية ما لم تجمعه أي دار أخرى[6]، وقد وُلِيَ على المرية في عام 522هـ/1128م تاشفين بن علي بن يوسف أمير المرابطين حيث عمل على توفير

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول التراث الغربي الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994، ص523.

[2] البكري، المسالك والممالك، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، ج2، ص353.

[3] المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص-ص226، 235.

[4] نفسه، ص 277.

[5] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص197، 198. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119. ابن غالب، المصدر السابق، م1،ج2، ص283.

[6] أبو محمد الرشاطي، إبن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص60.

السلاح والرجال والإعتناء بالجيش، وحقق الإنتصارات مرات ومرات على النصارى وهزمهم في أكثر من مرة[1] وفي نفس الوقت كان يقود الأسطول المرابطي من قاعدة المرية قائد البحر المشهور أبو عبد الله محمد بن علي بن ميمون، الذي كان من قادة أسطول ميورقة* وهو الذي أرسله مُبشَّر الفتى صاحب ميروقة عام 508هـ/1114م لطلب النجدة من المرابطين بعد أن حاصرها أسطول جنوة وبيزا [2].

أُعجب علي بن يوسف بن تاشفين بإبن ميمون وقرّبه وأدنى منزلته، و عندما توسّم فيه الكفاءة والمقدرة قَّدمه على الأسطول ومنحه ثقته الكاملة وأطلق يده فيما يريده من جهاد وغزو النصارى دون وصاية أمير أو عامل من عمال المرابطين، وكان لإبن ميمون صولات وجولات في البحر، فقد دأب على الغزو والجهاد وانطلق بأسطوله من المرية لها جبر النصارى الذين قطعوا البحر وكلب على مراكب وسفن المسلمين، ووصل صيته إلى بلاد النصارى الذين سكنهم الرعب من إسمه وبطولاته في أرمينيا* والقسطنطنية* وهي مناطق بعيدة عن الأندلس، فأسرع ملوكهم إلى طلب المسالمة والموادعة من المرابطين وضلّت المرية قاعدة الأسطول والجهاد[3]، ومن الغزوات الكثيرة لإبن ميمون غزوة عام 511هـ/1117م بأمر من علي بن يوسف إلى قطرون* من بلاد الروم وعاد الأسطول منتصرا يحمل الغنائم والسبي بعد أن أرعب النصارى، وغزوة عام 516هـ/1122م إلى نقوطرة بصقلية فغنم إبن ميمون وسبى النساء والأطفال[4]، وكان خروج الأسطول المرابطي في هذه الغزوة لمساعدة الزيريين أصحاب إفريقيا ضد النورمان ملوك صقلية الذين هاجموا و

---

[1] إبن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط1، ج4، ص ص66، 67.

* ميورقة: جزيرة في البحر المتوسط أو الزقاق، شرق الاندلس/ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص188.

[2] إبن الكردبوس، المصدر السابق، ص123.

* ارمينيا: اقليم واسع في بلاد الروم ناحية بحر الخزر/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص159.

* القسطنطينية: بيزنطة وهي ملك للروم/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص347.

[3] أبو محمد الرشاطي، إبن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص60

* قطرون: أو قطرونية من بلاد الروم/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص373.

[4] إبن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط1، ج4، صص66،67.

الأراضي الزيرية في إفريقيا[1]، و إبن ميمون هو الذي اتصل به أمير المرابطين حينها تاشفين بن علي بن يوسف قبل وفاته عام537ه/1142م عندما كان يحارب الموحدين في وهران، وطلب منه إعداد عشرة أجفان غزوية تكون بمرسى حصن بناه قرب وهران معدة لحادث يحدث عليه أو إذا ألجأته الضرورة للعبور و الجواز إلى الأندلس[2]، كما يذكر أن ابن ميمون نقل القائد المرابطي أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن غانية والي بلنسية عام 539ه/1144م إلى جزيرة ميروقة عبر المرية بعد أن فر من بلنسية ثم إلى شاطبة عقب الثورات التي اندلعت في جهات الأندلس ضد الحكم المرابطي وإضطرابها عليهم[3].

وقد عرض أهل المرية على إبن ميمون في هذه الفترة المضطربة أن يكون مُقدَّما عليهم ويتولى شؤونها فامتنع عن ذلك لكونه صاحب بحر ليس به همة في الحكم ووظيفته الجهاد البحري وضمن لهم أن يدافع عنهم ويحميهم إن عرض عليهم عارض من جهة البحر، ونصحهم أن يختاروا شخصا آخر فوقع الإختيار على رجل من أعيانهم كان أديبا ضريفا يدعى عبد الله بن محمد ويعرف بابن الرميمي[4] الذي أخذ على عاتقه تصريف شؤون المرية وقضاء حوائج أهلها. وفي ضل هذه الضروف العصيبة كان أسطول المرية يخرج لغزو النصارى في جليقية واستوربيش وبرشلونة وشواطئ فرنسا وجنوب إيطاليا، ووصل حتى إلى أرض بيزنطة أحيانا[5].

اثارت جرأة و شجاعة بحّارة المرية واسطولها الى غضب النصارى فأعدوا العدة لإحتلالها والقضاء على أسطولها وتمكنوا من دخولها عام 542ه/1147م بعد أن هجموا عليها من البر والبحر بقوات كبيرة من عدة أماكن من بلاد النصارى، وأمعنوا في القتل

[1]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص145.
[2]مجهول، الحلل الموشية ، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، ص ص 132،133.
[3]عصمت عبد اللطيف دندش، االمرجع السابق، ص ص 88،84
[4]عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص ص 279، 280.
[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص113.

والنهب وسبوا أعدادا كبيرة من النساء والأطفال[1]، وفي المدة التي ظلوا فيها أساؤوا الى العمران التي امتازت به، فغيروا وخربوا الكثير من محاسنها وهدموا عمرانها الذي عرفت به لوقت طويل[2].

ثم عمل الموحدون الذين خلفوا المرابطين في حكم الأندلس على استرجاع المرية في إطار جهودهم وسياستهم في الدفاع عن الأندلس وتحقيق الأمن والإستقرار، وجهاد النصارى الذين استمروا في اعتداءاتهم على المسلمين وأدركوا جيدا أهمية المرية الإستراتيجية والأمنية بمينائها وأسطولها، وبعد جهود كبيرة تمكنوا إعادتها إلى بلاد المسلمين واسترجاعها عام 552هـ/1156م بعد عشر سنوات من إحتلال النصارى الذين عادوا إلى بلادهم مهزومين مدحورين، وقد تكفل أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي والي غرناطة بقيادة الجيش الذي استرجع المرية حيث بعث قوة من الموحدين لمعرفة أحوال النصارى بها، ثم قتلوا منهم عددا كثيرا عند بابها و رجعوا إلى برجة، ثم تحرك أبو سعيد عثمان بجيش كبير من غرناطة ونصب المجانيق أمام المرية ورغم تدخل أذفوش أي الفونسو السابع وحليفه ابن مردنيش لانقاذ النصارى في المرية، إلا أن ذلك لم يفلح واستنزل الموحدون النصارى من المرية بالأمان الذي قدمه لهم الوزير جعفر بن عطية ويوسف بن عبد المؤمن بن علي[3].

وكانت إستراتيجية الموحدين في حماية الأندلس تقتضي استرجاع المرية وهي ثغر مهم من ثغور المسلمين بمينائها الحربي وكذلك اقتصادها وتجارتها المهمة للأندلس في البحر المتوسط، وبقاء النصارى فيه خطر شديد على المسلمين و أمن الاندلس، وعمل الموحدون على إصلاح ما تهدّم في المرية ما أمكنهم الأمر كإصلاح المسجد الجامع ومنشآت أخرى والإهتمام بالمرية كقاعدة بحرية أساسية شرقي الأندلس، وكان الخلفاء الأوائل للموحدين يقيمون الجهاد ويرغِّبون فيه، فعبد المؤمن بن علي (توفي في 558هـ-1162م)

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص280.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص198.

[3] النويري، نهاية الارب، ج24، ص170. ابن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص ص 55، 56.

في عهده اسْتُرجعت المرية ومهّد الأندلس ورفق برعيتها وابنه يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1183م) غزا النصارى وأذاقهم المر، ويعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (580هـ-595هـ/1183م-1198م) كان مداوما للجهاد حاثا عليه، وأمر في آخر حياته بإصلاح الأسوار في الأندلس وحماية الثغور و اعداد الأجناد للغزو والجهاد[1].

كما سلك محمد الناصر 595هـ-610هـ/1198م-1212م بن يعقوب المنصور نهج سلفه بالحث على الجهاد والإعداد له، كما حدث في عام 600هـ/1203م عندما أمر عمّاله في سائر أقطار الأندلس بتوفير الآلات الحربية، وفي عام 607هـ/1210م تحرك قائد الأسطول الموحدي أبو العلاء الكبير بجميع أجفان العدوة والأندلس لمواجهة البرشلونيين الذين استولوا على عدة حصوص جهة بالنسية وأمر الناصر عام 608هـ/1211م باستنفار الحشود الأندلسية وبصنع آلات الحرب ودعوة أهل الكور والجهات بعدتهم للجهاد الذي وقعت فيه معركة العقاب عام 609هـ/1212م وحينها انهزم المسلمون هزيمة قاسية[2]. ولا شك أن المرية وأهلها ساهموا في هذه المجهودات الحربية سواء بالسفن والمراكب أو بالرجال والعتاد، وحيث كان يرابط قسم من الأسطول الموحدي بمينائها.

وفي كل المراحل التي مرّت بها المرية كان ميناؤها يرابط فيه أنواعا عديدة من المراكب والسفن سواء في عصر بني صمادح أو المرابطين أو الموحدين، وكان للأسطول قيادة ورجال وعدة كثيرة ونظام، وقام بنشاطات كثيرة سواء دفاعية أو هجومية. وكان في المرية أسطول تجاري بمراكبه المعدة لنقل البضائع والمنتوجات، وأسطول حربي ضّم أنواع من المراكب والسفن مختلفة الأحجام والأشكال من الحراريق ومفردها حراقة وهي مراكب ترمي بالنار الإغريقية ذات حجم كبير يحمل فيها البارود [3]، والأغربة (غراب) وهي سفن قتالية من أشهر السفن الحربية اشتق اسمها من الغراب حيث كان القدماء يجعلون مقدمة

---

[1] إبن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص82، ص165، ص232.

[2] نفسه، ص-ص 242، 264.

[3] علي عمر خلاصي، جيجل تاريخ وحضارة، منشورات الحضائر، بير توتة، الجزائر، ط1، 2011، ص6.

سفينة على شكل رأس غراب أو غيره من الطيور تفاؤلا بأنهم في الماء كالطير في السماء[1]. وقد استعمل المرابطون هذا النوع في القتال أو في نقل الرقّاصة أي البريد في اقصر مدة وبسرعة كبيرة [2]، وفي عصر الموحدين سُمِّي هذا النوع من السفن بالغراب الطيار الذي كان من أهم سفن القتال الهجومية[3]. ونوع آخر من المراكب المهمة في الأسطول تتمثل في الشواني أو الشينية وهي سفن كبيرة مزودة بأبراج وقلاع للقتال ومعدّل ما تحمله الشينية ما يقرب من مائة وخمسون رجلا [4] وتجذف بعدد هائل من المجاذيف تصل إلى مائة وأربعون مجذافا وتعتبر من اكبر سفن الأسطول الرئيسية في القتال ومحاصرة العدو وتحطيم سفنه ويقوم الرجال برمي النفط الأبيض، وأيضا وجد نوع آخر هو الطرايد أو الطرّادات أو الطرّادة صغيرة الحجم لكنها سريعة لذلك استعملت في مطاردة الأعداء[5].

ومن أنواع مراكب الأسطول البطس أو البطسة تعتبر سفن كبيرة الحجم ذات طبقات، والحمّالات تستخدم لنقل الغلال والمؤونة، والشلنديات واحدها شلندي ونظرا لحجمها الكبير تستخدم لنقل المقاتلين والسلاح والبضائع، والعشاريات او عشاري مراكب صغيرة وخفيفة تؤدي وظيفة قوارب النجاة، أما المسطّحات أو المسطحة كانت توجد بعدد هائل في الأسطول وهي ذات حجم ضخم[6]، و تقاربها في الحجم ذاته مراكب تدعى قراقير أو قرقور تستعمل في حمل ونقل مؤن الأسطول من زاد وكراع ومتاع، واعتمد البحارة على مراكب أخرى في الغزوات والجهاد البحري كالأجفان الغزوية والشبابيك[7]، واستعملت هذه الأنواع على نطاق واسع في عصر المرابطين الذين فرضوا أنفسهم كقوة بحرية في الحوض الغربي

---

[1]عبد الفتاح عبادة، سفن الاسطول الاسلامي (انواعها ومعداتها في الاسلام)، مطبعة: الهلال، الخانجي، مصر 1913، ص6.

[2] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج2، ص413.

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص53.

[4]عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص6.

[5] توفيق مزاري، المرجع السابق، ص7.

[6]محمد احمد ابوا الفضل، تاريخ مدينة المرية الاندلسية ن ص 61.

[7]عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص ص 8، 9.

للمتوسط، ولما ضم الموحدون بلاد الأندلس إلى دولتهم الواسعة اعتمدوا في البداية على قادة من عائلة ابن ميمون لقيادة الأسطول واللذين خدموا في قيادة الأسطول المرابطي، وكان يطلق على القادة في المراسي البحرية اسم صاحب امارة البحر، وقد استفادة الموحدون من قطع أسطول المرابطين ومن دور الصناعة المنتشرة في الأندلس، وكانت دار الصناعة بالمرية واحدة منها والتي اشتهرت بصناعة وإنشاء المراكب المختلفة مع العدة والآلات الحربية المتنوعة، وبهذا الأسطول الذي تضخّم بأعداد وافرة فرض الموحدون قوتهم وسيطرتهم على غرب البحر المتوسط كما كان الحال في عهد المرابطين، وتنوعت قطعه من بين الشواني والطرايد والشلنديات والاغربة والشخاتير والمراكب والمسطحات والحراريق والزوارق والأجفان الغزوية وانتهى الأسطول في عهد يوسف بن عبد المؤمن كما يقول ابن خلدون: "على الكثرة والاستجادة ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه "[1].

و قد أدرك الموحدون منذ سيطرتهم على بلاد المغرب والأندلس أهمية البحرية في حماية دولتهم وحماية الاقتصاد وطرق التجارة في خضم صراع كبير مع النصارى سواء في اسبانيا أو مع الأمم النصرانية الأخرى لاسيما مع اشتداد الحروب الصليبية في قرن6ه /12م، وقد أمر عبد المؤمن بن علي عام 557ه/1262م ببناء السفن والمراكب في جميع سواحل دولته، فتم إنشاء أربعمائة قطعة كان منها ثمانون صنعت في دور الصناعة في الأندلس[2] المشهورة حينذاك كالمرية وغيرها استعدادا لأي مواجهة مع الأعداء، وفي فترة لاحقة أدت البحرية الموحدية دورا هاما في أحد المنعرجات الحاسمة في الصراع الإسلامي الصليبي حيث ارسل صلاح الدين الأيوبي أمير الشام ومصر ومحرر القدس من الصليبيين (توفي عام 589ه/1192م)[3] مبعوثه عبد الرحمن بن منقذ عام585ه/1188 م إلى الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، فالتقاه بفاس عند عودته من الأندلس وابلغه طلب صلاح الدين

---

[1] عزدين عمرو موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي، ص– ص 266، 271.

[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص.201.

[3] ابن خلكان، المصدر السابق، م7، 203

في مساعدته بأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس وهي من مدن الساحل الشامي، وفي البداية اعتذر المنصور الموحدي عن تلبية طلبه ثم بعد ذلك أمدّه بمائة وثمانون مركبا كما منع النصارى من التوجه إلى سواحل الشام [1]، ويدل هذا العمل على اتساع أساطيل الموحدين واهتمامهم بمساعدة إخوانهم المسلمين في المشرق الإسلامي من خلال دور الصناعة التي كانت تزود الأسطول بالسفن والمراكب ولاشك أن المرية كانت إحداها باعتبار شهرتها السابقة كميناء للأسطول وقاعدة بحرية هامة في غرب البحر المتوسط.

5- المرأة :

كانت المرأة المسلمة جزءا لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي وركن أساسي في الأسرة المسلمة، وحضيت بمكانة وقيمة في الأندلس كما اختلفت حياتها ويومياتها من فئة إلى أخرى ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى حسب تغير الظروف ومستوى المعيشة والثروة .

و قد ساعدت البيئة الاندلسية النساء على اخذ نصيبهن من الفرص والمشاركة في الحياة العامة جنبا إلى جنب مع الرجل كالتعلم وتلقي العلوم المختلفة وعرفت الأندلسيات بحبهن للدروس والعلم[2] وإن كانت نسبة النساء المتعلمات قليلة مقارنة بالرجال لطبيعة المجتمع الإسلامي المحافظ لكنهن تركن بصماتهن في الثقافة والأدب، وقد أشار المقري لتميّز الأندلسيات وتفوقهن لاسيما في البلاغة كما تعتبر البراعة في نساء الأندلس كالغريزة والفطرة [3]. ومن النساء من كان لها باع في ضروب العلم وفنونه وفي الغناء والموسيقى، ونجد من النساء من كانت طبيبة وحجّامة ومشاطة ومعلمة ومغنية وكاهنة وعاملة في الغزل والنسيج [4]، وهذا التنوع في مجالات نشاط المرأة تعبير واضح عن حالة الأندلس المتميزة

---

[1] ابن خلدون، العبر، اع: ابو صهيب الكرمي، ص 1680.

[2] غوستاف لوبون، حضارة العرب تر: عادل زعيتر، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1979، ص489.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، ج4، ص166.

[4] ابن حزم، طوق الحمامة في الآلفة والالاف، تح: الطاهر احمد مكي، د د ط، مصر، 1975، ص58 .

بالتسامح وتعايش العناصر والأجناس والانفتاح المعتبر والذي أعطى للأندلس عامة بعدا حضاريا متفردا .

و فيما يخص حياة المرأة اليومية فهي تختلف باختلاف الأوقات والظروف و الفئة الاجتماعية، فالمرأة في العائلات الارستقراطية لم تكن مضطرة للعمل أو القيام بمجهودات او نشاطات متعبة داخل البيت أو خارجه لوجود من يغنيهن عن ذلك، فالجواري كُنَّ كثيرات في بيوت الحكام والامراء والوجهاء والأغنياء والأثرياء، و يقمن بمختلف الأشغال حتى في تربية ابناءهم، كما كان للمرأة الغنية شأن ودور مهم في أمور الأسرة والبيت، وتمتعت أيضا بقدر كبير من الحرية في التملّك والتصرّف في الاموال، وأتيحت لها فرصة التعلّم اضافة الى العيشة الهنية والحياة الصاخبة في اوقات كثيرة.

و تتميّز حياة المرأة في فئة العامة بالتعب والمشقة في كثير من الأحيان لانعدام جواري الخدمة عند معظم العائلات، وعلاقة المرأة بزوجها مبنية على التعاون لتوفير الحاجيات وتكاليف الأسرة، وهذا التضامن فرضته ظروف الحياة والمعيشة حيث يخرج الرجل للعمل وتحصيل قوت عائلته في حين تتكفل المرأة بتدبير شؤون المنزل وتربية الأطفال والقيام بالأعباء المنزلية والحياكة والنسيج لكثرة المناسج المنزلية التي عمّت بيوت كثيرة في المرية[1].

وكانت المرأة تخرج أحيانا عندما تضطرها الظروف للقيام ببعض الأعمال كالبيع والتجارة لمساعدة أزواجهن وعائلاتهن، وبالنسبة للباس المرأة فهو يختلف من أسرة إلى أسرة ومن فئة لأخرى على قدر المكانة الاجتماعية والاستطاعة المادية وأيضا حسب الفصول، فنجد من اللباس الثقيل والخفيف والثمين والمتواضع، وقد وفرت الصناعة النسيجية خاصة أنواع الحرير والمنسوجات القطنية والكتانية والتي تشتهر بها المرية تنوعا في الملابس فيكثر بين النساء ارتداء الحرير والديباج، وتضع المرأة الخُمُر على رأسها فينسدل على وجهها،

[1] سراج الدين بن الوردي، المصدر السابق، ص32.

وتستعمل المعاجر لتشد رأسها أو تغطية وجهها، وفيما يخص الزينة فقد تزين المرأة بأنواع الحلي من مرجان وذهب وفضة [1] وكل هذه المواد موجودة بوفرة في المرية وإقليمها وموردا أو صناعة.

وكان زواج النساء من المناسبات السعيدة لدى العائلات إذ تزف إلى بعلها لتكوين أسرة إسلامية وقد حض الشرع الحنيف المقتدرين من الشباب على الزواج وتأسيس أسر مع نساء مناسبات لتحصين الفرد والأسرة والمجتمع وحماية الجميع من الأمراض والرذائل، وتكتب عقود الزواج غالبا عند من تعينه السلطة لخطة المناكح [2]. و كانت العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة مبنية على الود والتعاون فينال الأطفال النصيب الوافر من العطف والحنان داخل الأسرة الأندلسية[3].

أما فيما يخص الضوابط الشرعية الموضوعة للمرأة أثناء عملها أو خروجها أو تعلمها فهي منوطة بالمحتسب الذي يراقب مثلا تصرفات النساء في الطرقات والأسواق، وله تأديب من يخرجن عن أداب الحشمة والوقار وغيرها من المخالفات[4]، وعرفت المرية كثرة الجواري من كل الأجناس خاصة الصقلبيات اللاتي كن باعداد كبيرة في الأندلس، وتفاوتت مكانة الجواري من حيث المكانة والأهمية، فمنهن من اتخذن للخدمة والعمل، وأفضلهن عند الرجال وارفعهن مكانة ومنزلة التي تُتَخذ للنسل والمتعة[5]، واشتهرت الكثيرات منهن بقول الشعر وقرضه، فمثلا كان المعتصم بن صمادح ينتقي الجارية التي تحسن الشعر وتبرع فيه[6]، أما

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص–ص 216،221.

[2] مطرف الشعبي (عبد الرحمان بن القاسم)، الاحكام، تح: صادق الحلوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص495.

[3] البرزلي، جامع مسائل الاحكام ، ج1، ص–ص 194، 217.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص27.

[5] ابن حزم، رسائل ابن حزم، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ج1، 1980، 1983، ص ص68، 69.

[6] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، ج4، ص ص286، 287.

النساء الحرائر كان لهن نصيب من البلاغة والأدب ونظم الشعر والموشحات، وتعتبر أم الكرم بنت المعتصم شاعرة مجيدة تميزت بذكاء وفهم، فاعتنى بها والدها وأدَّبها وعلَّمها حتى صارت تقول الشعر وتنظمه وبرعت حتى في الموشحات التي اشتهرت في الأندلس ولها شعر في احد الفتيان يعرف بالسمَّار عشقته وهوته، ولما علم أبوها بالأمر لم يظهر هذا الشاب من حينها ومن قولها فيه[1]:

يامعشر الناس إلا فأعْجَبوا   مما جنته لوعة الحب

لولاه لم ينزل ببدر الدجى   ما افقه العلوي للترب

و لها شعر أخر في هذا الشاب الموصوف بالجمال[2]:

حسبي بمن أهواه لو انه   فارقني لتَابَعُه قلبي

و سواء قالت المرأة الشعر أو قيل فيها فقد شكلت ملمحا من ملامح الشعر الأندلسي[3]، و كانت احد أهم موضوعاته لاسيما في باب الغزل حيث كُتبت القصائد ونُظمت الأشعار في وصف النساء وعشقهن خاصة في عصر الطوائف الذي تميز برقي أدبي وفني كبيرين وتنافس الشعراء في نظم القصائد في قصور الملوك ومجالسهم وتميزت الجواري ببراعتهن وبلاغتهن في فنون الأدب والغناء وما إلى ذلك. على صعيد آخر كانت النساء في المرية على اختلافهن يخرجن في المناسبات المختلفة في جماعات كبيرة [4] كمناسبات الأعياد الدينية وعيد العصير الذي اشتهرت به المرية، والمشاركة في حفلات الزواج والختان وزيارة المقابر لتذكُّر الموتى من العائلة والأقارب ونيل الأجر كما كانت النساء تخرج مع الرجال من المحارم إلى المتنزهات وأماكن المياه الحارة للتمتع بالطبيعة والاسترخاء والاستشفاء[5].

---

[1] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص202.

[2] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م4، ص.170

[3] مصطفى الشالة، الادب الاندلسي (موضوعاته وفنونه)، دار العلم للملايين، بيروت، 1975، ص–ص117.118.

[4] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 79.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص336.

و في عصر المرابطين كان للمرأة هامش واسع من الحرية، فتخرج إلى الأماكن العامة في مناسبات مختلفة كما حضيت بمكانة متميزة في المجتمع مع اختلاف المستويات الاجتماعية ولاقت الاحترام الكبير[1]، ومع مجيء الموحدين تقلصت حرية المرأة مقارنة بالعصر المرابطي، وفقدت الكثير من الحظور والسلطة التي تمتعت بها، وقد وصف إبن تومرت(ت524هـ/1130م) وهو في صدد تكوين الدولة الموحدية النساء على العهد المرابطي بالسفور والإبتعاد عن الدين الإسلامي لِما رآه من خروج النساء واختلاطهن بالرجال [2]، ومع ذلك فإن الموحدين فرضوا إلزامية التعليم للرجال والنساء، الأمر الذي سمح للنساء بالحصول على مستوى من الثقافة والعلم ما أتاح لهن الفرصة للظهور في مجال الأدب والشعر وغيرها[3] سواء في المغرب أو في مدن الأندلس بما أنها دولة واحدة، فالقرارات تسري في جميع أقاليم الدولة، وفي عهد يعقوب المنصور الخليفة الموحدي صدر أمر بتحديد لباس النساء بمواصفات معينة كالإكتفاء بالبسيط والمتواضع إذ يقول إبن عذاري أن المنصور منع النساء من الملابس المطرزة "وإكتفى بالساذج القليل"[4]. وضلّت المرأة عنصرا فعالا في مجتمع المرية وفي عموم الأندلس في مختلف مراحلها بحضورها وتميزها الإجتماعي في كل مجالات الحياة.

6- اللباس:

يعني اللباس لغة كل ما يُلبس[5] على جسم الإنسان كما يعتبر من نعم الله تعالى على الإنسان، والمسلم مأمور بالستر والاحتشام كما أن اللباس زينة ووقاية[6] ويعكس هويته وعقيدته وانتمائه، وكانت الأندلس مشهورة بصناعة الألبسة على أنواعها وتعدد أشكالها في

---

[1] عقيلة مراجع الغناي، قيام دولة الموحدين، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ط1، 1988، ص47.

[2] محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار طوبقال للنشر، الرباط، ط1، 1987، ص74.

[3] الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر، الرباط، ط2، 1986، ص235.

[4] إبن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحين) ،ص174.

[5] إبن منظور، لسان العرب، دار الحياء، بيروت، ط1،ج12، 1999، ص223.

[6] دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، مكتب تنسيق التعريب، الرياض، د ت، ص29.

جميع مدنها ومنها المرية، ويمثل عهد عبد الرحمن الأوسط أو الثاني 206هـ-238هـ أزهى عصور بني أمية وحكمهم للأندلس التي ازدهرت بشكل ملفت، حيث دخلت الثقافة الشرقية بشكل كبير من خلال الكتب المتنوعة من طب وحكمة وفلسفة وموسيقى، واتخذ الناس اللباس الفخم والأنيق وتوسعوا فيه وأبدعوا في صناعته وارتدائه[1]، وفي عهده دخل المغنِّي زرياب المشهور إلى الأندلس قادما من المشرق حيث كان مقيما في بغداد حاضرة العباسيين وهناك تعلم الكثير عن قواعد التنظيم وفن الجمال والاستمتاع بالحياة ونقل إلى مثلا استعمال الأنطاع للنوم والتحلّي بالخز والحرير والتنويع في اللباس حسب الفصول، فنشر فكرة لبس اللون الأبيض في الصيف إلى الخريف وإن كان ممطرا[2] وألف الناس بعد ذلك هذه العادة في اللباس واستمروا عليها، وارتدوا ألبسة مريحة تسهِّل الحركة وتتلاءم مع كل فصل سواء في الشتاء أو الربيع أو الصيف أو الخريف إذ كل لكل فصل لباس خاص به [3]، ومعروف عن المرية بأنها بلد النسيج والحرير الذي كان مزدهرا بكثرة مناسجه وصُنَّاعه.

و لا غرو أن السكان كانوا يتنوعون في ارتداء الألبسة، فمثلا لباس الشتاء يكون خشنا و قاتما يجذب الحرارة والدفء، ويكون مبطنا بالصوف أو القطن أو فراء الأرانب[4]، أما في الصيف تكون الألبسة بيضاء وخفيفة كالأقمصة والسراويل والأردية الخفيفة وقد ذكر المقري دور زرياب في نقل أسس ارتداء الألبسة حسب الفصول حيث قال:" ورأى زرياب أن يكسبوا في الفصل بين الحر والبرد والمسمى عندهم بالربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والدراريع التي لا بطائن لها....وأن يلبسوا في أخر الصيف وعند أول الخريف الثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة"[5].

---

[1] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مورينا، ج1، ص140.

[2] إبن دحية، المصدر السابق، ص147.

[3] مريم قاسم الطويل، المرجع السابق، ص78.

[4] محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، ص237.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م3، ص228.

وفي الأعياد والمناسبات والإحتفالات كان للناس ألبسة خاصة تميزت بالأناقة والجمال كشهر رمضان الذي يستقبله الأندلسيون بسرور وفرح وتهيئة أجواء الصيام والقيام، واقتناء اللوازم الخاصة بالشهر الكريم وشراء ملابس جديدة خاصة للأطفال[1]. ويعتبر يوم الجمعة عيدا للمسلمين حيث يتهيأون ويستعدون لأداء الشعيرة الدينية والذهاب إلى المساجد بأجمل ما عندهم من الملابس، وكذلك الحال بمناسبة المولد النبوي التي يفرح بها الاندلسيون ويتزينون ايضا بأجمل الملابس[2]. وكان لسكان المرية عيد خاص بهم يعرف بعيد العصير يحتفلون به في فصل الخريف فيرتدون حينها أبهى الثياب ويخرجون لقطف العنب وجني المحصول[3].

وخلال الأعراس والحفلات العائلية كانت النساء تتزين بأبهى الملابس، وتكون العروس في كامل زينتها مرتدية فستان الزفاف وأجمل الحلي[4]. وارتدت النساء ملابس متنوعة كالأكسية الملحفة وهي عبارة عن ملاءات مبطّنة صفراء أو حمراء تكون تحت القميص[5] والإزرار[6] والبرانس[7] وغيرها من الملابس، واختلفت نوعية الملابس بين نساء والأثرياء والمترفين ونساء العامة والمحتاجين، فالثَرِيات تفننت في الملابس الحريرية والمنسوجات الرفيعة، أما النساء ذوي الدخل البسيط أو المحدود فإعتمدن على ملابس القطن والكتان والصوف وربما يصنعنها في بيوتهن في أحيان كثيرة سواء للإستعمال الشخصي أو

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، ط1، 1986، ص278.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ط1، م1، ص135. الونشريسي، المعيار، تح: محمد حجي، ط1، ج8 ،ص278.

[3] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص-ص 77، 78 .

[4] كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1997، ص227.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ج1،ص224. دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ، ص198.

[6] الونشريسي، المعيار، تح: محمد حجي، ط1،ج2، ص84.

[7] ابن الأثير، الكامل، تص: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج11،ص156.

حتى بقصد المتاجرة بها[1]، وقد ازدهرت صناعة الملابس بالأندلس في عصر المرابطين ما وفر تعدد في الألوان وأنواع خاصة في الوسط المتمدن وتعبر عن ترف اجتماعي[2].

وتميزت ملابس العلماء والفقهاء والأعيان بالجودة وإحكام الصنعة، و كانوا يرتدون البرانس والعمائم والألبسة الفاخرة خاصة في عهد المرابطين الذين قربوا إليهم هذه الفئة وجعلوها من خواصهم، واستمر العلماء في حضوتهم لدى الموحدين أيضا فلبسوا أفخر الملابس[3]. وفي يوم الجمعة والأعياد وهما من المناسبات الهامة ارتدى العلماء ملابس خاصة زاهية ذات لون ابيض واصفر من برانس وعمائم وغفائر[4].

و فيما يخص السكان من عامة المجتمع فكانت ثيابهم بسيطة قدر الامكانيات وحسب الظروف، فقد لبس الرجال جبابا تحتها اقمصة تصنع من الكتان والصوف وتكون طويلة او قصيرة، وعباءات بدون أكمام والعمامة والقلنسوة واللثام[5] الذي كان مقتصرا تقريبا على المرابطين دون غيرهم، وكان من عادة الرجال الاندلسيين لبس السراويل كما شاع بينهم ارتداء غطاء للرأس يسمى الرُطْفل على شكل شبكة يُلبس في فصل الصيف[6].

---

[1] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى(عصري الموحدين والمرابطين)، دار الوفاء، القاهرة، ط1،2004 ص272.

[2] محمد القبلي، المرجع السابق، ص39.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص223. ابن عذاري، المصدر السابق (قسم الموحدين) ، ص 216.

[4] جمال احمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى(عصري المرابطين والموحدين)، ص246 . رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، 306.

[5] صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية للنشر والتوزيع القاهرة 1980، ص–ص 40 ،57.

[6] دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، تر: أكرم فاضل، ص–ص45، 48.

وحتى أفراد الجيش زيادة على الاسلحة والعدة كان لهم زي خاص في كلّ مرحلة سواء في عصر الطوائف أو في أيام المرابطين لمّا كان الجنود يرتدون اللُثُم والغفائر[1]، و من جانبهم اعطى الموحدون اهتماما لزي جنودهم من ثياب وأكسية وعمائم وبرانس [2].

و كان أهل الذمة في عهدي المرابطين والموحدين يرتدون ملابسا يتعالون بها على المسلمين أحيانا خاصة اليهود اللذين كانوا ذوي مال ويسر لتعاطيهم مختلف الأعمال المربحة، لذلك قام رجال الحسبة بالتشديد عليهم في لباسهم[3]، ومن البسة اليهود الزنار والشكلة التي تتكون من قميص وبرنس وقلنسوة [4]، وارتداها يهود المغرب والأندلس على السواء، وكان القميص واسعا طويلا وعريض الكمين وظل الأمر على حاله إلى عهد الخليفة الموحدي محمد الناصر 595هـ-610هـ/1198م-1212م الذي امر بتغييره بعد الحاح كبير من اليهود الذين توسلوا إليه بكل وسيلة واستشفعوا عند كل من يضنون ان شفاعته لها وقع في نفس الخليفة، فأمر لهم بثياب وعمائم صفراء [5] رغم نهي العلماء والفقهاء وانكارهم لذلك .

و النتيجة أن مجتمع المرية شهد تنوعا واسعا وكذلك تباينا في الالبسة بين فئات المجتمع عموما حسب الفصول والمناسبات، كما عرفت المرية ازدهارا في الألبسة التي ساهمت فيها الصناعات النسيجية والحريرية التي كانت رائجة وتم ارتداء هذه الألبسة أو تصديرها ومن أشهرها السقلاطون والعتابي والجرجاني غالية الأثمان[6] التي كانت من نصيب الأغنياء والوجهاء في حين اكتفى البسطاء والفقراء بألبسة مصنوعة من الصوف والكتان[7].

---

[1] ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، د د ط، الرباط، 1952، ص19.

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص148.

[3] جمال احمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى(عصر المرابطين والموحدين)، ص226.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين) ، ص 228.

[5] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص383.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، دراسات مغربية وأندلسية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية د ت، 276.

[7] سلمى خضراء الجيوشي، الحضارة العربية الإسلامية، مركز الدراسات للوحدة العربية، القاهرة، ط1، 1998، ص70.

وعُرف المتصوفة في المرية بارتداء ألبسة خاصة بهم تتميز بالبساطة لستر العورة، و أهم قطعة عندهم هي الخرقة التي تعبر عن زهدهم وحياتهم، وكان لأهل الذمّة من يهود ونصارى كما سبق ذكره زيهم الخاص حتى يُعرفون به بين أهل المدينة.

وفي جانب أخر كان سكان المرية وكل سكان الأندلس حريصين على نظافة الملابس وحتى الفراش لا فرق بين غني وبسيط أو محتاج، إذ أولوا عناية بالغة في غسل ملابسهم بالماء والصابون وتنظيفها بشكل لائق حتى لا تنبو في أعين الناس وتشمئز منها النفوس، وكان الاهتمام بنظافة اللباس حتى عند المعوز الذي لا قوت له [1] .

7- الجنائز :

كان سكان المرية يخرجون إلى المقابر سواء لدفن الموتى أو زيارة القبور للترحم على من مات والتذكر والاستعبار، وكان بالمرية مقبرتان كبيرتان خارج أسوار الربضين واحدة تسمى مقبرة بجانة دفن فيها الكثير من المشاهير اللذين استوطنوا المرية إضافة الى من دخل المدينة وقطنها عند سفره[2]، ومن عادات سكان المرية والأندلسيين عند الحزن وفي الجنائز ارتداء ألبسة بيضاء تعبيرا عن المشاعر الحزينة عكس المشارقة المعروف عنهم لبس السواد في هكذا حالة، وهذه العادة توارثها الناس منذ العهد الأموي في الأندلس مخالفة للعباسيين، واستمرت الى العصور اللاحقة بينهم حتى قال الشاعر أبو الحسن الحصري[3]:

اذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

8- المتنزهات و الاستجمام :

أعطى الله تعالى بلاد الأندلس طبيعة خلابة وغنية بالمناظر البديعة حيث توجد السهول والمروج والانهار والوديان والغابات والجبال والتلال والسواحل، وزادتها البساتين

---

[1]المقري، نفح الطيب، تح:إحسان عبا س، دار صادر، الجزء 1، ص223.

[2]عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص129.

[3]ابن دحية، المصدر السابق، ص81.

الخضراء النظرة بمحاصيلها المتنوعة بهاءا وجمالا، كما أبدع الأندلسيون في انشاء الحدائق والمتنزهات لاسيما خارج المنطقة الحضرية أو التجمع السكاني، وبرعوا في تصفيفها وتنظيمها بالأشجار والأزهار والرياحين والنباتات المختلفة، فقلّما تجد مدينة أندلسية لا يوجد بها متنزّه أو أكثر بالقرب منها او غير بعيد عنها، وكان هذا الإبداع والتنمق في الحدائق من مظاهر الحضارة الأندلسية المزدهرة.

ويعتبر الذهاب إلى الحدائق نشاط طبيعي في حياة المواطن الأندلسي، حيث كان يقصدها من اجل الاسترواح والاسترخاء والتمتع بالطبيعة والمناظر المبهجة، وطلبا للراحة و الهدوء بعيدا عن الحياة والاجواء الصاخبة بعد يوم أو أيام من التعب والكد في العمل والاسترزاق. والنفس البشرية تمل من المألوف والمعتاد فيصيبها الكسل والخمول لذلك تحتاج إلى تجديد وتنشيط، والمرح والتسلية مما يحبذه الإنسان ويبتغيه وترتاح له النفس وتطيب به، وقد قال علي رضي الله عنه : " سلوا النفوس ساعة، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد"[1]. وقد جمعت المتنزهات والحدائق كل عناصر الراحة والمتعة من مناظر وهدوء وتسلية، فيرتادها السكان فرادى أو جماعات خاصة العائلات، ولاشك أنهم يأخذون معهم ما يحتاجونه من مأكل ومشرب لإكمال المتعة و النزهة .

وعرفت المرية منذ تأسيسها حياة اقتصادية واجتماعية نشيطة وحيوية مليئة بالحركة والتفاعل والجهد، فكان على السكان أن يغتنموا أوقاتا للهدوء والاستمتاع بالحياة والطبيعة المتنوعة التي كانت في محيط المدينة وخارجها اذ يقصدونها في كل الأوقات لاسيما في أيام الحرّ والقيض للتبرد ودفع الحرارة تحت الضلال الوارفة والنسيم العليل، وينعمون بجمال المنظر وخضرة الأزهار التي تتوزع عبر الحدائق و المتنزهات في تنسيق مدهش، فتبعث في نفوسهم الانشراح والانبساط، ويأنسون برؤية الاخضرار والألوان الزاهية.

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك، مطبعة فضالة، ج1، ص27.

وبرع أهل المرية في تنسيق البساتين والمتنزهات والمنيات وتصفيفها وتنميقها فتبدوا بشكل رائع ومثير، ويبدأ البستان عادة بطريق يؤدي إليه يُغرَس على جانبيه أنواع من الأشجار الباسقة والمتراصة في خط واحد كشجر السنديان العالية لإضفاء المزيد من الجمال والروعة على المنظر، فيسير الناس تحت الظل ويحفهم النسيم العليل. ثم يأتي البستان ويكون محاطا بأسوار عالية يغرس تحتها مختلف النباتات فلا يظهر إلا الاخضرار، ثم يجعل فيه الخمائل وأشباه الغرف بينها ممرات وأبواب اكتست بالخضرة. وكانت الرياحين والأزهار بأنواع عديدة في أحواض ومساحات صغيرة مثل زهر الآس والاقحوان، وأزهار الياسمين الأبيض والأصفر، والبنفسج والسوسن، وكان في المرية عدة بساتين ومنيات تميزت بشهرتها يقصدها الناس على الدوام موجودة في دلاية وبرجة والتي كان المعتصم بن صمادح مولعا بالتنزه فيهما والتمتع بالمناظر الخلابة خاصة في برجة، وقد ذكر ابن خاقان خروجه إليهما في قوله:" وخرج إلى برجة ودلاية وهما نظيران لم يَحُل في مثلهما ناظر، ولم تدع حسنهما الخدود النواظر، غصون تثنيها الرياح، ومياه لها انسياح، وحدائق تهدي الأرَج والعرف"[1]، كما وصف ابن بسام في كتابه " البدائع " إحدى نزهات المعتصم التي اعتاد عليها بقوله: " خرج المعتصم صاحب المرية يوم الى بعض متنزهاته، فحل بروضته قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مِسْكِها الأريج "[2]، وفي برجة يقول الشاعر ابن شرف القيرواني[3]:

رياض تَعشَّقها سندس   توشَّت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربَّى   لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنّة   و كل طريق إليها سقر

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص667.
[2] نفسه، م3، ص328
[3] نفسه، م1، ص151.

وقال أيضا [1]:

حُطَّ الرحال ببُرجة   وارتد لنفسك بهجة
في قلعة كسلاح   ودوحة مثل لُجَّة
فحصنها لك أمن   و روضها لك فُرجة
كل البلاد سواها   كعُمْرة و هي كحُجَّة

وكان من عادة الملوك أن يتنافسوا في العمران ومظاهر الترف وانجاز المرافق والمنشئات فتكثر رياش الدولة ونعمتها، وينطبق هذا القول على العصر الذي عاش فيه المعتصم والذي سادت فيه روح البذخ والتنافس في مباهج الدنيا و زينتها[2]. ومن أعمال المعتصم المأثورة البستان العظيم قبلي القصر الكبير بقصبة المرية والذي احتوى ثمارا غريبة ومتنوعة تكاد لا توصف لجليل شأنها وغرابتها، كما أوصل الماء عبر ساقية إلى المدينة يصب في ساقية غربي المسجد الجامع ثم أوصل منها ساقية أخرى تحت الأرض يصل ماؤها إلى بئر عميق أنشأه في القصبة ويرفع منه الماء ليسقي هذا البستان ورياضه البديعة، كما أنشأ خارج المرية بستانا جليلا يعرف بالصمادحية يضم قصورا متقنة البناء، واحتوى على جميع الثمار الغريبة منها الموز وقصب السكر وسائر الثمار، واتصل ببستان الصمادحية بساتين كثيرة تقرب من صفته فيها متنزهات لا يعلم مثلها في جميع المتنزهات[3].

وفي هذه المتنزهات على سبيل المثال كان المعتصم يقضي أوقاتا سعيدة مع مقربيه وخواصه، ويقيم مجالس الأنس والإستمتاع يحضرها الوزراء والشعراء المجيدين لنظم الشعر ومن قوله في بركة ماء بالصمادحية:[4]

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص151.

[2] إبن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،2005، ص516. أنخل بلانثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955، ص50 وما بعدها.

[3] العذري، المصدر السابق، ص85.

[4] إبن دحية، المصدر السابق، ص36.

أُنظر الى حسن هذا الماء في صببه   كأنه أرقم جَدَّ في هربه

و له فيها ايضا[1]:

كأنّ إنسياب الماء في صفحتها   حسام ثقيل المتن سُلّ من الغِمد

تفور بها فوّارة مستديرة   لها مقلة زرقاء موصولة السَهد

أدرنا بها كأسا حَبابُها   حبابٌ سقيط الطَّلِ في ورق الوَردِ

لها في غدير الماء لَأْلاء جمرةٍ   حَكَت نار إبراهيم في اللون والبرد

و له أيضا[2]:

الروض يشرب والأنوار تنسكب   والشمس تظهر أحيانا وتحتجب

وللبهار على أفنانه زهرٌ   كأنه فضةٌ من فوقها ذهبُ

واضافة إلى بساتين الصمادحية كان بالمرية متنزهات ومتفرَّجات مثل مُنى غسان، والنجاد، وبركة الصفر، وعين النطية ومنى عبدوس التي ربما تنسب إلى قرية بني عبدوس التي تقع جهة بجانة وتبعد عنها ستة أميال[3] تقع في بسيط أخضر به حدائق وأشجار النخيل، وهناك بساتين في بلدة جودر تقع في واد عميق أخضر به زروع نظرة وحدائق برتقال غَنَّاء[4]، وفي بجانة الغنية بالبساتين والجنات متنزهات وأموال لأهل المرية [5]، وجميع هذه المتنزهات أضفت طابعا جماليا لإقليم المرية وحركية اجتماعية كبيرة .

وقد اشتهرت المرية كذلك بوديانها الخلابة والجميلة والمغروس على جنباتها أشجار ونباتات مختلفة، ومياهها تنساب انسيابا مدهشا كوادي برجة المعروف بوادي عذراء[6]، وقد

---

[1] ابن دحية، المصدر السابق، ص36.

[2] نفسه.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص194. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص201.

[4] محمد عبد الله عنان، الأثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص265.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص200.

[6] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، ج3، ص151.

ذكر ابن سعيد المغربي أن على هذا الوادي تقع بلدة برجة وكان والده مولعا بالفرجة فيها لما خصّها الله عز وجل به من حسن المنظر، كما أخبره أن الجِنان محدقة بها وفواككها جليلة[1]. وتسمى برجة بهجة لجمال منظرها وحسن طبيعتها وواديها المذكور المبهج محدق بالأشجار والأزهار[2] التي أضفت عليه جمالا ورونقا، وكذلك وادي المرية الذي يقال له وادي بجانة طوله أربعون ميلا " له بساتين بهِجة وجنات نظِرة، وأنهار مُطرَدة وطيور مُغرّدِة"[3]، وكان أثرياء المرية وأعيانها يمتلكون في محيطه البساتين والمتنزهات يقصدونها للنزهة وطلب الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة وصخبها[4]. وفي عذرة بالغرب منها نهر تحفه البساتين والنباتات ينبع من جبل شلير يلتقي بمياه وادي برجة وغيرها فيَصُب عند عذرة في البحر[5].

و يوجد في المرية وادي أخر يعرف بنهر أندرش، وأندرش من أعمال المرية يذكر ابن سعيد المغربي نقلا عن الحجاري صاحب المسهب بأنها قطعة من جنَّات النعيم وأضَّاف ابن سعيد أنه مر بها رفقة والده الذي قال شعرا في نهرها بعد أن أبصرا منظرا مدهشا[6]:

خَلِّني في نهر أندرش كي أُرَّوِي عنده عطشي

مُدّ منه معصمٌ نَضِرٌ في بسيط بالرياض وُشِى

عندما أبصرت بهجته حِرْتُ من فكرٍ ومن دَهَشِ

وكان من عادة سكان المرية الذهاب إلى أماكن خاصة تتواجد بها المياه المعدنية الحارة كنوع من السياحة والاستجمام بالإمكان تسميتها السياحة الاستشفائية، وتبلغ حرارة هذه المياه درجة عالية، وأكثر من يقصدها المرضى والمتعبين ليستعيدوا عافيتهم وصحتهم،

---

[1]إبن سعيد المغربي، المغرب، ج2،ص228.

[2]شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1،ص191.

[3]المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، ج3، ص163.

[4]مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص89.

[5]الإدريسي، نزهة المشتاق، ص198.

[6]ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص235.

والاستشفاء من بعض الأمراض أو النقه بعد العلاج، وأشهر حمّة في المرية هي حمّة بجّانة التي تنسب إلى خيران العامري الذي حكم المرية مطلع القرن 5هـ/11م لمدة أربعة عشر سنة، وكانت له انجازات خالدة في مجال العمران بينها الحمّة العجيبة [1] التي تقع شرقي بجانة على بعد ثلاثة أميال منها في جبل مرتفع، ويمتاز ماؤها بالصفاء والعذوبة والطيب وبزرقته ومنفعته الكبيرة لأصحاب الأسقام والأمراض والعاهات الذين يقصدونها من جهات مختلفة فينالون فيها راحة واستشفاء، وبالقرب من منبع ماء الحمة يوجد صهريج أو خزان ماء واسع قديم البنيان على شكل مربع لتخزين المياه التي تسقي البساتين الشهيرة بالزيتون والأشجار المثمرة في قرية الحّمة والفائض من الماء ينزل إلى قرية تسمى آبُلَة ليسقي بساتينها أيضا، وهناك حمّة أخرى جوفي بجانة ذات مياه غزيرة أكثر من حمّة بجانة صالحة كذلك للمرضى الذين يأتوها للعلاج، ويقال أن مياه الحمة الأولى تجري على الكبريت والثانية على النحاس[2].

ويذكر الإدريسي أن هذه الحمّة تقع على يمين بجانة وتبعد عنها ستة أميال وقد أجمع كل من شاهدها أن لا مثيل لها في أقطار الأرض سواء في إتقان بنائها أو سخونة مياهها، وكانت مقصدا لأصحاب الأمراض والعلل من كل الجهات وتدوم إقامتهم بها أياما حتى تستقيم أبدانهم ويشفوا من أمراضهم وتعود لهم عافيتهم[3]، وفي فصل الربيع الذي يتميز بالإعتدال وجمال الطبيعة كان أهل المرية يقصدون الحمّة مع نسائهم وأبنائهم في أجواء عائلية بهيجة حيث يقيمون أياما هناك، ويتوسعون في الإنفاق لإقامتهم ومأكلهم ومشربهم، وقد بلغ ثمن المسكن والإيجار في الشهر أيام المرابطين ثلاثة دنانير مرابطية تزيد أو تنقص أحيانا[4]، ويعتبر هذا المبلغ كبيرا ذلك الوقت لكن كثرة الناس الوافدين وإزدياد الطلب على

[1] إبن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص212.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص 38، 39.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص200.

[4] نفسه، ص ص 200، 201.

المساكن التي قد تعود لسكان منطقة الحمّة، أو تكون مخصصة أصلا كأماكن للإقامة والكراء جعل الثمن والسعر يرتفع مقارنة بالأشهر الأخرى. وهناك حمّتان أخرتان ليستا في شهرة حمّة بجانة هما حمّة غشتر وحمّة وشتن في الطريق بين بجانة و مرشانة والذي يؤدي إلى غرناطة[1]، ولا ضير أن نشير هنا أنّ العالم المحدث أبو علي الجياني حسين بن محمد بن أحمد الغساني أصيل قرطبة والذي توفي عام 498هـ/1104م[2]، وكان ممن روى عن عالم المرية ومؤرخها أبو العباس العذري قصد حمّة بجانة عام 496هـ/1102م للاستشفاء بمياهها الساخنة بعد أن أصابته علة أثرت فيه، ولما علم به الناس جاؤوا ليسمعوا عنه ويأخذوا من علمه[3]، ويمكن أن تتكرر هذه القصة مع علماء آخرين، فتصبح زيارة الحمة ذات فوائد منها لقاء علماء يستفيد الناس من علمهم.

9- الإحتفالات والموسيقى:

أبدى سكان المرية اهتماما بالمرح واللهو والاستمتاع بالغناء والموسيقى كغيرهم من أهل الأندلس، فالحياة صاخبة والناس في عمل ونشاط، إذ يحتاجون إلى أوقات للمتعة والتسلية والتنزه وغيرها، وفي هذا يقول المقري:"ومع كون أهل الأندلس سُبّاق حلبة الجهاد، مهطعين إلى داعيه من الجبال والوهاد، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون، ومداراة الشعراء خوف الهجاء محلُ وثير المهاد"[4]، ويعود انتشار ظاهرة الغناء والموسيقى إلى ما قبل عصر الطوائف والمرابطين والموحدين منذ عهد الإمارة الأموية خلال حكم عبد الرحمن الأوسط أو

[1] نفسه، ص201.
[2] الزركلي، الأعلام ، ج2، ص255.
[3] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ج3،، ص ص149، 150.
[4] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص ص 226،227.

الثاني 206هـ-238هـ/821م-853م الذي أعطى للحكم جلالته وأبهته، وأبدى اهتماما بالغناء والمغنيين والجواري الذين تركوا أثرا في الحضارة الأندلسية[1].

كما يمكن اعتبار المغني زرياب الذي فرّ من بغداد ولجأ إلى الأندلس بعد مقتل محمد الأمين الخليفة العباسي عام 198هـ/814م على يد أخيه عبد الله المأمون (توفي عام 218هـ/833م) إثر فتنة كبيرة وقعت بينهما، صاحب الفضل في نشر فنون الغناء والموسيقى بالأندلس وتعليم الناس المهارات الغنائية حيث يحفظ كمّا كبيرا من الأدب والرواية والأشعار، وقد استحسن الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي كان مولعا بالغناء صوت وغناء زرياب وتفننه في هذه الصنعة، فجعله من خاصته وجلسائه، حينها وجد زرياب المجال واسعا لنشر مواهبه وبراعته الفنية وأورث صناعة الغناء في الأندلس ويعود الفضل له كذلك في اختراع طريقة النقر بالريش[2]. وهناك شخص آخر كان له دور في نشر فنون الغناء بالأندلس وساهم في ازدهاره، نعني به عباس بن فرناس المتوفي عام 275هـ/888م الذي ادخل الموسيقى الشرقية الى الأندلس بعد زرياب[3].

واستمر تطور الغناء وفنون الموسيقى بالأندلس وصار جزءا من الحضارة الأندلسية وتناقله الناس جيل بعد جيل . وقد وصف ابن عبد ربه أثر الغناء في النفوس والقلوب بقوله :"... مراد السمع، ومرتع النفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، ومسلاة الكئيب، وأنس الوحيد، وزاد الراكب، يعظم موقع الصوت الحسن من القلب، وأخذه بمجامع النفس"[4]، وبالتالي فإن الواحد تطرب نفسه لسماع الأنغام والموسيقى ويتفاعل معها بالإهتزاز والرقص، واشتهرت

---

[1] عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، ط1،2002،ص 125.

[2] ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص83، 84. عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص 48. ابن دحية، المصدر السابق، ص147.

[3] شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص72.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: ابراهيم الآبياري وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج6، 1949، ص3.

الجواري خاصة في الأندلس بالغناء والرقص وإطراب السامعين في مجالس أنس تعقد لذلك الأمر خاصة عند الملوك والأمراء والولاة وأعيان المجتمع.

وكانت المرية كغيرها من مدن الأندلس تعرف ظاهرة الغناء التي لقيت قبولا واستحسانا بين الناس ورواجا عندهم لتأثير الغناء في نفوسهم التي تهدأ بعد الطرب، وشاع الغناء بين مختلف شرائح المجتمع سواء في القصور أو الدور، وفي الأسواق والحوانيت وفي الحقول والمتنزهات[1]، وقد أبدى المعتصم بن صمادح إهتماما بالموسيقى والغناء وقرّب إليه شعراء عُرِفوا ببراعتهم كإبن عبادة الشاعر المعروف بإبن القزاز الذي كانت له موشحات كثيرة امتدح بها المعتصم بن صمادح، منها[2] :

ما أملح المهرجان * وفُلّ يَنِمْ * كالعنبر للْواطِي

والفلك كالعقبان * والمعتصم * بالعسكر في الشاطي

وتعتبر الموشحات فنا أندلسيا بامتياز حيث يذكر إبن خلدون أنها من استحداث المتأخرين من شعراء الأندلس لها طريقة خاصة في النظم إذ تنظم الموشحة على شكل أسماط وأغصان، وأقصى ماتنتهي إليه سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان ولها قوافي وأوزان، ولاقى فن الموشحات استحسانا بين الناس لسهولة طريقة نظم الموشحة، واشتهر في عصر الطوائف ابن القزاز الذي كان من ألمع وأبرع شعراء هذا الفن وحتى في عصر المرابطين كان للموشحات شعراؤها كالأعمى التطيلي، ويحيى بن بقي، وأبو بكر بن الأبيض، وأبو بكر بن باجة، ومن أشهر الوشّاحين في عصر الموحدين الوشاح محمد بن أبي الفضل بن شرف، وإبن هردوس، وإبن موهل، وإبن إسحاق الدويني، وابن حيّون، وإبن

---

[1] أحمد مختار العبادي، مجلة عالم الفكر، د د ط، القاهرة، م10، ع2، 1979،ص110.

[2] المقري، أزهار الرياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ج2، ص ص 253، 254 .

حزمون، وسهل بن مالك [1] وكانت الأشعار والموشحات تغنى في مجالس الملوك والأمراء والأعيان، ويطرب لها السامعون، وقد تتزامن معها نوبات رقص من الجواري.

وفي كثير من مجالس الغناء إن لم نقل معظمها كان الحاضرون يشربون الخمر ويتعاطون كؤوس السكر والعربدة، وأصبح شرب الخمر ظاهرة في مدن الأندلس يتغنى به الشعراء ويصفون أوانيه وساقيه، واجتمع حوله الناس في الحانات وفي الحدائق والمتنزهات وعلى ضفاف الأنهار لاسيما في عصر الطوائف الذي عرف ضعفا سياسيا وإنحلالا أخلاقيا وإقبالا على الدنيا وملذاتها إثر ازدهار مادي كبير شهدته مدن الأندلس نظيرا تنافس ملوك الطوائف على العمران وإظهار مدنهم بمظهر العظمة والإتساع كما شجعوا الشعراء بالتقريب والعطايا والصلات، وكان لهؤلاء الشعراء يد في نشر الشعر الماجن والترويج للعشق وشرب الخمر كأحد شعراء بني صمادح الذي دعا للهو وشرب الخمر[2]، كما ان الكثير من هؤلاء الملوك كانوا يشربونها علنا في مجالس انسهم داعين إليها وسط القيان والجواري كما كان يفعل المعتضد عباد ابن عباد ملك اشبيلية[3]، وصار الناس متحررين من التقاليد ومتلهفين لاقتناص كل لذة والنزوع الى اللهو والعبث، ومن ثم أخذت الحياة الاجتماعية في الأندلس تأخذ منحى سلبي، ونزعت الى الترف والرفاهية وانعتقت من صرامة الحكام اللذين أرخوا الحبل للحياة اللاهية وخرجت عن رقابة وتشديد الفقهاء[4].

وفي الفترة اللاحقة لعصر الطوائف كان المرابطون في بدايات حكمهم للأندلس على طريقة قويمة تميَّز بها أمراؤهم وولاتهم وفرضوها على الناس حتى عادوا عن كثير من العادات السيئة كالانغماس في حياة الغناء والخمريات التي دأبوا عليها سابقا ولاسيما ان اهتمام المرابطين كان منصبا على الجهاد ومقارعة النصارى في ميدان الحرب، لكن الجيل

---

[1] المقري، أزهار الرياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ج2، ص-ص 206، 213.

[2] انخل بالنثيا، المرجع السابق ، ص113.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر ،م5، ص.176

[4] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1976، ص 176.

الثاني من أمراء المرابطين وقادتهم أثرت فيهم الحياة الأندلسية المزدهرة، واخذوا يتشبهون بأهل الأندلس في التلذذ بالنعم وتقليد أساليب حياتهم، فارتخت قبضتهم في الحكم وشاعت في عهدهم عادة شرب الخمر في مختلف مدن الأندلس[1] لكن ليس إلى حد الانخلاع من الدين، فقد كانوا يتتبعون محلات بيع الخمور وحتى من يشتريها، وشدّدوا على الفقهاء والقضاة بالصرامة في محاسبة شاربي الخمر والشدة في معاقبتهم[2]، وفي العصر الموحدي وإن لم يخلو المجتمع من مظاهر الغناء واللهو وشرب الخمر إلا أن السلطة قامت بمتابعة ومعاقبة المخالفين للشرع والتشدد في أمور الغناء واللهو، فقد أمر يعقوب المنصور بالتضييق على المغنيين والملهين، وألح على أصحاب الشرطة بالقبض على من اشتهر بالغناء بكل مكان[3]، فانقبض الكثير منهم وخاف على نفسه ولجؤوا إلى الاختفاء والتستر بعيدا عن رقابة السلطة وأعينها.

و كان مسلمي المرية يحتفلون بالأعياد الدينية كعيد الفطر بعد شهر من الصيام والقيام وعيد الأضحى المبارك في أجواء إيمانية تعبدية، ويتوسعون في الإنفاق على عيالهم في المأكل والمشرب، ويلبسون ما حَسُن وطاب من اللباس، وكذا يحتفلون بمناسبة عاشوراء في المحرم والمولد النبوي الشريف اللتان كان لهما قبول كبير بين الناس واهتمام واسع[4]، اضافة الى الاحتفال عند ازدياد مولود و إقامة العقيقة[5]. واحتفل سكان المرية بمناسبات أخرى كالعروض العسكرية والانتصارات الحربية التي تثير الحماس والفخر خاصة أيام

[1] ابراهيم القادري بوتشيش، اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ص258.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص333.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص174.

[4] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص38.

[5] الونشريسي، المعيار، تح: محمد حجي، ج1، ص – ص 149، 152.

المرابطين أو الموحدين[1]، واحتفلوا بالولائم كالختان والزواج بالموسيقى وألعاب الفروسية وسباقات الخيول وخرجات الصيد والقنص[2].

كما كان لأهل الذمة مناسبات خاصة بهم إذ يحتفلون بإحياء الطقوس وأداء عبادتهم وصلواتهم، كما كانت في المرية أعياد مشتركة بين السكان وأهمّها عيد العصير عند جني محصول العنب الذيُ ينتَج بوفرة وكميات كبيرة في المنطقة، وحينها ينتقل الناس إلى الحقول المخصصة للكروم ويقيمون أياما في أجواء من الفرح والانبساط محتفلين بالمأكولات والرقص والموسيقى ويجمعون المحصول بالتعاون والتشارك[3].

10- الطعام و المطبخ:

يعتبر الطعام عنصرا أساسيا بالنسبة الإنسان ولاستمرار حياته، وبدونه يفقد قدرته وطاقته ولا يستطيع القيام بأي شيء حتى ينتهي إلى الوفاة، ولا غنى لأي انسان عن المأكل والمشرب، والطعام بصفة عامة و على سبيل التوسع هو كل ما يُؤكَل ويُشرَب أو ما يُدخَر كأقوات للناس وبه قِوام البدن[4]. وقد تطورت مدن الأندلس خلال القرنين 4هـ و 5هـ /10م-11م واستمر في القرنين اللاحقين عمرانيا واقتصاديا واجتماعيا وقد أثر هذا التطور في ازدهار مجال إعداد الأطعمة. وبرع الاندلسيون في هذا الميدان بوصفات متنوعة سواء في المأكولات أو المشروبات التي تتباين من فصل لآخر ومن موسم لآخر، حيث توجد أطباق دائمة على طول السنة وتوجد أخرى تخص مناسبات معينة كالأعياد أو شهر رمضان، أو في وقت البرد و الحر.

---

[1] حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، ص 419.

[2] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص78.

[3] نفسه، ص 78.

[4] أحمد بن محمد المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت، ص 373. بدرية بنت مشعل الحارثي، النوازل في الأطعمة، دار كنوز اشبيلية، الرياض، ط1، ج1ن 2011، ص38. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، ص 557

و كانت المرية المدينة الحاضرة المزدهرة بعمرانها واقتصادها وارتفاع كثافتها السكانية، و باعتبارها مركزا حضاريا وملتقى بشريا توفر مختلف المواد والأدوات التي تدخل في إعداد الطعام والأطباق المتنوعة ذات المصدر الحيواني أو النباتي كالأسماك واللحوم والطيور والخضر والفواكه والألبان والأجبان والزيوت والتوابل والعسل، وقد سمح موقعها على البحر من توفر المواد الضرورية التي تأتي عن طريق الاستيراد عبر مينائها الشهير، ضف إلى ذلك يُسْر أهلها وتمتعهم بمدخول مالي جيد جراء النشاط الصناعي والتجاري، واهتمامهم بالصحة البدنية. واختلفت الأطعمة عند العائلات باختلاف المستوى المادي والمعيشي ويلحق بها المطبخ وأدواته، وعلى العموم فإن فن الطبخ واعداد الأطباق يشمل جميع مدن الأندلس كالمرية وغيرها التي تعتبر حواضر مزدهرة في كل المجالات ومنها مجال الأطعمة التي تتنوع بشكل كبير.

ويعتبر الخبز أهم غذاء على المائدة الاندلسية، وعليه اعتماد الاندلسيين في طعامهم وكانوا يحضرونه في البيوت أو عند الفرّان أو يشترونه من عند الخباز، وقد اشار ابن عبد الرؤوف إلى جملة من الشروط تتعلق أساسا بالنظافة وطريقة إعداد الخبز ونوعيته وغيرها والتي لابد من توّفرها في الفرن والخباز[1]. كما انتشرت المطاحن لطحن الأقوات والغلال في كل المدن وأشهرها المطاحن المائية على ضفاف الوديان والانهار، وهناك نوع أخر من المطاحن تستعمل فيها الدواب لتدويرها[2]، وكان الخبز متوفرا لدى الناس الميسورين والبسطاء في جميع الأوقات، وافضل أنواعه ما كان من القمح المعروف بالدرمك وهو دقيق أبيض خالص ويعرف أيضا بدقيق الحواري[3]، ثم يليه خبز الحنطة وأقلهم شأنا خبز القسطل[1]

---

[1] ابن عبد الرؤوف، أداب الحسبة والمحتسب، تح: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005، ص – ص 73، 76.

[2] ابن سهل، ديوان الاحكام الكبير، تح: رشيد نعيمي، د د ط ، ج2، 1997، ص 711. الشعبي، المصدر السابق، ص 152.

[3] مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، ص–ص 190، 202، ص277.

وللخبز أنواع واشكال منها الدائري ومنها الرغيف، وقد وُجد نوع على شكل فتات كالثرائد والرفائس[2]. ومن أنواع الخبز المصنوع من القمح نجد الطابوني والمشوَّك، والرقاق والمشطب والأصفهاني، وصنع الخبز كذلك من الذرة ومن الحمص ومن الأرز[3]، وكان المحتاجين من الناس يتناولون أيضا الخبز المصنوع من دقيق الشعير[4] وصنع الناس من القمح اضافة الى الخبز أنواع من العصائد[5] والكسكسي والبركوكس[6].

وأما الأطباق والمأكولات فكانت كثيرة ومتنوعة ومنها ما يصنع من اللحوم، وأخرى خاصة بالحبوب وأنواع من البقوليات، وأطباق خاصة بالمناسبات والأعياد وأخرى تعد في أوقات معينة كالثريد في الأيام الباردة، والسكباج يحتوي على أرز وسمك خاص في أيام الصيف والحر، وطعام يسمى المخلل[7]، واشتهر الاندلسيون بأكل البيض المخفوق إذ يخفق ويوضع فوق أصناف الطعام المطبوخ[8] وقد نقلوا هذه الطريقة في الطبخ عن النصارى المجاورين لهم[9]، وكذلك تعتبر الشوربة من الأطباق الرائجة في الاندلس كما كانت هناك أطباق تحتوي على الطيور المتبلة واللحم[10]، ويذكر أن زرياب المغني لما دخل الأندلس سن في الناس مثلا أكل الهليون والنقاوي وقلي الفول [11]، و قد أبدع الأندلسيون في الطبخ وإعداد

---

[1] عبد الجواد رجب، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الاندلسية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص 30.

[2] علي بن محمد رزين، فضالة الخوان في معرفة طيبات الطعام والألوان، تح: محمد بن شقرون، اشراف احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1984، ص37، ص213.

[3] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية في عصر المرابطين والموحدين، ص –ص 190، 195.

[4] الحسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، ج2، 1983، ص 92

[5] مجهول، كتاب الطبيخ، ص 92.

[6] دفيد وينز، فنون الطبخ الأندلسي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998، ص 1034.

[7] مجهول، كتاب الطبيخ، ص49، ص 112، ص193، ص–ص 220، 222.

[8] دفيد وينز، المرجع السابق، ص 1033.

[9] محمد ابن عبد المنعم، العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصري أية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، د ت، ص 493.

[10] ليفي بروفيسنال، حضارة العرب في الأندلس، ص65.

[11] ابن دحية، المصدر السابق، ص147.

الوصفات والاطباق الكثيرة، وبما أن المرية مدينة ساحلية لها عدة مراسي فإن صيد الأسماك كان يتم بشكل واسع حيث مهر السكان في تحضير أطباق من انواع السمك، و الذي يعتبر طعاما أساسيا ودائما في المرية كعادة سكان المناطق الساحلية الذين يشتهرون بحبهم لأكل السمك.

وقد عرف سكان المرية أنواع من الحلويات الاندلسية كالتي تصنع من العجين والبيض[1] واخرى تصنع من التمر والعسل والسكر وحلويات تسمى القنانيط المحشوة بتمر أو مكسرات، وأنواع من حلوى السنبوسك[2] وتشتهر كذلك الحلويات المصنوعة من اللوز والجوز والعسل،[3] وأشهر حلوة كانت تحضر في الأندلس هي المجبنات[4] وهي نوع من القطايف يضاف اليها الجبن وتقلى بالزيت الطيب[5] وفيها قال ابن الآبار المتوفي عام 658هـ /1257 م[6]:

لها حالان بين فم وكف إذ وافتك رائحة السفور

فتغرب كالأهلّة في لهاة وتطلع في يمين كالبدور

وحتى المرابطين والموحدين الذين ألفوا الحياة البداوة والبساطة في بلاد المغرب تغيرت أحوالهم وطباعهم بعد دخولهم الاندلس واحتكاكهم بالأندلسيين وانغمسوا في حياة التطور والرقي والترف الاجتماعي الذي ميز البيئة الأندلسية وكانت المجبنات إحدى حلوياتهم التي تناولوها[7]، اضافة الى حلويات اخرى.

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، سفر1، ص ص 565، 566.

[2] مجهول، كتاب الطبيخ، ص – ص 213، 233.

[3] ليفي بروفسنال، حضارة العرب في الأندلس، ص 65.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج1، ص 184.

[5] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 221.

[6] المقري، أزهار الرياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ج3، ص 221

[7] ابن سعيد المغربي، اختصار القدح في التاريخ المحلي، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980، ص565.

وكان الى جانب المأكولات العديدة أنواع من المشروبات التي تناولها الأندلسيون ورغبوا فيها تصنع من العسل أو الزبيب، وأحيانا تستخلص من النباتات كمشروب النعنع الذي تعددت فائدته إلى علاج آلام البطن[1]، وقد زينت هذه المشروبات موائد المترفين من حكام وأمراء وولاة وغيرهم، وحتى البسطاء تناولوا ما تسير لهم منها وما هو ذو ثمن قليل، وقد شاع أيضا في الاندلس تناول الخمر وأجود الخمور ما صنع من العنب ويطلق عليه أحيانا الرّب[2]، وعمت ظاهرة شرب الخمر مختلف فئات المجتمع ولا سيما الميسورين الذين كان الكثير منهم مدمنا على شربها، ورغم تشديد الفقهاء على تحريم شربها إلا أنه لم يتم القضاء عليها[3] واشتهرت عدة مناطق في الأندلس بعصر العنب وانتاج الخمر وقد تميزت المرية بوفرة محصول العنب فيها وكان لأهلها عيد يحتفلون به يسمى عيد العصير لذلك من المؤكد أنها عرفت ظاهرة شرب الخمر وشيوعه بين السكان.

و تعتبر التوابل مكونا أساسيا وضروريا في إعداد الأطعمة والوصفات اللذيذة، حيث تعطي للطعام نكهة خاصة وطعاما مميزا وبدونها تصبح الأطعمة لا تستساغ، كما أن للتوابل قدرة على فتح شهية الجائع حينما يشم الرائحة الزكية التي تجذبه جذبا وربما من مسافة بعيدة، ويتميز كل طعام بنوع أو أنواع معينة من التوابل تتلاءم مع المكونات الأخرى سواء لحوم بيضاء أو حمراء أو خضر أو بقوليات وهكذا، لذا كان الاندلسيون مولعين باستعمال التوابل في أطباقهم المختلفة[4] في كل الاوقات سواء في العهد الاموي أو عصر الطوائف أو العصر المرابطي أو الموحدي، واشهر التوابل التي تستعمل بكثرة نجد الفلفل والكمون والقرفة

---

[1] ابن قدامة، قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات، دار النفائس، بيروت، ط8، 1992، ص 203.

[2] ابن صاحب الصلاة،المصدر السابق، ص 184.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص178.

[4] ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ط1، ص 228

والكزبرة اليابسة، والقرنفل والصنوبر والزعتر [1]، وأيضا الخردل والخلنجان وبرز الكوفس وأعين البسباس[2]، وتضاف هذه التوابل مدقوقة وقد تضاف على أصلها حبا أو عودا.

ويذكر ابن خلدون أن أهل الحضر أو سكان المدن ميالون لاستعمال التوابل والأدام في حين أن أهل البادية يتميزون بالبساطة والاقتصاد في الاطباق[3]، وقد يرجع إلى البيئة الاجتماعية وتوفر المواد الضرورية في الأسواق فالمدينة عبارة عن سوق مفتوح يحتوي على كل المواد أو معظمها بينما البادية أو الأرياف فالحياة فيها بسيطة وربما لا يجد الساكن ما يريد من مواد حين يحتاجها ومن هنا ينشأ تفاوت في الأطباق المعدة والمحضرة ونوعية التوابل المستعملة فيها، ويلحق بالتوابل الملح الذي لا يستغنى عنه في تحضير الطعام والاطباق المختلفة.

وتعتبر الزيوت من أساسيات المطبخ الأندلسي ومكون مهم في الأطعمة وإعدادها، وتأتي زيت الزيتون على رأسها حيث توفرت بكميات معتبرة في جميع نواحي الاندلس، وكانت حقوله ومعاصره منتشرة في إقليم المرية سهلها وجبلها وحول وديانها، ، وتعتبر مثلا حمة بجانة من المناطق كثيرة الزيتون[4] في إقليم المرية وعليه فإن الزيت كان في متناول السكان لاستخدامه في أغراض عدة منها الطبخ وكان الناس يستخرجون زيوتا أخرى من اللوز والجوز والفستق[5]، ويضاف إلى مكونات المطبخ أنواع من الخل منها الخل الأبيض المصنوع من العنب الأبيض وخل الليم المستخرج من الليمون الأخضر[6]، ويمكننا أن نضيف إلى ما سبق من لوازم ضرورية ومكونات أساسية في الطبخ مواد أخرى كالزبدة والأجبان

[1] عبد الله محمد بن خلصون، كتاب الأغذية تح، سوزان جيفا ندري، المعهد الفرنسي للدراسات، دمشق، ص ص 97-98.

[2] مجهول، كتاب الطبيخ، ص 61.

[3] ابن خلدون، المقدمة، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج3، 2001، ص 947.

[4] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 39.

[5] ابن رزين، المصدر السابق، ص 272.

[6] مجهول، كتاب الطبيخ، ص –ص 62، 82.

والألبان، التي تشتهر بها دلاية وتعرف بجودتها[1]، والفواكه الكثيرة والجليلة في جهة بجانة[2] وفي برجة توجد بساتين الفواكه المختلفة والكروم[3]، هذا الأمر الذي ساهم في تنوع الأطباق وتعددها من حلويات وعصائر و مُربَّى.

أما كيفية تناول الطعام فلها أسلوبها حيث تجتمع العائلة حول لحاف يوضع على الأرض أو حول مائدة منخفضة توضع فوقها الأطعمة وقد تستعمل الملاعق لتتناول الطعام كما يمكن الاستغناء عنها أحيانا، وفي غالب الوقت تكون مواعيد الطعام ثلاث وجبات[4]، كما كان لزرياب دور في ادخال طريقة مشرقية في تقديم الأكل وترتيبه حتى تسهل عملية الهضم ويستمتع من يأكل بطعامه ويستلذه، و بداية الطعام تكون بتناول الشوربة وهي خفيفة على المعدة ويسهل هضمها، ثم يليها اللحم والطيور المتبّلة، واخيرا التحلية ثم حلوى مصنوعة من اللوز والجوز والعسل، وحتى انه ساهم في تبديل أغطية الموائد القطنية الخشنة بأغطية جلدية خفيفة لا تمسك بقايا الطعام ولا يتشوه منظرها، وقد أكد زرياب على ملاءمة الأقداح والكؤوس الزجاجية مع أناقة المائدة[5] عكس الأقداح المعدنية وغيرها وينتهي الأكل بغسل الأيدي من الدسم وما علق بها حتى لا تبقى رائحة الطعام.

وفيما يخص أدوات الطبخ فهي كثيرة ومتنوعة أيضا تتلاءم مع الطعام المُحضَّر وطريقة تقديمه، وهناك وسائل لطهي الخبز وغيره من الطعام تتمثل في المواقد والتنانير والأفران، ويصنع التنور من الفخار ليمنع خروج الحرارة او دخول الهواء بحيث يطهى الخبز بشكل جيد[6]، ويوجد الكانون بحيث يكون غير مغطّى وأكبر مقارنة بالتنور[7]، ونوع ثالث هو

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 98.

[2] العذري، المصدر السابق، ص86.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ص 228.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 197، 198.

[5] ليفي بروفسنال، حضارة العرب في الاندلس، ص65.

[6] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1997، ص 208.

[7] ابن رزين، المصدر السابق، ص 71.

الفرن[1]. أما بالنسبة للقدور فهي مصنوعة من الفخار في معظمها لجودتها وسرعة طبخها ومذاق الطعام المطبوخ وتصنع أيضا من النحاس ومن مواد أخرى [2]، واستعمل الناس قدورا كبيرة خاصة لطهي اللحوم والقدور المثقبة من الأسفل لطهي الكعك[3]، وقدور أخرى تسمى البرمة أو برام تصنع من معدن أو حجر تكون واسعة تستعمل أيضا لطهي الأكل[4]، والطيفور طبق واسع لتقديم اللحوم والمجبنات وتوجد أنواع من الطواجين لطهو الحساء ووجبات أخرى[5] وطاجين لطبخ اللحوم [6] وقد تعددت أنواع المقالي واستعمالاتها فمنها مقلاة لشي الخبز، ومقلاة لشواء اللحم والدجاج وأخرى لقلي السمك أو البيض[7].

ويوجد في المطبخ أدوات أخرى كالقصرية والطنجير لطبخ السمك والعضارة لتقديم الطعام المطبوخ وتستعمل حاوية تسمى المعجنة لتخمير العجين قبل خبزه، ويستخدم الشوبق وهو على شكل أسطوانة خشبية لفرش العجين، والصلاية لوح رخامي يُفَرَش عليه رقائق العجين، والقصبة لتحريك الطبخ في القدر وغيره، ويستعمل القضيب لطرق اللحم وترقيقه و يكون من معدن أو خشب، والمغرفة لكيل المقادير اللازمة ولتحريك الطعام، والملاعق للأكل ولتسوية العجينة أو البيض المخفوق من أطراف المقلاة، والغربال لغربلة الدقيق وما إلى ذلك ويستعمل خيط رفيع ومتين لتقطيع البيض المسلوق، والمهراس خاصة من الرخام الأبيض أو

---

[1] مجهول، كتاب الطبيخ، ص– ص 54، 90.

[2] دفيد وينز، المرجع السابق، ص – ص، 1023، 1025.

[3] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى(عصري المرابطين والموحدين)، ص–ص 201، 209.

[4] مجهول، كتاب الطبيخ، ص ص 251–252.

[5] عصام سالم سالم، جزر الأندلس المنسية(التاريخ الاسلامي لجزر البليار)، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 569.

[6] أحمد جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى(عصري المرابطين والموحدين)، ص 212.

[7] مجهول كتاب الطبيخ، ص – ص171، 176. ابن رزين، المصدر السابق ص –ص 197، 200. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشورات المعارف، القاهرة، ج5، 2000، ص 408.

الخشب لدق التوابل والاعشاب، ويستعمل الكسكاس لإعداد أنواع من الكسكس، والقفة من الحلفاء لتصفية المصل عند صنع الجبن[1].

ومن أدوات المطبخ الاندلسي الملَّة تصنع من فخار أو معدن لطهي الخبز في المنزل، والأقماص للقطع والمناديل لفرشها والمسح بها، وكانت الأباريق متوفرة وموجودة في المطبخ منها ذات شكل كروي و منقار مستدير، واكثرها مصنوعة من الزجاج تخصص لشرب الماء وغيره من المشروبات، وتستخدم الجرار والقلال لحفظ الماء والزيت وغيرهما[2] واستخدم السفود لشراء اللحوم والأسماك، وأوعية لغلي الحليب وصنع الزبدة، والخرق الصفيقة لتصفية اللبن والمرق والحليب، وخرق لربط التوابل عند طهي اللحوم، ووجد في المطبخ المثرد والمنخل لنخل الدقيق، والطواجن لتحمير الدواجن في الفرن، وكذلك الطنجير مصنوع من النحاس عبارة عن قدر دائري للقلي، وكانت المهاريس تصنع من نحاس لطحن اللوز أما المهراس الخشبي يستخدم لدرس الجوز، ومهراس العود لهرس القمح والشعير، و تستعمل أداة حديدية لبشر الجبن تسمى الإسكرفاج[3]، ويوجد في البيت الأندلسي رحى لطحن الحبوب تسمى الطريحة تثبت على الأرض، و رحى اخرى لها جزئين سفلي وعلوي[4].

وكان الاندلسيون يتميزون بالنظافة والاهتمام بها سواءً في المطبخ أو غيره، وقد حرصوا على نظافة المطبخ والأدوات المستعملة فيه للطبخ أو التقديم، وتنظف الأدوات بالماء الساخن وتحك جيدا لإزالة الرواسب والدسم، ويستخدمون أحيانا النخالة لتساعدهم في تنظيف الأدوات والأواني، وعملوا على تجديدها في حال تلفها وغير صالحة للاستعمال أو

---

[1] دفيد وينز، المرجع السابق، ص– ص1024، 1029.

[2] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى(عصري المرابطين والموحدين)، ص – ص212، 214. عصام سالم سالم، جزر الاندلس المنسية، ص 569.

[3] ابن رزين، المصدر السابق، ص – ص51، 53. ص – ص215، 219. ص – ص69، 71. ص –ص 43، 49. ص 83، ص ص 56، 57. ص 101. ص68.

[4] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى(عصري المرابطين والموحدين)،ص 214.

أذا صارت قديمة[1]، ومعظم هذه الأدوات تصنع في المرية حيث كانت الصناعة مزدهرة والمواد الأولية موجودة في اقليمها فالرخام له مقالع عديدة يستخرج منها ويوجه إلى الصناعات، والصناعة المعدنية كذلك لها ورشاتها ومكانتها، أمّا الادوات المصنوعة من الخشب سواء الأواني أو ما يستعمل كأدوات في الطبخ كالملاعق والمهارس فخشبها يأتي من أحد جبال حصن قيشاطة الذي بقرب من جيان، ومن هذا الخشب تُخرَط الأطباق والقصاع وغيرها وينتشر في عموم الاندلس، ويُصدر إلى بلاد المغرب كذلك[2].

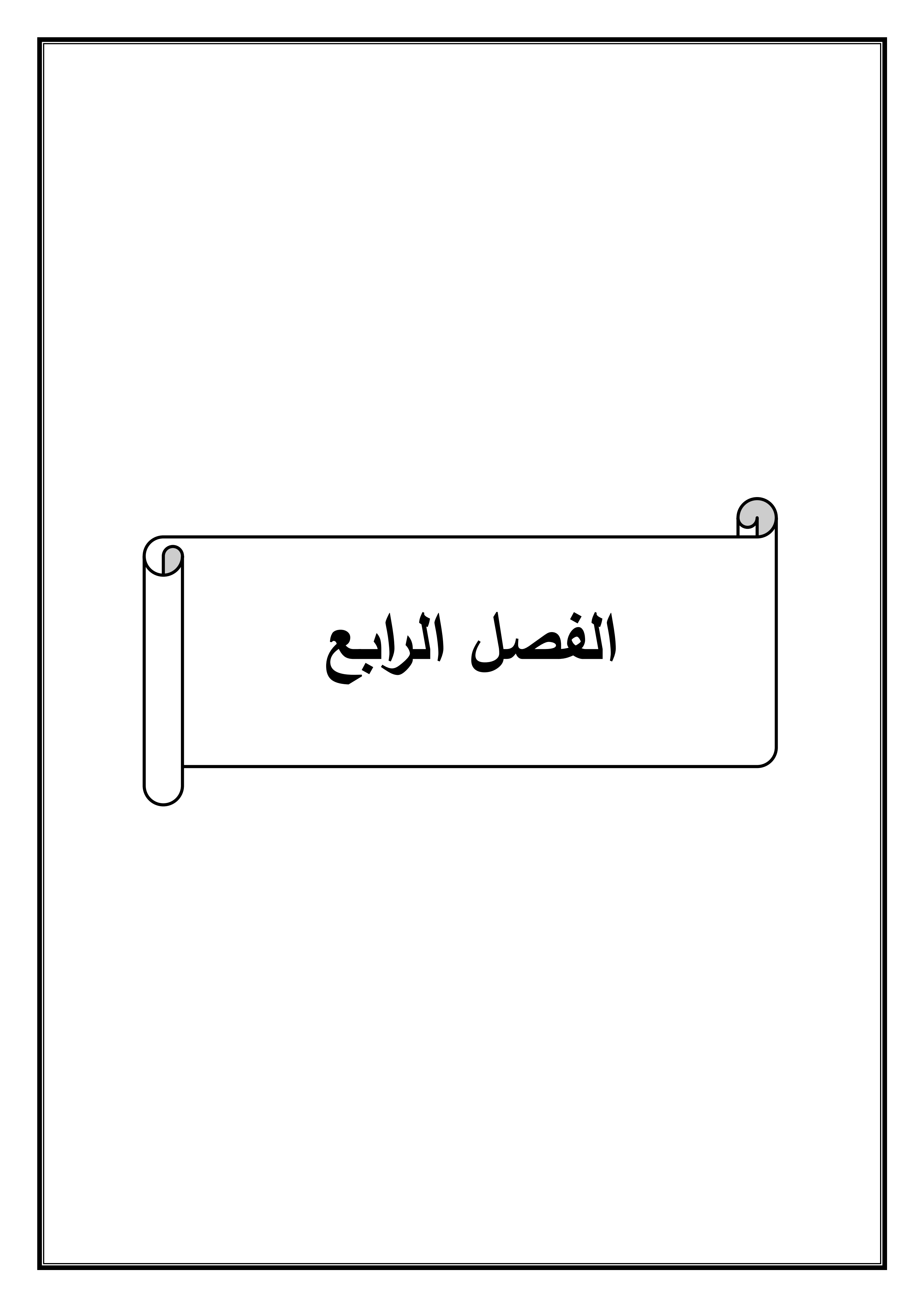
والملاحظ أن الناس تباينوا في نوعية الطعام ورفاهيته بتفاوت المستوى المعيشي، فالفئة الغنية كانت موائدها تتزين بألذ الطعام وأطيبه من مأكول ومشروب، فنجد اللحوم والخضر والفواكه والحلويات وأنواع الخبز، في حين اقتصرت الفئة العامة على أبسط الأطعمة والضروري من المأكولات والمشروبات التي تعتمد على الخضروات والبقوليات، وقد توفرت المواد واللوازم في المرية وإقليمها انتاجا واستيرادا، وكانت السوق المحلية توفر للسكان كل ما يحتاجونه، إلا في ظروف سياسية مضطربة فتقل الأقوات والمنتوجات.

وهذه الصور عن الحياة الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي في المرية كأمثلة حيّة تعكس بوضوح ازدهارها وتفاعل السكان فيما بينهم واهتمامهم بالجانب الحضاري لمدينتهم واقليمهم، فنجد مختلف العناصر والفئات تستغل ما أُتيحَ لها من امكانيات للإستمتاع بالملذات والطيبات من نزهة وسياحة وطبخ واحتفالات، كما كان للمرأة حضور ووجود إلى جانب الرجل ونالت مكانتها التي تستحقها كعنصر فعال في المجتمع، وتميزت مدينة المرية بكونها أرض جهاد وعلم وتصوّف وعلماء كانوا ذوي مكانة في الاندلس، وتميزت المرية بالحياة النشطة والتعايش الكبير بين العناصر والفئات المكونة لمجتمع المرية دون أن نغفل جمالية العمران ورونقه اضافة الى المنشآت المختلفة التي أعطت جمالا للمرية.

---

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 254.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 165.


الفصل الرابـع

الفصل الرابـع

المقومـات الاقتصاديـة و الصناعـة

1-المقومات الاقتصادية.

ا-الموارد الأولية.

ب-الموقع الجغرافي.

ج- اليد العاملة.

د-المرافق العامة.

هـ-شبكة المواصلات و الطرق.

و-السياسة الاقتصادية للسلطة الحاكمة.

ز-الحسبة الإسلامية.

2-الصناعة في المرية

أ-الصناعة النسيجية و الحريرية.

ب-المنتوجات القطنية والكتانية والصوفية.

ج- صناعة الملابس.

د-صناعة الرخام والصاعة الحجرية.

هـ-الصناعة المعدنية.

و-الصناعة البحرية.

ز-الصناعة التحويلية.

ح-صناعة الزجاج والفخار والتحف.

ط- صناعة الأثاث والأدوات الخشبية.

ي- الصناعة الجلدية.

ت-صناعة الحلي.

ك-صك العملة وضرب النقود.

شهدت الأندلس تحولا اقتصاديا متطورا ومزدهرا لعقود وقرون طويلة، وكانت الحواضر الأندلسية مليئة بالأنشطة الاقتصادية من صناعة وغيرها، والتي عادت بالفائدة على السكان والبلاد، حيث تطور العمران وفشت الصنائع والحرف، ونعم الناس بحياة اجتماعية نشيطة.

وقد أشاد الكثير من المؤرخين والجغرافيين بفضائل الأندلس ومهارة أهلها، وتعدد مدنها وكثرتها، وتنوع خيراتها وثرواتها، وعظيم مداخيلها وجبايتها[1]، وتمتاز مدن الأندلس بعجائب الصنائع وغرائب الدنيا كما يذكر المقري ما لا يوجد غالبا في غيرها[2].

وتعتبر المرية واحدة من مدن الأندلس المهمة، تشتهر بخيراتها ومواردها المتنوعة، وغريب الصناعة وأتقنها في أنواع كثيرة من الصناعات. ورغم أنها كانت في بدايات تاريخها مركزا عسكريا وثغرا بحريا للدفاع عن السواحل الجنوبية الشرقية للأندلس، حيث يرابط المسلمون في محارس لمراقبة الأعداء وهجماتهم المفاجئة، فقد تحولت مع الوقت إلى قاعدة بحرية مهمة ومركزا اقتصاديا معتبرا، وعظم شأنها منذ عهد حجابة المنصور محمد بن أبي عامر للأمويين والذي أعطى دفعا قويا للجهاد وتأمين ثغور المسلمين بحرا وبرا[3]، وازداد عدد سكانها وقاطنيها بصورة واضحة. كما لجأ الناس اليها في مطلع القرن 5هـ/11م إثر الفوضى السياسية بالأندلس لوجود الأمن والهدوء عكس غيرها من المدن، واتسع العمران وتشكل الربضان على جانبي المدينة القديمة، واحتوى كل قسم عمراني على مصانع وورشات اختصت بأنواع الصناعات التي ساهمت في الازدهار الاقتصادي بالمرية.

[1] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص383.

[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 229.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص162.

1- المقومات الاقتصادية :

توفرت المرية على مقومات اقتصادية جعلت منها قطبا ومركزا اقتصاديا ذو شأن واعتبار في الاقتصاد الأندلسي خلال عصر الطوائف، وعصري المرابطين والموحدين، ونعني بالمقومات كل العناصر التي تدخل في الحياة الاقتصادية من موارد وثروات، ومرافق اقتصادية واجتماعية ويد عاملة والأرض والمناخ، وسياسة السلطة الاقتصادية ونظرتها لاقتصاد المرية.

وقد عادت هذه المقومات الاقتصادية بالفائدة على المرية وسكانها من حيث العمران والمستوى المعيشي، وصارت باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق[1]، وأهلها ميسوري الحال ولم يكن في بلاد الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا[2]، كما أضحت بذلك أهم مراكز الاقتصاد الرئيسية في شبه جزيرة ايبيريا[3] اي في اسبانيا المسلمة واسبانيا المسيحية ككل.

أ-الموارد الأولية:

كانت الأندلس غنية بالموارد والثروات المختلفة طبيعية ومعدنية وحجرية، و المنتشرة عبر ربوعها، وعمل الاندلسيون على استغلالها والاستفادة منها في صناعتهم، كما برعوا في طرق استخراجها وتحويلها لتطوير الكثير من الصناعات التي قدمت منتوجات بلغت أقصى الأماكن في العالم أنداك، وقد حبى الله المرية بموارد عديدة مثل الرصاص الذي يوجد بناحية دلاية، ومعدن الحديد في موضع يسمى بكارش يبعد يوم ونصف عن المرية، اما عن الذهب

---

[1] ابن غالب، المصدر السابق، ص ص 283،284.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص198

[3] بيار غيشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح الى نهاية حكم الموحدين، تر: مصطفى الرقي، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2،1998، ص136.

فقد كان يأتي خاصة من بلاد السودان[1] بحكم قلة كميته محليا والتي لا تغطي حاجيات السوق، كما كان في حمة بجانة فضة كثيرة ومعدن الكبريت الأحمر والأصفر والمغنيسيا ومعدن الشبوب والحديد والرصاص والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى[2]. ويذكر المؤرخ ابن الخطيب نقلا عن أحمد بن محمد الرازي (ت324هـ/935م) في معرض حديثه عن البيرة التي كانت تضم بادئ الأمر بجانة والمرية أن بها معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد، وينقل عن مؤرخ آخر بأن التوتية كان يوجد بإقليم البيرة[3]، وفي برجة المشهورة ببساتينها أيضا يوجد معدن الرصاص[4]. وتعتبر هذه المعادن ذات اهمية كبيرة حيث تدخل في مختلف النشاطات الصناعية كالصناعات الحديدية بأنواعها والحلي وغيرها.

أما المواد الحجرية فقد اشتهرت المرية بالرخام الأبيض الصقيل، الذي كان له صناعة رائجة لجودته ونوعيته، وتقع مقالعه في جبال سيرا دي لوس فيلا بريس شمال المرية حيث تقطع الحجارة الكبيرة وتعد لمختلف الأغراض[5]، ومقاطع الرخام بالمرية واحدة من عشرة مقاطع بالأندلس[6]. وكذلك استغلت مناجم الملح الصخري ورواسب الملح على الساحل في المرية[7]، ويوجد الياقوت الأحمر في بجانة بأشكال مختلفة تبدو أنها مصنوعة ومشكلة له لون جميل و حسن ومقاوم للنار[8]، بينما يقول البكري أنه حجر يشبه الياقوت الأحمر يوجد في خندق في قرية ناشر[9] ناحية بجانة. ويوجد الجص في حمة بجانة بالمرية بكميات كبيرة، ومحافره في جبال هناك، كما يعد ويحرق ثم يحمل إلى المرية ويباع بأثمان رخيصة لكثرته، ويقوم الناس

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص ص448، 449.

[2] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة ، ج2، ص 385، 386.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ، م1، ط2، ص95.

[4] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص228.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص164.

[6] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص308.

[7] كولان، الأندلس (دائرة المعارف الإسلامية)، ص104.

[8] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص309.

[9] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة ، ج2، ص385.

بتجصيص بناياتهم به[1]، واستعماله في أعمال التزيين والبناء. ويوجد نواحي المرية حجر اللازورد، وعود الألنجوج[2]، والذي يذكره ابن غالب باسم عود التجوج[3]، أما البكري فيسميه عود النضوح يفوق العود الهندي ذكاء وعطرا وأصل منبته بين أحجار في تلك الجهة وفي المرية على ساحل البيرة توجد كميات كبيرة من المرجان إذ أحيانا يستخرج منه نحو ثمانين قنطارا في اقل من شهر[4]، وفي حصن شنش من عمل المرية توجد مادة القرمز[5].

ونلاحظ من خلال ما سبق تنوع كبير في الموارد بالمرية ساهم في ازدهار صناعات عديدة بها، ونضيف إلى هذه الموارد الأخشاب التي تستعمل مثلا في أعمال البناء والتعمير والمنجزات العمرانية[6]، دون أن ننس الموارد النباتية التي تدخل في عدة صناعات اخرى كالنسيج والصناعات التحويلية للزيتون والعنب وقصب السكر والكتان[7]. وزيادة على الموارد الموجودة في المرية كانت مدن الأندلس الأخرى تزود السوق الأندلسية بمختلف الموارد والمواد المعدة للصناعات المختلفة وخاصة المعادن.

ب- الموقع الجغرافي

تمتاز المرية بموقع جيد وهام على ساحل البحر الأبيض المتوسط أعطاها بعدا اقتصاديا مميزا إذ كانت التجارة رائجة مع المناطق الداخلية للأندلس وخاصة خارجها، وبالتالي فإن النشاط الصناعي وفر منتوجات كثيرة معدة للتصدير إلى جهات مختلفة، وكان ميناء المرية محطا للسفن التجارية التي ترسو به لتحميل المصنوعات والمنتوجات لأوقات طويلة. وقد أمن التجار

---

[1]الادريسي، نزهة المشتاق، ص201.

[2]مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص ص12، 14 .

[3]ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص308.

[4]البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة ، ج3، ث384، 385

[5]شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص204

[6]حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138هـ-422هـ/755م-1030م، مطبعة الحسبة الإسلامية، الإسكندرية، 1964، ص68

[7]محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص204

على أموالهم في المرية، وقصدها الناس من كل الأقطار[1]، وشكلت هي و بجانة منطقة تجارية جنوب شرق الأندلس حيث كانت تقصدها المراكب والتجار ذهابا وإيابا محملة بالسلع والبضائع[2]. وكانت المنسوجات الحريرية من أشهر صناعات المرية التي تصدر إلى جميع الأفاق[3]، وتميزت التجارة بالحيوية و النشاط مع المشرق الإسلامي خاصة مع الإسكندرية والشام[4]، ويقول الحميري أنها أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ومن أجل اقطار الأندلس[5]، فالموقع والميناء أعطيا للمرية ميزة مضافة وقيمة لاقتصادها، فصارت مقصدا للتجار ومحطة للمراكب والسفن.

ج- اليد العاملة

لقد برع أهل المرية في مجالات عديدة كالصناعة والتجارة والزراعة وركوب البحر، وأجادوا حرفا كثيرة حتى صاروا مضربا للأمثال في البراعة والتفوق، ويدل هذا على حرص أهل المرية على العمل وطلب الرزق من أبوابه خاصة مع اتساع النشاطات الاقتصادية، كما أن الإسلام حث على العمل ومدح الإنسان المجتهد والعامل، وذم الكسل والعجز والبطالة لذلك فالمسلم يبحث دائما عن عمل يتعيش به ويلبي به حاجاته وضروريات أسرته. ودائما ما كان المتسولون مستحقرين في المجتمع خاصة إن كانت لهم قدرة على العمل، وصحتهم تسمح لهم بالكسب والاسترزاق، وكثيرا ما تعرضوا للسب والإهانة[6]، ومن الأمثال الشعبية التي تدعو إلى العمل والحث عليه مثل يقول " أخدم باطل ولا تجلس عاطل"[7]، ومن أشهر ما أبدع فيه أهل المرية منسوجات الحرير كالموشي المذهب الذي يبهر الناظرين حتى أن أهل المشرق يتعجبون من

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص86

[2] الحموي، المصدر السابق، م5، ص119.

[3] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص284.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص197.

[5] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص183.

[6] المقري، نفح الطيب، دار صادر، م1، ص220.

[7] عبد العزيز الأهواني، أمثال عامة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ع19، 1978، ص314.

حسن صنعه إذا رأوا من شيئا[1]، والديباج غلبت على صنعته المرية بعد ما كان مشهورا في قرطبة، ولم يصل في كل الأندلس من يجيده كأهل المرية إتقانا وتفننا[2]، وسائر أجناس الحرير كما يقول ابن غالب ما لم يعمل مثله بصنعاء وعدن، ومنها كان يسفن إلى جميع الأفاق[3]، وهناك عدة أنواع من المنسوجات المشرقية التي أجاد أهل المرية صناعتها كالجرجاني والأصبهاني والعتابي[4]. وفي عهد سابق خلال القرن 4هـ/10م كانت أردية بجانة تحمل إلى مصر ومكة واليمن وغيرها[5] ، وهذه الأمثلة إنما هي دليل على جودة منسوجات المرية التي صنعتها أيادي سكانها وبراعتهم فيها.

د- المرافق العامة

إنّ وجود المرافق ضروري لأي نهضة اقتصادية سواء الخاصة بالأشخاص أو بالبضائع والسلع، حيث تضمن مزاولة النشاطات الاقتصادية، وتخزين البضائع وتصريفها، كما توفر الأمن والراحة للعاملين والتجار وغيرهم. وكان بالمرية مرافق متنوعة وبالعدد الكبير ما سمح لأهلها وقاصديها بالعمل ومزاولة أعمالهم، تتمثل في الأسواق والفنادق والحمامات والحوانيت والقيسارية ودار الصناعة والميناء، وبهذه المرافق وازدهار النشاط الاقتصادي عرفت المرية واشتهرت بكونها قيسارية الأندلس[6]، أي مركزا وقطبا للاقتصاد المتنوع والمزدهر انتاجا وتجارة، وهذه المرافق تدخل فيها يعرف بالعمران الاقتصادي[7]، الذي لا غنى عنه في احداث النهضة والتنمية الاقتصادية في أي مدينة أو دولة.

---

[1]المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار الأبحاث، ج1، ص221.

[2]ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119.

[3]ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص284.

[4]عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشرق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983، ص218،219.

[5]ابن حوقل، المصدر السابق، ص109.

[6]الزهري، الجغرافية، تح: حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الرباط، ص103.

[7]عبد العزيز سالم، مدينة المرية الإسلامية، ص82،89.

واشتملت المرية في هذه المرحلة الطويلة على مرافق عديدة، ففي عهد بني صمادح كان عمرانها جد متقن يشبه العمران المصري، وقسمت دار صناعتها إلى قسمين أحدهما به المراكب الحربية والآلات والعدة الخاصة بالبحر، والقسم الثاني به قيسارية كبيرة رتب بها صناعات كثيرة ترتيبا يناسب كل نوع، وكانت بجانة قبل خرابها عام 459هـ/1066م مدينة مشهورة بحماماتها ومرافقها وعمارتها[1].

وكان في المرية ورشات ومحلات للصناعات النحاسية والحديدية وسائر الصناعات ما لا يحد ولا يكيف كما يذكر الادريسي الذي يضيف بأن المرية بلغت في عهد المرابطين أوج ازدهارها وقمة اتساعها بعمرانها ومرافقها سواء في المدينة القديمة أو الربضين، فمثلا بلغ عدد طرز الحرير أي المعامل الخاصة بصناعة المنسوجات الحريرية 800 طراز، وورشات لصناعات مختلفة، وكان بالربض الغربي أو ربض الحوض أسواق عامرة، وحمامات وفنادق للمقيمين ولتخزين البضائع بلغ عددها ألف فندق إلا ثلاثين توفر الأمن والراحة للنازلين بها وأعداد من طرز النسيج، كما كان في الأعمال والمناطق التابعة المرية مرافق كذلك كبرجة التي كانت بها أسواق ومعامل للصناعات، وكان في عذرة حمامات وفنادق، وحصن مندوجر به حوانيت تبيع الأسماك والخبز وأجناس الفواكه للمسافرين، وأما الميناء فشهد حركة كثيفة للسفن والمراكب المحملة بأنواع البضائع والسلع[2] من و إلى جهات مختلفة. وفي عصر الموحدين كان بالمدن الساحلية الأرصفة أي الميناء لتفريغ وتحميل البضائع ودار الصناعة وفنادق للتجار[3] الذين يقصدون المرية للبيع والشراء.

وكان بالمرية إضافة إلى المرافق الكبيرة اخرى صغيرة تتمثل في الحوانيت والدكاكين بالعدد المناسب تبيع شتى أنواع السلع والمنتوجات، وفيما يخص الأسواق فإنها من أهم المرافق

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص ص86،87.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص-ص197،201.

[3] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص229.

باعتبارها موضع المبيعات[1]، واليها تساق الحاجيات الضرورية للناس من حنطة وشعير، وفواكه وملابس وسائر المصانع[2]، وعمليات البيع والشراء تتم فيها بشكل واسع، إضافة إلى أنها ملتقى لفئات وشرائح المجتمع يقضون فيها مآربهم والبحث عن سبيل عيشهم، وقد تختلف الأسواق بين دائمة ومؤقتة، وبين الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، كما تنسب بعضها إلى حرفة معينة، وتقسم السوق خاصة الدائمة إلى حدات تختص كل واحدة بسلعة معينة أو مجموعة سلع متقاربة [3]، وهذا الترتيب كان تنظيما محكما فيه فائدة كبير حيث تسهل عملية الشراء والبيع، وتسمح للناس باقتناء ما يحتاجونه في أقصر وقت بعيدا عن البحث في كل جوانب السوق والانتقال من مكان لآخر مما يسبب تعبا وتضيعا لأوقات الناس، كما يسمح لرجال الحسبة بأداء عملهم ووظيفتهم في أريحية كبيرة والقيام بأعمال الرقابة والتفتيش لحال السوق وتسويق البضائع والسلع.

ومن الأسواق الدائمة بالمرية على سبيل المثال سوق أندرش الأسبوعي والذي يعقد يوم الخميس من كل أسبوع[4]، ويباع فيه المنتوجات الزراعية والحيوانية والبذور والزريعة، وأدوات متنوعة للبيت الريفي كالحصائر والقفف والغرابيل، والأحبال والفخار والقدور والحطب[5]، وكانت مدن الأندلس تقام فيها أسواق موسمية في مناسبات ومواسم معينة[6] كعيد الأضحى أين تزدهر تجارة الماشية ويتم البيع والشراء بشكل واسع[7]، أو على هامش المعارك ومقرات الجيش

[1]ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، م3، ط1، د ت، ص2154. معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، بيروت، ط1، 2004، ص ص264،265.

[2]ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2000، ص380.

[3]محمد عبد الله الحماد، المرجع السابق، ص164.

[4]الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، ج1، 1984، ص169.

[5]المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج1، ص159.

[6]الادريسي، نزهة المشتاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص557.

[7]ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الغربي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص11.

والمعسكرات حيث يجد الجنود ما يحتاجونه من زاد وأعلاف لدوابهم، أو لوازم وعتاد لأنفسهم[1]، أما في داخل المدينة فالسوق تقام على الدوام لتلبية حاجيات لسكان وضرورياتهم.

وأما الفنادق فهي تؤدي وظيفتين أساسيتين تتمثل في إيواء الوافدين على المدينة من التجار من كل الأقطار والجهات، وكذلك تخزين السلع والبضائع ثم توزيعها بعد ذلك بالجملة[2]، وتسمى الفنادق في معظم الوقت بأسماء البضائع التي تشتهر بها مثل الحبوب والقمح والخضر، ويتكون الفندق عادة من ممرات فيها عدة غرف، حيث يكون الطابق السفلي منها مخصصا للمخازن واصطبلات الدواب، أما أعلاه يتكون من حجرات للنزلاء ومخازن للسلع المعدة للبيع، وتكون أبواب الفندق الخارجية محكمة الاغلاق توفيرا للأمن ودرء لأي سطو أو سرقة[3]. وقد كان بالمرية عددا هائلا من الفنادق خاصة في العهد المرابطي، وكان أيضا ببجانة عددا لا بأس به، حتى صعب إيجاد سكن بها لكثرة قاصديها ونزلائها[4].

وتعتبر القيساريات من المرافق المهمة للنشاط الاقتصادي كمكان للبيع والشراء، وتكون على شكل مستطيل يتوسطه رواق طويل تتفرع منه دروب وأزقة على حوافها الحوانيت، ويختص كل زقاق أو درب بنوع من التجارة أو النشاط الاقتصادي يسمى سوقا، فمثلا قيسارية للمنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية، وقيسارية تعرض فيها الحلي الذهبية والفضية وأنواع الأحجار الكريمة والمرجان، وقيسارية الأحذية والنعال، وقيسارية للملابس المخيطة والخياطين، وقيسارية لبيع الصوف والكتان، ويوجد في القيسارية حوانيت لبيع الخضر والفواكه بأنواعها التي ترد من المناطق الريفية، وحوانيت لبيع اللحوم المختلفة، كما توجد حوانيت لبيع الطيور والأرانب، وحوانيت للأطعمة المطهوة، وأما الحبوب والمواشي والدواب فلها قيسارياتها أوسوقها، وتسمى

---

[1]عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي، ص293.

[2]عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الإسلامية، ص63.

[3]يحيى أبو المعاطي، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب الإسلامي والأندلس238-488هـ،أطروحة دكتوراه ،اشراف طاهر راغب حسين، جامعة القاهرة، 2000 ص875.

[4]القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، مكتبة برلين، 1984، ص342.

سوق الحبوب الرحاب أين يباع القمح والشعير والذرة وأنواع البقول، ويسمى سوق الطحين والدقيق بالمدي، وسوق العبيد بالمعرض تعرض فيه الجواري والعبيد من أشكال وأجناس مختلفة، ويطوف الباعة المتجولون داخل السوق يبيعون الاسفنج الساخن والمجبنات والمركاس(السجق)، والهريسة التي ولع بها الأندلسيون، وكما يوجد في السوق المتطببون والحجامون، وحتى المشعوذون ومطلعي الغيب، وكل هذه الأنشطة والأعمال التي داخل السوق تخضع لرقابة المحتسب وأعوانه، حيث يسهر على متابعة كل صغيرة وكبيرة لمنع أي سلوك مشين أو تدليس وغش[1]، سواء في الميزان أو في الأثمان أو في السلع التي تسبب أمراضا وأوبئة إن كانت غير صالحة للاستهلاك كالأطعمة الجاهزة والأسماك واللحوم التي يتم تنظيفها واعدادها بعد الذبح في أماكن مخصصة لذلك[2].

ويظهر أن إنشاء القيساريات كان ذو أهداف كثيرة منها تسهيل عملية المبادلات التجارية والبيع والشراء، وتركيز النشاطات الاقتصادية في أماكن خاصة، وبالتالي تسهيل عملية المراقبة والحسبة، وتنظيم الأعمال، وتحصيل الأموال الجبائية لصالح الدولة، وتوفير الوقت والراحة للسكان وقاصدي السوق، وكانت الحوانيت ذات شكل مستطيل نوعا ما تقسم إلى جزئين، حيث تخزن البضائع في الجزء الداخلي أوالخلفي للحانوت والجزء الأمامي تعرض فيه السلع وللبيع، كما تختلف الحوانيت من حيث الشكل والمساحة حسب نوعية النشاط الممارس، فمنها من يكون كبيرا وبعضها صغيرة المساحة.

هـ- شبكة المواصلات والطرق:

تعتبر شبكة المواصلات والطرق ذات أهمية بالغة في تنشيط الحركة الاقتصادية والحياة عامة، فهي تضمن وصول الموراد والمواد والبضائع إلى المدن وأماكن التصنيع والإنتاج، بالإضافة إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية، والرفع من مردوديتها وفعاليتها، وقد ارتبطت

---

[1] عصمت عبد اللطيف دنتش، المرجع السابق، ص-ص200،206

[2] يحيى أبو المعاطي، المرجع السابق، ص70

مدن الأندلس ببعضها البعض بشبكة مواصلات واسعة برا وبحرا، كما ارتبطت بالعالم الخارجي عن طريق البحر عبر الموانئ والمواصلات البحرية بوجود مراكب وسفن متنوعة لشحن أو تفريغ مختلف المواد الأولية أو المصنعة، وكانت الطرق في الأندلس كثيرة منها الرئيسية والثانوية، وأغلب طرق الأندلس قديمة المنشأ تعود إلى العهد الروماني أيام حكم الرومان للأندلس قبل الحكم القوطي، كما استحدث المسلمون طرقا أخرى بعد فتح الأندلس واستقرارهم بها[1]، اضافة الى ترميم الطرق القديمة. وبهذه الشبكة الواسعة نشطت الحياة وحركة التنقل بانسيابية، كما كانت المسافات جد متقاربة بين المدن الأندلسية، فسهل على الناس التنقل ونقل سلعهم وبضائعهم، فيجد المسافر ما يحتاجه في طريقه متى أراد[2]، واتاحت الحصون والقرى بين المدن للمسافرين فرصة الإقامة والراحة والتزود لطريقهم.

وعلى سبيل المثال كان للمرية طرق مع مدن ومناطق اخرى، حيث تبعد عن بجانة حوالي ستة أميال، وطريق من المرية إلى غرناطة، وطريق بحري يبلغ 180 ميلا إلى مالقة، واخر بري مدة مسيره سبعة أيام، وطريق يربط المرية بقرطبة مدة السير فيه ثمانية أيام، وبين المرية وطليطلة طريق يبلغ المسير فيه تسعة مراحل، وطريق بين المرية ومرسية على الساحل بيلغ خمسة مراحل، وللمرية طرق تربطها بأعمالها كبرجة ودلاية وعذرة والبيرة[3] ومما لاشك في أن المرية ارتبطت عبر مينائها بالمدن الساحلية الأندلسية، وأما المواصلات الخارجية فهي عبر البحر حيث كان للمرية اتصال بسواحل بلاد المشرق ومدنه كالإسكندرية والشام[4]، ومدن بلاد المغرب والمدن الساحلية الأوروبية حيث التجار ينتقلون إلى المرية ومنها بأنواع البضائع والسلع، وكان ميناء المرية مهما في العمران الاقتصادي بها، وشكل همزة وصل بينها وبين العالم الخارجي، وشريان حيوي في ازدهارها لعهود طويلة، وكان الميناء

---

[1] محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العهد الإسلامي، دار المعرفة، الإسكندرية، 1996، ص224

[2] الزهري، الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، ص80

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص–ص 173 ،213.

[4] نفسه، ص197.

يقع في خليج واسع وهادئ يستوعب أعدادا من المراكب وفي هذا وجد الملاحون سهولة في الابحار من الميناء أو الرسو به، وازدهرت بذلك حركة التجار بشكل كبير واتفق المؤرخون أن المرية كانت مدينة تجارية بامتياز حيث يؤمها التجار من كل البلدان والأقطار، وتقصدها المراكب المحملة بالبضائع والسلع وصارت بوابة للأندلس ومفتاحا للتجارة والرزق[1].

و- السياسة الاقتصادية للسلطة الحاكمة:

لقد تعرضت الأندلس مع بدايات القرن 5هـ/11م إلى فتن كبيرة وفوضى لا نظير لها، وفقدت بذلك وحدتها السياسية وقوتها المرهوبة، وغاب الأمن الذي نعمت به خلال الحكم الأموي خاصة في القرن 4هـ/9م تحت حكم عبد الرحمان الناصر وابنه الحكم المستنصر، وحجابة المنصور محمد بن أبي عامر، وظهر على انقاض الدولة الأموية كيانات سياسية متشرذمة سميت بالطوائف يحكمها ملوك ضعاف متناحرون فيما بينهم، وزادهم الضغط النصراني السياسي والعسكري الممارس عليهم ضعفا وتراجعا، وكان لهذا الضغط تأثير على الحياة الاقتصادية، فكثير ما قطع النصارى طرق التجارة والمبادلات برا وبحرا، ودمروا القرى والحصون وحاصروا المدن، وخوفوا الناس وأرعبوهم، وخربوا الزروع وقطعوا الأشجار، ونهبوا الخيرات والثروات.

وكان حال المرية تحت حكم بنو صمادح كحال ممالك الاندلس الاخرى يتوجس أهلها خيفة من غازات النصارى الذين طال تهديدهم وخطرهم الجميع، ومع ذلك كانت أكثر أمنا من غيرها لبعدها النسبي عن خط المواجهة والتماس مع القوى النصرانية، كما حافظ اقتصادها على نموه وازدهاره، حيث وجد بنو صمادح قاعدة اقتصادية منذ العهد الأموي وعهدي خيران وزهير العامريين اللذان ساهما في تطوير المرية عمرانيا وحضاريا[2]، واستمرت حركة التصنيع والإنتاج، والحركة النشطة للموانئ في هذه المرحلة، واستفادت السلطة

[1] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص283

[2] العذري، المصدر السابق، ص83. المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص162.

الحاكمة من مداخيل معتبرة وظفتها في انشاءات عمرانية هائلة، وتدعيم الجيش، وتقديم العطاءات والمنح للمقربين، إضافة إلى نفقات ومصاريف القصر والحاشية[1]،والأمثلة كثيرة عن ذلك كبناء المعتصم بن صمادح لقصور وبساتين الصمادحية خارج المرية، وتزويد المدينة بالماء عبر القنوات[2]، وعطاءاته الجزيلة لمقربيه وشعرائه خاصة[3]، إذ وجدوا عنده الحلم والكرم وحبه للعلم والشعر، فحصلوا على كثير من المزايا والأموال.

وعن سياسة بنو صمادح الاقتصادية فهي تتمثل في دعم الصناعة والمحافظة على فعاليتها وانتاجها، فقد كان بالمرية صناعات نحاسية وحديدية وسائر الصناعات كما وكيفا[4]، وحتى شهرة المرية في الصناعات النسيجية خاصة الحريرية منها تعود لعصر الطوائف بعد انتقال أهل بجانة إليها وحذقهم في صنعة الأكسية والأردية، وانتقال صناعة الحرير من قرطبة التي عرفت بجودة منسوجاتها كالوشي والديباج، إذ مع اشتداد الفتنة في الأندلس وقرطبة العاصمة القديمة انتقل عدد كبير من سكانها وسكان الجهات الأخرى إلى المرية واستيطانهم بها، فنقلوا معهم مهارات كثيرة وظفوها في شتى مجالات الصناعة، فأصبحت المرية بذلك مركزا صناعيا مهما في الأندلس. وفي مجال الزراعة كان ملوك الطوائف يعتبرون الأرض ملكا لهم وخاصة بهم، ولم يبقوا إلا القليل منها للآخرين، والتنظيم الذي كان معمولا به في عهدهم هو اقطاع الأرض لشخص أو أشخاص أو جماعة يخدمونها مقابل نسب من الأرباح أو يورثونها لأبناء المستفيدين من الأقطاع وفي حالات أخرى يتم بيع أراضي لصالح أطراف أخرى[5]، فيستفيدون منها ويفيدون أصحابها بمداخيل صافية، وضلت هذه الطريقة في تنظيم ملكية الأراضي طيلة عصر الطوائف.

---

[1]شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص ص76،75

[2]العذري، المصدر السابق، ص85.

[3]ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص82.

[4]الإدريسي، نزهة المشتاق، ص197

[5]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص156

ومع مجيء المرابطين إلى الأندلس وضمها إلى دولتهم عام484هـ/1091م تغيرت الظروف في الأندلس وصارت اقليما كبيرا من الدولة المرابطية، وانتهج المرابطون سياسة اقتصادية تهدف إلى المحافظة على الازدهار الاقتصادي وتوفير الشروط اللازمة للنهضة الاقتصادية بدءا من توفير الأمن إلى تشجيع وتدعيم النشاطات الاقتصادية في كل الأندلس، والاهتمام بالمراكز الاقتصادية الكبرى كالمرية. وأول ما قام به المرابطون توحيد الأندلس من جديد بعد تفككها خلال القرن 5هـ/11م، وإعادة السلطة المركزية وهيبة الدولة والقضاء على التشرذم والانقسام الذي كاد أن يودي بالأندلس إلى السقوط بأيدي النصارى، فيوسف بن تاشفين كان قائدا حازما ومحنكا مع ورع وتدين، فأجرى أحكام الإسلام والشريعة وعدل في الجباية والضرائب، وضبط البلاد ووفر الأمن، فازدهر الاقتصاد ونمت الزراعة والتجارة الداخلية والخارجية عبر الموانئ والطرق البرية، ومع مجيء على بن يوسف بن تاشفين إلى سدة الحكم عام 500هـ/1106م خلفا لوالده واصل سياسة تقوية الدولة ومجاهدة النصارى باختيار أحسن القادة وخيرة العمال والحكام[1]، وفي هذه المرحلة غدت المرية مدينة اقتصادية مهمة وسميت مدينة الإسلام أيام الملثمين كما يقول الادريسي وبها كانت الصناعات والتجارات، كما يقصدها التجار للشراء والبيع من ابعد البلدان والأفاق[2].

ومن محاسن سياسة المرابطين توفير الطمأنينة والأمن بالنظر في الجيش والأسطول الذي كان مرابطا في المرية كإحدى القواعد البحرية الهامة، وبناء الحصون والقلاع لمراقبة الطرق مخافة العدو وقاطعي السبيل وإشاعة الهدوء والطمأنينة. وسلك المرابطون طريق الاعتدال في فرض الضرائب على الرعية من زراع وصناع وتجار، وألغوا الضرائب التي أعيت كاهل الناس والتي فرضت عليهم أيام ملوك الطوائف، وقامت الدولة أيضا بمراقبة العمال المكلفون

[1] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص225،226

[2] الإدريسي، نزهة المشاق،ص- ص196،200

بجمع الضرائب مخافة اغتصاب أموال الناس والانفراد بها[1]، وهذا تشجيعا للناس ودعما للأنشطة الاقتصادية، و طوال حكم المرابطين كما يقول ابن أبي زرع لم يجر في عملهم رسم مكس ولا معونة و لا خراج[2]، إلا ما وافق الشريعة وهم كانوا أهل ديانة وأحرص الناس على تطبيق تعاليم الدين، لكن نشير أن المرابطين في أواخر دولتهم ونظرا لالتزاماتهم العسكرية الكبيرة، والجفاف والجدب الذي لحق بالأندلس بعد سنة 527هـ/1133م، فرضوا ضرائب على أهل العدوتين بعد أن قلت الجباية والمداخيل[3]، كضريبة التعتيب التي مست سكان المرية أيضا[4]، من أجل اصلاح أسوار المدينة وغيرها من المرافق، وإعانة الجيوش التي تحارب ضد النصارى.

وفي المجال الزراعي ضم المرابطون أراضي ملوك الطوائف مثل بنو صمادح الذين خرجوا من المرية نهائيا، وأراضي المرتبطين بهم وذوو المكانة والنفوذ، وكذلك أراضي من توفي ولم يترك وريث، فاتسعت أراضي الدولة على نحو كبير، وصارت تابعة لديوان المستخلص، ومنحت لمن يقوم عليها بالتخميس أي خمس الأرباح، أو بالإقطاع تمليكا لأشخاص يدفعون خراجها للدولة مع تحمل تكاليف خدمتها، ومن يعجز عن ذلك تنزع منه، وتمنح لشخص آخر يستطيع القيام بها، ونظرا لتسهيلات الدولة و توفر الأمن أقبل الناس على شراء الأراضي والضياع والعقارات واحياء الأرض الموات والاستثمار فيها[5].

وعرفت الأندلس في ثلاثينات القرن 6هـ/12م فترة جديدة من الفوضى والاضطراب بعد أن تراخت قبضة المرابطين، وتراجعت سيطرتهم على الأندلس لأسباب كثيرة، كظهور الموحدين في بلاد المغرب وانتصارهم على الجيوش المرابطية في أكثر من موقعه واشتداد الضغط

---

[1] محمود السيد، تاريخ دولة المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص ص 110، 111.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص167.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص145.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص198

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص- ص156،161

النصراني، وانتهى المطاف بخروج معظم الأندلس عن حكم المرابطين، وصارت المرية مستقلة بعد أن طردوا من بقي بها من المرابطين، واختار سكانها أحد أبناء المدينة يدعى عبد الله بن محمد المعروف بابن الرميمي لادارتها، ولم يزل يصرف أمورها وشؤون الرعية حتى جاء النصارى وحاصروها برا وبحرا، ثم دخلوها عنوة وقتلوا أهلها وسبوا النساء والبنين ونهبوا الخيرات والأموال[1]، حتى العمران والمرافق لم يسلم من بطشهم، فقد خربوه وشوهوه[2]، وعطلوا الحياة والأنشطة الاقتصادية فيها مدة طويلة، ولاشك أنهم انتهبوا الأراضي والضياع وسيطروا على التجارة البحرية، وحتى في غياب المعلومات عن اقتصاد المرية في هذه المدة، فمما لا شك فيه أنه فقد بريقه وازدهاره بعد أن قتل كثير من أهلها، وفر من فر تاركين نشاطاتهم ومرافقهم وأملاكهم.

ثم دخلت الأندلس تحت حكم الموحدين الذين انصب اهتمامهم أول الامر على فرض الأمن وتوفير الاستقرار في البر والبحر ومحاربة النصارى وقطاع الطرق، فأخذ اقتصاد الأندلس يزدهر من جديد، وشجع الموحدون الناس على الزراعة والتوسع فيها، واستغلال المعادن في الصناعة، وازدهرت الصناعة النسيجية والبحرية، ونمت المبادلات التجارية مع المشرق وبلاد السودان وأوروبا عبر الموانئ[3]، يؤازرها أسطول قوي مرهوب الجانب حفظ الأندلس وبلاد المغرب[4]، وأمن طرق التجارة والمواصلات، وهذا الاهتمام أدى إلى ازدهار المدن الأندلسية والنشاطات الاقتصادية فيها خاصة في عهد الحكام الأوائل أين عم الرخاء مع عودة الهدوء للأندلس، وتقوية الدولة لقيمة العملة من دنانير ودراهم ذهبية كالدينار المركن أو المربع

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تج: محمد سعيد العريان، ص- ص،277،280.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ص198،199.

[3] عز الدين عمر وموسى، الموحدون في الغرب الإسلامي ص، 51،53

[4] شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص105

والتي كانت منتشرة في الأسواق وكذلك الفلوس البرونزية، مما سهل على التعامل التجاري داخليا وخارجيا، فعمرت الأسواق في المدن والقرى[1].

وبالنسبة للأراضي فإن الموحدين بسطوا أيديهم على أراضي أمراء المرابطين وجندهم وحلفاؤهم، وحتى أراضي العمال الذين يغضبون عليهم، وأراضي من لا وريث له، ويصادرون أحيانا أراضي الإقطاع الممنوحة لأشخاص يقومون عليها، وكان الإقطاع على العهد الموحدي يسمى السهام أو السهوم، ويكون بالمزارعة أو المشاركة وتأخذ الدولة جزء من الدخل، وهذا تحت اشراف صاحب المستخلص أو ديوان المختص أو ديوان الضياع، ويتكفل بأراضي الدولة المسقية والزراعية ويحصل أموالها[2]، ويبقى أن نشير أن مدن الأندلس كان فيها كثيرا من أراضي الأحباس والوقف التي أوقفها أصحابها في أعمال البر وسبل الخير من بناء وإصلاح للمساجد ومساعدة المرضى ومعالجتهم، وتزويج اليتامى، وفك الأسرى من الأسر، أو حتى التحبيس على الصوفية[3] المنقطعين للعبادة والتبتل.

وفيما يخص المرية فإن الموحدين قاموا بإصلاح الكثير من المرافق - التي خربها أو هدمها النصارى - بعد استرجاعهم لها عام 552هـ/1156م، وشجعوا السكان على العودة لدورهم وعقاراتهم، ومع ذلك فإن أثر التدهور والخمول الاقتصادي كان واضحا في المرية التي هي مدينة الإسلام في العهد المرابطي المعروفة بتجارتها الرائجة، وصناعاتها النسيجية والحديدية، وميناءها الذي كان محط السفن والمراكب، وانكمش العمران في المرية في المدينة القديمة أو الداخلية وربض المصلى، بينما هجر ربض الحوض الذي كان عامرا مزدهرا فيما

[1] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص-ص227،229

[2] عصمت عبد اللطيف، دندش، المرجع السابق، ص-ص157،163

[3] نفسه، ص163

سبق بصناعات وتجارات كثيرة، وصار لا يتجول في ممشى أسواره سوى الحراس والموكلون بحراسة الأسوار [1].

ويستنتج مما سبق أن السلطة الحاكمة للمرية عملت على استغلال المقومات الموجودة بها كالموقع والمرافق والموارد لتطويرها وتطوير اقتصادها، كما وضعت تنظيمات تهدف إلى تشجيع الاقتصاد وتدعيم النشاطات الاقتصادية في التجارة والصناعة والزراعة، وكانت المرية دوما ذات فائدة ومردودية اقتصادية مع تفاوت بين مرحلة أخرى.

ز- الحسبة الإسلامية:

تعتبر الحسبة الإسلامية من أهم الخطط الإسلامية لتنظيم النشاطات الاقتصادية، وإن لم يقتصر وجودها على المرية، بل عامة في كل البلدان الإسلامية، وأوردناها هنا في المقومات الاقتصادية لما لها من أهمية كبيرة في اقتصاد المرية والأندلس على العموم.

وقد اهتمت السلطة الحاكمة بخطة الحسبة اهتماما كبيرا، وكانت تعين أشخاص مشهود لهم بالمعرفة والنزاهة للقيام بأعبائها، وتهدف الحسبة إلى تحقيق غايتين أولاهما شرعية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر حيث وردت آيات كثيرة تمدح المؤمنين لقيامهم بهذا السلوك الشرعي، فقد قال الله تعالى: « **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**»[2]، كما أن القرآن الكريم دعا المسلمين للقيام بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يقول عز وجل: «**ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**»[3] واما الغاية الثانية للحسبة هي اقتصادية تتمثل في تحصيل الضرائب لصالح الدولة، وصار ديوان الحسبة من أهم دواوين الحكم، ومنصب

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص-ص190،192

[2] الآية 110 ، سورة آل عمران.

[3] الآية 104 ، سورة آل عمران.

المحتسب يأتي بعد منصب القضاء في الأهمية والشرف[1]. ويذكر السقطي أن الحسبة عظيمة الشأن ورفيعة المكانة، تأتي وسطا بين خطة القضاء والمظالم حيث تجمع بين النظر الشرعي والزجر السلطاني[2]، وفي التنظيم الإداري يطلق مصطلح الحسبة على ديوان مراقبة المكاييل والموازين، ثم خصصت لشرطة الأسواق والأداب ومن خلال ما ذكره المؤرخون كالماوردي (ت450ھ) والمقريزي (ت845ھ) والقلقشندي (ت821ھ) وابن خلدون (ت808ھ) فإن الحسبة نظام رقابي لسير الحياة العامة في كل المجالات ومنها المجال الاقتصادي في إطار الشرع والمصلحة العامة للمجتمع الاسلامي[3]، وهي تنعقد كالولايات والخطط الشرعية الأخرى حيث يعين لهذا المنصب شخصا مناسبا من طرف الحاكم، تتوفر فيه جملة شروط لحساسية هذا المنصب وعظم شأنه، ولا يليه إلا من كان خيرا كاملا، منها كما يقول الماوردي الحرية والعدل والصرامة والرأي وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة[4].

ومن الشروط التي لابد أن تتوفر في المحتسب العدالة في العمل والأحكام، فلا يكون مائلا عن الحق مهما كان وأيضا النزاهة ومعرفة الفقه حتى يتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله دراية في الحساب لاختيار أسعار المبيعات وقيمها، وعلى المحتسب أن يكون نبيها فطنا لأنواع الغش والتحايل واستخدام الموازين، وأن لا يرضخ للشفاعات والوسائط لأن نظره وعمله منوط بحقوق المسلمين، وليس من الصائب اسقاط حق الجماعة

---

[1]سهام مصطفى أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية (من الفتح إلى العصر المملوكي)، الهيئة المصرية للكتاب، 1986، ص64.

[2]السقطي، في أداب الحسبة، تح: بروفنسال، كولان، مكتبة أرنست تورو، منشورات معهد الدراسات العليا المغربية، باريس، د ت، ص2.

[3]موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص20،21.

[4]العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر تغيير المناكر، تح: على الشنوفي، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق 1967، ص ص176،177.ايضا:

léve Provençal, Siville muselmane du12éme siecle(le traite d'Ibn Adun), Maison Neuve et l'Arosse,Paris,2000, pp44,45.

لإرضاء أي طرف مهما كان [1]، ولكون المحتسب موظفا حكوميا يتلقى أجرة كباقي موظفي الدولة من بيت المال[2]، فعلى الدولة مساعدته و مؤازرته والاخذ بيده في عمله وأداء مهمته في نشر العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يعم الفساد ولا تتعطل أحكام الشريعة[3]. ومن العادة أن يكون المحتسب أو صاحب السوق قاضي من الفقهاء عالما بالشريعة والأحكام، عالما غنيا[4]، من أجل أن لا يأكل أموال الناس بالباطل، ولكون الناس لا تهاب إلا من كان ذو مال وحسب[5]، ولابد للمحتسب أن تتوفر فيه الأخلاق الحميدة مع لين في القول حتى يستطيع استمالة القلوب عند ما يؤدي مهامه في أمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فهو يدعو لقمع الظلم والجور والسعي إلى العدل[6]، ويضيف الشيزري زيادة على ذلك الرفق وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيه[7]، وكما سبق ذكره فإن المحتسب يعينه الحاكم بتزكية من القاضي وكذلك عند عزله من وظيفته، وفي حال غيابه لعذر ما يتولى مكانه في أداء هذه الوظيفة الوالي بشرط ألا يتجاوز ما يوافق خطته[8]، وللمحتسب أن يختار مجموعة من الأعوان تتوفر فيهم الصفات المناسبة يقومون بمساعدته في أداء عمله[9]،على أكمل وجه من مراقبة ومتابعة ومعاقبة المخالفين.

---

[1] ابن رضوان المالقي (ت 783هـ)، المصدر السابق، ص237.

[2] ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة والمحتسب، تح: بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص20.

[3] نظام الملك الطوسي، سير الملوك (سياسيات نامه) تر: يوسف بكار، دار المناهل، بيروت، ط2، 2007، ص82.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص18، ص203.

[5] الشيزري ت590هـ، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1946، ص60.

[6] ابن عبدون، المصدر السابق، تح: بروفنسال، ص34.

[7] الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: حسن محمد إسماعيل، أحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص215.

[8] يحي بن عمر، أحكام السوق، تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار علي الجيهاني التونسية للنشر، تونس 1975، ص31.

[9] ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، تح: محمد محمود شعبان، دار الفنون كمبردج، القاهرة، 1976، ص28.

وتتمثل مهمة المحتسب في مراقبة الأسواق والسلع والموازين، ويستظهر بثقاة الأسواق وأرباب الصنائع على الباقي حتى يستطلع منهم على خفي الأسرار، وأي تصرف خبيث أو مشين يصدر عن الباعة والتجار، ويمكن له معاقبة أي شخص مخالف سواء بالزجر والتوبيخ، وإن تعدوا ذلك يتم معاقبتهم بالوعيد والسجن، وفي المرة الثالثة بالضرب والتشهير، وفي المرة الرابعة إن لم يرتدع المخالف يعاقب بالتنكيل وابعاده عن سوق المسلمين وحتى نفيه من الوطن [1]. ويذكر الشيزري أنه يمكن للمحتسب أن يعلق أدوات العقاب على دكته ليشاهدها الناس فيخافون وترتعد قلوب المفسدين، ومنها السوط بحيث يكون بين الغليظ والرقيق، والدرة المصنوعة من جلد البقر أو الجمل محشوة بنوى التمر، وكذلك أداة تسمى الطرطور مصنوع من اللبد مكللا بالجزع والودع والأجراس[2].

ومن الواجبات الأخرى للمحتسب زيادة على مراقبة السلع والموازين منع الوساطة في التجارة حتى يتحقق هدف إقامة السوق وهو الاتصال المباشر بين البائع والشاري من أجل منع الغش وارتفاع السعر، وابعاد الشبهات كالربا والتدليس في السلع والنقود، ويقوم بترتيب الباعة والصناع في أماكن معلومة كل واحد حسب عمله كالخياطين والعطارين والصيادلة والحصارين والخبازين والقصارين، وباعة العبيد والخدم وغيرهم، ويأمر الباعة من تنظيف السوق من بقايا السلع والطين، كما يهتم بالأخلاق العامة خاصة في الأسواق والحمامات والفنادق التي هي صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، وكان للمحتسب دور في تسهيل حركة الناس والمارة حيث يمنع الباعة من الجلوس في الطرقات الضيقة بالسلع والبضائع، ومنع أصحاب الدكاكين من إخراج سلعهم من حد أركان السقف حتى لا يتأذى المارة[4]، وهذا التنظيم يظهر بشكل واضح قدم المسلمين عن غيرهم في تنظيم حركة المرور،

---

[1] السقطي، المصدر السابق، تح: بروفنسال، كولان، ص9.

[2] الشيزري، المصدر السابق، تح: حسن محمد إسماعيل، أحمد فريد الزيدي، ص269.

[3] ابن عبدون، ثلاثل رسائل في الحسبة والمحتسب، تح:بروفنسال، ص–ص43، 47، ص63.

[4] الشيزري، المصدر السابق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص11.

واهتمامهم بالتنقل داخل المدن وهي سابقة اختصوا بها منذ قرون بعيدة، عكس ما هو مشاهد اليوم من تعدي الباعة سواء المتجولون وأصحاب الدكاكين على المارة بوضع سلعهم في الطرقات وعلى الأرصفة دون مراعاة للإزدحام والاكتظاظ الذي يحدثونه بسلوكهم السلبي، والذي يمس بحقوق الآخرين، وأيضا من المستبعد أن يكون هناك من سبق المسلمين في الاهتمام بأدق تفاصيل الرقابة وتنظيم الحياة العامة من حيث الأخلاق والسلوكات سواء رجالا أو نساء، والحياة الاقتصادية ممثلة في الأسواق والرقابة عليها، ومتابعة أمور البيع والشراء بشكل مستمر وهذا الحرص أدى إلى ازدهار الاقتصاد وتنظيمه تنظيما محكما.

2- الصناعة في المرية:

تشكل الصناعة عنصرا أساسيا في الاقتصاد، وتطورها يحقق ازدهارا اقتصاديا لاسيما مع ازدهار النشاط التجاري والزراعي حيث تتكامل العناصر الثلاثة مع بعضها البعض . وتعود ممارسة الصناعة بالفائدة الكبيرة والنفع العظيم على ممارسيها وعلى السلطة بالمداخيل والعائدات المالية من خلال التحصيل الجبائي.

وامتاز الأندلسيون بصناعاتهم المتنوعة والتي أجمع معظم المؤرخين على جودتها ودقة اتقانها، كما اشتهروا بمعرفة أساليب وتقنيات الصناعة واستخراج المعادن والمواد وتحويلها إلى منتوجات مختلفة، وهذا ابن غالب يمدح أهل الأندلس واتقانهم للصنائع بقوله: "وأهلها...صينيون في اتقان الصنائع العملية، واحكام المهن التصورية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النصب في تحسين الصنائع"[1]، ومن المؤكد أن من يقاسي ويتعب في عمله سيصل إلى درجة من الاتقان وإيجادة منتوجاته، وهذا ما كان عليه أهل الأندلس في مهاراتهم وبراعتهم.

---

[1]ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص ص، 281،282.

وتعتبر مدينة المرية من مدن الأندلس المشهورة في الصناعات المختلفة ومركزا اقتصاديا كبيرا في جنوب شرق الأندلس، وقد أعطاها موقعها الجغرافي ميزة مضافة لتسويق منتوجاتها عبر مينائها المزدحم بالمراكب والسفن، حيث كانت باب للتجارة مع الأقطار الإسلامية والمسيحية، وامتازت الصناعة النسيجية خاصة الحريرية منها بالجودة العالية والاتقان حتى صارت مضربا للمثل وكثيرا ما يقارن بنسيج وحرير المرية مع منتوجات المدن الأخرى، وكذلك اشتهرت صناعة الرخام وازدهرت مع وجود مقالع الرخام في المرية وبراعة أهلها في تحويله إلى أشكال عديدة للتزيين والتبليط وغيرها، إضافة إلى الصناعات التحويلية والصناعة البحرية في دار الصنعة والصناعات المعدنية والزجاج والحلي وغيرها.

وهذه الكثرة من اصناف الصناعة عرفتها المرية عبر مراحلها سواء في عهد بني صمادح، أو العصر المرابطي الذي بلغت فيه المرية قمة ازدهارها، وكذلك في عصر الموحدين الذي دعموا الصناعات في مدن الأندلس، ويشير عدد من المؤرخين الى مكانة المرية في الصناعة منهم العذري ابن المرية من أهل القرن 5هـ/11م عن دار الصناعة: «والقسم الثاني فيه القيسارية، وقد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها»[1]، كما تحدث أبو محمد الرشاطي من أهل القرن 6هـ/12م، وهو من أبناء المرية ايضا عن شهرتها في الصناعات بقوله:"المرية مدينة على ساحل البحر بها المتاجر العظيمة والصناعات"[2] وهذان المؤرخان عايشا عصرا ذهبيا للمرية وشهدا تقدمها في مجالات مختلفة منها الصناعة.

أ- الصناعة النسيجية الحريرية:

عرفت المرية صناعة النسيج منذ وقت مبكر لا سيما بعد تأسيسها حوالي منتصف القرن 4هـ/10م أي في العهد الأموي، وبقيت تتطور وتزدهر إلى عصر الطوائف تحت حكم بنو صمادح، وشملت صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية والتي كانت

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص86.

[2] أبو محمد الرشاطي، إبن الخراط الأشبيلي، المصدر السابق، ص59.

تحاك بالمرية[1]، وقد أجمع عدد من المؤرخين على اشتهار المرية في صناعة النسيج خاصة منسوجات الحرير بأصنافه، والتي بلغت درجة من الجودة والاتقان، ووجدت رواجا في السوق المحلية والعالمية، ويشير ابن غالب في فرحة الأنفس في معرض حديثه عن البيرة الى مدينة المرية ومشهور صناعاتها فيقول: "... وبالمرية دار الصنعة....وكما يعمل فيها من الوشي والسقلاطون والبغدادي، وسائر أجناس الديباج، وجميع ما يعمل من الحرير ما لم يعمل مثله بصنعاء وعدن ومنها كان يسفن إلى جميع الأفاق وكان يعمل فيها الحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان"[2]، ويقول الإدريسي: " ومدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الإسلام، وكان بها من كل الصناعات كل غريبة، وذلك أنه كان بها من طرز الحرير 800 طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني، والستور المكللة والثياب المعينة والخمر والعتابي والمعاجر، وصفوف أنواع الحرير"، ويضيف الإدريسي عن المناطق التابعة للمرية: " وبرجة أكبر من دلاية وبها أسواق وصناعات" و ايضا" مدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المرية"[3]، أي كانت بجانة قاعدة الإقليم قبل أن تؤول الريادة للمرية وتعرف ازدهارا في الصناعات كالصناعة النسيجية، ويؤكد ياقوت الحموي شهرة المرية في صناعة النسيج في قوله: "... ويعمل فيها الوشي والديباج فيجاد عمله، وكانت تعمل أولا في قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يثقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية"[4]، ويذكر ابن سعيد المغربي نقلا عن ابن فرج صاحب الحدائق حول المرية: "حدث فيها من صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير، ما لم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى"[5]، وحتى ابن حوقل الذي دخل

---

[1]ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين في بلاد المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958، ص83.

[2]إبن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص ص283،284.

[3]الإدريسي، نزهة المشتاق، ص-ص 197،200.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119.

[5]ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص ص 193،194.

الأندلس سنة 337هـ/948م في عهد عبد الرحمن الناصر، وفي معرض حديثه عن الأندلس ذكر صناعة الأردية التي كانت ببجانة ومنها تصدر إلى المشرق في مصر ومكة واليمن وغيرها[1].

ويظهر من هذه النصوص ان صناعة الحرير اشتهرت بالمرية شهرة حتى خارج الأندلس، وسوقت أصناف المنتوجات الحريرية في الأسواق العالمية مشرقا ومغربا، كما ساهم أهل بجانة الذين انتقلوا إلى المرية عام 402هـ/1010م[2]، في نقل هذه الصنعة والمهارات التي امتازوا بها فكانت النتيجة إزدهار المنسوجات الحريرية [3]، ولم تقتصر صناعة الحرير على المرية بل امتدت إلى أعمالها أيضا كبرجة ودلاية وحصن شنش الذي كانت بساتينه تعطي غلالا عظيمة من الحرير لتوفر شجر التوت بكثرة[4].

وفي عصر المرابطين وصلت المرية إلى قمة الإزدهار في صناعة الحرير حتى بلغ عدد الطرز المختصة في الأنسجة الحريرية رقما كبيرا قدر بثمانمئة طراز تنتج أنواع من الحرير [5]، ويعتبر هذا الرقم كبيرا جدا في ذلك الوقت كما يدل على سعة هذه الصناعة وكثرة ممارسيها واقبالهم عليها خاصة مع توفر المادة الأولية وهي خيوط الحرير التي تستخلص من دودة القز التي تربى على أشجار التوت الموجودة في قرى وأرياف المرية. واستمرت شهرة صناعة الحرير بالمرية في العهد الموحدي أيضا حيث يذكر ابن غالب وابن سعيد المغربي انتاج المرية لأنواع الحرير الفاخر والذي يباع بأثمان مرتفعة في أماكن عديدة[6]، كما يذكر الشقندي الذي عاصر الخليفة الموحدي محمد الناصر 595هـ-610هـ/1198م-1212م في الرسالة التي

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق ، ص109.

[2] العذري، المصدر السابق، ص82.

[3] محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص-ص170،172.

[4] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص225. ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص82.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص197.

[6] ابن غالب،المصدر السابق، م1، ج1 ص284. ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص194.

فضل بها الأندلس ومدنها عما سواها مدينة المرية وتجارتها وصناعتها فيقول:"... وهي أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة" [1].

ومن المؤكد أن إزدهار صناعة الحرير في المرية جاء نتيجة تراكم الخبرات من عصر الطوائف إلى عصر الموحدين و وجود مرافق خاصة بها تتمثل في المعامل والورشات التي هي ملك لأفراد أو لعائلات أو ملك الدولة كما كان الحال في العهد الموحدي أين كانت دور الطراز تنتج ما يحتاجه السلطان وحاشيته، وهذه المناسج الحكومية كانت تنتشر في مدن الأندلس خاصة المشهورة منها[2]. وقد جاء في إحدى النوازل أن بعض الناس ممن قصرت به يده عن إمتلاك منسج خاص به، يقوم بكرائه من النيارين على عمل معلوم، وأجرة من غير أجل، فمنعوا من ذلك حيث أنه لا يجوز الكراء إلا لأجل معلوم وأجرة معلومة وكراء معلوم[3]. كما تنتشر في المرية المناسج العائلية حيث تمتهن العائلات هذه الصنعة لتحقيق دخل وعائد مالي يمكنهم من قضاء مستلزماتها العديدة، ويعتبر أهل المرية أو معظمهم نساء ورجالا صناع بأيديهم[4]، مما أكسبهم ثراء ويسرا مقارنة بمدن أخرى في الأندلس.

وصناعة النسيج من الحرير تحتاج أساسا خيوط الحرير التي يتم استخراجها من شرانق دودة القز والذي تتغذى على أشجار التوت التي تعتبر مفخرة للدود، ثم بعد توفير الخيوط يتم النسج في مناسج خاصة، وتتم العملية بدقة متناهية وتركيز كبير لدقة الخيوط ولينها، فلا يجب استعمال القوة حتى لا تتقطع الخيوط، وصباغة خيوط الحرير تكون سابقة لعملية النسيج وقد استعمل الأندلسيون حشائش معينة تختص بها الأندلس لاستخلاص ألوان مختلفة[5]، وكذلك من مواد عدة، ونشير أن تقنية تحضير الألوان تطورت هي الأخرى تماشيا

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م3، 210.

[2] كمال السيد، تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ت، ص265.

[3] الونشريسي، المعيار، تح: محمد حجي، ط2، ج2، ص ص 223،224.

[4] الزهري، المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص102.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص109.

مع تطور الصناعات النسيجية ومن المواد الشائعة الاستخدام الزعفران والعكار[1]، والقرمز والنيلة[2]، التي تعطي اللون الأصفر والبني والأحمر والنيلي، وعرف السكان ألوان باهية مثل الأبيض والسمائي والأحمر والأصفر والأخضر[3]، كما كان أسعار الصباغة تختلف بإختلاف ألوان الأنسجة، فمثلا حسب إحدى النوازل فإن سعر صباغة كسوتان ونصف بلون سمائي أو أحمر يكون بمثقالين، والأخضر ثلاث كسوات بمثقال، والعادة أين يأخذ صاحب النسيج سلعته إلى الصباغ ليصبغها له[4]، ونستنتج من هذه النازلة أن عملية الصباغة تكون بعد النسيج، حيث يقصد الصانع المختص في الصباغة ليهيأ له بضاعته باللون الذي يرغب فيه، وفي حالات أخرى تتم صباغة المادة الأولية سواء الحرير أو الصوف أو الكتان قبل عملية النسيج.

وبما أننا نتكلم عن شهرة المرية في منسوجات الحرير، فمن الصائب ذكر المنتوجات التي كانت تصنع بأيدي سكانها وهي عديدة كما ذكر كثير من المؤرخين مثل الوشي والسقلاطون والبغدادي والحلل والديباج والأصبهاني والجرجاني، والستور المكللة، والثياب المعينة والخمر والعتابي والمعاجر والأردية وصنوف أنواع الحرير من مناديل وغيرها. وايضا نستنتج من كلام المؤرخين مجموعة حقائق حول صناعة الحرير في المرية أولها أن هذه الصنعة كانت منتشرة بشكل واسع في إقليمها، وأن هذه المنتوجات كانت متنوعة في أصناف عديدة، وقد تنوعت المنسوجات بين محلية الاصل أي الأندلسية وبين الأنواع المشرقية ذات منشأ وأصل مشرقي دخلت إلى المرية وأجاد أهلها صنعتها، بالإضافة إلى رواج حرير المرية في الأسواق العالمية فضلا عن السوق المحلية، وأكثر من ذلك أن السكان يمتازون بالمهارة والبراعة في صناعة الحرير ونسجه والتي لا يضاهيها أحد من أهل الأندلس ومعظمهم كانوا يتقنون هذه

[1] الونشريسي، المعيار، تح: محمد حجي، ط2، ج6، ص206.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، تح: يوسف على طويل، دار الفكر، دمشق، ط1، ج5، 1987، ص142.

[3] البرزلي، جامع مسائل الأحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، ج5، ص ص92، 93 .

[4] ابن رشد، فتاوي ابن رشد، تح: محمد المختار التليلي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987، ص ص219،220.

الصناعة ويتفنون فيها حيث يذكر الزهري في قوله:" وأهلها رجال ونساء صناع بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سومه، وأكثر صناعة رجالهم الحياكة"[1].

ويعتبر السقلاطون من الألبسة الحريرية الغالية والذي كان يصنع في المرية، وأصله من اليونان أي أوروبي المنشأ حيث يكون متقن الصنعة ويطرز بالذهب فيظهر بشكل جميل، أما الحلل فهو نسيج حريري برع أهل المرية في اجادته وإحكام صنعه حيث يحلى ويزين بخيوط من الذهب حتى صار يدعى بالحلل الموشية وهو في غاية الروعة والأناقة، ونوع آخر من الحرير هو الديباج يمتاز بالسماكة، أما الحرير الجرجاني فينسب إلى جرجان*، والأصبهاني ينسب إلى اصبهان*، والوشي يطلق على الحلل الموشية، والبغدادي نسبة إلى بغداد*، وكذلك الستور المكللة وهي أقمشة خفيفة ورقيقة من الحرير والكتان وتزخرف بترابيع على شكل معينات، والخمر جمع خمار خاص بالنساء وهو غطاء من الحرير للرأس ينسدل على الوجه تستعمله نساء المرية وسائر مدن الأندلس، والمعاجر تغطى النسوة وجوههن به أو حتى لشد رؤوسهن، أما العتابي فينسب إلى محلة العتابية في بغداد حيث يقوم الحائك او الصانع بمزج الحرير والقطن بألوان مختلفة[2]، والأردية جمع رداء فهي ما يلبس فوق الملابس، وقد ذكر ابن حوقل الذي زار الأندلس في القرن 4هـ/10م أردية بجانة الشهيرة، وقد نقل أهل بجانة صناعتها بانتقالهم إلى المرية بداية القرن 5هـ/11م، ومن المرجح أن

---

[1] الزهري، المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص102

* جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان مشهورة بالعلم والعلماء والخيرات/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص ص 119،120.

*أصبهان: إقليم يواسع وهو كذلك اسم لمدينة ناحية بلاد الجبل بجوار بلاد فارس/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص206.

*بغداد: تسمى مدينة السلام أمر ببنائها عام 145هـ/762م أبو جعفر المنصور العباسي شرق دجلة وجعلها عاصمة للعباسيين / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص-ص 457،460.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص158.

النوع الذي يسمى العتابي الذي ذكره الإدريسي في أنواع الحرير بالمرية هو البغدادي الذي ورد ذكره عند ابن غالب صاحب فرحة الأنفس، بما أن العتابية محلة أو جهة في بغداد.

وأشهر هذه المنسوجات على الإطلاق أو الأغلب الوشي أو كما يسمى الموشي وهي الحلل الموشية والديباج إذ لم يثقف في الأندلس صنعته ولم يجيد عمله كإجادة أهل المرية [1]، والديباج كما يذكر أنواع منه للفرش ومنه للباس وأفضله ما كان أحسن صباغة ونقوشا ودقة واشراقا، وكان ثقيل الوزن وبطئ الاستعمال عند ملامسته للنار[2]، ويتميز الديباج بإحكام الصنعة، ودقة التخريج يصنع منه المرنجات أو العداديات، وثياب السندس الأبيض، وثياب حريرية تعرف بالخلدي ذات جودة وجمال[3]، والحلل الموشية تمتاز بمزج الذهب فيها أي تزين وتوشى بخيوط الذهب وهي ذات صنائع غريبة[4]، وزخارف متنوعة، ويكون سعرها جد غالي وباهضا لجمالها ودقتها وإدخال الذهب فيها، ويذكر أن بعض النصارى كانوا يقلدون المسلمين في ارتداء الملابس الفاخرة، بعدما أغرتهم المنسوجات الحريرية، واستعملوها في المناسبات الدينية الخاصة بهم، مثل ما فعل القديس خوان دي أرتيغا الذي ارتدى ثوبا مطرزا على شاكلة ثوب علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين[5].

وكان نسيج الحرير يتم في معامل أو مصانع أو ورشات في إقليم المرية، وهي تلحق بالعمران الاقتصادي أي المرافق الاقتصادية التي كانت تتواجد بكثرة، وقد ذكر الإدريسي أن عدد طراز الحرير في المرية بلغ ثمانمئة (800) طراز تنتج أصناف الحرير[6]، بينما يذكر سراج الدين بن الوردي أنه كان بالمرية عدد ضخم من الأنوال لكل نوع من الحرير أي الحلل

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119.

[2] جعفر بن على الدمشقي (ق5هـ)، الإشارة إلى محاسن التجارة، تح: البشري الشوربجي، مطبعة الغد، الإسكندرية، 1971، ص45.

[3] إبراهيم السيد الناقة، دراسات في التاريخ الأندلسي الاقتصادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010، ص186.

[4] ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ص140.

[5] سلامة محمد سلمان الهرفي، المرجع السابق، ص ص 291،292.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ص197،198.

والديباج والسقلاطون[1]، ويؤيد المقري في نفح الطيب هذا الكلام بقوله:"كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمئة نول، وللحلل والديباج الفاخر ألف نول، وللأسقلاطون كذلك، وللثياب الجرجانية كذلك، والأصفهانية مثل ذلك وللعتابي والمعاجر والستور المكللة ..."[2]، وإذا جمعنا بين المعلومات التي جاء بها الإدريسي أو المقري فيمكننا استنتاج أنه بكل طراز عدد من الأنوال خاص بنوع من الحرير، والنول هو الآلة المستخدمة في النسيج أي المنسج وكما سبق ذكره فإن الأنوال قد تكون في ورشات او في البيوت عند العائلات إذ كان سكان المرية مهرة ومجيدين في صناعة الحرير، وبواسطة الأنوال ومهارة الحائك يتم انتاج أصناف الحرير سواء قطع معدة للحياكة والخياطة أو ثياب جاهزة.

ب- المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية.

لقد حيكت في المرية المنسوجات الكتانية والقطنية والصوفية علاوة على الحرير الذي كان يغلب عليها، فمثلا كانت أندرش من عمل المرية تشتهر بحريرها وكتانها فائق الجودة[3]، وفي كتانها يقول الأديب الشاعر الطبيب ابو عتبة بن الحجاج الاشبيلي[2]:

لله أندرش لقد حازت على   حسن تتيه به على البلدان

النهر منساب سرت خلجانه   في الروض بين أزهار الكتان

وأجود الكتان ما كان لينا وخفيفا على الجسم، ومنه من تصنع منه ثياب غليظة[3]، وأخرى صفيقة ومنها سلسة دقيقة ذات جودة ومنها الغالية الثمن سواء للسلطان أو عامة الناس،

---

[1]سراج الدين بن الوردي، المصدر السابق، ص31.

[2]المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص163.

[3]ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص260.

[2] الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ص31، 32.

[3] لوسي بولنز، نباتات الصباغة والنسيج، تر: مصطفى الرقي، معهد الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998، ص1400.

حيث كان الكتان منتشرا في مدن الأندلس[4]، كما عرفت وادي آش بين المرية وغرناطة التي كانت في وقت من الأوقات تتبع المرية في عصر الطوائف بانتاج الكتان والقطن[5]. وشاع صناعة أقمشة قطنية تسمى الدراريع تباع خاصة لسكان الأرياف [6]، وأحيانا كان يمزج الحرير بالقطن لإنتاج الأقمشة وثياب جميلة كالعتابية وربما غيرها من الأقمشة، وأفضل القطن ما كان جميلا وخفيفا، ويمكن للانسان العادي تمييز أجود القطن من أردئه بعلامات كخفة الوزن وشدة البياض وليونة الملمس[7]، وما كان مشمعا يمنع ماء المطر من أن يصل إلى لابسه[8]، وأصل القطن من قارة اسيا، نقله المسلمون من مصر والشام إلى الأندلس شرقها وجنوب شرقها ومنها إقليم المرية ليستعمل في النسيج[1]، والمنسوجات القطنية خاصة المتقنة والجميلة تباع بأثمان مرتفعة في كثير من الأحيان، ولا يقدر عليها الا ذو سعة ويسر، وهذا لا يعني أن العامة لا يرتدونها أو يستعملونها. كما ازدهرت المنسوجات الصوفية كذلك في المرية لوجود المادة الأولية المتمثلة في الصوف إذ تربى الأغنام في أريافها وجبالها حيث المراعي والكلأ خاصة في منطقة دلاية وكذلك برجة وأندرش والأرياف الأخرى وتعتبر دلاية اشهرها في كثرة قطعان الغنم[2]، وكان إقليم البيرة عموما معروف بتربية الماشية كما يقول ابن الخطيب (ق8هـ/14م) حيث لا ينعدم رعي بعد رعي[3]، ويذكر المقري أن المرية من المدن التي عرفت بصناعة الأجبان لوفرة الماشية من غنم وماعز وأبقار إضافة إلى مدن أندلسية أخرى[4]، والمستنتج أن المرية كان يجود بها الصوف بكثرة، حيث يتم

---

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص109.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ط2، م2، ص ص 140،141.

[6] الزهري، المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص102.

[7] جعفر بن علي الدمشقي، المصدر السابق، ص44.

[8] ابن حوقل، المصدر السابق، ص109.

[1]جاك ريسلر، الحضارة العربية، تح: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993، ص121.

[2]مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص91.

[3]ابن الخطيب، الإحاطة، ط2، م1، ص98.

[4]المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص184.

تحضير الصوف للنسيج بعد جزه بداية الصيف أو أواخر الربيع وغسله جيدا ثم تتم عملية الغزل وبعدها التصنيع، وقد أثرت البيئة الأندلسية الباردة نسبيا في انتشار المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية الملائمة للجو السائد حيث أقبل الناس على ارتدائها أو استعمالها كالأوطئة والفرش لاسيما الصوفية التي تعتبر الأرخص والأقل ثمنا مقارنة بالحرير أو القطن وهي في متناول جميع السكان.

ج- صناعة الملابس

عرفت المرية صناعة الملابس الجاهزة التي تدخل ضمن الصناعات النسيجية، ومارسها السكان ليتعيشوا منها ويكسبوا ارزاقهم، وتباع الألبسة جاهزة بعد اعدادها من طرف الخياطين الذين كانوا يتجمعون في قيسارية خاصة بصنع الملابس[1]، ومن الملابس ما كان من الحرير أو الكتان والقطن والصوف تتنوع من فصل لآخر ومن فئة إلى أخرى، وكانت الملابس تعد للرجال والنساء وللكبار والصغار سواء ألبسة يومية أو خاصة بمناسبات مهمة كالأعياد والجمع والاحتفالات والأعراس وغيرها، ومن دون شك أن أهل المرية عرفوا وفرة في الألبسة لتوفر المواد الأولية التي كانت بها زد عليها المهارة والحذق في صناعتها، وقد يختص الأثرياء والأغنياء بأفخم الملابس وأتقنها لما لهم من مال وجاه ومكانة دون غيرهم من الناس الذين هم أقل منهم مكانة اجتماعية، كما كان الحال في عصر الطوائف أين يظهر الفرق واضحا بين علية القوم وعامتهم، وخير مثال المعتصم بن صمادح الذي كان ينفق أموالا معتبرة في العمران كقصوره وبساتينه في مكافأة المقربين كالشعراء، والأكيد أنه كان ينفق أموالا على ملابسه وملابس عائلته وحرسه، دون أن ننس لباس الجنود والتي لها أماكن خاصة لصناعتها.

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص186.

غير أن الوضع تغير بدخول المرابطين إلى الاندلس بعد عام 484هـ/1091م، فقد فرضوا سلوكا يتميز بالتقشف والبساطة والاقتصاد خاصة في العقود الأولى من حكمهم سواء بالنسبة للحكام أو الأمراء والقادة والناس على دين ملوكها كما يقال يتأثرون بهم، فنجد يوسف بن تاشفين مختصرا في ملبسه[1]، وزاهدا في الدنيا وأكثر لباسه من الصوف[2]. وعلى صعيد الألبسة علاوة ما كان موجودا في المرية من أردية وأقمصة وسراويل وغيرها، فقد أدخل المرابطون ألبسة خاصة بهم اشتهروا بارتدائها في بلادهم كاللثام والغفائر القرمزية والعمائم ذات الذؤابة[3]، والغفائر الزبيبية[4]، وكان من اللثام ما يسمى الريط أخضر اللون واخر يسمى السابرية القرمزي[5]، واعتموا بعمائم الصوف[6]، في حين أن الأندلسيين تركوا لبسها لأنها ليست من عوائدهم خاصة في شرق الأندلس[7]، والبرانس التي لبسها المرابطون كانت باللون الأسود[8]، ومما يروى أن المعتصم بن صمادح ملك المرية قد لبس برنسا عند حصار حصن لييط، والتقى حينها بيوسف بن تاشفين رفقة آخرين[9]. ومن جهة اخرى وبعد مدة من مكوث المرابطين بالاندلس حدث تغيير في البستهم من حيث نوعية القماش والشكل والألوان[10] نتيجة احتكاكهم بالأندلسيين وتاثرهم بالحياة الفخمة والصاخبة.

---

[1]ابن عذاري، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ط3، ج4، ص46.

[2]بن أبي زرع، المصدر السابق، 136.

[3]ابن غازي، المصدر السابق، ص6.

[4]رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص29.

[5]جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى(عصر المرابطين والموحدين) ، ط1، ص224.

[6]دوزي، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، ص251.

[7]المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص222.

[8]عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (أطروحة دكتوراه)، إش: أحمد شريفي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2010/2009، ص230.

[9]إبن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص ص 86،87.

[10]إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص80.

ولما انتقل حكم الأندلس إلى الموحدين فرضوا كذلك سلوكا في البساطة تميز به حكامهم الأوائل كعبد المؤمن بن علي الذي كان لباسه الصوف زهدا وتواضعا[1]، وهو في هذا يشبه الزعيم المرابطي يوسف بن تاشفين الذي عادة ما يرتدي الصوف. ومن ألبسة الموحدين العمامة المذهبة الخاصة بالحكام والعمامة المقصورة ذات الذؤابة، أما العامة فلبسوا عمامة الكرازي[2]، والبرانس باللون المسكي الخاصة بخلفاء الموحدين وأمرائهم[3].

ويبدو واضحا أنه ثم علاقة تأثير وتأثر بين الأندلسيين والمغاربة بدخول المرابطين ثم الموحدين إلى الأندلس من حيث الألبسة، فكل طرف قد أعطى وأخذ من الآخر تشبها وتأثرا، وبلا شك أن المرية المشهورة بصناعة النسيج بأنواعه قد صنع بها هذه الألبسة المغاربية بحكم كونها مدينة مميزة عند الحكام لاعتبارات عديدة، ووجود طائفة من أهل بلاد المغرب الذي وفدوا مع مجيء الدولتين للحكم سواء جنود أو مقيمين، وان لم تكن بالكمية الضخمة.

د- صناعة الرخام و الصناعة الحجرية:

لقد تقدمت الصناعة الرخامية والحجرية أشواطا كبيرة مع ازدهار حركة التعمير والتشييد، والتأنق في التزيين والتفخيم، واشتهرت المرية بالرخام الموجود في مقالع بجبالها، حيث تقطع الحجارة الكبيرة إلى أحجام وأشكال مختلفة تستعمل لأغراض شتى بعد إعدادها وتصنيعها، ويدخل الرخام في أعمال البناء والتزيين في القصور والبيوت والمساجد ومرافق أخرى سواء في البلاطات أو الأعمدة أو الأسقف، وصار له صناعة رائجة وتجارة رابحة، وزبائن من كل جهات الأندلس وحتى خارجها. وكان بالأندلس حسب ابن غالب عشرة مقاطع[4]، من بينها مقاطع المرية والتي تقع في شمالها حيث توجد في جبال سيرا دي لوس فيلابريس، ومن

---

[1] ابن القطان، المصدر السابق، تح: محمود عى مكي، 172.

[2] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية في المغرب الاقصى(عصر المرابطين والموحدين)، ص239.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص187.

[4] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص368.

شهرة رخام المرية سميت بلد الخام والرخام [1]، و سمي رخامها بالصقيل الملوكي[2] نظرا لجودته واستعمالاته في القصور وغيرها، وقد ضرب مثل عامي في الأندلس يشيد بكثرة الرخام بها ووفرته يقول:" وسق المري حديد ورخام "[3].

واستخدمت مقاطع الرخام الموجودة بالمرية منذ وقت مبكر قبل عصر الطوائف، فيذكر ابن حيان أنه عندما أمر عبد الرحمان الناصر بتشييد مدينة الزهراء عام325هـ/936م كان يجلب إليها الرخام الأبيض من المرية[4]. وفي عصر الطوئف مع تقدم عمران المرية وازدهاره استخدمت كميات كبيرة من الرخام خاصة في عهد المعتصم بن صمادح الذي أقام منشآت عديدة كالقصر الكبير في قصبة المرية، وفي قبلته مجلس عظيم ثم دار كبيرة ومجلس عظيم آخر وصحن واسع، وفي شرق القصبة بنى دار للحكم، وفرشت هذه المباني كلها بالرخام الأبيض الصقيل أرضها وسقفها وأعمدتها، وأما القصور الصمادحية فهي في حد ذاتها أعجوبة بنيانا واتقانا وجمالا مفروشة ومكسوة برخام المرية الذي تفنن الصناع في تشكيله[5]، وقد أتخذ من الرخام غير البناء والزينة الأحواض المنمقة والفوارات المتقنة الصغيرة والكبيرة ليستعملها الناس في الدور والمنازل خاصة عند الأثرياء منهم [6]. كما صنع من الرخام التوابيت وشواهد القبور والألواح المختلفة، ويذكر أن الشواهد قد وصلت صناعتها إلى المرية في العصر المرابطي قادمة من المشرق ومنها انتشرت إلى مدن الأندلس حتى سميت بشواهد المرية Las Estalas Almerienses، وميزة هذه التوابيت والشواهد أنها تزين بنقوش

---

[1]ابن الخطيب، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانة، د د ط، القاهرة، 2002، ص102.

[2]الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، نش: صلاح الدين المنجد، د د ط، بيروت، 1968، ص58.

[3]عبيد الله أحمد الزجالي، أمثال الأعوام في الأندلس (ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام)، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة للشؤون الثقافية، الرباط، ق2، د ت، ص.446.

[4]المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص526. مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص163.

[5]العذري، المصدر السابق، ص85.

[6]عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ص164،165.

وأشكال غاية في الروعة والجمال، وفي وسطها كتابة للنعي كاسم الميت وتاريخ وفاته مكتوبة بخط كوفي أنيق[1].

ولا يستبعد استخدام الرخام في تزيين مرافق أخرى غير القصور والبيوت كالحمامات والفنادق والمطابخ أين تستعمل ألواح رخامية ليفرش عليها العجين. و الرخام في أصله أملس ناعم وسهل التنظيف حيث لا تتكون عليه الأوساخ مثل الحجارة أو الخشب، فبمجرد تنظيفه بالماء والصابون يصبح نظيفا لامعا إضافة إلى جماله وصفائه.

وكان يوجد في المرية زيادة على الرخام مادة الجص التي كان لها صناعتها وصناعها، وقد وجد الجص في جهة بجانة وبالضبط في جبال الحمة أين يستخرج ويتم حرقه أي إعداده للاستعمال، ثم يتم نقله إلى المرية ومن ثم استخدامه في البناء والتجصيص، ولكثرة هذه المادة و وفرتها كانت تباع بأرخص الأثمان، فيستعملها السكان في جميع أعمالهم العمرانية[2]، في المدن والأرياف جميعا، ونضيف إلى المواد الحجرية المصنعة في المرية نوع من الحصى المشكل[3] على الارجح يكون لتزيين المباني واضافة طابع جمالي اليها.

هـ – الصناعات المعدنية:

برع أهل المرية في الصناعات المعدنية بأنواعها، وأجادوا في انتاج أدوات متقنة الصنعة حديدية ونحاسية مع توفر المواد الأولية في إقليم المرية من حديد ونحاس ورصاص وقصدير، والكميات الناقصة كانت تأتي من مدن الأندلس الأخرى في غالب الأحيان، ويعود ازدهار الصناعة المعدنية التي تحتل المرتبة الثانية على الأقل بعد الصناعة النسيجية في المرية إلى عصر الطوائف أين عرفت نهضة اقتصادية متنامية وخاصة تحت حكم بني

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص186.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص201.

[3] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس(عصر المرابطين والمحدين)، مكتبة الخانجي، الخانجي، القاهرة، ط1، 1980، ص286.

صمادح حيث ازدهرت الصناعة المعدنية وانتجت آلات الحديد والنحاس بالكميات الوفيرة. واستمر تطور الصناعة المعدنية وبلغت أوجها في عصر المرابطين عندما كانت المرية تدعى مدينة الإسلام لازدهارها في كل المجالات، وكان بها من الصناعات العجيب والغريب[1]، وحتى في العصر الموحدي كانت الصناعة المعدنية بالمرية محافظة على انتاجها وإن قل مقارنة بالعصر المرابطي. ويعود هذا النمو الصناعي لكون المرية قاعدة بحرية عسكرية وتجارية بها الأسطول الذي يحتاج إلى المعادن على ظهر المراكب والسفن، اضافة الى حاجة السكان المتزايدة لهذه الادوات المعدنية.

والأدوات المعدنية المصنعة في المرية كانت تعد لأغراض شتى لتستخدم في القصور والبيوت والورشات وللسفن وفي مجالي الزراعة والصناعة وكثير من الأغراض، وقد تجلت فيها البراعة والاتقان والجمالية[2] التي يتميز بها الصانع. وكامثلة عن المصنوعات فمن القصدير مثلا كانت تصنع القنوات الخاصة بتوصيل المياه إلى أماكن مختلفة[3]، ومن الحديد صنعت السكاكين والأمقاص والأسلحة كالسيوف والدروع ورؤوس السهام والخوذ وآلات العرائس من حديد ونحاس[4]. وفي السفن تستعمل المسامير والأوتاد الحديدية والمرساة وقطع أخرى، وللنشاط الزراعي أنتجت الأمقاص والفؤوس والمناجل والمحاريث وآلات العزق وقلب التربة وغيرها من ادوات الفلاحة. ويوجد في البيت أدوات حديدية كثيرة كالدلاء ومقابض الأبواب والنوافذ وسكاكين وأقماص والمسامير والأوتاد، وبدون شك أنه وجدت أدوات كثيرة من المعادن الأخرى تستعمل في النشاط الصناعي والمعامل والورشات.

كما لايفوتنا أن نشير ان من اليهود من كان لهم دور في الصناعة المعدنية في المرية وفي عموم الأندلس بحكم اشرافهم على مناجم المعادن بالعدوتين الأندلسية والمغربية وامتهانهم

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص197. المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص220.

[2] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص98.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص181.

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص171.

لهذه الصناعة[1]، وملاحظة أخرى مفادها أن صناعة الأسلحة المختلفة كالسيوف والرماح والدروع و الالات الخاصة بالجند والحرب استهلكت كميات من المعادن خاصة الحديد، والمرية في حد ذاتها ثغر للمرابطة والجهاد كان بها الأسطول وفرق من الجيش، وبذلك صناعة الأسلحة كان لها مكانة بين الصناعات المعدنية. ويذكر المقري أن صناعة الأسلحة كانت في معظم مدن الأندلس، وأن همم أهلها كانت مصروفة لصناعة السلاح من رماح وتراس ودروع و ألجم وسروج ومغافر[2].

و- الصناعة البحرية:

يُقصد بالصناعة البحرية إنشاء المراكب والسفن الحربية والتجارية ومراكب الصيد بأحجام وأشكال وأنواع متعددة، وما تعلق بها من لواحق وعدة و آلات يستخدمها الجنود والبحارة والملاحون.

وقد اشتهرت المرية بصناعتها البحرية، كما كان لها دار صناعة رائدة في هذا المجال منذ تأسيسها واتخاذها كفرضة لبجانة الإقليم الساحلي في جنوب شرق الأندلس، حيث كانت بها أبراج و محارس للمراقبة والمرابطة، ثم اتخذها الناس للإقامة والسكن بعد ذلك. وفي العصر الأموي كان بها دار صناعة لإنشاء المراكب والسفن تعرضت للهجوم الفاطمي في خضم الصراع المشتد بين الامويين السنة والفاطميين الشيعة، وذلك عام 344هـ/956م حينها أمر عبد الرحمان الناصر بتمصير المرية وتحصينها وبناء دار صناعتها[3]. وقد زار بعد ذلك الحكم المستنصر المرية للوقوف على دار الصناعة والاستعدادات العسكرية بعد ظهور خطر المجوس النورمان قرب السواحل الأندلسية واقترابهم من المرية ومحاولة حصارهم لحصن القبطة أحد حصونها عام 352هـ/963م، فأمر بتعمير الأسطول الذي بلغ ستمائة جفن

---

[1]مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، 2000، ص153.

[2]المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص202.

[3]أبو محمد الرشاطي ، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص59.

غزوي وغيره، وصارت المرية إحدى قواعده البحرية المهمة[1]، كما أصبح قائد أسطول المرية من أهم شخصيات الدولة الأموية ورجالها[2]، وحتى بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس عام 422هـ/1031م، نالت المرية جزءا من الأسطول الأموي وحافظت دار صناعتها على انشاء السفن والقوارب المتنوعة وكانت مقسمة إلى قسمين أحدهما فيه المراكب الحربية والآلة و العدة، وفي القصبة كان المعتصم بن صمادح يستطيع من قصره مشاهدة البحر ومرسى المرية وحركة المراكب في ذهاب واياب[3]، وقد مدح ابن الحداد الشاعر المقرب من البلاط الصمادحي أسطول المعتصم بشعر يذكر فيه المراكب والمجاديف ومن أبياته[2]:

سام صرف الردى بها الأعادي	أن سمت نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون	دأبها مثل خائفيها بسهاد
ذات هدب من المجاديف حالا	هدب باك لدمعه اسعاد
حمم من فوقها من البيض نار	كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط في يدي كل ذمر	ألف خطوط على البحر صاد

وهذا الأسطول هو الذي حمى المرية في عصر مليء بالاضطراب السياسي والمشحون بالفتن وتحرشات النصارى الذين كلبوا على المسلمين، كما جنبها الغزو الخارجي.

واستمر ازدهار دار الصناعة بالمرية في العصر المرابطي بإنتاجها وانشائها للمراكب والسفن المتنوعة التي كانت جزءا مهما من الأسطول المرابطي الأندلسي، وكانت في عام 527هـ/1133م أعمر دار بالدنيا فيها من الآلات البحرية والعدة الحربية ما لم يوجد في دار قط كما يذكر أبو محمد الرشاطي مؤرخ المرية وأحد أبرز علمائها، والذي يضيف أن المرية

---

[1] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية ص ص42،41.

[2] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص180.

[3] العذري، المصدر السابق، ص ص86،85

[2] ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، اللبناني، القاهرة،بيروت، ط3، 1989، ص174.

كانت قاعدة الأسطول المرابطي الذي يقود قائد البحر المشهور أبو عبد الله محمد بن ميمون الذي بث الرعب في نفوس النصارى الذين كانوا يقطعون البحر على المسلمين[1]، وفي العصر الموحدي كان لدار صناعة المرية نصيب في إنشاء المراكب الحربية، وبها يرابط جزء من الأسطول، وقد حرص الموحدون على استرجاع المرية من النصارى الذين احتلوها عام 542هـ/1147م، وكان لهم ذلك في عام 552هـ/1156م لها من أهمية عسكرية واقتصادية حيث كان يتم فيها ترتيب الأسطول الأندلسي وإعداده للخروج إلى غزو الإفرنج[2]، وإهتمام الموحدين بالأسطول والمراكب كان امتداد لسياسة كل من حكم الأندلس في حماية الأندلس وتقوية الثغور البحرية وقواعدها كما فعل عبد المؤمن بن علي عام 553هـ/1157م عندما أمر أهل البلاد البحرية بإنشاء الأساطيل والأجفان[3]، وكل من جاء بعده من خلفاء الموحدين وجه عنايته نحو إنشاء وتعمير مراسي المغرب والأندلس[4]، وفي دور الصناعة البحرية ومنها الدور الأندلسية كالمرية تم إنشاء وبناء مراكب وقطع بحرية مختلفة[5]، خاصة أن دولة الموحدين كانت مترامية الأطراف تمتد من المغرب الأدنى وليبيا الى الأندلس ويعيش فيها خلق كثير، وتحتاج الى حماية حدودها وأملاكها من غارات الأعداء[6].

وتعتبر دار الصناعة بالمرية من أشهر الدور في الأندلس والمغرب الإسلامي في اختصاص الصناعات البحرية فهي تزود الأندلس بالمراكب ولواحقها الخاصة بالصيد كالشبابيك وأدوات الصيد أو المراكب التجارية لنقل البضائع والسلع، ودون أن ننسى المراكب الحربية ذات الأحجام والأشكال مع العلم أن إنشاء المرية بادئ الأمر كان بغرض عسكري لحماية ساحل الأندلس، ولذلك فإن إنشاء المراكب الحربية احتل حيزا واسعا في دار الصناعة، وقد مر ذكر

---

[1] أبو محمد الرشاطي ، ابن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص60.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص119.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص61.

[4] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص254.

[5] محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار طوبقال، المغرب، 1989، ص255.

[6] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص264.

أنواع المراكب والسفن المعدة للأسطول الحربي مثل الشواني والطرائد والحراقات، والمسطحات والزوارق والفتاشات والقراقير، والأغربة والبطس و الشلنديات، والعشاريات والحمالات والأجفان والشخاتير. كما توفرت المواد الأولية التي تدخل في الصناعة البحرية وأهمها المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والخشب بالإضافة إلى مواد اخرى كالأصماغ والحبال والأشرعة[1]، مع براعة ومهارة صناعية يتميز بها الصناع، وإتقان ودقة في إنشاء المراكب. ولاضير أن نتكلم عن الخشب وهو المادة الأساسية في صناعة المراكب إذ كان بالأندلس ثروة غابية معتبرة، حيث تنتشر غابات كثيفة الأشجار في الجبال والسهول وأشهرها غابات الصنوبر[2]، في طرطوشة وقبرة التي تقع قبلي قرطبة وجيان والبيرة، وباغة بين الغرب والقبلة من البيرة ووادي آش[3]. ويذكر ابن حوقل أن الأندلس يغلب عليها المياه الجارية والشجر[4].

وتعتبر طرطوشة وشلطيش وقصر أبي دانس أشهر مناطق الأندلس التي تزود دور الصناعة بالأخشاب الصالحة لبناء المراكب والسفن نظرا لجودتها ونوعيتها الجيدة، أما طرطوشة فتنمو بها أشجار الصنوبر وتسمى أيضا الشبين[5]، حيث تمتاز بالطول والغلظة ولا يوجد في الأندلس شبيها لها، وهذا الخشب له لون أحمر صافي ودسم لا يتغير سريعا ويعمر طويلا، ولا يفعل فيه السوس ما يفعله في الأخشاب الأخرى[6]، ويذكر الحميري أن خشب طرطوشة جودته تفوق جميع ما في الأمصار ومنه يوزع إلى نواحي الأندلس لتصنع منه الصواري والقرى، أما شلطيش غرب الأندلس قرب لبلبة فيها أشجار الصنوبر الكثيرة وهو

---

[1]حمدي عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة العلمية الجامعية، القاهرة، 2008، ص305.

[2]القلقشندي، المصدر السابق، المطبعة الاميرية، ج5، ص219.

[3]ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص282 وما بعدها.

[4]ابن حوقل، المصدر السابق، ص104.

[5]عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص57.

[6]الإدريسي، نزهة المشتاق، ص190.

أطيب الصنوبر، وقصر أبي دانس في غرب الأندلس أين تكثر أشجار الصنوبر[1]، وهناك مناطق أخرى في الأندلس بها الأشجار كشقر شرق الأندلس قرب شاطبة وبلنسية حيث تنمو بها الأشجار، وشلب غرب الأندلس بها الصنوبر، وقلعة أيوب قرب مدينة سالم بها الأشجار، أما جزيرة يابسة شرق الأندلس فأرضها تنبت الصنوبر جيد العود صالح لإنشاء المراكب وعدتها[2]، وكذلك في قلصة قرب كونكة يوجد الصنوبر[3]. ومما سبق يتبين لنا غنى الأندلس بالأشجار خاصة الصنوبر الذي خشبه يستعمل في بناء السفن وعدتها بدور الصناعة المختلفة وتعتبر المرية واحدة منها.

ز- الصناعة التحويلية:

استغل سكان المرية الخيرات الموجودة في أرضهم، وتنتجها بساتينهم في السهول وحول الوديان كبرجة و أندرش وطبرنش وشلوبين، وبجانة وحوالي واديها المعروف بوادي المرية وقرب الأراضي الساحلية في عذرة البيرة ودلاية.

ونجد من الصناعات التحويلية استخراج مادة السكر من قصب السكر، الذي ادخله المسلمون إلى الأندلس فيما ادخلوه من نباتات مختلفة، ومارسوا زراعته التي توسعت كثيرا في اماكن عديدة خاصة في شرق الأندلس وجنوبها الشرقي حيث الحرارة والدفئ[4]، لاسيما في المناطق المقابلة للساحل[5]. وبالنسبة للمرية كان ينمو قصب السكر في سواحلها[6]، كشلوبين[7]، وجليانة بوادي آش[8]، وكان الناس يستخرجون مادة السكر من قصبه حيث تتفاوت جودتها

---

[1]الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص124، ص114، ص161.

[2] نفسه، ص102، 115،106، 145، 163، 198.

[3]عبد العزيز سالم، أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص58.

[4]الحميري، الروض المعطار، تح: إحسان عباس، مطبعة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص- ص24،21.

[5]المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص200.

[6]شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص ص231،230.

[7]ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص360.

[8]نفسه، م2، ص157.

ونوعيتها. وأحسنها السكر الأبيض الصلب، وما كان صافي اللون، ثم يأتي السكر الأحمر، وأردئه من كان يميل إلى السواد وطعمه إلى الملوحة[1].

ويعتبر السكر مادة أساسية في المطبخ الأندلسي لإستعمالاته الكثيرة كمكون اساسي في صناعة الحلويات لاسيما في مطابخ الحكام والأمراء والأثرياء، وفي تحضير الأطعمة عند المناسبات المختلفة مثل حفلات الزواج والختان والأعياد الدينية والمناسبات السياسية والعسكرية. ومن أشهر الحلويات المعدة بالسكر الفطائر التي أحبها الأندلسيون وحلويات أخرى تصنع بالسكر في معظمها (الزلابية) أي يوجد بها نسبة كبيرة من السكر[2]. وتتم عملية استخراج السكر في مصانع خاصة به تسمى المسالك أو المطابخ بواسطة حجارة خاصة، وزودت هذه المصانع بطواحين لإدارة الآلات المستعملة [3].

وعرف الناس استخراج زيت الزيتون من الزيتون الذي عمت أشجاره الأندلس، وفي المرية بساتين واسعة منه في أماكن كثيرة كما سبق ذكره منها حمة بجانة كثيرة الزيتون[4]، وطبرنش شرقي المرية فيها زيتون كثير لاستخراج الزيت منه[5]، وغيرها من مناطق المرية الاخرى. وقد سمح المناخ المتوسطي الدافئ والمعتدل في نمو أشجار الزيتون بكثرة، ويتم استخراج الزيت بعد عصره في معاصر خاصة أو أرحاء (رحى)، حيث يوضع الحب بين حجارة خاصة تدار بواسطة الدواب او الطواحين، و قد انتشرت معاصر الزيتون في المدن وخاصة في الأرياف قريبا من البساتين، كما اعتنى الناس بغراسة الزيتون لفوائده الغذائية والطبية، واستعملوه في إعداد الأطعمة المتنوعة و كعلاج للكثير من الأمراض منها الجلدية والتنفسية والعظمية. اما

[1] علي بن جعفر الدمشقي، المصدر السابق، ص51.

[2] يحيى أبو المعاطي، المرجع السابق، ص490.

[3] إبن غالب، المصدر السابق، م1، ج2، ص362.

[4] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص39.

[5] ابن الخطيب، اللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية، نش: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1377هـ، ص19.

بالنسبة للفائض من الاستهلاك الغذائي يباع في السوق المحلية أو للتصدير، ويتم تخزين ما فضل على ذلك في أماكن ملائمة ذات أرض مبلطة وجدران مجبسة، أو في خوابي قابلة للتخزين حتى تحافظ على لمعانه وحسنه[1].

واشتهرت المرية أيضا بكرومها والبساتين الوائعة منه حتى أنه كان للسكان عيد يعرف بعيد العصير أين يخرج الناس جماعات لجني محصول العنب الوافر والذي ساعده المناخ المعتدل والدافئ على النمو وتحقيق غلات وفيرة واشتهرت بجانة بساتين الكروم[2]، ومن اشهر العنب المعروف بالأندلس وكثرة غراسة كرومه عند المزارعين نوع يعرف بالأسود المدحرج والطويل والأحمر مختلط بصفرة[3]. ويتم استهلاك العنب كفاكهة مفيدة و جيدة أو القيام بتحويله إلى عصير أو استخراج خل العنب منه أو تجفيفه لإستعماله كزبيب[4]، ويستعمل العنب أيضا في الطهي وإعداد الحلويات والمربّى[5]، وكثيرا ما دأب الناس على تحويل العنب إلى خمر[6] مما أحدث مسائل فقهية واسعة في تحريمه وتدخل السلطة والفقهاء إلى التشديد في تحريمه، والوعيد لمتعاطيه ومن له علاقة بالخمر عصرا أو بيعا وغيرها.

ومن الصناعات التحويلية الأخرى في المرية، نجد صناعة تحويل نبات القنب و بالأخص أليافه لصناعة الحبال بأنواعها للاستخدامات اليومية لاسيما الحبال المستعملة في

[1]جعفر بن علي الدمشقي، المصدر السابق، ص50.

[2]الإدريسي، نزهة المشتاق، ص200.

[3]ابن العوام، كتاب الفلاحة، نش: بانكيري، مدريد، 1802، ص331.

[4]المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص68.

[5]كولان، الأندلس (دائرة المعرف الإسلامية)، ص100.

[6]ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص ص93،94.

السفن وعلى ظهر المراكب [1]، وتحويل نبات الكتان إلى ألياف لاستخدامها في الأنسجة وفي صناعة الأشرعة البحرية بالأحجام والأشكال المتعددة، وأي نسيج على متن المراكب[2].

كما كان في المرية بلا شك صناعات تحويلية أخرى وإن لم تكن بالكثافة الواسعة كصناعة الصابون نظرا لتوفر زيت الزيتون وهو المادة الأولية في صناعة الصابون، وصناعة العطور من النباتات والأزهار العطرية وصناعة مواد الزينة كالحناء والبابونج المشهور في الأندلس[3]، وتحويل الحلفاء التي تنمو في المرية إلى أدوات للبيت وغيره مثل القفاف والحبال الصغيرة، وصناعة التسفير والتجليد والوراقة[4]، وكثير من الصناعات التحويلية الأخرى كصناعة الأدوية وبيعها في قيسارية العطارين في صيدليات أو دكاكين وحوانيت[5]، بعد تحضير العقاقير ومزجها وتركيبها بمقادير مضبوطة سلفا، وتستخدم الأدوية والعقاقير زيادة على العلاج في التجميل والتسمين وغيرها[6].

ح- صناعة الزجاج والفخار والتحف:

امتلك سكان المرية الموهبة والبراعة في إنتاج مصنوعات زجاجية وفخارية وتحف غاية في الجمال والدقة شكلا ونوعا، فصنعوا زجاج النوافذ والأبواب للمرافق المختلفة، والثريات والقدور الفخارية والصحون وما إلى ذلك وبرعوا في إنتاج الخزف المزجج والمذهب[7]، الذي يذكره المقري بالفخار المزجج[8]، كما كان يصنع بالمرية أنواع من التحف الزجاجية للإهداء والزينة،

---

[1]اكسبيراسيون سانشيز، الزراعة في اسبانيا المسلمة، تر: أكرم ذا النون، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998، ص1377.

[2]لوسي بولنر، المرجع السابق، ص1400.

[3]ابن الخطيب، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، ص ص104،105.

[4]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص187.

[5]ابن عبد الملك المراكشي، االمصدر السابق، ط1، س5، ج1، ص177.

[6]عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص189.

[7]عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص167.

[8]المقري نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص202.

أو لوضعها في البيوت والقصور[1]، وصنعت أشكال من الحصى الملون[2]، أما أدوات الفخار فهي كثير خاصة المستعملة كأدوات للطبخ والأكل، وينوه العمري بفخار المرية في قوله: « وتختص- أندرش- بالفخار لجودة تربتها فليس في الدنيا مثل فخارها للطبخ »[3]، ويذكر المقري أن صناعة الزجاج في المرية لقيت رواجا واسعا، واهتماما في صناعتها حيث يصنع بها زجاج غريب لا يوصف[4]. وفي العصر الموحدي شيدت عدة مصانع للزجاج في كثير من مدن الأندلس، وكانت تقام تحت الأرض حتى لا تتأثر هذه الصناعة الحساسة بالريح والغبار[5]، وقد حرص خلفاء الموحدين على نقل هذه الصناعة إلى بلاد المغرب[6]، حيث كانت متقدمة في الأندلس ولها مكانة مهمة بين الصناعات في جل المدن الأندلسية كالمرية التي كانت من أمهات المدن ومراكز الأقاليم ومواضع الحكم وأولي الأمر[7]،

واستعملت مثلا طرق علمية لتلوين الزجاج واعطائه اللون المرغوب فيه، وذلك باستعمال أكاسيد مختلفة مع الزجاج المذاب، فاستعمال أكسيد النحاس يعطي اللون الأخضر الفيروزي وأكسيد الكوبلت يعطي اللون الأزرق الفاتح، وأكسيد المنغنيز يعطي اللونين الأرجواني والبنفسجي، ويعطي أكسيد القصدير مع الزجاج لونا أبيضا، وأكسيد الحديد ينتج اللون الأحمر، وحجر اللازورد يعطي اللون الأزرق، وخلط الأنيمون أو حجر الإثمد الخاص بالكحل مع الزجاج يعطي اللون الأصفر[8]. وهذا التفنن في استخدام الأكاسيد وخلطها يدل على تقدم علم الكيمياء بين الأندلسيين، ونبوغهم في استخلاص الألوان لإعطاء جمالية

---

[1]حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص305.

[2]حسن علي حسن، المرجع السابق، ص286.

[3]القلقشندي، المرجع السابق، المطبعة الاميرية، ج5، ص.221

[4]المقري، نفح الطيب، تح: حسان عباس، دار صادر، م1، ص163، ص202.

[5]نفسه، م2، ص101.

[6]محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، د ت، ص208.

[7]عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص30.

[8]مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص99.

متناهية في صياغة الزجاج والفخار، ولايفوتنا أن نشير إلى أن صناعة الزجاج كانت تستهوي المسلمين والمسيحيين الذين ملكوا البراعة والمهارة وكان لهم شأن فيها، كما أن القطع الفخارية على العموم لم تكن بها زخرفة حيوانية وهو الشائع بين المسلمين مشرقا ومغربا، واقتصارها على الزخرفة النباتية والكتابات [1].

ط- صناعة الأثاث و الأدوات الخشبية:

وجدت في المرية صناعة الأثاث والأدوات الخشبية مختلفة الأحجام والأشكال لاستعمالها في أماكن عدة كالبيت وفي الفلاحة، وصنعت الأبواب والنوافذ والخزانات والصناديق والطاولات والكراسي، وأدوات الزينة والتحف، حيث كان في كل مدينة أندلسية صناعة تتعلق بالأثاث والأدوات المنزلية[2]. وقد سبق ذكر أدوات المطبخ المصنوعة من الخشب كالملاعق والصحون والألواح والشوبك المستعمل في فرك العجين أو تسطيحه وتقليل سماكته، أما في الفلاحة تصنع المقابض للفؤوس والمناجل وأدوات العزق والمحارث، والخشب كثير في مدن الأندلس كطرطوشة وغيرها، وكان في قيشاطة بين جيان وبسطة جنوب الأندلس خشب جيد يستخدم في صناعة القصاع والأطباق وغير ذلك، ويعم ذلك جهات الأندلس[3].

ي- الصناعة الجلدية:

انتشرت أيضا في المرية صناعة الجلود أو المنتوجات الجلدية وكذلك دباغتها، فالمادة الأولية متوفرة وتتمثل في جلود البقر والغنم والماعز ويتم تربية الماشية في أرياف المرية الواسعة أين الكلأ والعشب، ففي بادئ الأمر يتم تنظيف الجلود من بقايا اللحوم والشحوم وغسلها بشكل جيد، ثم إزالة الصوف أو الشعر بطرق معلومة كغليها في الماء الساخن، وبعد ذلك يتم تجفيفها بشكل جيد، ثم الصباغة التي تتم عادة خارج المدينة أو في أطرافها وفي

[1] محمد طيب عقاب، الأواني الفخارية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص195.
[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص186.
[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص165.

الأرياف القريبة من الوديان حيث يستخدم الماء بكميات معتبرة ،ومن كان بالمدينة فمكانه بالسوق وتحت اشراف المحتسب دائما[1]. ويصنع من الجلود السروج والألجم خاصة وأن المرية دار جهاد وثغر يرابط فيه المسلمون، ومعظم مدن الأندلس تشتهر بصناعة السلاح والعدة[2]. ويصنع من الجلد أيضا الأحذية والصنادل والنعال[3]، وأقبل الناس على ارتداء النعال للقدمين في العصر المرابطي و الموحدي[4]، و استعملت البلغة والخفاف للرجال والنساء[5]، وهناك نوع اخر من النعال يدعى القرق[6]، وكان يتخذ من الجلد كذلك قربا للماء وأخرى لتخزين بعض الأطعمة، وكذلك الأجربة والحقائب لنقل الزاد والمتاع وأكياس النقود في شكل صرة.

ت- صناعة الحلي:

توفرت المرية على مواد متنوعة منها الذهب والفضة والنحاس والياقوت وحجز اللازورد والمرجان الكثير في ساحلها، وكان لهذه الوفرة انعكاس إيجابي على صناعة الحلي بها، وكان أهلها على دراية وعلم بطرق استخراج المعادن واستخلاص الشوائب منها وإعدادها للتصنيع والاستعمال، ومعروف عن الاندلسيين عموما ولعهم بالحلي وصناعتها، حيث بلغوا فيها درجة النبوغ[7]، وكذلك وزيادة على الحلي صنعت منها التحف الجميلة وبعض من الأحجار كانت تدخل في صناعة العقاقير والأدوية والأصباغ، ويعتبر الحكام والملوك من أحرص الناس على امتلاك الحلي والجواهر، وجمع الباهض والنادر منها، وتزيين دورهم

---

[1] ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة، تح: بروفنسال، ص63.

[2] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس صادر، م1، ص202.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص186.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص68.

[5] جمال أحمد طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى(عصري المرابطين والموحدين)، ص ص249،251.

[6] ابن القطان، المصدر السابق، ص268.

[7] علي الجارم بك، قصة المسلمين في إسبانيا، مطبعة المعارف، القاهرة، 1944، ص134.

وقصورهم بالتحف الغالية والدخول في منافسة فيمن يملك الكثير[1]. وعصر الطوائف الذي مرت به الأندلس يعطي لنا صورة جلية عن حياة الملوك والحكام الذين كان همهم جمع المال والذخائر و التنافس على الدنيا وملذاتها، ونستطيع أن ندرك حجم ما حوته خزينة المرية بعد وفاة زهير العامري عام 429هـ/1037م من أموال وذهب وجواهر وذخائر أخذها كلها عبد العزيز بن أبي عامر حاكم بلنسية إلى مقر مملكته بعد أن استدعاه أهل المرية لتولي شؤونها، ومع ذلك كان المعتصم بن صمادح الذي آل إليه حكم المرية عام 444هـ/1051م خلفا لأبيه من أغنى ملوك الطوائف أو من بين أغناهم وقد صرف أموالا ضخمة في بناء المرافق والقصور[2]، وما بقي من ذخائر وأموال أخذها ولي عهده معز الدولة بن المعتصم عندما فر من المرية إلى الجزائر في المغرب الأوسط عند الحماديين إثر حصار المرابطين للمرية عام 484هـ/1091م[3]، وقس على ذلك ازدهار المرية في عهد المرابطين وبلوغ اقتصادها درجة عالية من النمو والتطور، وكذا الحال في عصر الموحدين.

وكان يصنع من الذهب والفضة حليا كثيرة من العقود والخواتم والمعاصم والخلاخل وقد تزين بأحجار كريمة من الياقوت واللازورد وغيرها على شكل فصوص متقنة الصنعة، وبما أن المرجان ميسور في المرية فيصنع منه حليا جميلة، ويعتبر الياقوت من الجواهر عالية الجودة وكثيرة الاستعمال لمتانته وصلابته[4]، وكانت النساء تستعمل الحلي والجواهر وتتزين بها في حياتهن اليومية وفي المناسبات الهامة كالأعياد والاحتفالات لاسيما النساء الميسورات وذوات المكانة الاجتماعية، بينما اكتفت النساء من العامة والبسطاء ومحدودي الدخل بالبسيط والمقدور عليه كحلي الفضة. و اقتصر الرجال على الفضة لحرمة الذهب

---

[1] ابن الأكفائي، نخب الذخائر في أحوال الجواهر (معجم الأحجار النفيسة)، تح: إستاس الكرملي، مكتبة لبنان، بيروت، 1991، ص129.

[2] العذري، المصدر السابق، ص- ص 84، 86.

[3] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص192.

[4] إبن الأكفائي، المصدر السابق، ص7.

عليهم مع تباين بين الفئات الاجتماعية حيث كثيرا ما ارتدى أصحاب السلطة والنبلاء الذهب مرصع بالجواهر للتباهي والافتخار.

ك- صك العملة (ضرب النقود):

يعود صك العملة وضرب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية في الأندلس إلى العصر الأموي أثناء حكم عبد الرحمن الثاني بن الحكم الربضي الذي تولى السلطة عام 206هـ/821م، وأعطى للحكم أبهة وجلالا ومن أعماله تأسيس دار للسكة بقرطبة[1]. والعملة ضرورية في المعاملات التجارية من بيع وشراء، وقضاء الحاجات الأخرى كدفع أجرة نظير عمل ما، وضربها أو سكها يدخل في مجمل الصناعات التي تعتمد على المواد الأولية، وفي هذه الحالة يعتبر الذهب والفضة أساس صك العملة، وتتم العملية في دور السكة وهي أماكن بمواصفات خاصة، وموظفين متخصصين تتوفر فيهم شروط معينة ومحددة، وهذا العمل يتعلق بحفظ النقود المتعامل بها من كل غش وتدليس، حيث يوضع عليها شعار الدولة وعلامة السلطان ليكون دليلا على جدوتها[2] .

ومما لا شك فيه أن المرية كان بها دار لضرب السكة على الأقل في عصر الطوائف حيث كانت كل مملكة بالأندلس قائمة بذاتها ومستقلة عن الممالك الأخرى، ولها كيانها وحدودها وتعاملاتها التجارية، والسكة في حالة وجودها يضفي المزيد من الاستقلالية والقوة على الدولة، وحتى التنافس الشديد الذي كان بين ملوك الطوائف يحتم عليهم إنشاء دار لضرب النقود، والمرية في ذلك الوقت كانت مزدهرة بالصناعة ورائجة بالتجارة، ويقصدها التجار من كل الأصقاع فكان من الضروري وجود دار للسكة، ويورد ابن بسام الشنتريني نصا عن كيفية مقتل زهير العامري حاكم المرية في حربه مع باديس بن حبوس صاحب غرناطة عام

---

[1] إبن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان ، بروفنسال، ط2، ج2، ص91.

[2] إبن خلدون، المقدمة، تح: محمد عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، ج1، 2004، ص408.

429هـ/1037م نقلا عن متقبل السكة في المرية يدعى أحمد القيسي[1]، مما يؤكد وجود دار للسكة بالمرية.

ومع مجيء المرابطين إلى الأندلس أنشأوا بها عددا من دور السكة خاصة في المدن الرئيسية[2]، وأصلحوا العملة وظهر الدينار المرابطي الذي كان ذو جودة وقوة نقدية، يتم التعامل به داخل حدود الدولة المرابطية وخارجها كالبلاد الأوروبية[3] لا سيما القريبة ووصلت حتى القسطنطينية عاصمة الروم، ومما أكسب العملة المرابطية قيمة مرتفعة وأهمية في الاقتصاد رواج التجارة وازدهارها في الأندلس والمغرب الإسلامي وبلاد السودان[4]، وصارت عملة دولية في تلك المرحلة من العصر الوسيط نظير اتساع نطاق التعاملات التجارية مع العالم الإسلامي والمسيحي على السواء. وكان الدينار المرابطي عماد الاقتصاد لدى المرابطين وعملتهم الرئيسية، وكما ظهرت عملة فضية تعرف بالدرهم الفضي، وعملة أخرى تسمى نصف الدرهم، ولأهمية المرية الاقتصادية والتجارية في الأندلس المرابطية، أسس بها المرابطون دار لصك العملة وضرب النقود[5]، وجرت العادة على اختيار شخص مناسب لإدارة دار السكة معروف بالنزاهة والأمانة، والدراية بالنقود وأصناف المعادن وطرق الصك، ووضع النقوش والكتابات الموجودة على الجانبين من العملة بالإضافة إلى عمال ذوي خبرة ومهارة وتجربة لخطورة العمل ودقته[6].

وسار الموحدون على خطى المرابطين باعتبار المرية من أهم المدن الأندلسية، فقد كانت من الحواضر ومراكز الأقاليم وذات أهمية اقتصادية وتجارية في الأندلس والبحر الابيض

---

[1] إبن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص ص661،662.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص22.

[3] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص226.

[4] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص227.

[5] حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص320.

[6] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص237.

المتوسط، وبها دار السكة منذ أمد بعيد، لذلك من المرجح انها بقيت تؤدي وظيفتها اذ لم يقتصر الموحدون على دار سكة بالعاصمة فقط، فقد كان لهم دور في كثير من البلاد التابعة لدولتهم، وكان لهم أيضا نقود ذهبية وفضية كالدينار المركن والمؤمني واليوسفي واليعقوبي[1].

ونشير أنه في العصر الوسيط كثيرا ما اقترنت الصنائع بالحرف في مواقع كثيرة[2]، كما ارتبطت بالفئة الوسطى وكذا الضعيفة، وإن عاشت عناصر الفئة الوسطى وضعا مريحا أحيانا[3]، ومن هنا يتبنى لنا دور هاتين الفئتين في اقتصاد المرية والأندلس عموما، وكذا حجم مكاسبهم المالية التي تتعلق بمهاراتهم واتقانهم للصنعة ورواج بضائعهم إضافة إلى تأثرهم بالأوضاع السائدة كالأمن والحروب والظروف العامة، وينتظم عادة أهل كل صنعة أو حرفة في سوق أو قيسارية خاصة بهم، يتولى شؤونهم مقدم ذو ثقة للتواصل مع المحتسب حول أمور الصناع وما تعلق بالصنعة[4]، وهو بمفهوم آخر نقيب الصناع والحرفيين إذ أن التصنيف الإسلامي للصنائع والحرف من اختصاص السلطة بمعنى هو تنظيم حكومي محض[5]، وتعتبر الأصناف الإسلامية من حسن تصنيف الصنائع والحرف في أماكن معينة مثل النقابات اللاتينية في القرون الوسطى[6].

وبعد هذا العرض نستنتج أن المرية كانت مزدهرة بصناعات كثيرة منها صناعات رئيسية وشائعة كالنسيج والرخام والصناعة البحرية و الصناعات التحويلية وغيرها إضافة إلى

---

[1] عز الدين عمرو موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي (نظمهم وتنظيماتهم)، ص296.

[2] دوزي، تكملة المعاجم العربية، نق: محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، ج3، 1981، ص134.

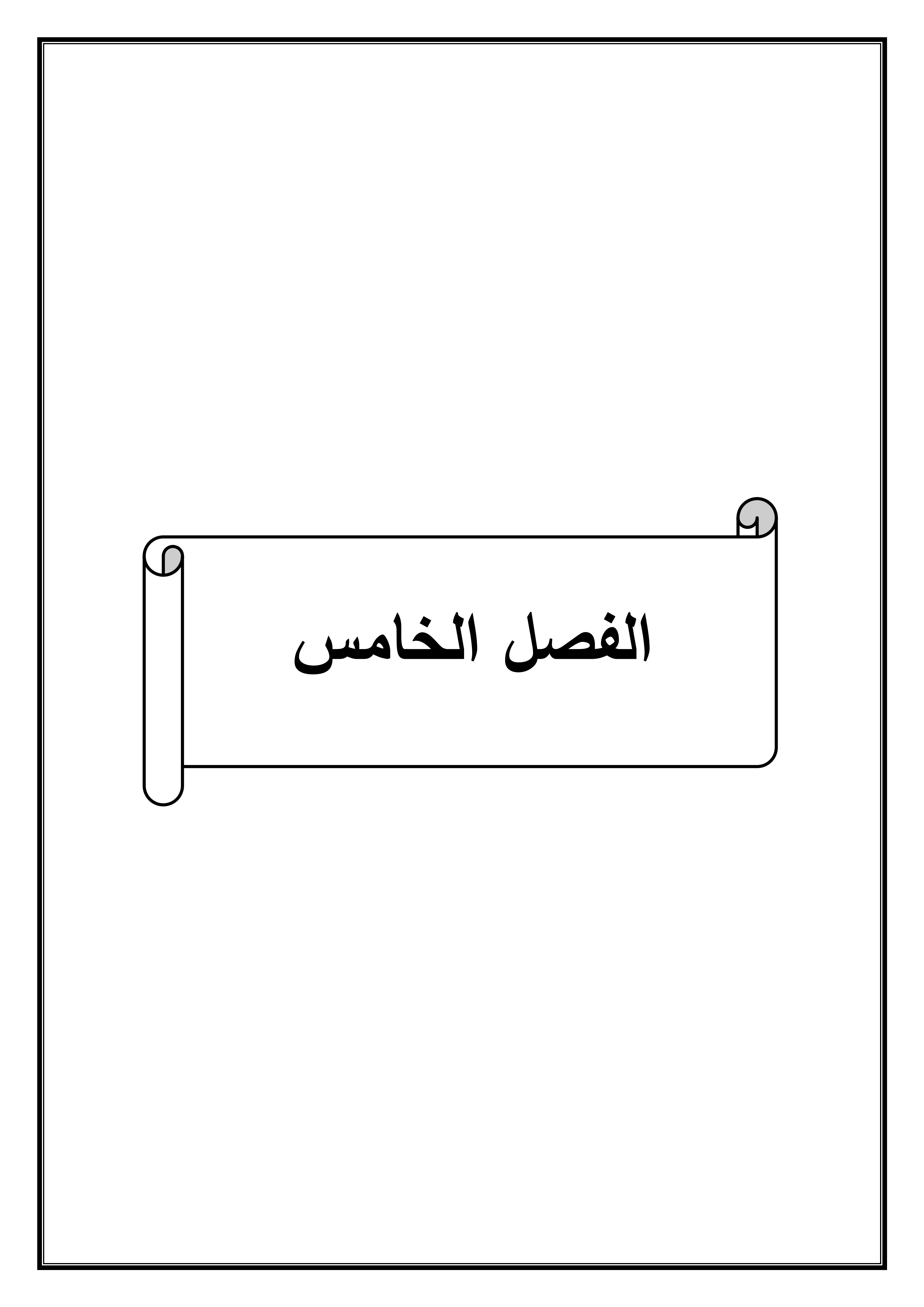
[3] إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص175.

[4] السقطي، في أداب الحسبة، مطبعة أرنست لورو، ص9.

[5] Claude Cahem, corporations professionnels dans le monde Musulmane classique quelques notes et réflictions, Damas, SME, 1997, P44.

[6] Louis Massignon, Les corps de métiers et la cité islamique, revue internationale de sociologie, N°28, Paris, 1925, P48.

صناعات متوسطة الانتشار دون أن نغفل وجود صناعات بسيطة، وشكلت الصناعة ركيزة أساسية ومهمة في اقتصاد المرية، وعادت بالفائدة الكبيرة على ممارسيها والدولة، وظهر هذا الأثر في ثراء أهلها وسكانها ونمو عمرانها ومرافقها، ورواج منتجاتها الصناعية داخل الأندلس وخارجها.



الفصل الخامس

الفصل الخامس:

الزراعة والتجارة في المريـة

1- الزراعة في المرية.

ا-المناطق الزراعية في المرية

ب- اهتمام السلطة بالنشاط الزراعي.

ج-الازمات التي تهدد القطاع الزراعي.

د-الانتاج الزراعي.

د.1- الفواكه و الأشجار المثمرة. (الفواكه، الاشجار المثمرة، الزيتون، قصب السكر)

د .2- الخضر.

د.3- الغلات الصناعية. (اشجار التوت، القطن، الكتان والقنب، زراعة الاعشاب)

د.4- الحبوب والبقوليات.

هـ-النشاطات الزراعية المكملة.(صيد الأسماك، تربية المواشي، تربية النحل، تربية الطيور).

و-التربة وادوات الزراعة.

ز-طرق السقي.

2- التجارة في المرية.

أ- عوامل ازدهار التجارة.

ب-اهمية المرية التجارية.

ج-خطوط التجارة و التجار.

د-المبادلات التجارية في المرية.

د.1- الصادرات.

د.2- الواردات.

هـ-التجارة الداخلية.

و-النظم التجارية و العملة.

1-الزراعة في المرية:

تعتبر الزراعة دعامة أساسية للاقتصاد وتشكل مع الصناعة والتجارة عناصر النهضة الاقتصادية لأي دولة او مدينة، وازدهارها يمون السوق المحلية بما يحتاجه السكان من مواد ضرورية، ويزود بعض قطاعات الصناعة بالمواد الأولية، كما يسمح بتصدير ما فاض عن الاستهلاك والاتجار به، وتحقيق الأرباح للمزارعين وللدولة عن طريق التحصيل الجبائي.

والزراعة عند العرب تعني الفلاحة المشتقة من الفلح وهو البقاء في الخير، وفلاح الدهر بقاؤه، وأما اصطلاحا فهي علم كيفية تدبير النباتات والحيوانات المتعلقة بالفلاحة ووجوده ضروري لبقاء الانسان، الذي اهتم بالزرعة منذ الأزمنة الغابرة عبر تاريخ البشرية وفي كل الحضارات الانسانية وأهمية الزراعة لا يختلف فيها اثنان، حيث توفر الغذاء والقوت للإنسان وحتى الحيواناته، وتزدهر عند توفر عوامل كثيرة كخصوبة التربة ووفرة المياه ومداومة الاعتناء بالمحاصيل، ولطالما نجحت الزراعة في الاراضي الخصبة على ضفاف الأنهار والوديان والبحيرات ومنابع الماء، وبتطور نظم الري وطرق السقي كإنشاء السدود والخزانات المائية وتطوير وسائل نقل الماء توسعت الزراعة إلى الأراضي البعيدة وتم استصلاح الأراضي الكثيرة[1]، والمدرسة الشامية المصرية، والمدرسة اليمنية، والمدرسة الأندلسية التي شقت طريقها منذ العهد الأموي، وظهر ازدهارها في عصر الطوائف وعصر المرابطين وبرز علماء كبار اهتموا بعلم الفلاحة مثل ابن واقد الطليلي ت467هـ-1074م، وابن بصال ق 6 هـ/12م وابن أبي الجود ق5هـ/11م، وابن حجاج الاشبيلي ق 6هـ/12م وأبو الخير الاشبيلي ق 6هـ/12م والطغنري أواخر ق 5هـ/11م، وابن العوام ق 6هـ/12م وغيرهم. واعتمد علماء هذه المدرسة على العلم النظري والعلم التطبيقي العملي بالأساس، ووجدوا ظروفا ملائمة لتطبيق علومهم ونظرياتهم في الزراعة وتطويرها كالتربة الخصبة

---

[1] ابن العوام الاشبيلي، الفلاحة الاندلسية، تح: أنور أبو سويلم، سمير الدروني، علي أرشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 2012، ص 8.

والمناخ الملائم والتساقط المعتبر والمياه، وحتى العامل السياسي كان له دور في تطوير هذا العلم إذ كان ملوك الطوائف يتنافسون في كل شيء خاصة تقريب العلماء من كل صنف وتشجيعهم بالدعم والعطايا، ووفروا لهم الجنان والبساتين والحدائق، وأماكن العمل لا جراء التجارب المختلفة وانتاج محاصيل ذات جودة ومردودية عاليتين، وارسالهم في رحلات إلى اماكن بعيدة لإحضار النباتات والبذور[1].

وصار أهل الاندلس مهرة في الفلاحة وذوي خبرة وكانوا ذو ذوق رفيع في الزراعة[2]، واساليب الغراسة وخدمة الأرض ورثي الأراضي والبساتين، ونقل المياه واستصلاح الأرض، والاعتناء بالنبات والحيوان وانتقاء البذور والغروس وترتيب الحدائق والجنان واختيار الورود والأزهار، وقد وصفهم الكثير من المؤرخين بالحذق والاتقان والتفنن في المجال الزراعي وكثرة الخيرات الزراعية في بلادهم، فيذكر ابن حوقل من أهل القرن 4هـ/ 10م ان الاندلس يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والانهار العذبة[3]، وكذلك الادريسي عندما يصف مدن الاندلس يذكر خيراتها وبساتينا وكرومها وزروعها[4]، ويصف أبو محمد الرشاطي ت 542هـ الاندلس بأنها بقعة كريمة التربة كثيرة المياه غزيرة الانهار[5]، أما ياقوت الحموي ق 7هـ/ 13 فيذكر أن الأندلسين والمغاربة يمكن لهم ان يروا زروع وبيار بعضهم البعض[6] لضيق المجاز بينهما، ودائما مع ابن حوقل وإن كان زار الاندلس في العصر الاموي يذكر أن مدنها مشهورة بالغلات والكروم، " وليس بها مدينة غير مغمورة ذات رستاق فسيح إلى كورة فيها ضياع عداد، وأكرة وسيعة وماشية وسائمة ... وزروعهم فإمّا بخوس حسنة الريع كثيرة الدخل

---

[1] نفسه، ص- ص 9. 13.

[2] ابن رضوان المالقي، المصدر السابق، ط1، ص6.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 104.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص . ص 172. 212.

[5] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص 19

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 262,

أو أسقاء على غاية الكمال وحسن الحال" [1]، ويضيف المقدسي أن الاندلس جنات[2]، وأحسن ما جاء في وصف براعة أهل الاندلس في الزراعة ما ذكره ابن غالب عنهم في قوله: " ... يونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغرسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر، ولإقامة البساتين بصنوف الخضر وأنواع الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الأندلسية[3]، وهذا الكلام يشمل جميع اهل الاندلس بلا استثناء حيث حب الزراعة وضروبها متأصّل فيهم، كما أن مسلمي الاندلس كانوا أبرع وأمهر من النصارى الاسبان في هذا المجال، وسبقوهم بأشواط بعيدة لا سيما في نظام الري والسقي الذي لم يصل الاسبان إلى مثله[4]، ولا غروّ أن نقول النصارى قد اقتبسوا مهارات وتقنيات الزراعة التي كانت عند المسلمين، واستخدموها في اراضيهم.

أ . المناطق الزراعية في المرية:

لقد عرفت المرية نشاطا زراعيا واسعا في كل عصورها، واقبال سكانها على الزراعة والغرس، وبالرغم من أن مناخ المرية يميل إلى الجفاف وقلّة الامطار إلى حد ما، وتربتها جرداء صخرية[5]، أو كما يقول الادريسي:" لا تراب بها كأنما غربلت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر"[6]، إلا أن الأعمال التابعة لها كانت غنية بالبساتين والمحاصيل والجنات كبجانة وبرجة التي بها حروث ومزارع، وحصن دوجر به جميع الفواكه التي تباع للمسافرين[7]، وحصن شنشن، وحصن دوجر على وادى المرية و برجة التي تحدق بها الجنات

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص111.

[2] المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1906، ص 35.

[3] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص ص 281، 282.

[4] علي الجارم بك، المرجع السابق، ص 122.

[5] المقري نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص 136.

[6] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 198.

[7] نفسه، ص- ص 197، 201.

وواديها يعرف بوادي عذراء، وأندرش لها نهر جاري وتعتبر قطعة من الجنان[1]، وكلام ابن سعيد المغربي تأكيد لما ذكره الادريسي الذي يسبقه وقد أعطى وصفا لخيرات المرية، بالإضافة إلى حمة بجانة أين توجد قرية كثيرة الزيتون والأشجار و ضروب الثمار[2]، ودلاية المشهور بقطعان ماشيتها[3] وشلوبين[4] التي تقع في المرية من جهة الغرب وطبرنش شرقيها[5]، وكانت خيرات هذه المناطق تصل إلى المرية في كل موسم من مواسم الجني لتباع في أسواقها أو تصرف في أوجه أخرى كالتحويل والتصنيع، وكان للمرية حصون وقرى بمحاذاة إقليم البيرة – والذي كانت تتبع له في يوم من الأيام– الذي يعتبر غنيا بالخيرات وأنواع الغروس، واتصال المحاصيل بعد المحاصيل واستدامة البساتين طول الوقت بحيث لا تنقطع النشاطات الزراعية، أو كما يقول ابن غالب أنه من محاسن كورة البيرة لا تعدم فيها زريعة بعد زريعة، ورفعا بعد رفع طول العام[6]، وهذا دليل على استمرارية النشاط الزراعي بدون انقطاع إلا في ظروف معينة كالجفاف أو الحروب.

ب– اهتمام السلطة بالنشاط الزراعي في المرية:

رغم تميز عصر الطوائف بالضعف السياسي والصراع بين الملوك الذين لم يكونوا في مستوى التحديات التي تواجه المسلمين في ظل تكالب النصارى عليهم، إلا أنهم شجعوا الناس على النشاط الزراعي ودعموا العلماء المهتمين بشؤون الفلاحة ووفروا لهم جو العمل والابداع، فوجدت قاعدة زراعية وأقبل الناس على ممارسة الزراعة والبحث عن أسبابها، وكان القرن 5هـ/ 11م بحق عصر نهضة للزراعة الاندلسية ومدرستها[7]، وقد أبدى بنو صمادح

---

[1] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص–ص 225، 235.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 39.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة ، م1، ص98. المقري، نفح الطيب: تح احسان عباس، دار صادر، م1، ص ص 140، 141.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص360.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ص 132، 133.

[6] ابن غالب، المصدر السابق م1، ج1، ص 284.

[7] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج1، ص256.

اهتماما بالغا بالمرية وجعلها حاضرة متميزة في كل مجال من مجالات الحياة، فكان معن بن صمادح الذي تولى حكمها عام 433هـ/ 1041م محمودا في جميع ولايته والناس معه في دعة وسكون، وانتهت المرية إلى درجة من الازدهار وبلغ الريع منتهاه[1]، وقد شمل هذا التطور كل الأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة في ظل هذه السلطة التي وفرت الامن والطمأنينة للناس الذين أقبلوا على العمل والكسب، ويذكر العذري دائما وهو شاهد عيان وابن المرية أن معن بن صمادح حمل الناس على العدل والانصاف وسد باب البغي والظلم ونشر العدل بين الجميع بدءا بنفسه وعائلته إلى أصغر رعية في مملكته، وهناك نقطة مهمة أشار إليها العذري تتعلق بتولي معن بن صمادح حكم المرية حيث يذكر أن عبد العزيز بن ابي عامر الذي كان يحكم بلنسية وآل إليه امر المرية بعد مقتل زهير العامري 429هـ/ 1037م، اناب عنه معن بن صمادح واليا عليها ومعه أخوه أبو عتبة بن صمادح، وفي عام 433هـ/1041م أرسل عبد العزيز بن أبي عامر إلى أهل المرية في اختيار حاكم عليها، فاجتمع أمرهم على معن بن صمادح وتوليته عليهم وكتبوا عقودا على أنفسهم وأدخلوا في أمرهم هذا حتى باديس بن حبوس صاحب البيرة وغرناطة وفي ظل معن بن صمادح ازدهرت المرية بفضل سياسته العادلة والحكيمة[2].

وهذه المعلومات المهمة تعارض وتفنّد كثير من المعلومات الأخرى التي أوردها مؤرخون وأشاروا أن معن بن صمادح اغتصب الحكم وأخذه بالحيلة والمكر من عبد العزيز بن أبي عامر كما ذكر ابن بسام الشنتريني أنه خانه وطرده عن الامارة[3]، وهذا الاستطراد وإن خرجنا به عن سياق الحديث فإنه يعطى لنا صورة بينة عن دور معن بن صمادح في تطوير المرية والارتقاء بها.

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص84.

[2] نفسه.

[3] ابن بسّام، المصدر السابق، ق1، م2، ص731. ابن عذاري، المصدر السابق، تح: كولان، بروفسال، ط3، ج3، ص 167، ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص 190.

وواصل محمد المعتصم بن معن بن صمادح الذي خلف أباه على حكم المرية عام 444هـ/ 1051م سياسة تطوير المرية والنهوض بها إلى مصاف المدن الكبرى، وأنجز مشاريع كبرى عديدة بها، كالبستان الذي أنشأه في القصبة يحتوي على جميع الثمار وغريبها و أوصل إليه الماء عبر البئر الذي في جوفيها، وبستان أخر خارج المرية فيه كذلك جميع الثمار الغريبة يعرف بالصمادحية، وكان يتصل به بساتين كثيرة تقربه في الاتساع وغريب الثمار، وتميزت بجانة القاعدة الخلفية للمرية بخيراتها الفلاحية في ذلك الوقت وثمارها الكثيرة[1]، كما كان بنو صمادح يعطون الأرض بالإقطاع وهذا ما نفهمه من كلام عبد الله بن بلقين بن باديس الزيري اخر حكام غرناطة الذي يذكر امتناع الرعية عن دفع مغارم الاقطاع لملوك الأندلس عند حصار حصن لييط عام 481هـ/ 1089م[2] .

واستمر الناس في مزاولة الأنشطة الزراعية تحت حكم المرابطين الذين أعادوا العزيمة والأمل لأهل الأندلس بعد وقت عصيب ميز مرحلة الطوائف، حيث أوقفوا الزحف النصراني الذي أراد التهام الأندلس، وكرسوا الوحدة الأندلسية من جديد تحت سلطة قوية، وبسطوا الأمن والسكينة وانتهت سنوات الحروب والفتن، فتشجّع الناس لاستثمار الأراضي والاعتناء بالزراعة[3]، مع توفّر المياه والخبرة المتراكمة وجودة التربة والمناخ المساعد، وتقدّم علم الفلاحة الذي كان استمرارا للمرحلة السابقة ومساهمته في استنباط أنواع جديدة وطرق مكافحة الآفات التي تصيب النباتات[4]، وظلت المناطق التابعة لألمرية توفر الخيرات والغلات المتنوعة وتغطى حاجيات السكان وزيادة كطبرنش وحصن شنش ودلاية وبرجة وشلوبين ووادي بجانة الغني[5]، ولعل أشهر هذه المناطق بجانة وبرجة اللتان فيهما البساتين والجنّات والزروع

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص ص85، 86.

[2] عبد الله الزيري، المصدر السابق، 109.

[3] حسن على حسن، المرجع السابق، ص 236.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 164، 165.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ص 132، 133.

والمحارث[1]، وازدهار الزراعة في المرية أيام المرابطين كان بالتوازي مع ازدهار الصناعة والتجارة، وقد سبق ذكر القيمة التي وصلت اليها المرية حتى سميت بمدينة الاسلام[2].

وعند دخول الموحدين إلى الأندلس بعد اضمحلال دولة المرابطين وزوالها نهائيا عام 542هـ/1147م حرصوا على استرجاع المرية التي احتلها النصارى وبعد عشر سنوات تمكنوا من انقاذها وارجاعها إلى حظيرة الدولة الاسلامية عام 552هـ/ 1156م تحت قيادة عثمان بن عبد المؤمن بن علي[3]، وقاموا بإصلاحات للمرافق التي هدمها وخربها النصارى ما أمكنهم الحال وشجعوا الناس على العودة إلى بيوتهم وكسياسة عامة للموحدين فإنهم قاموا بتشجيع الناس على خدمة الأرض واستصلاحها، وتدعيم المزارعين خاصة في أوقات الأزمات، واستمرت الزراعة في المرية على أحسن حال فيذكر ابن سعيد المغربي المتوفي 685هـ نقلا عن والده في كثير من المرات خيرات أعمال المرية كبرجة التي تحدق بها الجنان وواديها الذي تحفه أشجار الفواكه الجليلة، وأندرش التي كانت قطعة من جنات النعيم[4].

وزيادة على هذا فإن المرابطين والموحدين اعتمدوا على نظام الاقطاع في منح الأراضي التابعة للدولة للمزارعين حيث يسمح بخدمتها وتحمل التكاليف مقابل عائد مالي تحصل عليه الدولة، الأمر الذي أحيا أراضي كثيرة قام الناس باستصلاحها والاستثمار فيها مستفيدين من تقدم علوم الفلاحة التي قدّمت أفاق جديدة للمزارعين في نظم الري والوقاية وانتقاء الجيد من البذور والتربة وما يصلح لها من حرث وتسميد وكمية المياه، وهذا الازدهار كان امتدادا للحركية والتنافسية التي كانت في عصر الطوائف، وحتى السياسة الضرائبية التي انتهجتها السلطة ساهمت في اقبال الناس على العمل في الزراعة مع تسجيل تفاوت من

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 197، 198.

[2] نفسه، ص 197.

[3] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص 284.

[4] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص- ص 228، 235.

مرحلة إلى أخرى في قيمتها ويبقى أهم شيء يبحث عنه المزارعون والناس بصفة عامة الأمن والهدوء، ومآثر بنو صمادح في تحقيق العدل والسكينة بينة جلية[1]، أما دور المرابطين والموحدين في استتاب الأمن ومحاربة النصارى في الأندلس فلا غبار عليه، وكانت لهم المعارك والبطولات الخالدة، والسياسة الرشيدة، فيوسف بن تاشفين على سبيل المثال كان مواظبا على الجهاد وضابطا لملكه، وحافظا لبلاده وثغوره، وكانت الجباية في عهده تجنى على وجهها، ولم يوجد مكس ولا معونة ولا خراج إلا ما جاءت به الشريعة الاسلامية كالزكاة والأعشار والجزية وخمس الغنائم[2]، ويضيف ابن أبي زرع أن في عهد المرابطين: " لم يجر في عملهم طول أيامهم مكس ولا معونة... وكانت أيامهم دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية و أمن... و كثرت الخيرات في دولتهم، وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطّاع..."[3]، ونفس الأمر ينطبق على الموحدين ففي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن 558هـ- 580هـ/ 1162م-1183 م اتسعت الدولة وعاش الناس في خير ودعة وانتشر الأمن، مع اتساع الخصب وكثرة الأرزاق والمعايش[4]، وعندما حان أجل يعقوب المنصور580هـ- 595هـ/ 1183م-1198م أوصى جميع بنيه ومن حضر من الموحدين بالأيتام واليتيمة ويعني بذلك الاندلس والأندلسيين كما اوصى بحماية الثغور وتشييد الأسوار وترتيب الجنود ورعاية الأندلس[5].

وإن كانت هذه السياسة التي اتبعها المرابطين والموحدين عامة تمس كل القطاعات الاقتصادية مع توفير الامن والاعتدال في الضرائب، فإن الزراعة نالها نصيب منها لاسيما

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص 84. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص 82.
[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 136، 137.
[3] نفسه، ص 167.
[4] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص 330.
[5] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص 160.

الأمن الذي يعتبر عاملا أساسيا في ازدهار النشاط الزراعي، فبدونة يهجر الناس أراضيهم، ولا يأمنوا على بساتينهم ومحاصيلهم التي تتعرض للنهب والتخريب.

ج- الأزمات التي تهدد القطاع الزراعي:

يتعرض النشاط الزراعي في أحيان كثيرة إلى التراجع والتدهور بتغير الظروف العامة ولعل أهمها الحروب والعوامل المناخية، فإما بالنسبة للحروب فضررها عظيم حيث تتعرض الأراضي والمحاصيل إلى النهب والتخريب وحتى الأقوات تتعرض للنقص والغلاء عند اشتداد المعارك وطول المواجهات والحصار فيروي ابن بسام أن المعتصم رغم ركونة إلى المسالمة والبعد عن الدماء إلا أنه دخل في مواجهات مع ملوك الطوائف الذين كانوا يجاو رونة خاصية، وحديث بنية وبينهم فنون مبيرة غلبوة عليها ولم يفلح في تحقيق انتصارات عليهم[1]، كالنزاع بين المرية وغرناطة حول الحدود جهة فنيانة وحصن المنتور لها من أهمية للمرية، وقد دخلت تلك المنطقتين في ملك غرناطة وكان يخرج منهما الجنود للإغارة والإضرار بجهات المرية[2]، كما يذكر صاحب الحلل الموشية أن النصارى الذين كانوا بحصن لييط الذي يقع بين مرسية ولورقة كانوا يغيرون على أراضي المسلمين ومنها أراضي المرية ولهذا السبب اعتذر المعتصم بن صمادح من المشاركة في معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م [3]، ناهيك عن أفعال النصارى بعد احتلال المرية عام 542هـ/ 1147م وبقاؤهم عشرة سنوات فيها حيث كانوا يغيرون على المناطق المجاورة لها، أما معارك المرابطين والموحدين ضد النصارى فهي كثيرة، ولا يخف على كل ذي عقل مشاركة الاندلسيين من كل الجهات فيها، فمنهم من تموت ومنهم من يترك أرضه إلى غير ذلك فيتأثر النشاط الزراعي جراء ذلك.

---

[1] ابن بسّام، المصدر السابق، ق1، م2، ص 733.

[2] عبد الله الزيري، المصدر السابق، ص ص 88، 89.

[3] مجهول، الحلل الموشية، تج: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص 52.

ومن الازمات التي تهدد الفلاحة الجفاف الذي يضرب من حين لآخر الاندلس، وأقصى تلك الأزمات المجاعة التي حقت بها بين سنوات 430 ﻫ و 450 ﻫ/ 1038م ، و 1075م، حيث أجدبت الأرض وعمّ القحط واضطر الناس في بعض جهات الأندلس إلى أكل الميتة من الدواب والكلاب[1]، وفي عام 498ﻫ/ 1104م ضرب القحط الأندلس حتى أيقن الناس بالهلاك[2]، وحتى بعض الوديان تجف في الصيف لقلة الأمطار كوادي المرية المعروف بوادي بجانة، إذا يقل منسوب المياه أحيانا فيقوم المزارعين بتقسيط المياه على البساتين[3]، وتحدث أحيانا فيضانات تؤدي لامتلاك الأنهار والوديان عن حدها الطبيعي فتعم الأراضي لا سيما على جوانبها منا يؤدي إلى تلف المحاصيل وتخريب البساتين ليتكبد المزارعون وأصحاب الاراضي خسائر مالية، وتنقل المنتوجات الفلاحية في السوق فيحدث الغلاء وترتفع الأسعار، وهناك خطر يهدد المحاصيل الزراعية يتعلق بالجراد الذي يلتهم المحاصيل في لمح البصر ويترك الارض جرداء، وقد أورد ابن القطان تواريخ عديدة لزحف الجراد على الأراضي والمزروعات كما حدث عام 527ﻫ/ 1133م فأكل كل شيء من زرع، وفي سنة 528ﻫ/1134م حيث أكل الجراد ما كان على الارض من زرع وكلأ، أما في سنة 529ﻫ/ 1134م اتلف الجراد المحاصيل وتم اصدار الامر للناس بالخروج إليه لإيقاف هذا الزحف، وحمل ما امكن حمله من الجراد، وفي علم 530ﻫ/ 1135ﻫ أتلف الجراد الزروع والغروس، ويذكر ابن القطان دائما عبارات توضيح الأثار السلبية للجراد على النشاط الزراعي مثل: " وأكلت الجراد ما كان على الأرض من زرع وكلأ" و" محت الجراد ما على الأرض من زرع وكلأ وأمر الناس بالخروج إليها" و " خروج الجراد وأضرارها بالزرع كثيرا" [4]، وكان الضرر الذي ألحقه الجراد بالمزارعين والزراعة كثيرا جدا، فإضافة إلى الخسائر المادية

[1] شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص 81.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، تح: إحسان عباس، ط3، ج4، ص 45.
[3] القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 217.
[4] ابن القطان، المصدر السابق، ص–ص 230، 250.

ونقص المنتوج الفلاحي زيدت الضرائب على الفلاحين وارتفعت قيمتها خاصة مع الأزمات السياسية في ذلك الوقت[1]، وتعتبر الأوبئة من العوامل التي تؤثر سلبا على الحياة الاقتصادية عامة ومنها النشاط الزراعي كالوباء العظيم الذي ضرب المغرب والأندلس في سنة 610هـ/ 1212م[2]، فأهلك أمما لا تحصى ومن المتعارف علية في تلك العصور أن الوباء يقصد به دوما الطاعون الذي تنتشر عدواه بين الناس فيتساقطون صرعى، وربما نتيجة لهذا الوباء واضطراب الاندلس على الموحدين ودخولها في نفق مظلم من جديد وتكالب النصارى على بلاد المسلمين حيث الغلاء في الأندلس حتى بلغ قفيز[3]، القمح خمسة عشر دينارا[4]، ويحدث عن مختلف الأزمات نقصا في الأقوات ومجاعة، وينجز عن ذلك أمراض وأوبئة تصيب خاصة أهل الفاقة والحاجة[5]، ولا سيما في المدن بينما تعبو الفئة الميسورة أكثر حظا لما توفر لها من أموال ومدخرات تسعفها سنين الشدة والضيق[6]، وبصفة عامة فإن الزراعة وازدهارها مرتبطان بجملة عوامل سياسية وطبيعية.

د- الانتاج الزراعي:

تعتبر المرية أرض زراعة وانتاج، والأندلس عموما ذات زروع وغروس بها الخيرات الكثيرة من كل نوع وجنس والنبات ينمو فيها بشكل جيد ويعطى الانتاج الوافر، ومع اهتمام المزارعين بالأرض وخدمتها تعددت المحاصيل في المرية وتنوعت المزروعات من فواكه وخضر، وحبوب وبقول والغلات الصناعية، وساعد المناخ والأمطار في ازدهار الزراعة وتنوع المحاصيل مع وجود تربة خصبة خاصة على ضفاف الأنهار والوديان.

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 168.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 272.

[3] القفيز: من المكاييل عند المالكية يساوي 48 صاعا، والصاع أربعة أمداد، والمد يساوي رطل أي 510 غ عراقي فيكون القفيز 98كغ/ على جمعة محمد، المرجع السابق، ص-ص 36، 39.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 274.

[5] ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نش: أنطونية بولس، باريس، 1937، ص 144.

[6] شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص81.

ويذكر أن عبد الرحمن الداخل أول الحكام الأمويين بالأندلس 138هـ- 172هـ/ 756م-788م له فضل في ادخال أجناس من النباتات إلى الاندلس، حيث أوفد مبعوثين ورسلا إلى أماكن خارج البلاد ليبحثوا له عن اندر أنواع الشجر والنباتات واستجلابها ومن ثم انتقلت إلى كل جهات الأندلس[1]، كالنخيل الذي تكاثرت منه كل نخلة بالأندلس[2]، والرمان الذي بعثت به أخته إليه مع هدايا أخرى، وقام رجل من رية يدعى سفر بغرس قضب من ذلك الرمان، ومن ثم توالد وكثر بالأندلس وصار يسمى الرمان السفري[3]، ومع العناية والتقدم العلمي في علوم الفلاحة تنوعت المحاصيل والمنتجات عبر مواسم السنة، حتى أن ابن الخطيب يصف خيرات الأندلس أجمل وصف في قوله: " ليعلم أن وطن الاندلس حظ من المعمور كبير... وقد خصها الله من الري وغدق السقيا، ولذات الأقوات وفراهة الحيوان ودرور المياه وكثرة الفواكه..."[4]، وكان للمرية حظ من هذه الخيرات الكثيرة، وأنتج في المرية محاصيل عديدة من فواكه وخضر وغلات صناعية، وأشجار مثمرة وزيتون وسكر وحبوب وبقوليات بالإضافة إلى الصيد البحري وتربية الماشية والطيور والنخل كنشاطات زراعية مكملة اهتم بها المزارعون.

د.1- الفواكه والأشجار المثمرة:

كان في اقليم المرية جنات وبساتين ملتفة حول الوديان والاراضي السهلية وفي سفوح الجبال والمرتفعات تنتج مختلف الخيرات ومن ضمنها الفواكه الكثيرة والأشجار المثمرة.

---

[1] علي الجارم بك، المرجع السابق، ص ص 122، 123.

[2] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 39.

[3] مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، ص 117.

[4] ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص4.

*** الفواكه:**

تعتبر الفواكه من المحاصيل التي اهتم المزارعون في المرية بغرسها والاهتمام بها، وكان منها الكثير يصل ثمنها إلى قيمة متدنية في معظم الأوقات، وتكون في متناول يد المواطن البسيط وحتى محدود الدخل كما يؤدي ذلك على سبيل المثال الادريسي في قوله: " وكان بها – المرية – من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص"[1]، ويعرف هذا الوادي أيضا بوادي بجانة المليىء بالجنات والبساتين تحمل منه جميع النعم والفواكه إلى المرية[2].

وغير هذا الوادي وأراضيه كان للمرية مناطق زراعية كثيرة في القرى والحصون التي حولها[3]، كما أقام المعتصم بن صمادح في قصبة المرية وفي خارج المدينة بساتين غاية في الاتساع والتنسيق، حتوت على جميع الثمار الغربية التي جلبها[4]، ومن المحتمل أن يكون المعتصم قد أوفد مبعوثين إلى جهات الاندلس وحتى خارجها لجلب أنواع الثمار الغربية، وفي نفس الوقت قد تكون هذه البساتين أماكن للتجارب التي يقوم بها علماء مختصين في علوم الفلاحة كما مان الحال في عدة ممالك في عصر الطوائف الذي شهد نهضة علمية واسعة، ولعل أشهر فاكهة كانت تنتج في المرية هي العنب الذي غطت كرومه مساحات واسعة في اقليمها مثل منطقة بجانة المعروفة بكرومها[5]، ومن الممكن أن يكون العنب مغروسا في مناطق أخرى كبرجة وأندرش اللتان تعتبران جنات من جنات النعيم وبها البساتين الكثيرة[6]، وفي دوجر أين كانت تباع الفواكه للمسافرين وفي حصن شنش وحص طبرنش ومرشانة وكثيرا ما يستعمل العنب كفاكهة وعصير وفي الطهي واعداد الأطعمة[7]، وكذلك التفاح

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[2] نفسه .

[3] العمري، وصف افريقيا والمغرب والاندلس، نش: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، 1339هـ، ص 46.

[4] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[5] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 200.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص– ص، 228، 235.

[7] كولان، الأندلس في التاريخ ، ص 100.

المعروف بالجلياني المنسوب إلى جليانة بوادي آش الغني بالبساتين، وميزة هذا التفاح أنه يجمع بين بين عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وزكاء الرائحة والنقاء، واشتهر شرق الأندلس بالرمان[1]، وكما سبق الاشارة إليه فإن الرمان جاء هديه إلى عبد الرحمن الداخل من المشرق من بلاد الشام، ثم نما وفشا في بلاد الأندلس وكثر شجرة و نتاجه، ومن أنواع الرمان المشهورة الرمان السفرى والدواري والمرسي والعنس[2] ومن الفواكه نجد الكمثري في حصن دلر اذ يبلع وزن الحبة رطل أندلسي[3]، والخوخ والتفاح[4]، وهي فاكهة عامة في الاندلس، وفاكهة الموز مثل التي غرس منها المعتصم في بساتين الصمادحية[5]، وأيضا في قرية شلوبين ينمو الموز[6]، ومن الفواكه الاخرى يوجد التين ينمو بشكل جيد قرب السواحل[7]، واضافة إلى هذه الفواكه يذكر بعض المؤرخين كالعذري وجود جميع الثمار وغريبها في المرية[8]، والادريسي يذكر أنه حول وادي بجانة الكثير من الفواكه[9]، والحميري يذكر أن في حمة بجانة قرية فيها ضروب الثمار[10]، ونفس الشيء يؤكد عليه ابن غالب وابن سعيد المغربي وياقوت الحموي ومن المرجح وجود فاكهة أخرى كالمشمش والبرقوق والكرز والاجاص والسفرجل، والبرتقال والدراق ومن فاكهة الصيف كذلك البطيخ بنوعه الاحمر والأصفر[11]، يغرس في مناطق مختلفة بالمرية، وتمتاز فواكه المرية بنوعيتها الجيدة ويقصر

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص 149.

[2] ابن العوام، الفلاحة الاندلسية، نش: بانكيري، مدريد 1802، ص ص 273، 274.

[3] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 201.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 167.

[5] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 360.

[7] اكسبيراثيون سانشير، المرجع السابق، ص 1377.

[8] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[9] الادريسي، نزهة الشتاق، ص 197.

[10] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 39.

[11] اكسبيراثيون سانشير، المرجع السابق، ص 1377.

الوصف عنها حسنا كما يذكر المقري[1]، مع الكثرة ورخص الاسعار[2]، حتى عرفت بأنها مدينة كثيرة الفواكه[3].

*** الأشجار المثمرة:**

من الأشجار المثمرة في المرية اشتهرت أشجار التوت التي كانت تغرس أساسا لتربية دودة الحرير وانتاج مادة الحرير الموجهة للصناعة النسيجية حيث جنى المزارعين غلالا عظيمة وأرباحا كبيرة، وغرس مساحات منها في حصن شنش الذي يمر به وادي طبرنش[4]، ولابأس أن تعتبر ثمارها فواكه، ومن الأشجار المثمرة نجد اللوز والجوز[5]، وكان في حصن فريرة نوع من الجوز ينفرط من غير رض ذو طعم طيب[6]، وتنمو ثمار القسطل أو الشاه بلوط في شلوبين[7]، ويذكر الرازي (توفي 344هـ) ان الفواكه كانت تنمو بوفرة في اقليم البيرة وأكثرها أدواح الجوز[8]، مما يعني نجاحها في مناخ جنوب شرق الاندلس.

***الزيتون:**

كانت أشجار الزيتون تغطي أراضي كثيرة في إقليم المرية كبرجة وبجانبه[9]، التي تعتبر أشرف قرى وادي آش في القديم[10]، وفي حصن طبرنش يوجد الكثير من الزيتون ومعاصر لاستخراج الزيت[11]، وكان اسفل حمّة بجانة قريتان تسمّى إحداهما أبلة بهما الزيتون للكثير[1]،

---

[1] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص ص 202،203.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[3] القلشندي، صبح الأعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 217.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، م1، ص 161. ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 225.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 167.

[6] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 201.

[7] ياقوت الحمري، المصدر السابق، م3، ص 360.

[8] ابن الخطيب، الإحاطة، ط1، م1، ص 98.

[9] المقري، نفح الطبيب تح: إحسان عباس، دار صادر، ج1، ص 163، ج3، ص220.

[10] العذري، المصدر السابق، ص 86.

[11] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، نشر: محب الدين الخطيب، ص 19.

تسقى بماء الحمة الذي ينزل ويعمّ البساتين الموجودة بالمنطقة. وللزيتون كما هو معروف قيمة غذائية فائقة، و قيمة علاجية كبيرة لمداواة كثير من الأمراض التنفّسية والجلدية، وكان سكان المرية يستعملون زيت الزيتون بشكل كبير وكان حاضرا دوما في بيوتهم.

***قصب السكر:**

يعتبر السكر من المحاصيل التي كانت تنتج في المرية إذ ينمو قصب السكر كالموز بالقرب من السواحل[2]، وفي المناطق الساحلية عموما[3]، وقد غرس منه المعتصم بن صمادح في بساتين الصمادحية التي أنشأها لنفسه[4]، واشتهرت شلوبين بكثرة قصب السكر[5]، وقد ذكر الرازي تاريخ 344هـ أن إقليم البيرة يحسن فيه قصب السكر[6]، ويتكاثر بصورة جيدة، وتعتبر مادة السكر من أساسيات المطبخ الأندلسي لتحضير الأطعمة والأشربة وصنع الحلويات.

د.2- الخضر:

تعتبر زراعة الخضر في مناطق المرية من اهتمامات المزارعين الذين غرسوا أنواعا منها صيفا وشتاء في الأراضي الخصبة القريبة من المياه، وتمتاز الخضر التي لا غنى عنها في المطبخ بأهميتها الغذائية وفوائدها الصحية التي لا تعد ولا تحص فأقبل الناس على استهلاكها في كل وقت حيث كانت بالسوق المحلية الكثرة والوفرة، وانتاجها كان موجها للاستهلاك المحلي بالأساس، ولا تتحمل النقل عبر المسافات الطويلة وتفسد بالحرارة والرطوبة ، وبالتالي كانت أسواق المرية عامرة بأنواع الخضر، والتي منها في فصل الشتاء الجزر واللفت والكراث والسلق أو السبانخ و الخرشوف و الكرنب الشتوي مفرق الأوراق، أما

---

[1] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 39.

[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق ، ج1، ص ص230، 231.

[3] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 200.

[4] العذري، المصدر السابق، ص 85.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 360.

[6] ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م 1، ص 98.

خضر الصيف نجد الخيار و القرع والباذنجان والفاصوليا الخضراء والبصل والثوم والكرنب الصيفي مغلف الاوراق[1] .

د.3- الغلات الصناعية:

تضم الغلال الصناعية أشجار التوت التي تعتبر ثمارها من الفواكه، و مفرخة لدودة القز التي تنتج خيوط الحرير، و يوجد من الغلال القطن والكتان والقب.

***أشجار التوت:**

كما سبق ذكره تشتهر المرية بأشجار التوت الضرورية بتربية دودة القز حيث يوجه منتوج الحرير للصناعة النسيجية الحريرية، و يشتهر حصن شنش الذي يقع على مرحلة[2] من المرية بكونه فيه شجر التوت الكثير[3]، وبالذات يقع على وادي طبرنش[4] غنيّ الذكر.

***القطن:**

يعتبر القطن من المحاصيل الزراعية في الأندلس ذات أهمية باعتباره مادة أولية أساسية في الصناعات النسيجية أو كسلعة تجارية مربحة وكانت منطقة وادي آش مشهور بمنتج القطن[5]، وكان يغرس في إقليم المرية ليستعمل في النسيج[6]، ويعتبر القطن الخفيف وناصع البياض أجود أنواع القطن[7] .

---

[1] اكسبيرثيران سانثير، المرجع السابق، ص 1377.

[2] المرحلة: مسيرة يوم أو 24ميلا أي حوالي 44 كلم/ علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص 56.

[3] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص225.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص161.

[5] الزهري المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص 169، ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م 1، ص 141.

[6] جاك ريسلر، المرجع السابق، ص 121.

[7] علي بن جعفر الدمشقي، المصدر السابق، ص 44.

***الكتّان و القنّب:**

تشتهر منطقة البيرة ووادي آش بالكتان الكثير[1]، وأكثر منطقة تشتهر مزارعها بغراسة نبات الكتان هي أندرش[2]،حتى قيل شعرا في واديها البديع الذي تحفّه حقول الكتان و منه[3].

النهر منساب سرت خلجانه   في الروض بين أزاهر الكتان

ويؤكّد ياقوت الحموي ذلك بأنّ في أندرش الكتان الفائق[4]. ويعتبر الكتان مادة أولية لها أهميتها واستعمالاتها في مجالات عدة، ويتم استخراج خيوط الكتان بنقع الجذور في الماء وبعد عملية التجفيف والتهيئة تستخدم في المنسوجات والأشرعة المراكب والقوارب ويتم صبغها في كثير من الأحيان، والأمر سيان بالنسبة للقنب حيث يتم إعداد الخيوط واستعمالها في النسيج كالأقمشة والثياب الغليظة والحبال المختلفة مثل الغليظة على ظهر المراكب والسفن[5]، وفي حياكة البسط[6]، ويعتبر الكتان والقنب كالقطن من الغلال التجارية المربحة التي تعد للصناعة المتنوعة أو للتصدير.

***زراعة الأعشاب:**

مما لاشك فيه أن زراعة الأعشاب العطرية والنباتات التي تدخل في صناعة العقاقير والأدوية والأصباغ وحتى التوابل كانت منتشرة في مدن الأندلس ومنها المرية، وكانت تنتج محاصيل كالزعفران والعصفر والكمون والكزبرة والحناء[7]، كما اشتهر في المرية بدلاية عود عطري ذو ذكاء وعطر يسمى عود النضوح، ويذكر أن خيران العامري كان يحمل إليه من

---

[1] ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م1، ص 98.

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 235.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 32

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 260.

[5] لوسي بولنز، المرجع السابق، ص1400.

[6] اكسبيراثيون سانشيز، المرجع السابق، ص1377.

[7] كولان، الأندلس في التاريخ ، ص 102.

هذا العود العطِر لما كان يحكم المرية في بداية القرن 5 هـ/11م[1] . أمّا ابن غالب فيسمّيه عود التجوج له ذكاء وعطر و رائحة[2]،

***الحبوب والبقوليات:**

قام مزارعو المرية بغرس الحبوب والبقول كالقمح والشعير والفول والحمص واللوبيا والجلبان والعدس[3]،أما القمح والشعير يشكلان مادة أساسي في قائمة الأغذية لأهميتها الغذائية في إعداد الخبز وأطعمة أخرى، وتزداد أهمية هاتين المادتين أيام القحط والجفاف فترتفع أثمانها، لذلك أقبل المزارعون على زرعها واختيار أجور البذور والتربة، ويكون موسم البذر الخريف شهري أكتوبر ونوفمبر، ويعتبر القمح أكثر استهلاكا عند الناس ثم يليه الشعير ويختلف حصادهما من منطقة لأخرى في فصل الصيف ما بين شهري جوان وجويلية حيث يكون الحصاد والدرس[4] وتحتاج الحبوب إلى مناخ ملائم وظروف طبيعية مناسبة، ويتم طحنه بطوحين تدار بالدراب أو الطواحين المائية[5]، وكان على أطراف وادي المرية أو بجانة أرحاء[6]، للحبوب، وتأتي مادة الذرة بعد القمح والشعير في أهمية الكبيرة والاستهلاك الواسع لاسيما بين الفقراء[7]، ثم ادخل الأرز إلى الأندلس من المشرق واهتم المزارعون بزراعته خاصة منذ منتصف القرن 4 هـ/10م، وأصبح ينتج بالأندلس واستغنى الأندلسيون عن استيراده[8] .

---

[1] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص 384.

[2] ابن غالب، المصدر السابق م1، ج1، ص 308.

[3] اكسبيراثيون سانشيز، المرجع السابق، ص 1377.

[4] أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي، خلال عصر بني عباد، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2004، ص 225.

[5] كولان، الأندلس في التاريخ، ص 99.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[7] ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م1، ص 143.

[8] كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الاسلامي (95 هـ/495هـ)، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، د ت، ص 261.

ه . النشاطات المكملة:

اهتم المزارعون في المرية مع خدمة الأرض بالنشاطات الأخرى كالصيد البحري أو صيد الأسماك وتربية المواشي والطيور وتربية النحل وكان الإنتاج موجها أولا للسوق المحلية وحتى تصدير الفائض من الإنتاج.

***صيد الأسماك:**

اشتهرت المرية بصيد الأسماك، وتنوع في الثروة السمكية حيث تملك ساحلا بحريا طويلا على البحر الأبيض المتوسط، مع وجود عدة أنهار في إقليمها كوادي المرية ووادي برجه الذي يلقب بوادي عذراء ووادي أندرش، كما أن الصناعة البحرية المزدهرة في المرية وفّرت قوارب وسفن الصيد والأدوات اللازمة للصيد كالشباك والحبال والخطاطيف والسنانير وما يحتاجه الصيادون، وتعتبر مهنة صيد الأسماك التي مارسها أهل المرية المعروفين بالمهارة في ركوب البحر ومعرفة اتجاه الرياح ومواسمها من المهن الممارسة في المرية والتي تدر أرباحا لأصحابها، وتوفر قائمة واسعة من الأسماك والحيوانات البحرية للمطبخ والمائدة في المرية.

وكان للمرية عدة مراسي أوردها البكري وبيَّن ما يقابلها من مراسي بلاد المغرب في كتابه المسالك والممالك فيذكر مرسى شلوبينمية، مرسى دلاية، مرسى مرية بجانة، المرية، مرسى قابطة بني الاسود[1]، وهذه المراسي تعتبر كبيرة وذات أهمية ومما لا شك فيه وجود مراسي كثيرة كان يستعملها الصيادون كمراكز ونقاط لصيد الاسماك، اذ يذكر الادريسي قرية البجانس على البحر تبعد 6 اميال جنوبي المرية في الطريق إلى مالقة ثم مرسى النبيرة الذي يبعد 34ميلا، ثم قرية عذرة على البحر، فقرية بليسانة، ثم مرسى الفروج، ثم بطرنة ومنها إلى شلوبينية[2]، ولنا أن نتصور كمية الأسماك التي تتوفر في المرية واقليمها واستعمل

---

[1] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص ص 266، 267.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 198، 199.

الصيادون في الصيد أدوات كالشباك والمضربة ومن أشهر الأسماك نجد السردين والتونة اللذان كانا بكميات كبيرة[1]، ويقوم السكان بمهارة في معالجة الأسماك وتمليحها وتجفيفها[2]، للادخار أو التصدير، وكانت توجد طريقة أخرى لنقلها إلى المناطق الداخلية حيث توضع في العسل لتحافظ على طراوتها وطزاجتها[3]، وتعتبر هذه الطريقة جيدة لحفظ السمك وتسويقه إلى أماكن بعيدة عن الساحل. و زيادة على الصيد البحري فإن وديان المرية كان بها ثروة سمكية استفاد منها سكان المناطق المجاورة لها، فمثلا كانت مندوجر قرية يباع بها السمك والخبز وجميع الفواكه للمسافرين[4]، ويظهر حليا أهمية الصيد البحري في المرية من خلال توفير الغذاء والمداخيل المعتبرة واليد العاملة التي تشغلها وازدهار الصناعات المرتبطة به.

***تربية المواشي:**

تمتاز المرية بطبيعة ملائمة لممارسة نشاط تربية المواشي المختلفة كالأبقار والأغنام والماعز حيث يتوفر العشب والكلأ في المرتفعات والسفوح وعلى أطراف الوديان، وتعتبر دلاية مثالا عن المناطق التي تصلح فيها تربية الماشية والصناعات المرتبطة بها حيث تعرف بأنها بلد الأجبان والألبان[5]، وتربى فيها قطعان الماشية وتزكو فيها الخرفان[6]، التي تمتاز بالجودة والسمن[7]، وكانت تربية الماشية لا تنقطع أبدا في اقليم البيرة التي تقدم رعيا بعد رعي[8]، و في عموم الأندلس أين كانت تربي في كل مكان ومدينة منها[9]. وتجدر الإشارة أن صناعة الأجبان وجدت ردود أفعال من طرف الفقهاء ورغم ذلك تم انتاجها وعرفت اقبالا

---

[1] كولان، الاندلس في التاريخ، ص 104.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 180.

[3] عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الاسلامي ، ص 203.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 201.

[5] ابن الخطيب، الاحاطة ، ط2، م1، ص 98.

[6] مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص91.

[7] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 168.

[8] ابن الخطيب، الاحاطة، ط2، م 1، ص 98.

[9] كولان، الأندلس في التاريخ، ص 103.

بين أهل الذمة صناعة وبيعا واستهلاكا وكانت المرية من بين المدن المشهورة بصناعتها[1]، وربما الاختلاف الحاصل يكمن في ممارسة أهل الذمة لهذه المهنة وقد لا يأمنهم المسلمون في كيفية وطريقة تحضير الألبان التي قد يشوبها أفعال محرمة لا تجيزها الشريعة الاسلامية، أما فائدة تربية الماشية فهي كثيرة بطبيعة الحال حيث تشغل اليد العاملة وتساهم في النشاط الزراعي، كما تحقق المداخيل المالية وتوفر المواد الأولية للسوق المحلية كالصوف الذي يدخل بكثرة في الصناعة النسيجية المعروفة في المرية إضافة إلى اللحوم والألبان والأجبان.

ولا يستبعد تربية الدواب في المرية من خيل وبغال وحمير لمختلف الأغراض لركوبها في الحروب والمعارك لاسيما أن المرية دار جهاد و رباط للمسلمين، أو لنقل البضائع والمؤن، أو الحرث والسقي وتدوير الطواحين في المعاصر والأرحاء(الرحى)، وقد وصف ابن حوقل الذي زار الأندلس في القرن 4هـ/10م وعاين مدنها وخيراتها الدواب وجودتها واختصاص الناس بركوب الفاره منها وقليل من كان يمشي على رجليه كأهل الصنائع والمعدومين وذكر أن الأندلس :"تختص بالبغال الفره وبها يتفاخرون ويتكاثرون، ولهم منها إنتاج ليس كمثله في معادن البغال المذكورة... لأنها تبدن وتصنع وتنجب..."[2] كما تتميز بغال الأندلس بالسرعة وحسن السير وكبر الحجم والجمال واللون الصافي والشعر الدهني والصحة الدائمة، وزيادة على ذلك فهي صبورة على الكد والتعب، وقد يبلغ ثمنها خمسمائة إلى ألف دينار[3]، كما يصفها بالقوة والشكل الحسن[4]، أما المقري فيذكر أن بغال الأندلس فارهة وخيلها ضخمة الجسم وتعتبر حصونا للقتال حيث تحمل الفارس وعدته من دروع و

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 184.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 109.

[3] نفسه ، ص 110.

[4] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، مكتبة برلين، 1984، ص 371.

اسلحة ثقيلة مع القدرة على العدو والجري[1]. وبما أننا في مجال الفلاحة فإنّ تربية الدواب خاصة البغال والحمير كانت جد ضرورية في القرى والأرياف حيث يحتاجها المزارعون في خدمة الأرض وشؤون الفلاحة، وإيصال المنتجات التي تدِّرها الأرض إلى الأسواق والمستهلكين والصناعين والتجارة، ولولا هذه الدواب لتعطل الازدهار الزراعي وانعدمت الأقوات في الأسواق، فمن غير الممكن حمل الأثقال على الأكتاف وخدمة الأرض بسهولة.

***تربية النحل:**

لاقت تربية النحل اهتماما عند المزارعين باعتبارها نشاطا مربحا ومنتجا ومكملا للنشاط الزراعي، وقد ساعدت الطليعة في المرية وجود هذه المهنة حيث المناخ الملائم والمساحات الوفيرة و الاخضرار الدائم ومياه الوديان، ويصلح النحل في الأماكن التي تكون باردة صيفا ودافئة شتاء مع طيبة هوائها وكثرة عشبها وشجرها[2]، ويصنع لخلايا النحل رفوف من خشب توضع في حائط عال يتخذ لهن في حجارة بها مواضع يخرج منها النحل[3] للشرب وجمع الرحيق من الأزهار والنباتات المنتشرة في الطبيعة، ولا يختلف اثنان في أهمية العسل للاستهلاك وإعداد الأطعمة، والتداوي حيث يعتبر خير علاج للأمراض المختلفة التنفسية والجلدية والجروح والندبات كما أنه لا يفسد مع الوقت، وتختلف أنواع العسل باختلاف المناطق والأزهار والنباتات التي تتغذي عليها، وللعسل ميزة أخرى تتمثل في حفظ الفواكه الرطبة عند وضعها في أواني بها عسل[4]، ولا غرو أن عسل المرية ذو جودة ونوعية رفيعة لوجود الغذاء المناسب للنحل وهو رحيق الأزهار المختلفة كأزهار الأشجار والفواكه والنباتات

---

[1] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 230.

[2] العمري، المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص 144.

[3] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور ابو سويلم واخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، عمّان، ج6، 2012، ص 280.

[4] علي بن جعفر الدمشقي، المصدر السابق، ص 52.

والسدر، ومعروف عن فواكه المرية بأنها كثيرة ومتنوعة وذات طعم ورائحة لذلك يوجد بها العسل إجمالا.

***تربية الطيور:**

اعتنى المزارعون كذلك بتربية الطيور في المناطق الريفية كالدجاج والبط والأوز والحمام وحتى وإن لم تقف على معلومات في المصادر التاريخية توضح هذا النشاط إلا أنّ المعروف هو اهتمام الفلاحين في البوادي والأرياف بتربية الطيور من أجل اللحوم والبيض الذي يستهلكه السكان كغذاء هام وضروري للصحة البدنية ، و من جهة أخرى تستعمل فضلات الطيور عادة كنوع من السماد لعدة محاصيل زراعية[1] .

و. التربة وأدوات الزراعة:

تعتبر التربة الوسط الطبيعي لنمو النبات والمحاصيل الزراعية المختلفة سواء نباتات أو أشجار، ولكل نوع من النبات تربة مناسبة لنموه وازدهاره، والتربة على العموم عشرة أنواع اللينة والغليظة والسوداء والبيضاء والحرشاء الجبلية والرملية والكدنة والحمراء والصفراء ولكل نوع منها طريقة وتدبير وعمل خاص[2]، وهناك طرق لمعرفة جودة التربة ومردوديتها من خلال ما ينبت فيها، وشم رائحتها وتذوقها[3]، أو من خلال لونها وأمور أخرى[4] وهذه التقنية المستعملة في معرفة صلاح الأرض من أجل زرع وغرس ما يناسبها من نبات حتى يكون الإنتاج جيد من حيث الكمية والنوعية.

---

[1] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور ابو سويلم، ج1، ص 442.

[2] ابن بصال، كتاب الفلاحة، نش: خوسيه بيكروسا ، أحمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تطوان، 1955، ص 41.

[3] ابن الحجاج الاشبيلي، المقنع في الفلاحة، تح: صالح جرار، جاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1982، ص 6.

[4] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور ابو سويلم ج1، ص- ص 359، 368.

وبعد اختيار التربة ومعرفة أجودها تأتي عملية تهيئة الأرض التي تسمى القلب أو التربيل وهي من معاناة الأرض قبل زراعتها[1]، والحرث ضروري ولابد منه للزراعة والغراسة وله طرق معلومة تناسب كل تربة[2]، كما له ما يناسب من مواقيت وأزمنة[3]، ثم تأتي مرحلة اختيار البذور الجيدة والصحيحة حتى لا يضيع عمل الفلاح وجهده وتهدر امواله، وكلما كانت البذور أفضل كان المنتوج جيد ووفير[4]. وتحتاج التربة إلى السماد لتقويتها وإصلاحها حيث يقوم المزارعون باختيار الجيد والاصلح من السماد لكل نوع من التربة بمقادير وطرق معينة وأشهر الأسمدة و ذلك باختيار ما يعرف بالسرجين أو الزبل وأحسنها زبل الطيور أي فضلاتها ثم فضلات الإنسان والحيوانات من مواشي دواب[5]، وإضافة إلى ذلك تحتاج الزروع و الغروس إلى الاهتمام والعناية[6] حتى تعطي مردودية و نوعية جيدة، أما عن تربة المرية فإننا نميز نوعين فيها على الأقل فالأولى تربة جرداء ضعيفة وصخرية وهي تغطي نطاق المرية وما جاورها، وتربة جيدة خاصة على ضفاف الوديان في بجانة وبرجة وأندرش وعذرة تؤتي المحاصيل الوفيرة من خضر وفواكه.

ويحتاج النشاط الفلاحي والنشاطات المتعلقة به إلى أدوات كثيرة خاصة التي ترتبط بخدمة الأرض من حرث وبذر وجني وتهيئة وعناية، وقد وفرت الصناعة هذه الأدوات بوجود المعادن كالحديد والنحاس والرصاص خاصة معدن الحديد الذي يدخل في صناعة اغلب الأدوات المستخدمة في النشاط الفلاحي وقد ذكر الادريسي أنه يصنع بالمرية أصناف الآلات النحاسية والحديدية[7]، وقد بلغ عدد أدوات الفلاحة عددا معتبرا بين الصغيرة والكبيرة،

---

[1] الضبي، بغية الملتمس، تح: إبراهيم الابياري، ط1، ج2، ص 415.

[2] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور ابو سويلم، ج3، ص– ص 213، 235.

[3] ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص 56.

[4] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور ابو سويلم، ج1، ص–ص 27، 33.

[5] نفسه، ج1، ص ـ ص 444، 449.

[6] ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص 55. ابن الحجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص ص 93، 94.

[7] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

منها أدوات للحرث وقلب التربة، وأخرى للعزق وتفتيت التربة، وأخرى كذلك لنزع الحشائش الضارة حول الزروع والغروس والاشجار، وأدوات للتقليم والقطع ونشر الجذوع والأغصان الزائدة، وأمقاص وفؤوس ومناجل وأوتاد لأدوات السقي[1]، ومن أدوات الفلاحة نجد المرجيقل Marjiqal وهو عبارة عن ميزان ماء يستخدم لمعرفة ارتفاع الأرض من جهة الى أخرى قصد تسويتها بواسطة أداة أخرى تعرف بالجاروف تجذبها البقرة لنقل التربة من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض وبالتالي تسهل خدمة الأرض من غراسة وري[2]. أمّا المعاول فهي لقلب التربة، والمرزبة الخشبية مطرقة كبيرة لدق التراب وتفتيت الكتل الترابية، والسكة للحرث وقلب التربة تكون صغيرة أو كبيرة[3]، والمجردة يجرها زوج حيوان لكسر الطوب وتعديل التربة[4]، والمناقش للحفر تحت الورود، والفأس للحفر، وكذلك تستخدم في حقول الكروم، أداة تعرف بالمربعة يحفر بها رجلان[5]، وأداة تسمى شنجول shanjul لعزق التربة المحيطة بجذوع الأشجار[6]، وعلى العموم فإن الأدوات كثيرة بلا شك، ولكل واحدة منها وظيفة وطريقة عمل ولا غنى للمزارع عنها، كما قدمت الصناعة الأدوات الضرورية في تربية المواشي والدواب والدواجن والنحل كالسلاسل والاوتاد والأمشاط وغيرها.

***طرق السقي:**

تحتاج الغروس والزروع والاشجار إلى السقي والري بالكميات المناسبة وفي الأوقات المعلومة، وتختلف الكمية والوقت من نبات لأخر ومن تربة لأخرى، ولا بد للمزارعين معرفة هذه التفاصيل والتقنيات لضمان نمو النبات وإعطاء منتوج وفير، وكان أهل الأندلس مُلمّين بهذه المعارف خاصة مع تطور علوم الفلاحة، واكتسبوا مهارة كبيرة في طرق ونظم الري

---

[1] اكسبيراثيون سانشيز، المرجع السابق، ص 1380.

[2] ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص 55

[3] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور أبو سويلم، ج1، ص–ص 369، 377.

[4] نفسه، ج2، ص 457.

[5] نفسه، ج 3، ص ـ ص239، 251.

[6] اكسبيراثيون سانشيز، المرجع السابق، ص 1380.

سواء في استخراج المياه أو تخزينها أو نقلها بالسواقي والقنوات إلى الحقول والبساتين، ثم توزيعها على الغروس والزروع، فقد كان في الأندلس نظام ممتاز للري والمنشآت المائية[1]، وقد شبه ابن غالب صاحب فرحة الانفس ـ من أهل القرن 6هـ ـ و الذي عاصر ازدهار الزراعة الأندلسية وتقدم علومها الأندلسيين باليونانيين في استنباط المياه ومعرفة أمور الفلاحة وخدمة الارض وأنواع النبات من غرس وزرع وأشجار[2].

و كان بالمرية زيادة على مياه الامطار التي عليها يترتب الخصب من عدمه[3]، عدة أودية توفر المياه للمزارعين لسقي بساتينهم كما في بجانة[4]، وحصن دوجر الذي يقع على وادي المرية يعرف بوادي بجانة، ونهر برجة الذي تحدق به الجنات، ونهر أندرش الذي يروي الجنان[5]، وكان على وادي بجانة الجنات والبساتين وحتى الأرحاء ونهر أخر غربي عذرة ينزل من جبل شلير يجتمع بنهر برجة ويصب في البحر عند عذرة[6]، فهذه الاودية طالما وفرت المياه لري البساتين والمحاصيل المختلفة وكانت في صالح ازدهار الزراعة بالمرية.

كما استغل المزارعون مياه المنابع في ري المحاصيل مثل ما كان في حمة بجانة حيث تمتاز مياهها بالطيبة والعذوبة والصفاء لتسقى بها بساتين الزيتون الكثير والاشجار وضروب الثمار[7]، لكن أحيانا تجف الوديان فتقل مياهها مما يؤثر على السقى فيضطر المزارعون في وادي المرية على سبيل المثال إلى تقسيط المياه على البساتين[8]، حتى ينال

---

[1] يانس هل، الحضارة العربية، تر: ابراهيم أحمد العدوي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1956، ص 119.

[2] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ص ص 281، 282.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 217.

[4] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 38.

[5]ابن سعيد المغربي، المغرب، ج 2، ص ـ ص 227، 235.

[6] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 197، 198.

[7] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص 38، 39.

[8] القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 217.

الجميع حظهم في ري مزروعاتهم ويقوم المزارعون عادة بحفر آبار للسقي ذات مواصفات معينة وتزويد بساتينهم بالمياه، ويذكر أبو الخير الأشييلي من الآبار البئر العربي مستدير الاسفل ومستطيل الفم، والبئر الفارسي مستطيل الفم والأسفل، ويذكر أيضا بصال أنه من الأفضل حفر مكان مرتفع من البستان أو الجنة يكون بالقرب من بابة أو في وسطه أن أمكن، والغرض من ذلك وصول الماء إلى جميع أجزاء البستان[1]، وعلى هذا الأساس فإن مياه السقي تنقسم إلى ثلاثة أقسام مياه الأمطار ومياه الأنهار والمياه الجوفية من العيون والآبار[2] ويقول ابن بصال أن ماء الأمطار هو الأحسن والأفضال لأنه مبارك يجود به جميع البنات لعذوبته، وماء الآبار والعيون جيد كذلك الخضر ولاسيما التي لها أصل غائر تحت الأرض كاللفت والفجل والجزر، وعن ماء الأنهار يقول أبو الخير الأشييلي أن ما عذب ماؤه وصفي يصلح لسقي جميع الخضر البستانية كالقرع والبصل والثوم والباذنجان يصلح لسقي الكتان وجميع أنواع الأعشاب الزرايع العطرية[3]، فلذلك تكثر البساتين والحنان في الأراضي التي حول وديان المرية كوادي بجانة وبرجة وأندرش الذي يجود به الكتان الكثير، ويبقى ماء المطر الأفضل اذ لا يكلف المزارع مالا ولا جهدا كما يروي الزروع تماما.

واعتمد المزارعون أنظمة للري وتصريف المياه على الأراضي المزروعة كنظام القواديس وهي جداول صغيرة ينقل بها الماء ويوزع على المزروعات مع مراعاه ميلان الأرض حتى يسهل نقل الماء[4]، ونظام النواعير والسواني لرفع ماء البئر إلى السطح وهي عجلات خشبية في طرفها أوعية خزفية أو جرار وعند دورانها ترفع المياه[5]، ونظام الاسداد[6]، وتستخدم السواني مختلفة الأحجام كذلك على ضفاف الأنهار والوديان فترفع الماء من جهة النهر

---

[1] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: أنور أبو سويلم، ج1، ص – ص 537، 541.

[2] ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص 39.

[3] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: أنور أبو سويلم، ج1، ص–ص 521، 523.

[4] ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص 174.

[5] ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: انور أبو سويلم، ج1، ص544.

[6] اكسبيراثيون سانشيز، المرجع السابق، ص 1379.

ليصب في جهة الأرض أو البستان وتوجد طريقة أخرى للسقي وتوزيع الماء تتمثل في نظام الخطارة، حيث توزع المياه بالتساوي وبالكمية المطلوبة على النباتات[1].

لقد ساهمت علوم الزراعة المتطورة في الأندلس خلال القرنين 5ه و6ه(11م – 12م)في ازدهار الزراعة والنشاطات المكملة في المرية، حيث اعتنت بكل التفاصيل ودقائق الأمور التي تخص المجال الزراعي سواء تعلق بخدمة الأرض من حرث وبذر وسقي ومعالجة ووقاية وجني وتخزين أو تربية الحيوان وتسمينه ومعالجته، ويعتبر كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الأشبيلي (توفي عام580ه/ 1183م) من احسن الكتب التي ألفت في شؤون الزراعة وتربية الحيوان بالأندلس، فقد كان شاملا جامعا لكل المعارف السابقة والتجارب التي قام بها علماء الاندلس والتي ساهمت في الازدهار الزراعي في مدن الأندلس وكانت مطبقة في الميدان وعلى ارض الواقع .

ومما ساعد في ازدهار الزراعة بالمرية توفر الشروط المناسبة لها كالتربة الخصبة ومياه الوديان مع مهارة ومعرفة المزارعين بشؤون الزراعة، وانعكس هذا الازدهار ايجابيا على السكان، فتوفرت أنواع المنتوجات الزراعية مثل الحبوب والبقول والخضر والفواكه والأسماك واللحوم بأنواع والبيض والألبان والأجبان في أسواق المرية ووصلت إلى المستهلك كما وجد الصناع والتجار ضالتهم في المنتوج الفلاحي تصنيعا واتجارا، اذا أعطت البساتين والحقول في اقليم المرية أنواعا من المحاصيل والغلال كخيوط الحرير والكتان والقطن والقنب وكذلك الأعناب والزيتون والألبان والتي تدخل في الصناعات النسيجية والتحويلية، وما فاض من منتوج عن الاستهلاك والتصنيع وصل الى ايدي التجار الذين سوقوه داخل الأندلس وخارجها، والنتيجة أرباح وخيرات للمزارعين والسكان وللسلطة الحاكمة، وازدهار في الحياة والعمران بالمرية.

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 237.

2- التجارة في المرية:

تشكِّل التجارة الضلع الثالث للاقتصاد، و ركيزة أساسية في التكامل والنهضة الاقتصاديين، كما تعتبر شريانا حيويا للحياة الاقتصادية لأي مجتمع، ورافدا من الروافد التي تدر الخيرات والثروات على ممارسيها التجار، ودخلا إضافيا للدولة وقد برزت المرية كمركز تجاري هام جنوبي شرق الأندلس منذ تمصيرها وتحصينها في العهد الأموي، وظلت تتطور مع الوقت إلى أن أصبحت قطبا اقتصاديا ومنطقة تجارية كبيرة، وقد حقق التجار والسلطة أرباحا جراء هذا الازدهار، كما ساعدت عوامل كثيرة في ازدهار التجارة بالمرية سواء الداخلية أو الخارجية في كل مرحلة من مراحلها إن كان في عهد بني صمادح أو في عصري المرابطين ثم الموحدين، حيث أدركت السلطة الحاكمة الأهمية التجارية للمرية فأعطتها العناية والاهتمام اللازمين، وجعلت منها مركزا للمبادلات التجارية.

وكان الازدهار الصناعة والزراعة بالمرية دور في تنشيط الحركية التجارية، اذ توفرت السلع والبضائع والمنتوجات والمواد التي وجدت طريقها إلى الأسواق الداخلية والخارجية، كما كان ميناء المرية همزة وصل يصلها بالعالم الخارجي، ومنه كانت ترد الخيرات من أقطار العالم تحملها المراكب والسفن التي تحط بالخليج الواسع وترسو بالميناء، هذا الميناء الذي ظل نشطا بالصادر والوارد في كل وقت رغم تغير الأوضاع السياسية في الأندلس خلال القرنين5ه و 6ه(11م 12م)، وبداية القرن 7ه/13م.

أ-عوامل ازدهار التجارة في المرية:

تظافرت مجموعة من العوامل لتجعل من المرية مدينة تجارية بامتياز يقصدها التجار من كل مكان من داخل الأندلس ومن خارجها للإتجار بالبضائع والمنتوجات المختلفة لاسيما مع وجود المرافق الضرورية كاماكن المبيت او التخزين او التسويق، كما كان سكانها تجارا مهرة و ذوي خبرة استفادوا كثيرا من الامكانيات المتاحة في مدينتهم الساحلية.

***العامل الجغرافي:**

امتازت المرية بموقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام، فهي ساحل البحر[1]، الابيض المتوسط أو الخليج الرومي[2]، وقد اتخذها الناس بادئ الامر رباطا ومراى ثم نمت وتوسعت وأصبحت أشهر مراسي الأندلس وأعمرها[3]، ومدينة متطور بها كثافة سكانية عالية ومرافق عديدة، فوجد السكان فيها العمل والرزق والراحة والهدوء، وحتى الأجانب طاب لهم المقام بالمرية وتعاطي التجارة والسفر منها وإليها كتجار وحجاج وطلبة علم .

وترتبط المرية بأعمالها ومناطقها عبر شبكة طرق قربت المسافات مثل بجانة التي تبعد عنها حوالي ستة اميال[4]، و يوجد شرقي بجانة على ثلاثة اميال الحمّة المشهورة وفي قراها الأشجار والثمار[5]، وحصن مرشانة يبعد عن المرية 18 ميلا، وحصن شنش يبعد عنها مرحلة[6] ،و دوجر غربي المرية يبعد عنها12ميلا [7]. وبين المرية وبرجة مرحلة ومن برجة إلى دلاية 8 أميال[8]. وكذلك ترتبط المرية بمدن اندلسية أخرى بمسافات ليست بالكبيرة جدا، فبين المرية وغرناطة مسيرة ثلاث أيام[9]، ومن المرية إلى قرطبة سبعة أيام، ومن المرية الى المنكب خمسة أيام[10]، ومن المرية إلى وادي آش مرحلتان وبين المرية والمنكب أربع مراحل،

---

[1] ابو محمد الرشاطي، ابن الخراط الأشبيلي، المصدر السابق، ص 59.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 105.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 183.

[4] العذري، المصدر السابق ص 86/ الميل:3500ذراع عن المالكية والذراع 53سم أي 1588م، علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص –ص 50، 54.

[5] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 38.

[6] المرحلة: مسيرة يوم أو 24ميلا أي 44 كم/على جمعة محمد، المرجع السابق، ص 56.

[7] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص– ص 223, 227.

[8] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 198.

[9] القلقشندي، صبح الاعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 217.

[10] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 111.

أما من المرية إلى دانية حوالي ثمان مراحل[1]، والطريق البري بين المرية ومالقة سبعة أيام، أما بحرا فالطريق يبلغ 180ميلا، ومن المرية إلى المنكب بحرا 100ميل[2].

وقد أعطى كل من الموقع وشبكة الطرق والمواصلات أفاقا تجارية كبيرة للمرية، وفتح لها الأبواب لتكون مدينة تجارية بامتياز، واتجاه أهلها لممارسة التجارة على نطاق واسع[3] لاسيما التجارة البحرية ذات العائدات الكبيرة والضخمة، وقد كانت تصل إلى المرية الخيرات والمنتوجات من مناطقها ومن مدن الأندلس إضافة إلى ما يتم تصنيعه فيها، فتخزن وتجهز للتصدير عبر مينائها، أما ما كان يأتي عن طريق الاستيراد فيتم تسويقه في أسواق الأندلس الأخرى، وهذه التجارة الواسعة تعرفها المرية حصرا، فأي شخص بإمكانه ممارسة هذه التجارة سواء من أهل المرية أو من الأجانب.

***العامل العمراني(المرافق):**

ساهمت المرافق المتنوعة و الموجودة في المرية بشكل كبير في إزدهار التجارة، فقد كان فيها القيساريات والأسواق والحوانيت والفنادق والحمامات، وهذه المرافق ضرورية لتخزين وتصريف السلع والمنتوجات وللاقامة والراحة، لا سيما أن المرية تعتمد أساسا عل التجارة البحرية .

و التجارة البحرية يصاحبها كم هائل للبضائع المستوردة أو المصدرة، لذلك كان من الضروري وجودها بالعدد الكافي والكبير لتلبية احتياجات التجار ولاسيما التجار الدوليون الذين يأتون من الأماكن البعيدة. وأثناء حكم بني صمادح بلغت المرية درجة كبيرة من الازدهار الاقتصادي والعمراني خاصة في العهد الطويل لمحمد المعتصم ، فقد كان له في المرية أثار جميلة ومنشآت عديدة، كما كانت المرية واسعة متقنة البناء لها أقسام عمرانية

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص ص 455، 456.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص- ص 198، 204.

[3] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 88.

أربع القصبة الداخلية والربضين حيث يحتوي كل قسم على مرافق متنوعة، ودار صناعها الكبيرة بالقرب من البحر[1]، لتسهيل عملية التصدير والإستيراد، وحركة تنقل الأفراد والبضائع.

وفي عهد المرابطين كان بالمرية عدد هائل من المرافق كطرز الحرير والمعامل الصناعية والفنادق والحمامات وطرز الصناعة النسيجية، وحتى المناطق التابعة لها كان بها فنادق وحمامات ومصانع[2]، ولما جاء الموحدون إلى الأندلس ورثوا ما كان في العهد المرابطي من ازدهار، وقاموا بإصلاحات في المرية التي تعرضت الاحتلال النصراني لمدة عشر سنوات ورمموا ما خربه ودمره النصارى كما حافظت المرية على دورها التجاري، ودار صناعتها ضلت عامرة ومينائها قائم بالصادر والوارد[3].

وبما أن المرية تعتمد على التجارة البحرية كما جاء سابقا كان يفد إليها التجارة من الأماكن البعيدة وجدوا المرافق متوفرة خاصة الفنادق والحمامات والأسواق والقيسارية، للإقامة والنظافة وتخزين البضائع وتصريفها والقيام بالمعاملات التجارية من بيع وشراء، كما يعتبر ميناء المرية مرفقا هاما لاستقبال المراكب والتجار أو خروجهم بالبضائع والسلع، ومما زاد من تميزه أنه يقع في خليج واسع وهادئ بعيدا عن الرياح يستقبل عددا كبيرا من المراكب والسفن، كما يمكننا أن نضيف إلى المرافق المذكورة المساجد و هي مهمة للتجار المسلمين من اجل اداء شعائرهم وصلواتهم.

***العامل الاقتصادي والاجتماعي:**

تميزت المرية بازدهار الصناعة والزراعة في معظم الأوقات، حيث تعددت الصناعات من نسيجية ومعدنية وزجاجية وبحرية وزجاجية وتحف، كما كانت القرى والأرياف والبوادي

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص 86.

[2] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 197، 198.

[3] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص 283.

تزودها بالغلات والخيرات الزراعية التي تجود بها الأرض[1]، فوجد التجار في ذلك فرصة ملائمة للمتاجرة وتصدير البضائع، وفي نفس الوقت توريد السلع والمنتجات وتوزيعها في الأسواق الأندلسية.

وقد اهتم الأندلسيون بالتجارة والسفر بتجارتهم لتحقيق الأرباح والمكاسب، وكانت لهم خبرة واسعة في ركوب البحر والابحار بعيدا، وكان بحر الروم أو البحر المتوسط مجالا للتجار الاندلسيين حيث كان أهل الأندلس أعرف الناس به وبحدوده وخلجانه لكثرة أسفارهم وغزوهم لما يليه[2]، ومن ثم كانوا يتاجرون مع الاقطار التي عليه كبلاد المغرب وصقلية[3]. أما أهل المرية فكانت لهم أيضا تجربة كبيرة في البحر، وامتهان التجارة البحرية بحكم الموقع الجغرافي الذي أعطى طابعا تجاريا لمدينتهم، وربما فاقوا كثيرا من أهل الأندلس في هذا المجال مما جعلهم أغنياء أصحاب أموال، ويذكر الادريسي عن سكان المرية أنه: "لم يكن بالأندلس كلها ايسر من أهلها مالا ولا اتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا" و "المدينة في ذاتها مدينة كبيرة التجارات والمسافرين إليها كثيرون وكان أهلها مياسير، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس احضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا"[4]، فعلى هذا فإن التجارة كانت رائجة في المرية ومزدهرة والتجارة يقصدونها إذ وجدوا ضالتهم فيها والنتيجة استفادة السكان والمدينة من العائدات المالية الكثيرة جراء الحركية التجارية النشطة.

***العامل السياسي و العسكري:**

يعتبر العاملان السياسي والعسكري مهمان لازدهار التجارة ونموها في المرية حيث يوفر الاستقرار والأمن فرصة نجاح التجارة والتجار، وهذا ما كان في عهد بني صمادح لما

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص 86. الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 197، 198. ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص 283، ص 284. ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص –ص 192، 235.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم، ط2، ص 15.

[3] نفسه، ص 239.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 197، 198.

كانت المرية قاعدة المملكة ومقر الحكم والسلطة، فقد عمل بنو صمادح عل جعل المرية حاضرة تنافس الحواضر الأخرى ومراكز للاقتصاد والأعمال التجارية ومدينة حيوية ومتطورة في كل جوانب الحياة العمرانية والاقتصادية والعلمية، رغم أن عصر الطوائف كان اسودا وقاتما على الأندلس وأهلها، فقد تميز بالاضطراب والصراعات بين ملوك الطوائف الذين كان أداؤهم السياسي باهتا وضعيفا، خاصة أن النصارى قد زاد كلبهم على الأندلس وكادت الأندلس أن تسقط بأيديهم. وكانت المرية أحسن حظا من المدن الأندلسية الأخرى كاشبيلية وسرقسطة وغرناطة وبطليوس وطليطلة التي تعرضت للضغط المستمر من طرف النصارى الذين عاثوا في بلاد المسلمين قتلا وسبيا وتخريبا[1]، نظرا لبعدها عن ممالك النصارى و خطرها مقارنة بالممالك الأخرى، فنعمت نوعا ما بالأمن والهدوء الذي كان في صالح التجارة والأنشطة الأخرى.

وظل حال الأندلس من سيئ إلى اسوأ حتى ظهر المرابطون الذين انقذوا الأندلس و حموا ثغورها وسكانها بعد اشتداد كَلَب النصارى اثر احتلال طليطلة، واعادوا للأندلس سالف وحدتها واجتماع كلمتها، وصارت في عهدي يوسف بن تاشفين وابنه علي بن يوسف من بعده حرما آمنا[2]، وشكلت مع بلاد المغرب وبلاد السودان وحدة سياسية فنمت التجارة الداخلية والخارجية بوجود منافذ عديدة لتصريف السلع والمنتوجات الصناعية والزراعية، وانفتحت أسواق المغرب والسودان امام التجارة الأندلسية، واسواق الأندلس أمام تجارة المغرب والسودان في ظل الاستقرار السياسي وزوال الاضطرابات وحتى البضائع الاوروبية وجدت طريقتها إلى أسواق بلاد المغرب عبر الأندلس[3]، وغدت المرية في عهد المرابطين تعرف

---

[1] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص 33، ص 38. عبد الله الزبري، المصدر السابق، ص ص 101، 102. ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ص-ص 241، 244.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص 147.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 195.

بمدينة الاسلام[1]، وحتى مع تغير أحوال المرابطين أواخر عهدهم بالاندلس وانشغالهم بالثورات في بلاد المغرب ومحاربة النصارى في الأندلس كانت المرية محافظة على ازدهادها الاقتصادي في المجال الصناعي[2] .

وفرض الموحدون بعد ذلك سلطانهم على الأندلس التي آلت إليهم بعد المرابطين، وتشكلت وحدة سياسية بين المغارب الثلاث والأندلس، وملك الموحدون منذ عهد عبد المؤمن بن علي من طرابلس* إلى أكثر جزيرة الأندلس[3]، كما قام عبد المؤمن بن علي من تنشيط التجارة الخارجية لما لها من فائدة كبيرة على الاقتصاد والبلاد عامة، وقد نظمها وعقد معاهدات مع المدن الأجنبية[4]، وصارت المرية بعد استرجاعها من أيدي النصارى من المراكز التجارية في الأندلس الموحدية تفد إليها المراكب وتخرج منها بالبضائع والسلع والمنتوجات.

أما في الجانب العسكري الذي لا يقل أهمية عن الجوانب الأخرى، فقد كان بالمرية أسطول معتبر يقوم بحمايتها وحماية التجارة البحرية، وقد ورثت المرية مع بداية الفتنة وعصر الطوائف جزءا من الأسطول الأموي الذي اقتسم بين القواعد البحرية بالمرية واشبيلية وبطليموس و دانية وبلنسية[5]، والذي بلغ في عهد الحكم المستنصر الخليفة 350 هـ-366هـ ستمائة جفن بين غزوي وغيره[6]. كما أبدى المعتصم بن صمادح اهتماما وعناية بالأسطول وانشاء المراكب والأجفان، وكان يراقب من أعلى القصبة المراكب وهي تقبل وتخرج من

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ص 86، 87.

* طرابلس: طرابلس الغرب تعني ثلاث مدن وهي على شاطئ البحر أهلها بربر/ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 25.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص 300.

[4] عبد السلام علي علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف القاهرة، 1968، ص 255.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 48.

[6] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية، ص 42.

المرسى، كما كانت دار الصناعة في عهده تحتوي في أحد أقسامها على المراكب الحربية والآلة والعدة[1]، وعند حصار المرابطين المرية عام 484 هـ/1091م هرب ابنه و ولّي عهده معز الدولة بن المعتصم في ثلاث قطع بحرية وأحرق باقي والأجفان خشية الاتباع ونزل في الجزائر[2]، فذهب بنو صمادح وذهب الأسطول الذي كان رمزا من رموز المرية وحاميها.

وقد أولى المرابطون عناية كبيرة للبحرية والأسطول واشتهرت المرية كقاعدة بحرية مهمة في عصر المرابطين، و اجتمعت في دار الصناعة التي لم يكن أعمر منها في ذلك الوقت المراكب والآلات البحرية والعدة الحربية، وكان يقود الأسطول المرابطي من قاعدة المرية القائد المشهور أبو عبد الله محمد بن ميمون الذي أرعب وأرهب النصارى الذين كانوا يقطعون على المراكب الأندلسية في البحر، وأعاد الأمن للمسلمين وللمراكب والسفن، وتمكن الناس من السفر في أمن وسلام[3]، وكان هذا الوضع الامن مناسبا للتجارة البحرية مع البلدان الأخرى. و الامر سيان عند الموحدين الذين اهتموا بالأسطول، وكانت المرية إحدى القواعد الرئيسية في عهدهم مع مالقة واشبيلية[4] وساهم هذا الأسطول في حماية الدولة والتجارة البعيدة وكانت المرية دائما قاعدة كبيرة للأسطول الأندلسي الذي يخرج للغزو[5] والدفاع عن البلاد الأندلسية وتجارتها عبر البحر .

وكما عرفت الأندلس ومدنها أوقات استقرار وأمن بفضل وحدة الدولة وقوة بحريتها فقد عرفت في بعض الأحيان فترات اضطراب مؤثرة، وهذا التغير كان من الاسباب التي أثرت على التجارة عموما والسفر عبر البحر، حيث تكون السلطة منشغلة بقمع الثورات ومحاربة الخارجين عليها و الاعداء و محاربة النصارى، ففي عصر الطوائف اشتد ضغط النصارى

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص ص 85، 86.

[2] ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الاسلامية، ص 192.

[3] ابو محمد الرشاطي، ابن الخرط الأشبيلي، المصدر السابق، ص 60.

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 51.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 119.

على المسلمين خاصة في النصف الثاني من القرن5 هـ/11م، وكثرت غاراتهم واعتدائتهم على البلاد والثغور الاسلامية، وسكن الرعب نفوس ملوك الطوائف ورعيتهم، واشترك القشتاليون والجلالقة والبشكنش والافرنج في السبي والقتل والتخريب وحصار المدن الأندلسية والتضييق عليها[1]، فساءت الاحوال بالأندلس وتعطلت مصالح الناس وتضررت أعمالهم.

ونفس الأمر عاشته الأندلس اواخر الحكم المرابطي بها عندما انشغل المرابطون بمحاربة الموحدين، فاضطربت أحوال الرعية، و غلت الاسعار وعمّ الجفاف والجدب حتى قلّت أموال الجباية وتأثرت أعمال الناس. وكان النصارى يغيرون على بلاد المسلمين في الأندلس، ويستولون على ثغور اسلامية مجاورة لهم مستغلين سوء أحوال المسلمين خاصة بعد ان نقل المرابطون أعدادا من المقاتلين والأسلحة من الأندلس إلى العدوة المغربية لمواجهة الخطر الموحدي[2]، وفي ذات الوقت انتهز ثوار كثيرون بالأندلس اختلال موازين الدولة المرابطية فأخرجوا ولاّتهم واستبد كل واحد منهم ببلده وجهته في شرق الأندلس وغربها ومنهم عبد الله بن محمد المعروف بابن الرميمي الذي تولى أمور المرية حتى أخذها منه النصاري[3] وفي ظل الفوضى والتفكك ساءت الأحوال الاقتصادية.

كما عرف الموحدون نفس المصير الذي عرفه المرابطون، ففي بداية القرن 7هـ/13م تعرضوا لهزيمة قاسية في موقعه حصن العقاب قرب حصن سالم عام 609هـ/1212م أمام الامم النصرانية التي اجتمعت مع ملك قشتالة أدّت إلى اضطراب دولتهم اضطرابا شديدا خاصة في فترة حكم يوسف بن محمد الناصر 610هـ-620هـ/1212م-1221م، وزاد الوضع

---

[1] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 143، 144.

[2] مجهول، الحلل الموشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ص ص 119، 120.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، ص-ص 277، 281.

سوءا بعد وفاته عام620ه حيث دخل الامراء الموحدون في صراع على الحكم واضطربت الأندلس من جديد وأخذ النصارى يستولون عن الحصون والمدن[1].

في خضّم هذه الاوضاع الصعبة عانت الأندلس وتأثرت التجارة تأثرا كبيرا حيث صارت الغلبة للنصارى في البر والبحر، وتراجع الدور التجاري للمرية مقارنة بالمراحل والعهود السابقة.

ب- أهمية المرية التجارية:

كانت المرية مدينة تجارية بامتياز في كل عهودها، وعرفت بتجارتها البحرية الرائجة وإقبال التجار عليها للاستيراد والتصدير، فقد تظافرت عدة عوامل أعطتها هذه الميزة والخاصية سواء في عهد نبي صمادح أو المرابطون أو الموحدون، وكان لازدهار الصناعة والزراعة دور في ازدهار التجارة بخلاف فترات الفوضى والاضطراب عند انتقال السلطة من طرف لأخر كما مر ذكره سابقا، وشهدت المرية حركية تجارية، وأقبل إليها التجار من الأندلس ومن البلدان الاسلامية وغيرها التصريف تجاراتهم عبر مينائها الذي كان مكتظا بالسفن الخارجة والداخلة بالبضائع والسلع، وذلك عبر أسواقها التي كانت مجالا واسعا لتصريف منتوجات المرية والمنتوجات الأندلسية أو الأجنبية.

وقد اجمع كثير من المؤرخين على أهمية المرية التجارية، وقيامها بالصادر والوارد وازدهار تجارتها البحرية، وبراعة أهلها وخبرتهم الواسعة في التجارة والبحث عن أسبابها، كما حققت التجارة أرباحا مواتية لأصحابها وعادت بالفائدة على الدولة والعمران بلألمرية التي يرتبط اقتصادها وازدهاره ارتباطا وثيقا بنجاح التجارة وازدهارها، ويذكر العذري أن المعتصم بن صمادح في عصر الطوائف كان يشاهد اقبال السفن إلى مرسى المرية وخروجها منه[2] محملة بالبضائع والسلع، أما الادريسي فقد نوه بالمرية في عصر وذكرها بأنها مدينة تجارية

---

[1] نفسه، ص- ص 399، 417.

[2] العذري، المصدر السابق، ص 85.

ولم يوجد في الأندلس ايسر من أهلها انجر منهم[1]، ويؤكد ذلك ابو محمد الرشاطي أحد سكان المرية والذي عاصر ازدهارها في ذلك الوقت بقوله: "المرية مدينة على ساحل البحر من أجلّ بلاد الاندلس... بها المتاجر العظيمة...وبها يجتمع القاصي والداني... فكأنها بقعة محشر يجتمع فيها لكل متجر..."[2]، ويضيف ابن غالب ق 6هـ/12م عن المرية: "مدينة المرية وهي باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق..."[3]، وقد جاء في كتاب المغرب لابن سعيد المغربي عن المرية أنها باب الشرق ومفتاح الرزق[4]. ويقول الشقندي الذي عاصر الخليفة الموحدي محمد الناصر الذي حكم أواخر القرن 6هـ/12م في الرسالة التي فضل بها مدن الأندلس عن غيرها حول التجارة في المرية:"...ولم يوجد في هذا الشأن مثلها "[5]، كما يذكر أبو عمرو بن الهوزني الذي كان كاتبا للجيش ليوسف بن عبد المؤمن 558هـ/580هـ في رسالة إلى صديقه ابن صقلاب عامل المرية يفاضل فيها بين العدوتين عن المرية: "هذا وبلدكم وافر وزمانكم متوافر...نعم وبحركم رجراج، واللطائف منه تسريها الرياح والأمواج...لكم الجواري المنشآت كأنها الجياد المضمرات شراع تشرع وحبال تحط وترفع"[6]، وعن المرية وتجارتها يقول ياقوت الحموي: "وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار، وفيها تحلّ مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب[7] ويذكر المقري أن المرية بها وفرة من الخيرات ولها أسواق وخانات[8]، وهناك شعر لاحد الشعراء يقول فيه[9]:

قالوا المرية صفها فقلت خط وشيح

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[2] ابو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي، المصدر السابق، ص 59.

[3] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص 283.

[4] ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص 193.

[5] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، ج3، ص 220.

[6] محمود خياري، المرجع السابق، ص –ص188، 191 .

[7] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 119.

[8] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م3، ص 63.

[9] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 183.

و قيل فيها معاش فقلت أن هبت ريح

وقد عنى بكلامه أن المرية تعتمد على البحر والتجارة البحرية، كما يصف الزهري 6هـ/11م المرية بأنها قيسارية الأندلس[1] أي أنها السوق التي تزود الأندلس بالمنتجات و المؤن القادمة من الأسواق الخارجية ومنها تخرج بضائع الأندلس. والملاحظ مما سبق أن المرية تعتمد اعتمادا شبه كلي على التجارة البحرية و اسطولها التجاري عمود تجارتها كان يزود الأندلس بالبضائع من مختلف الأماكن، كما كانت مقصدا مهّما للتجار من داخل الأندلس ومن خارجها، واعتبرت شريان حيويا للاندلسيين.

ج-خطوط التجارة و التجار:

ارتبطت المرية بصلات تجارية مع البلاد الاسلامية مغربا ومشرقا ومع البلاد المسيحية، وكانت هذه الخطوط منفذا للتجارة الأندلسية عبر ميناء المرية المزدحم بالمراكب والسفن. كما ارتبطت المرية بعلاقات تجارية مع مدن الأندلس كمرسية، ومالقة والمنكب وغيرها وكان ميناء المرية همزة الوصل بينها وبين موانئ البلدان الأخرى حيث يتميز باستيعابه لعدد كبير من المراكب والسفن ووقوعه في خليج واسع وهادئ[2]. ويذكر الحميري أن مرسى المرية صيفي يكن الريح بشرقيه وغربيه[3] كما يشير الادريسي إلى امتداد هذا الخليج من حصن الرابطة شرق المرية على مرحلة خفيفة إلى برج للحراسة وراء قرية البجانس غرب المرية[4]، و يتضح من ذلك أنه خليج واسع جدا وهذه الميزة لموانئ الأندلس التي تقع في الخلجان والاجوان تسهل حركة المراكب والسفن من حط وإقلاع بعيدا عن التيارات البحرية[5].

---

[1] الزهري، المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص 103.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 13.

[3] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 184.

[4] الادريسي، نزهة المشتاق، ص ص 197، 198.

[5] عبد العزيز سالم، احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 53.

وقد ذكرت كثير من المصادر التاريخية أن مرسى المرية كان يعج بالحركة والنشاط، واعتبره التجار وجهة مفضلة يأتونه من كل الاصقاع والاقطار حيث امنوا على تجارتهم واموالهم[1]، وقد ساهم ميناء المرية أيضا في نقل للناس إلى مقاصدهم المختلفة كطلبة العلم و الحجاج، ويذكر ابو محمد الرشاطي في هذا الباب انه كان يركب حجاج الأندلس وسائر من في البلاد العدوة الثانية[2]، ويقصد بالعدوة الثانية بلاد المغرب بلاشك، ونتستنتج من كلام الرشاطي الذي عاصر حكم المرابطين للأندلس وازدهار المرية نقطتين هامتين هما اعتبار المرية محطة رئيسية لانطلاق الحجاج الأندلسيين في مرحلة الحج، وكذلك كان السكان بلاد المغرب يعتبرون المرية محطة مثالية وجيدة في أسفارهم إلى جهات مختلفة، ومن هنا يظهر لنا المكانة التي وصلت إليها المرية في العصر المرابطي.

أما الوجهات التجارية من المرية و اليها كانت عديدة من المشرق والمغرب الإسلاميين ومن بلاد النصارى، وكان يقصدها التجار العرب والعجم، ومن الأماكن القريبة والبعيدة كما يقول أبو محمد الرشاطي:"كأنها بقعة محشر يجتمع فيها لكل متجر"[3] وبمرفأ المرية كانت تحل مراكب الإسكندرية والشام كله[4]، و الاسكندرية أحد أهم موانئ البلاد مصر، اما بلاد الشام فلها موانئ مشهورة مثل بيروت[5] وعكا[6]، وصور[7]، وصيدا[8]، واللاذقية[9] وتعتبر الموانئ الشامية مراكز للتجارة البينية حيث توزع البضائع من آسيا نحو أوروبا وبلاد المغرب

---

[1] العذري، المصدر السابق، ص 86.

[2] ابو محمد الرشاطي، ابن الخراط الأشبيلي، المصدر السابق، ص 59.

[3] نفسه.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 197.

[5] بيروت، مدينة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق تعرضت للاحتلال الصليبي واسترجعها صلاح الدين عام 583هـ/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص 525.

[6] عكا: مدينة على الساحل الشامي من أحسن بلاد الساحل و أعمرها/ ,ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 143.

[7] صور: مدينة على ساحل بحر الشام/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 433.

[8] صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام شرقي صور / ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص 437.

[9] اللاذقية، على ساحل بحر الشام لها مرفأ حسن/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 426.

والأندلس والعكس، وغير هؤلاء التجار من بلاد الشام ومصر، فمن المحتمل قدوم التجار من الحجاز واليمن ومن العراق اذ يذكر الرشاطي قدوم تاجر من بغداد في رحلة طويلة دامت واحد وتسعون يوما[1] حتى وصل إلى المرية، وفي تاريخ سابق كان التجار يحملون أردية بجانة الى مصر ومكة واليمن[2] وكذلك كان التجار من بلاد العجم يقصدون المرية للتجارة[3] وقد يكونون من بلاد السودان وحتى من آسيا البعيدة وخراسان وبلاد فارس اذا دققنا في كلام الرشاطي باعتباره عاش في المرية، أما معاصره الزهري صاحب كتاب الجغرافية فيذكر أن المرية كانت "مرسى الأندلس إليها تقلع المراكب من الشرق والاسكندرية"[4]، وكانت المبادلات مع المشرق الاسلامي جيدة لأوقات طويلة كما يبدو من النصوص التاريخية المختلفة.

وكان التجار النصارى يقصدون المرية لبيع بضائعهم أو التزود بالمنتوجات الموجودة في الأندلس، وقد وجدوا فيها ما يحتاجونه من أسواق وايواء وأمن، ولم تعقهم المسافة للإتجار في المرية حيث جاءوا من اقرب بلاد النصارى وابعدها، كما ازدهرت التجارة بالمرية في عصر المرابطين الذين وحّدوا الأندلس مع بلاد المغرب والسودان، وسيطر اسطولهم على الحوض الغربي للبحر للمتوسط، فأمن الناس على انفسهم واموالهم وتجارتهم خاصة في الثلث الأول من القرن6هـ/12م، حيث جاء ملوك النصارى إلى المرابطين يطلبون السلم والموادعة ووصلت هيبة الأسطول المرابطي وسمعته إلى ارمينية والقسطنطنية[5]. ويعتبر نصارى إسبانيا الاقرب الى الأندلس والمرية وأكثر من يتاجر فيها، ثم يأتي الفرنجة شمال إسبانيا وجمهوريات ايطاليا ثم الروم البيزنطين اذا أخذنا في الحسبان المسافة بين المرية وهذه المناطق، وحتى في قرن 5هـ/11م وهو عصر الطوائف الذي تميز بتراجع قوة المسلمين

---

[1] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الأشبيلي، المصدر السابق، ص 59.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 109.

[3] أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص 59.

[4] الزهري، المصدر السابق، تح: محمد حاج صادق، ص 102.

[5] ابو محمد الرشاطي، ابن الخراط الاشبيلي، المصدر السابق، ص 60.

البحرية، كانت المرية من المراكز التجارية الهامة لتوزيع البضائع المتنوعة في الأندلس والممالك المسيحية[1]، كما كانت البضائع والمنتوجات الاوروبية تجد طريقها إلى الأسواق الأندلسية وموانئها[2] في القرن 6هـ/12م أيام المرابطين.

ثم قدم الموحدون الى الاندلس ونظموا التجارة ونشطوا الخارجية منها بعقد معاهدات مع المدن الأجنبية[3]، فكانت المرية مكانا مفضلا لتجار النصارى الذين يجتمعون فيها بمراكبهم ومنتجاتهم ومنها توزع إلى جهات اخرى، كما يتزودون فيها بمختلف البضائع التي تصلح لهم[4]، ولم يعق الاختلاف الديني بين المسلمين والنصارى في التعامل التجاري، و كانت موانئ الطرفين مهيّأة للتصدير والإستيراد، فكانت المراكب والسفن تأتي من البندقية وجنوة وبيزا وقطالونيا وأراغون[5] محملة بالبضائع وتخرج من المرية بالغلات والمنتوجات.

وتعتبر الموانئ في بلاد المغرب من الموانئ المهمة التي ارتبطت بميناء المرية عبر خطوط تجارية لاسيما في عصري المرابطين والموحدين حيث جمعت الوحدة السياسية بين العدوتين، وكانت السفن تأتي من سبتة وتونس[6] وميناء هنين[7] بالمغرب الأوسط[8]، وربما قابس* بإفريقية التي ساحلها مرفأ للسفن من كل مكان[9]، و صفاقس* التي يقصدها التجار

---

[1] بيدرو شلميطا، المرجع السابق، ص 1080.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 195.

[3] عبد السلام علي علام، المرجع السابق، ص 255.

[4] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م3، ص 220.

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 88.

[6] نفسه.

[7] هنين: ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص 419.

[8] خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح: الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي، المغرب، الامارات، د ت، ج2، ص 148.

* قابس: على الساحل من اعمال افريقية بين طرابلس وسفاقس، كثيرة الخيرات/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص289.

[9] البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص 189.

* سفاقس: مدينة ساحلية من نواحي افريقية، تشتهر بالزيتون/ ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص223.

من كل الآفاق[1]، و المهدية التي كانت مرفأ للسفن لأقطار عدة منها الأندلس[2]، وبونة في شرق المغرب الأوسط أكثر تجارها أندلسيون[3]، وجزائر بني مزغنة التي تقصدها سفن ومراكب الأندلس وقريبا منها متيجة تشتهر بالكتان[4]، وكانت تلمسان مقصدا لتجار الآفاق[5]، وكذلك تابحريت ساحل مدينة وجدة كانت محط السفن[6]، وبجانبه كانت موانئ المغرب الاوسط عامرة بأهل الأندلس تأتيها السفن المحمّلة[7]، ومليلية التي يقابل مرساها مرسى شلوبين[8] وطنجة[9] و سبتة[10] .

ويذكر الإدريسي عدة مدن في بلاد المغرب تقصدها مراكب الأندلس للتجارة مثل سلا في المغرب الاقصى التي تأتيها مراكب سائر المدن الساحلية الأندلسية بالبضائع المتنوعة ومرسى فضالة كذلك في المغرب الاقصى تأتيه المراكب من بلاد الأندلس، وكانت تنس بالمغرب الأوسط بها محط وإقلاع للمراكب، ووهران التي تقابل المرية وبينهما مجريان بحريان أي 204 ميلا ومنها أكثر ميرة الساحل الأندلسي، وعلى ميلين منها المرسى الكبير الذي ترسو به السفن والمراكب الكبيرة، وكانت سفن الأندلس تختلف إليها في كل الأوقات، وفي بجانة كانت تقلع المراكب من كل مكان بالخيرات والبضائع، وفي المغرب الادنى أو افريقية كانت طبرقة تأتيها مراكب الأندلس، وايضا تونس والمهدية تفد إليها المراكب من كل

---

1 البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص 192.

2 نفسه، ص 202 ، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 108.

3 البكري ، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص 234.

4 نفسه ، ص 247.

5 نفسه ، ص 259.

6 نفسه، ص 264.

7 نفسه، ص 268.

8 نفسه، ص 282، ص 266.

9 نفسه، ص 287.

10 نفسه، ص 285.

الأقطار البعيدة والقريبة وتخرج منها البضائع[1]. وممّا لاشك فيه أن مراكب المرية كانت تحط بموانئ هذه المدن في بلاد المغرب ومراكب هذه الأخيرة كانت تقصد المرية للتجارة، وخصوصا في عهد المرابطين والموحدين عندما اتحدث بلاد المغرب والأندلس تحت سلطة واحدة هيأت ظروف نجاح التجارة.

أما التجار الذين قصدوا المرية للتجارة، فقد وجدوا فيها كل التسهيلات للقيام بنشاطهم من أمن وأسواق ومرافق كالفنادق التي بلغت في العصر المرابطي ألف فندقا الا ثلاثين[2]، ومنهم من كان يملك سفن خاصة به قصد التجارة دون اللجوء إلى الكراء ودفع الأموال كرسوم لنقل السلع والبضائع[3]، ولا يختلف الأمر بين تجار مسلمين او نصارى، والملاحظ على التجارة البحرية أن التجار يستثمرون أموالا كبيرة في تجارتهم قصد تحقيق فوائد عالية نظير التعب وطول المسافة، فسفرهم لا يكون ذا جدوى إن لم تكن كمية البضائع المصدرة أو المستوردة كبيرة وغالية هؤلاء التجار الكبار هم تجار جملة يوردون السلع والبضائع إلى تجار التجزئة الذين يصرفونها في الأسواق المحلية[4]، وقد يتعامل التجار من هذا الصنف في المرية أو في خارجها مع وسطاء أو سماسرة يقومون بالتوسط بينهم وبين المشترين[5]، كما يمكن أن يكون للتجار الكبار وكلاء ينوبون عنهم في تصريف التجارة نظير نسبة من الفائدة تكون معينة ومحددة[6] عند الدفع أو التسليم أو بالشراكة.

وغير هذا التعامل المالي بين التجار، فإنه تنشأ علاقات وروابط إجتماعية كالصداقة والمصاهرة والصحبة، وقد وجد في المرية قبور عليها نقوش لأسماء أشخاص

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 73، ص 115.

[2] نفسه ص 198. المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 63.

[3] أوليفيا كونستيل، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبدالله، مطبعة العبيكان، الرياض، ط1، د ت، ص 57.

[4] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 433.

[5] الجزيري (ت 585هـ)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، تح: أسونثيون فريرس، المعهد الاسباني للدراسات، د ت، ص 253.

[6] توفيق سلطان، النظم العربية الاسلامية، دار التوافق العربي، بغداد، ط2، 1985، ص 333.

غرباء خطوار حالهم بها وماتوا هناك مثل نقش يعود لسنة 513هـ/ 1119م، وآخر لسنة 527هـ/ 1133م،وسنة540هـ/ 1145م[1] ما يدل على استقبال المرية للتجار الأجانب، وتذكر كثير من النصوص التاريخية كرسائل الجنيزا-مجموعة مخطوطات -ازدهار المرية التجاري وأهميتها كمرفأ دولي[2] .

كما يوجد في المرية إضافة إلى التجار الكبار تجار صغار كأصحاب الحوانيت ومنهم من يستأجر حوانيت من تجار كبار يقومون ببيع منتوجات مختلفة ومتنوعة في السوق المحلية، ومنهم المتجولون بالسلع والبضائع ويسمون الميرون، ومنهم من يبيع في الأسواق الاسبوعية أو الموسمية أو المؤقتة على هامش تجمعات الجيوش اثناء الحروب، ومنهم النخاسون أو تجار الرقيق[3]، و الدلالين وهم الواسطة بين البائع والمشتري[4]، اي أنّهم سماسرة و منهم من له دكان لتصريف أعماله[5]، و هاته الأصناف من التجار كانت تمارس أعمالها ونشاطاتها في المرية المزدهرة تحت رقابة المحتسب الذي ينظر في أي اختلالات، وقد حصّلت السلطة عائدات جبائية كبيرة من وراء ذلك.

د-المبادلات التجارية في المرية:

كانت المرية تعج بالنشاط التجاري الكثيف حيث المراكب مقبلة ومدبرة بالصادر والوارد من كل الجهات تحمل البضائع والسلع، وتقلع بالخيرات والغلات ومختلف المتاجر[6] كما

---

[1] بيدرو شلميطا، المرجع السابق، ص 1075.

[2] أوليفيا كونستيل، المرجع السابق، تر: فيصل عبد الله، ص 57.

[3] محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، المغرب الأقصى، د د ط، ط1، 1991، ص-ص 5، 24.

[4] جعفر بن علي الدمشقي، المصدر السابق، ص 44.

[5] التادلي (ت 637هـ)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، د د ط، الرباط، 1984، ص 402 وما بعدها

[6] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مصطفى ابو ضيف أحمد، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1988 ص 135.

كانت محط التجار كما يقول ابن الخطيب ومرفأ للسفن والتجارات[1]، وقد شكلت المرحلة المرابطية أزهي مراحل المرية في للتجارة الدولية وقمة ازدهارها التجاري حتى غدت أهم المدن المتوسطية التجارية يجتمع فيها التجار من كل الجنسيات والأقطار القريبة والبعيدة يتبادلون البضائع المحلية والعالمية الموجودة في المرية في حركة تجارية كثيفة، وقد وجد التجار في المرية مكانا جيدا للإتجار في ظل سهر السلطة على توفير الأمن وحماية التجارة ووجود المرافق الكثيرة لتنشيط العمل التجاري، وكان التجار الدوليين ينتقلون بالبضائع الأندلسية إلى بلاد. وإلى أوروبا، كما يقدمون من هذه الأماكن إلى المرية بمنتوجات وبضائع متنوعة، ولا يهم جنسية التاجر أو مصدر البضاعة مادام البيع والشراء يتمان وفق قواعد وشروط مضبوطة والربح مضمون للتاجر ، فعلى سبيل المثال كانت تصدر من المرية بضائع الأندلس والممالك الاسبانية إلى المشرق في مصر[2] ولم تقتصر التجارة المزدهرة في المرية على العصر المرابطي فقط، بل بذلك الشأن في عصر الطوائف عصر الموحدين أين كانت المرية بوابة تجارية للأندلس و منفذا هاما للمبادلات التجارية عبر المتوسط.

وقد تنوعت قائمة المواد والمنتجات والبضائع المصدرة من المرية والموردة إليها بين زراعية وصناعية المعدة والمجهزة لمختلف الاستعمالات و الأغراض، و على راس القائمة نجد خاصة الاطعمة و المأكولات.

د.1- الصادرات:

كانت صادرات المرية متنوعة وواسعة ضمت منتوجات المنطقة ومنتجات اندلسية وأخرى أجنبية تأتي من الأسواق الخارجية، وأشهر المواد المصدرة كانت على الاطلاق المنتوجات النسيجية خاصة الحريري والتي نالت اعترافا عالميا وإقبالا متزايدا في السوق الدولية ثم المواد الحجرية كالرخام وكثير من البضائع الأخرى كالآلات الحديد والنحاس

---

[1] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج1، ص 253.

[2] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ص53، 54.

والاواني الفخارية والزجاجية والخزفية والأسلحة والمواد الغذائية، والأردية والاكسية والستور والبسط التنتالية.

وفي المرية كانت تحاك منسوجات الحرير والقطن والكتان والصوف[1]، ويحمل الوشي والسقلاطون والبغدادي وأنواع الديباج والحلل الرفيعة والغالية وكل ما يضع من الحرير إلى جمع الأماكن والافاق[2]، ويصدر من المرية الفخار المزجج والزليج والعنبر[3]، ومصنوعات المعادن الحديدية والنحاسية، والسكاكين والامقاص المذَّهبة وآلات العرائس والجند وأدوات الفخار والموسيقى كانت تصدر إلى مدن المغرب الأوسط[4]، وقد تزايدت الصادرات إلى بلاد المغرب الأوسط بعد تسجيل زيادة سكانية خلال القرن 6هـ/12م[5]، كما زودت المرية من مينائها بلاد المغرب الأوسط عبر ميناء هنين ووهران بالمنتوجات النسيجية والجلدية والمعدنية والأواني الخشبية والزيت[6]. وفي العصر المرابطي كانت العلاقات التجارية متواصلة بين بالمرية و بجاية الحمادية رغم حدوث فتور في العلاقات اثر وصول المرابطين بعد توسعهم حدود بني حماد في المغرب الأوسط، ثم فرار معز الدولة بن المعتصم صاحب المرية إليها، وكان التجار دائمي التردد بين المدينتين[7] واستعمل المرابطون سياسة حكيمة أيضا مع الزيريين أصحاب المغرب الادنى ونشأت علاقات تجارية معهم[8] وكانت صادرات

---

[1] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، ص 83.

[2] ابن غالب، المصدر السابق، م1، ج1، ص ص 283، 284.

[3] ليوبولدوس بالباس، المدن الاسبانية الاسلامية، تر: اليودو درودي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط1، 2003، ص 121.

[4] المقري، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص ص 201، 202.

[5] عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ص 325.

[6] عبد الواحد طه ذا النون، ابحاث في تاريخ المغرب والأندلس، ص- ص 123، 126.

[7] عزالدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الاسلامي، ص- ص 261، 264. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص- ص 184، 186.

[8] ابراهيم السيد الناقة، المرجع السابق، ص 347.

المرية الحصى الملون كان يصدر خارج البلاد[1] خاصة إلى بلاد المغرب ليضربوا به بعض أواني الطعام[2]، ويحمل الكمون والجلود والاصباغ والغراء والورق والمرجان والزعفران[3] ويعتبر الزعفران من المواد المطلوبة كان ينتج طليطلة وبسطة التي اهتم أهلها بتسويقه في أسواق الأندلس ثم يصدر نحو الخارج[4]، ووصلت المنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية إلى سجلماسة في جنوب المغرب وإلى بلاد السودان، وصدر إلى مصر بضائع كثيرة منها الكتان وأردية بجانة إلى مكة واليمن، وصدر الرخام المصنع وغير المصنع[5] إلى أقطار مختلفة وكان يتم حمل الرقيق من المرية[6] حتى ما قبل عصر الطوائف فقد كانوا مطلوبين في الأسواق الخارجية ومنهم الجواري والغلمان والخدم الصقالبة وسبي الفرنجة و الجلالقة[7].

ومن المرية صدرت بضائع الأندلس حتى إلى الهند مثل الزعفران والتين والحلفاء واللوز والقطن والديباج[8] والزئبق والكبريت و ثياب السندس والمرجان الذي كان اهم السلع المصدرة، وأيضا الحال بالنسبة لمنتوجات اخرى راجت في الأسواق الهندية، و في جانب اخر صدرت نفس البضائع تقريبا إلى الصين[9] .

أما بالنسبة للأقطار الاوروبية التي كانت في حالة عدم استقرار في العلاقات مع المسلمين في معظم الأوقات، فإن العلاقات التجارية لم تنقطع تماما، ففي عصر المرابطين

---

[1] المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 201.

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 171.

[3] بيدرو شلميطا، المرجع السابق، ص 1080.

[4] القلقشندي، صبح الاعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 221.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 207، 208.

[6] بيدرو شلميطا، المرجع السابق، ص 1080.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق ص ص 105، 106.

[8] إسماعيل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، ط1، 2007، ص ص 88، 89.

[9] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج1، ص ص 292، 293.

تم عقد اتفاقية تجارية مع بيزا وجنوة الايطاليتين عام 527 هـ/ 1133 م لعشر سنوات[1]، واتفاقية أخرى عام 532هـ/ 1138م لضمان التواصل التجاري[2] وتبادل المعلومات التجارية بين التجار والمسلمين والمسيحيين[3].

وساهمت هذه الاتفاقيات في تنشيط التبادل التجاري بين الجانبين وتطوير المبادلات التجارية وغالبا ما تتضمن هذه الاتفاقيات شروط احترام القوانين ووجود فنادق لإقامة التجار المسيحيين وغيرها من الشروط[4] وشكل الإيطاليون جسرا للتجارة بين الأندلس وأوروبا حتى وصل الدينار الأوروبي إلى أوروبا[5]، ومن صادرات المرية والأندلس إلى أوروبا المنسوجات الحريرية المتنوعة التي اهتم لليهود بنقلها إلى أوروبا[6]، وصدر ذهب السودان من الموانئ الأندلسية[7] والبسط التنتالية كانت تصدر من المرية نحو دول أوروبا[8] ومن المرية كانت تصدر أنواع المنتجات والبضائع سواء المصنوعة في المرية أو في مدن الأندلس الأخرى وحتى التي تأتي من الأقطار المختلفة.

د.2- الواردات:

كانت الواردات كذلك متنوعة ضمت بضائع ومنتوجات مختلفة تأتي من أسواق المشرق والمغرب وأوروبا وتعتبر المواد الغذائية من بين أهم الواردات التي تدخل عبر موانئ الأندلس

---

[1] عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي، ص ص 269، 270.

[2] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب (من أقدم العصور إلى عهد المرابطين)، الهيئة العامة، مكتبة الإسكندرية، 1987، ص 270.

[3] Donas Latri, troités, de paisc et de commerce et document divers congenant les relation des critiens avec les arbes d'afrique on moyene age, paris, 1846, p p 32 ,33.

[4] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص 253.

[5] أوليفيا كونستيل، المرجع السابق، تر: فيصل عبد الله ، ص 45.

[6] إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 91.

[7] توفيق مزارى، المرجع السابق، ج1، ص 310.

[8] محمد احمد ابو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص 279.

مثل المرية، وقد ذكر الادريسي أن أهل اشبيلية كانوا بوردون الطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية[1].

وكانت مراكب المرية تورد من ميناء فضالة بالمغرب الاقصى الحنطة والشعير والفول والحمص والمواشي من غنم وبقر وماعز، ومن تنس الحنطة وسائر الحبوب والتين والكمون والحناء، ومن وهران الحنطة والبقر والغنم والسمن والعسل والزبد، ومن تلمسان الفواكه والمواشي، ومن الجزائر بني مزغنى الحنطة والشعير والعسل والسمن، ومن مرسى الدجاج شرق الجزائر الفواكه خاصة التين الذي يحمل الى سائر الأقطار وأقصاها، ويحمل من بجاية الحنطة والشعير والجوز المشهور في سطيف[2]، وتعتبر الحنطة والشعير من أهم الواردات من بلاد العدوة[3] ويشتهر الغرب الجزائري بإنتاج هذين المحصولين في سهول تلمسان والسهول الغربية[4] وتمتاز المحاصيل الزراعية في بلاد المغرب الأوسط بالجودة والبركة مع الحجم والشكل ورخص الاسعار في أوقات كثيرة، وكانت المناطق والاراضي القريبة من المدن الساحلية والتي لها موانئ تجارية مثل تلمسان ووهران وتنس والجزائر وبجاية تنتج محاصيل زراعية مختلفة خاصة الحبوب والفواكه والمواشي والصوف والعسل والسمن، ما أعطى وفرة في السوق ومنه تصديرها إلى المرية وجهات أخرى، وعرف عن تلمسان شهرتها في الاسلحة وعدة الفارس[5]، وكانت ارشقول ميناء هاما لهذه الجهة يقابله مرسى قابطة بنى اسود في المرية[6] تحمل منه خيرات تلمسان كالحنطة، وكذلك من ميناء

---

[1] الادريسي، نزهة المشتاق، ص 73.

[2] نفسه ، ص 73، ص 98.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الاميرية، ج5، ص 217.

[4] مجهول الاستبصار في عجائب الامصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 133، ص 136.

[5] ابن سعيد المغربي، المغرب ، ج2، ص 246.

[6] البكري، المصدر السابق، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص-ص 260، 267.

هنين كانت تورد الحبوب ومحاصيل زراعية تشتهر بها المنطقة[1]، وكانت مراكب الأندلس وموانئها تستورد من بونة التين والسفرجل والزيوت والاصواف والاغنام والابقار، ومن وهران الحديد والزئبق[2]، ويدخل إلى المرية أيضا الأقمشة واللؤلؤ والتوابل كالفلفل القرفة[3]، وكذلك الجواري والعبيد من أسواق المغرب والسودان ومصر[4]، والعطور[5]، وكانت أقطار المشرق من أهم مزودي المرية بالبضائع والمنتجات كاللؤلؤ والتوابل، وتعتبر مصر شريك مهم للمرية والأندلس[6]، وشكل تجار بلاد المغرب حلقة اتصال بين الأندلس وبلاد السودان التي تستورد منها بضائع أهمها الذهب[7] .

ومن المواد المستوردة من مصر الجواهر والعمائم والقماش والملح[8] واستورد من المشرق منسوجات حريرية[9] رغم اشتهار المرية بها، وقد يعزى ذلك رغبة الصناع في معرفة تقنيات وأساليب صنعها، وكان المشرق حلقة ربط بين الأندلس والشرق الأقصى عبر المرية والاسكندرية، ومنها يتم توريد منتجات الهند[10] التي أهمها التوابل المختلفة والنكهات والأصبغة[11] ، والجوز الهندي والقرفة وأنواع العقاقير والأدوية وأعشاب والصندل والزعفران

---

[1] مجهول، الاستبصار، ص 134.

[2] عبد الواحد طه ذا النون، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 126، 127.

[3] بيدرو شلميطا، المرجع السابق، ص 1080.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 209.

[5] ليبولدوس بالباس، المرجع السابق، ص 100.

[6] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص-ص 60، 69.

[7] عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص- ص، 202، 203.

[8] أوليفيا كونستيل، المرجع السابق، تر: فيصل عبد الله ، ص 247.

[9] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص 208، 209.

[10] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج1، ص 292.

[11] أوليفيا كونستيل، المرجع السابق، تر: فيصل عبد الله، ص 247.

والعنبر والجواري والعبيد المدربين على الحرف والفنون وأكثر رقيق الهند كانوا رجال[1]، واستورد الأندلسيون من الصين المناديل التي تداولها الحكام خاصة لمسح الأيدي بعد الاكل[2]

وكان ميناء المرية يستقبل مراكب جنوة وبيزا المحملة بالبضائع الاوروبية ومن تم توزيعها في أسواق الأندلس المختلفة[3]، وتستورد من مصر الأفاويه والبردي، ومن أودغشت تحمل قرون وجلود حيوان اللمط وهو حيوان بري، وكذلك الصمغ الذي يستخدم في صنع الديباج[4]، وغير هذه البضائع كان ميناء المرية يستقبل المراكب التي تحمل أصنافا أخرى لتباع في المرية ومدن الأندلس وتصدر حتى الى أقطار أخرى.

هـ-التجارة الداخلية:

كانت التجارة البينية بين المرية ومدن الأندلس نشطة ومستمرة برا وبحرا مع وجود شبكة طرق طويلة وميناء بحري جيد الملاحة، واشتهرت المرية بالمنسوجات وأدواتها المعدنية العديدة، التي تحمل إلى مدن الأندلس[5] ومن المواد التي تدخل المرية قطن إشبيلية[6] وزعفران وصنع طليطلة يوزع في أنحاء الأندلس[7]، والخشب من قيشاطة يصلح للأواني الخشبية التي تعم بلاد الأندلس، والحديد الذي في حصن قسنطينة جهة إشبيلية يتجهز به إلى أقطار الأندلس، ومن حصن أبال شمال قرطبة الزئبق والزنجفر يحمل إلى جميع أقطار الأرض، والزيت من إشبيلية، والخشب من شلطيش و شلب التي فيها تين جيد لذيذ، والماشية من طليطلة التي فيها أيضا نوع من التراب الطيني صالح للنظافة عند غسل الشعر، ويُصدَّر حتى إلى خارج الأندلس يكون في قرية مغام(من طليطلة)، والزعفران من وادي الحجارة

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 209.

[2] توفيق مزاري، المرجع السابق، ج1، ص 293.

[3] عبدالعزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص 89.

[4] عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 62، 63.

[5] سلامة محمد سلمان الهرفي، المرجع السابق، ص 284.

[6] حسين مؤنس، الجغرافية و الجغرافيين، ص 386.

[7] البكري، المصدر السابق، تح: جمال طلبة، ط1، ج2، ص 394.

يحمل إلى جميع الجهات، والغضار المذهب من قلعة أيوب، والخشب من طرطوشة يصلح لصناعة الصواري، والكاغد من شاطبة والحلفاء من لقنت جهة مرسية[1] ومن المنكب[2]. وكان التبادل التجاري بين المرية ومدن الأندلس بلا حدود وبلا توقف لاسيما مع قرب المسافات وشبكة الطرق الرئيسية البرية والبحرية، و وجود وفرة في المواد والمنتجات الصناعية والزراعية باستثناء فترات الاضطرابات والحروب التي عرفتها الأندلس.

و- النظم التجارية و العملة:

من مظاهر التجارة الدولية هو اختلاف جنسيات التجار الوافدين على المرية من داخل الاندلس ومن خارجها، ومن المسلمين والمسيحيين، حيث كانت سوقا وقيسارية كبيرة في الأندلس يأتيها المسلم وغير المسلم، والقاصي والداني للتزود بالمتاجر أو لتصريفها هناك ومارس التجار من مسلمين ومسيحيين ويهود نشاطهم في ظروف ملائمة في ظل رعاية السلطة وحمايتها، ووجود المرافق الاقتصادية والاجتماعية ووفرة في المواد والسلع والبضائع، وكانت الثقة المتبادلة بين التجار في المرية سمة واضحة قوّت التعاملات التجارية وجعلتها متينة ومستمرة، وأنشأت علاقات اجتماعية كالصداقة والمصاهرة، وتبادل الهدايا[3] .

وقد سعى الحكام إلى إيجاد نظم للتعامل في الموانئ لتسهيل الحركية التجارية، وضبط عمل التجار وتنظيم المبادلات من صادر ووارد لاسيما في مدينة كألمرية التي تشهد كثافة تجارية ونشاط الدؤوب للمراكب والسفن المحملة بالبضائع من كل البلدان والجهات، وكانت قيسارية المرية أين توجد أصناف الصناعات والتجارات قرب البحر لتكون المواد قريبة للشحن والتفريغ، وعملت السلطة على محاربة الأعمال غير الشرعية كالغش[4]، وتوفير الأمن

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص-ص 178، 214.

[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 194.

[3] عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ص ص 304، 305.

[4] أوليفيا كونستيل، المرجع سابق، تر: فيصل عبد الله، ص 184.

والهدوء ومراقبة الميناء وما يباع فيه وما يشاد باعتباره مكانا مزدحما بالتجار والأجانب[1] وتقوم السلطة بتعيين موظفين لهذا الغرض منهم المحتسب الذي كان يشرف على أمور التجارة والتعامل مع الأجانب[2]، ويتعداها إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومواجهة كل سلوك منافي للشرع والآداب.

وقد ضبطت أوقات عمل الميناء وحددت مواقيت لفتحه وإغلاقه وصعود التجار إليه والنزول على أرصفته، وكانت مكاتب الإشراف على الموانئ موجودة في معظم موانئ الأندلس لمراقبة الصادرات والواردات[3]، ونظرا لقدوم تجار أجانب إلى المرية وكثير منهم لا يتقن العربية يلجأ المشرفون لاختيار مترجمين لمساعدة الباعة والمشترين حتى يقوموا بعملياتهم التجارية[4] وتسهيل نشاطهم ويجد التجار كل سبل الراحة في الميناء من فنادق وحمامات قريبة.

وكان التجار يتعاملون بالعملة في التبادلات التجارية كالدينار الذهبي في عصر المرابطين أين ازدهرت المرية وبلغت ذروة النشاط التجاري واستمر التعامل بالدينار المرابطي حتى بعد انقراض دولتهم نظرا لقيمته الدولية في المبادلات التجارية[5]. وقد بلغ وزن الدينار المرابطي 4,18غ بنسبة نقاوة تصل 96 بالمائة[6]، وكذلك فعل الموحدين حيث ضربوا نقودا خاصة كالدرهم المربع والدينار الموحدي[7] .

وفي حال غياب العملة يعمد التجار للتعامل بالصكوك والسفاتج، وتعتبر الصكوك سندات دين للتعويض عن دفع النقود، يكتب عليها قيمة الدين رقما وكتابة واسم صاحبه

---

[1] ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة، ص 31.

[2] أوليفيا كونستيل، المرجع السابق، تر: فيصل عبد الله، ص– ص 180، 185.

[3] عيسى بن ذيب، المرجع السابق، ص 395.

[4] أوليفيا كونستيل، المرجع السابق، تر: فيصل عبد الله، ص 188.

[5] حمدي عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب و الأندلس، ص 239.

[6] سلامة محمد سلمان الهرفي، المرجع السابق، ص 288.

[7] ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1، ج1، ص ص 487، 488.

وموعد استيفائه، وقد يؤرخ بخاتم خاص ويصادق عليه، وهي تشبه الشيكات في الوقت الحالي، وأقبل الأندلسيون على التعامل بها واستخدامها حيث سهلت عملية البيع والشراء لاسيما عند غياب النقود، وبالنسبة للسفاتج فهي عبارة عن حوالات مالية حيث يعطي شخص ما لشخص آخر سفتجة يحصل بموجبها على المال في بلاد أخرى من طرف شخص ثالث بينه وبين الأول أموال وتفيد السفاتج في نقل الأموال من مكان لأخر دون تعرضها إلى مخاطر الطريق[1] كالنهب من طرف قطاع الطريق، أو لخطر الاضطرابات والحروب، أو الغرق خاصة مع طول الطريق ومدة السفر، وبذلك تذهب أموال التجار الذين يتكبدون خسائر تؤثر على تجارتهم ومستقبلهم التجاري، وقد استعمل الأندلسيون أيضا المقايضة كطريقة للتعامل التجاري مع مناطق أخرى مثل بلاد السودان[2] التي يقايض أهلها الذهب بسلع أخرى، وجميع هذه الطرق كانت تهدف إلى تسهيل نشاط التجار في عمليات البيع والشراء وبالتالي انتقال البضائع والسلع من مكان لآخر في أحسن الظروف وتزويد الأسواق بما يحتاجه المستهلكون في معاشهم وحياتهم.

لقد اهتمت السلطة الحاكمة في المرية منذ بنو الصمادح بالتجارة وتشجيعها، وتوفير شروط نجاحها وتقديم التسهيلات المختلفة للتجار القادمين إليها من الأندلس ومدنها، ومن الأقطار الاسلامية والمسيحية، وأدى الأسطول وحتى الجيش دوره في توفير الاستقرار والأمن وتأمين المواصلات البحرية ومحاربة المشاغبين والأعداء على السواء.

وكان دخول المرابطين ثم بعدهم الموحدين إلى الأندلس في صالح الاقتصاد والتجارة خصوصا بعد توحيد الأندلس مع بلاد المغرب فانفتحت الأسواق على بعضها البعض، ونشطت التجارة بين الجهتين وتطورت المبادلات التجارية بشكل كبير، وامتدت لتشمل العالم الإسلامي بالمشرق والعالم المسيحي خصو بعد عقد الاتفاقيات التجارية مع البلدان

---

[1] عيسى بن ذيب، المرجع السابق، ص–ص 380، 381.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 211.

المسيحية، وساهمت السياسة الضرائبية في تحقيق فترة نوعية في حجم المبادلات بين المرية والموانئ الأخرى بعد إلغاء الضرائب والمكوس المجحفة التي كانت في عصر الطوائف المليئ بالاضطرابات، ومن ثم صارت المرية مدينة تجارية هامة في البحر المتوسط تأتيها مراكب المغرب والمشرق وأوروبا محملة بالتجارات وتخرج منها مليئة بالسلع والبضائع لاسيما مع موقعها الجغرافي الهام والجيد والمنفتح على تلك الجهات، وبلغت قمّة ازدهارها التجاري والاقتصادي خلال القرن 6هـ/ 12م ونافست أعرق المدن في البحر المتوسط المعروفة بتجارتها وموانئها.

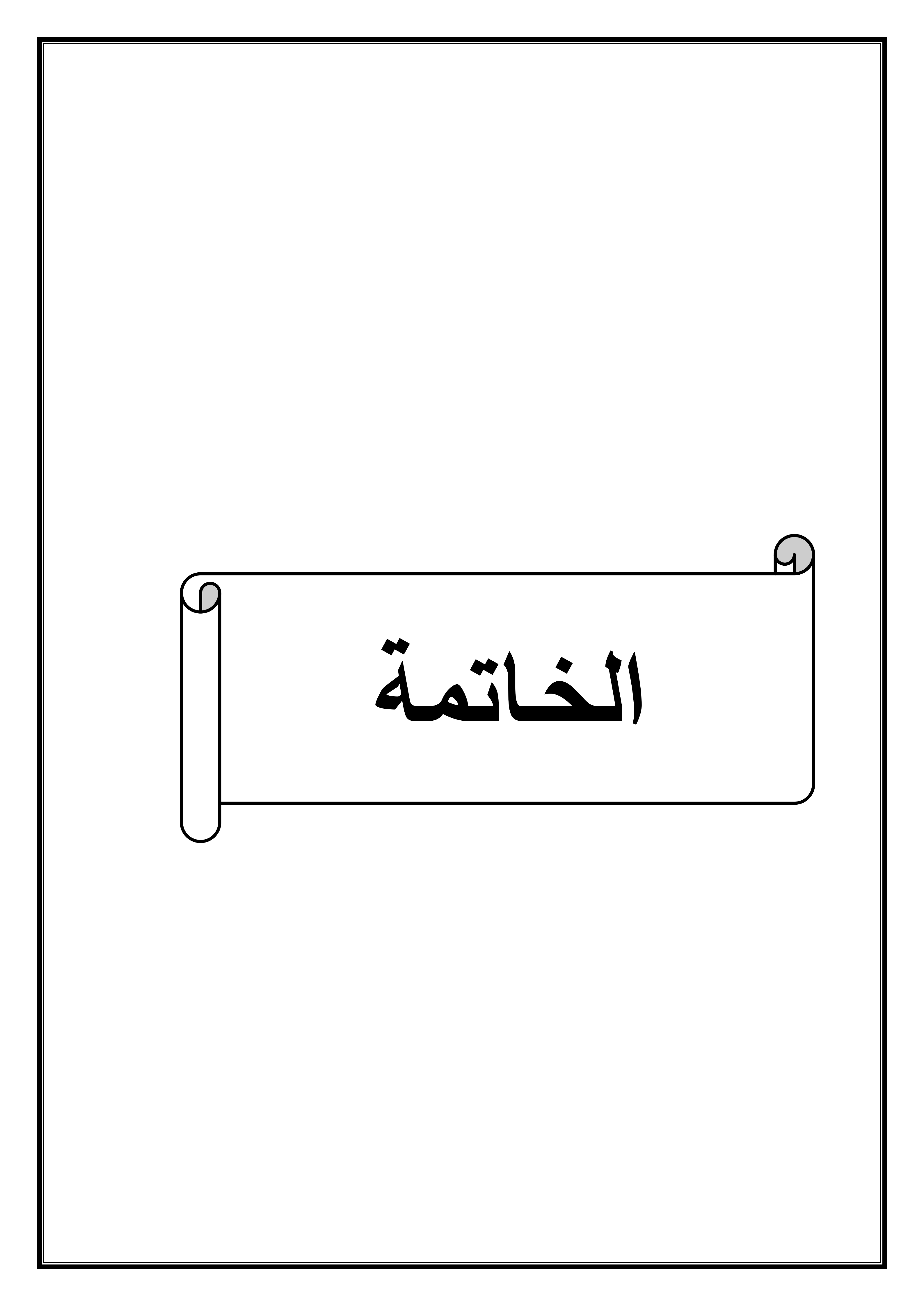
وكما ذكرنا سابقا أن المرية عرفت بالتجارة البحرية عبر تاريخها خصوصا في العهد المرابطي، إذ كانت حلقة أساسية في التجارة البحرية وعبرها كان يتم توزيع البضائع وتصريفها، وكانت تستقبل وتوزع منتجات الأندلس والمغرب والمشرق فبحقّ كانت سوقا دولية مفتوحة لجميع التجار، ومنها كان يصدر الحرير ومنتجاته والفواكه والزيت والعسل والقطن والأصباغ والرقيق والآلات المعدنية والأواني الفخارية والرخام والزجاج والتحف، ويرد إليها التوابل والجواهر والاعشاب والفواكه والحبوب والعبيد والجواري والأسلحة والمعادن والمواشي والاقمشة، وغير هذه المواد المصدرة والمستوردة كثير وأكبر من أن يعد أو يُحص.

وكانت التجارة البحرية أو الدولية تتمّ أكثر مع مدن وبلدان المغرب الإسلامي حيث تميزت بالاستمرارية والكثافة نظرا لقرب المسافة والجغرافيا والتاريخ المشترك بين الضفتين الأندلسية والمغربية لاسيما في عصري المرابطين والموحدين الذين أعطوا دفعا قويا للاقتصاد الأندلسي وانفتحت الأسواق على بعضها البعض، وحُرِست خطوط التجارة والمراكب التجارية بالأسطول القوي، ودُعّمت بسياسة اقتصادية وضريبية حكيمة. أمّا بالنسبة لمدن المشرق فإن العلاقات التجارية كانت قوية في معظم الأوقات ولم تعقها الحساسية السياسية والاختلاف المذهبي بين الأندلس والمشرق خصوص مع مصر والشام اللتان شكلتا جسرا تجاريا بين الشرق الاقصى والأندلس، فوصلت منسوجات المرية إلى الهند والصين كما جاءت منتوجاتها

عبر المرية إلى الأندلس، كما وصل تجار المرية والأندلس إلى العراق وبلاد فارس وخراسان، وتجار هذه المناطق وصلوا إلى المرية والأندلس، و تنقلوا بحرية تامة في الموانئ الأندلسية[1]، ولم يمنع العداء السياسي والاختلاف العقدي بين المسلمين والمسيحيين في وجود علاقات تجارية بين المرية ومدن أوروبية كثيرة حيث كان التجار يتنقلون ببضائع وسلع بين موانئ الجهتين ويمارسون نشاطهم بكل اطمئنان.

ونظرا لهذا الازدهار التجاري وتشعّب العلاقات التجارية نالت المرية مكانة متميزة في التجارة الدولية المتوسطية واشتهر تجارها ومنتجاتها فعادت الفائدة على التجار وثراؤهم والمدينة وازدهارها.

[1] ابراهيم السيد الناقة، المرجع السابق، ص ص 345، 346.


الخاتمة

تمخّضت دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية من 433ه إلى 628ه /1041م-1228م عن مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

* بلغت المدن الأندلسية درجة عالية من الرقي والازدهار الحضاري، وعرفت نهضة اقتصادية واجتماعية جعلت منها حواضر عالمية بامتياز، ومدن هامة في الغرب الإسلامي وفي البحر الأبيض المتوسط، وقد جمعت بين رقي العلوم والفكر وتطور الاقتصاد وازدهار العمران وتعايش السكان في أجواء حضارية، كما كان التنافس شديدا بين المدن الأندلسية إذ كان لكل مدينة ميزة خاصة تميزها عن غيرها، فواحدة تشتهر بالسياسة وأخرى بالعلم وثالثة بالتجارة ورابعة بالزراعة، وهكذا، وأعطى هذا التميز والثراء خصائص لمدن الأندلس قل نظيرها في مدن أخرى،واسس لحضارة أندلسية فريدة شاركت فيها كل الأجناس والأعراق.

* ارتبط مصير الأندلس لأوقات طويلة بمصير بلاد المغرب، وساهمت السياسة والهجرة والجغرافيا في تمتين هذه العلاقات وهذا الارتباط، حيث أن الجغرافيا قربت المسافة بين العدوتين وأدى إلى انتقال السكان بينهما بسهولة وحرية، ثم إقامة علاقات سياسية و اجتماعية و اقتصادية، وقد بينت الحاجة والظروف أن لا غنى لأي جهة عن الأخرى في تحقيق الاستقرار والازدهار. كما لم يتخلّف المغاربة عن مساعدة واسناد الأندلسيين وحمايتهم من النصارى دون اهمال مجالات الحضارة الأخرى، وبدورهم ساهم الأندلسيون في نقل مظاهر حضارية الى بلاد المغرب، ولا يمكن لأي أحد أن يفصل بين العدوتين وبين تاريخهما المشترك والثري، و دون أن ينسب النجاح والفشل الى هذا أو ذاك .

* نشأت المرية أو مرية بجانة كمحرس للساحل وبرج مراقبة متقدم في الربع الأخير للقرن 3ه/9م، ولم يكن اختيار المرية جُزافا بل كان لها موقع جغرافي ممتاز له اطلالة واسعة على البحر، و رؤية تمتد لمسافة بعيدة، ومحصنة بالتضاريس والطبيعة، وامامها خليج واسع وهادئ يحتوي على عدد معتبر من المراكب والسفن وهي ميزة استراتيجية جيدة. وتأسيس المرية يدخل في اطار استراتيجية الامويين الأمنية والعسكرية في تأسيس ثغور وقواعد بحرية

وتقويتها على طول الساحل لتكون خطوطا أمامية للدفاع عن الأندلس وسكانها لاسيما بعد ظهور خطر النورمان في القرن 3هـ/9م الذي هدد بلاد الأندلس في مرات عديدة.

* كان لبني سراج القضاعيون وهم من عرب اليمن دور في اتخاذ المرية رباطا كما أسسوا أبراجا أخرى للحراسة والمراقبة، وصار الناس يفدون إليها للمرابطة باعتبارها ثغرا بحريا هاما للمسلمين وله أهمية عسكرية في الدفاع عن البلاد، ثم وصل إلى هذا المكان أي مرية بجانة طائفة من الناس يعرفون بالبحريين أو رجال البحر لهم دراية وخبرة ملاحية وعسكرية ممتازة، وأقاموا في المرية بعد تفاهمات مع بني سراج المؤسسين الأوائل لالمرية، وكان هذا الجمع من الناس نواة مجتمع المرية التي استقبلت أعداد أخرى من المقيمين.

* وفي سنة 344هـ/955م كان المنعرج الهام في تاريخ المرية عندما أمر الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر في تحصين المرية وتمصيرها وتقوية تحصيناتها وتجديد دار صناعتها حيث تعرضت لهجوم فاطمي مفاجئ أحرق المراكب الرابظة في المرية وهنا تأكدت أهمية المرية العسكرية من جديد ودورها في الدفاع عن الأندلس، حيث شكل وجود الفاطميين في بلاد المغرب تهديدا كبيرا للنفوذ الأموي في البر والبحر لا سيما مع اشتداد التنافس بين الدولتين، ومن ثَمَّ صارت المرية مدينة قائمة بحد ذاتها بعدما كانت جزءً من إقليم بجانة المدينة المشهورة سابقا جنوب شرق الأندلس، وأخذت المرية تتبوأ المكانة اللائقة وصارت قاعدة بحرية رائدة في المنظومة الدفاعية عن الأندلس، وصَاحَب هذه الاهمية نمو في العمران وإقبال الناس للسكن في المدينة والجهة لا سيما في عهد الحجابة العامرية، كما رابط فيها جزء هام من الأسطول الأموي اضافة إلى أن دار صناعتها كانت تنتج مراكب متنوعة.

* مع انهيار السلطة المركزية الأموية في بدايات القرن5هـ/11م ثم زوالها بعد ذلك عرفت المرية مراحلا سياسية عديدة حيث خضعت لانظمة حكم مختلفة كغيرها من مدن الاندلس بداية من عهد خيران ثم زهير العامريان وهما من كبار الصقالبة وفي عهديهما ازدهرت المرية وتوسعت و اصبحت عاصمة لمملكة كبيرة، و فيها اقاما منشآت عمرانية كثيرة

كتحصين القصبة واقامة والأسوار وتنشيط التجارة،و الصناعة والزراعة وتقوية الأسطول، ونقل المياه وتوقيف العقارات على المساجد.

* ورث بنو صمادح حكم المرية بعد مرحلة الصقالبة في عام 433 هـ/1041م اي في فترة ملوك الطوائف، وحينها دخلت المرية دورا جديدا في تاريخها، وشهدت نهضة كبيرة مست كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وأصبحت تنافس المدن الأندلسية الأخرى التي لها تاريخ كبير كقرطبة وإشبيلية وغرناطة وسرقسطة وبطليوس، وكان لبني صمادح أثار حميدة كالعمران وتشجيع العلوم والفكر و تقريب العلماء من كل علم وفن، وظهرت القصور والمباني وازدهرت التجارة الداخلية والبحرية والصناعة والزراعة وتعددت المبادلات التجارية رغم أن العصر الذي حكم فيه بنو صمادح تميز بانقسام سياسي وضعف أمام النصارى إلى درجة كادت تضيع معها الأندلس، وفي هذا مفارقة عجيبة حيث نجد انقسام واضطراب وضعف سياسي يقابله ازدهار اقتصادي وفكري نتيجة التنافس بين ملوك الطوائف في كل شيء ديني ودنيوي، وفي هذا العصر أيضا تعدت أهمية المرية من قاعدة بحرية إلى مركز اقتصادي وتجاري هام.

*كان دخول المرابطين إلى الأندلس عام 484هـ/1091م في الوقت الحاسم والخطير حيث كادت الأندلس أن تسقط بأيدي النصارى لولا لطف الله تعالى ، وقد أعطى المرابطون دفعا قويا للأندلس ولم يقف دورهم الجهادي عائقا أمام الاهتمام بالاقتصاد والعلوم والعمران، فصارت المرية قاعدة أساسية للأسطول المرابطي الاندلسي، ومركز اقتصادي مزدهر ومنطقة تجارية دولية بامتياز، و من أهم مدن البحر الابيض المتوسط في هذا المجال، و برزت بعلومها وعلمائها وبلغت درجة كبيرة من الازدهار والرقي واتساع العمران وكثافة السكان في أقسامها العمرانية، حتى سميت وقتذاك بمدينة الإسلام.

* وجاء الموحدون بعد المرابطون وحكموا الأندلس منذ عام 542هـ/1147م وهو العام الذي سقطت فيه المرية بأيدي النصارى، ولم يدخر الموحدون جهدا في استرجاع المرية وكان لهم

ذلك عام 552هـ/1156م، إذ أدركوا أهميتها الاستراتيجية في الدفاع عن الأندلس، وحافظت المرية على دورها العسكري كقاعدة للأسطول الموحدي بالاندلس، ودورها التجاري كمنطقة للمبادلات التجارية في غرب المتوسط، .

* كشفت الدراسة أن المرية حافظت على قيمتها ومكانتها ودورها الريادي أمنيا واقتصاديا رغم تغير السلطة الحاكمة من عصر لآخر باستثناء فترات انتقال السلطة من طرف لآخر وبسرعة كانت تسترجع وهجها وأهميتها، وتعتبر مرحلة المرابطين أزهى مراحل المرية حيث وصلت قمة الازدهار وخاصة في الاقتصاد والتجارة، وكانت دار صناعتها أعمر دار ذلك الوقت وذلك مقارنة بعصر بنو صمادح وعصر الموحدين، كما عرفت انتكاسة بدايات القرن 7هـ/13م لما فقد الموحدون زمام الأمور في الأندلس وظهور الثوار وتكالب النصارى على المسلمين.

* بينت الدراسة أن المرية كانت مدينة واسعة عمرانيا لها أقسام عمرانية تمثلت في القصبة وهي مركز السلطة والمدينة الداخلية والربضين الشرقي والغربي (ربض المصلى وربض الحوض) وكان لها مرافق عديدة وكثيرة اجتماعية واقتصادية كالقصور والدور والبيوت والمساجد والقيسارية والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والمصانع والمعامل والورشات ودار صناعة بحرية وميناء واسع مزدحم بالمراكب الحربية والتجارية، وتمتاز بتخطيط عمراني جيد لها طرقات رئيسية وثانوية وأزقة ودروب أفضل بكثير من المدن الأندلسية الاخرى، وأقل ما يقال عنها أنها مدينة عصرية متكاملة كما كان للمرية أعمال ومناطق كثيرة تابعة لها ذات أهمية اقتصادية كبجانة وبرجة وأندرش و دلاية وغيرها.

* أظهرت الدراسة أن المرية عرفت تعايشا بين سكانها حيث سكنها العرب والبربر والصقالبة والسودان والنصارى واليهود وكان فيها فئات مختلفة، وقد ساهم الجميع في ازدهارها والوصول بها إلى مستوى راق من التحضر، وقد تميز أهلها بصفات كثيرة ظاهرية وباطنية كالجمال والحسن ونظافة الملبس والآنية والبيوت مع اللطافة والنباهة وحسن المحاورة

والمعاشرة والخبرة في التعامل من الأجانب والوافدين، وقد زادهم الموقع والتعامل التجاري خبرة إلى خبرة، ولم يكن في الأندلس أيسر وأَحْضَر و أمهر في الصناعات والتجارات من أهل المرية، كما عرفت المرية حياة اجتماعية مزدهرة جمعت بين الجهاد والعلوم والاحتفالات والمتنزهات والمطبخ والاهتمام بالمساجد والتصوف والسياحة،وكان للمرأة نصيب في ازدهار مجتمع المرية بعلمها وأدبها ومشاركة الرجل في خدمة الأسرة، وساهمت حتى في الأنشطة الاقتصادية كالصناعة النسيجية في البيوت، وبحق كانت المرية معروفة بمجتمعها النشط وسكانها الحيويين، وبأنها مدينة مضيافة تستقبل الناس من كل الاجناس وهي سمة المدن الساحلية التي تجمع بين المكان والامكانيات والانسان.

* بينت الدراسة أن المرية قاعدة بحرية تضم أسطولا ضخما من المراكب والسفن الحربية والتجارية، ولها دار صناعة قوية الانتاج والانشاء لأنواع من المراكب، وبها كان يرابط الأسطول الاسلامي للدفاع عن الأندلس وحمايتها من الأعداء في كل عهودها وحتى في الفترات الحالكة التي مرت بها، ولم تتخلف عن دورها العسكري في أي عصر ووقت مع تفاوت بين عصر وآخر، وقد كان للأسطول دور في حماية التجارة البحرية الاندلسية سواء في المرية أو في غيرها ولا سيما في عصر المرابطين أين برزت قوة المرية البحرية من خلال أسطولها الذي كان يقوده مشاهير القادة البحريين كعائلة ابن ميمون . اضافة الى انها منفذا لأهل الاندلس وحتى للمغاربة نحو العالم الخارجي سواء كانوا تجارا أو طلبة أو حجاجا أو غيرهم.

* أظهرت الدراسة أن المرية كان لها ازدهار اقتصادي استفادت منه المدينة والسكان والسلطة التي هيأت له شروط النجاح والاقلاع من سياسات مختلفة ودعم وتشجيع، كما كان لها موارد متنوعة معدنية وحجرية وزراعية استخدمها السكان في تطوير الصناعة وخلق صناعات كبيرة وصغيرة ولعل أشهرها النسيجية بالأخص منسوجات الحرير التي تميزت بها المرية ونالت شهرة واسعة داخل الأندلس وخارجها ووصلت إلى أبعد الآفاق الاسلامية

والمسيحية شرقا وغربا اضافة إلى المنتوجات القطنية والصوفية والكتانية، وكذلك اشتهرت المرية برخامها المميز الذي أخذ حيزا واسعا من اهتمام السكان، وكان للصناعة البحرية نصيب في اقتصاد وصناعة المرية، ثم تأتي صناعات أخرى زجاجية وفخارية وتحف وآلات معدنية حديدية ونحاسية للزراعة وللعرائس وللجند وللبيت ومختلف الاستعمالات وصناعة خشبية وجلدية وصناعة الحلي وغيرها من صناعات، وما فاض عن الاستهلاك المحلي كان يوزع داخل الأندلس وخارجها.

* جاء في الدراسة اهتمام سكان المرية بالنشاط الزراعي وما تعلق به مستفدين من خصوبة التربة وملاءمة المناخ وتوفر المياه وتطور علوم الفلاحة وبراعة وخبرة واسعة لديهم، وبذلك تنوعت المحاصيل الزراعية والمنتجات منها ما هو للاستهلاك ومنها ما يوجه للصناعة والفائض للتصدير، وأنتجت أعمال المرية التي كانت تزودها بالخيرات الخضر والفواكه والحبوب والمكسرات،والحرير الشهير والكتان الجيد والقطن والصوف،وقصب السكر والألبان والأجبان والعسل واللحوم والبيض، وكان الصيد البحري يمارس على نطاق واسع نظرا للموقع الجغرافي وتوفر أدوات الصيد وطرق التسويق والحفظ، وأكثر ما يميز المرية في هذا المجال انتاج الحرير والكروم بكثرة فاضت عن الحاجة والاستهلاك.

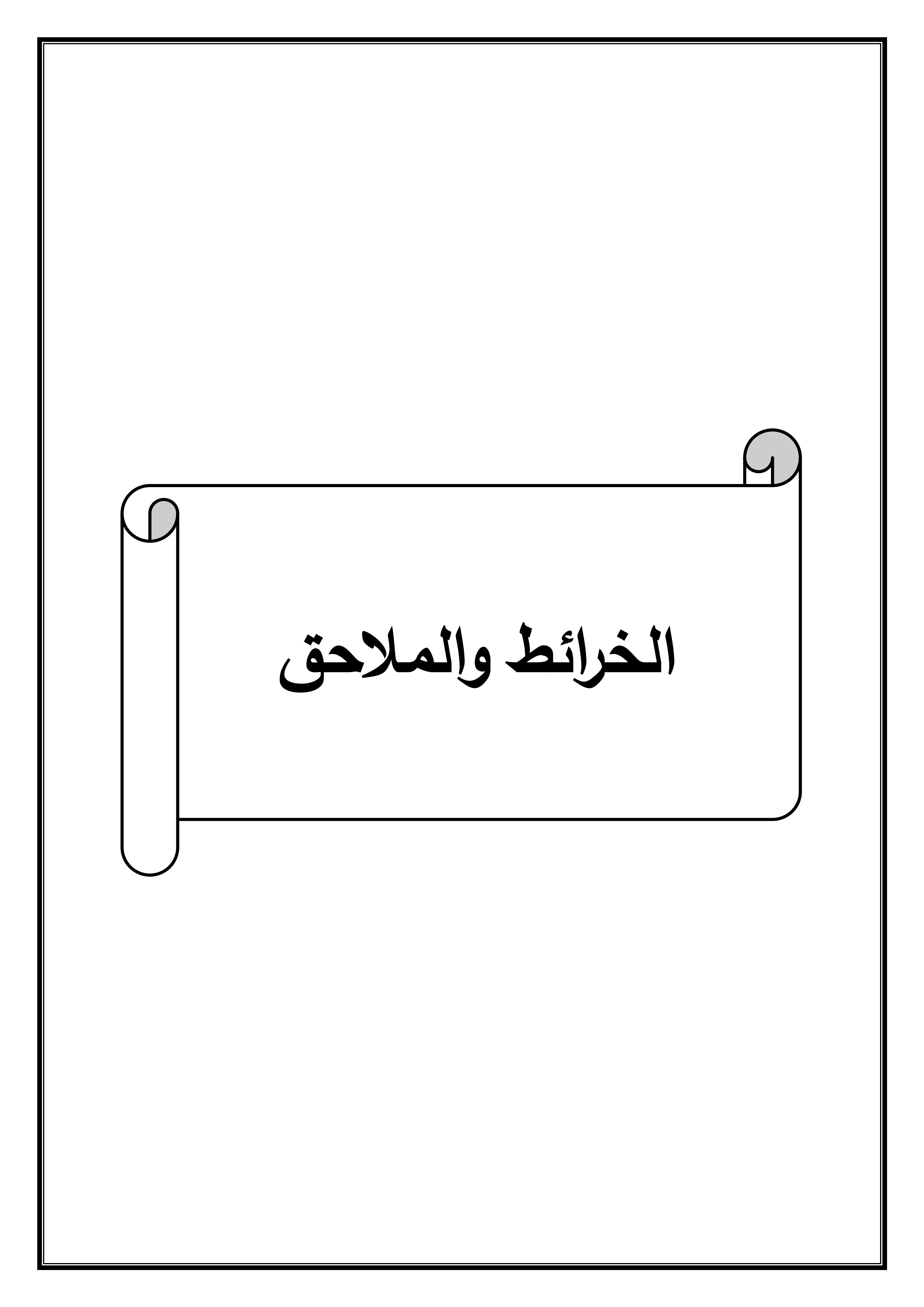
* أظهرت الدراسة أن المرية كانت مدينة تجارية بامتياز بحكم الموقع أساسا، ولتوفر شروط ممارستها كالمرافق والأمن وغيرهما، وأكثر ما يميزها التجارة الدولية عبر البحر فقد كان لها علاقات ومبادلات تجارية واسعة ومتشعبة مع بلاد المغرب والمشرق الاسلاميين ومع أوربا ومع بعض أقطار آسيا، وعرفت المرية في كل عهودها حركية تجارية كبيرة حيث كان يفد اليها التجار المسلمين وغير المسلمين من أقرب الأماكن وأبعدها،وكانت المراكب والسفن المحملة بأنواع المواد والبضائع تحط بمينائها وتقلع منه في كل وقت، وقَلَّ من يُنافس المرية في هذا النشاط ويمكن اعتبارها سوقا دولية مفتوحة على التجار والبضائع من الأجناس

والأقطار، وخلال عهدي المرابطين والموحدين توطدت العلاقة التجارية مع بلاد المغرب أكثر بعد تحقيق الوحدة السياسية بين العدوتين.

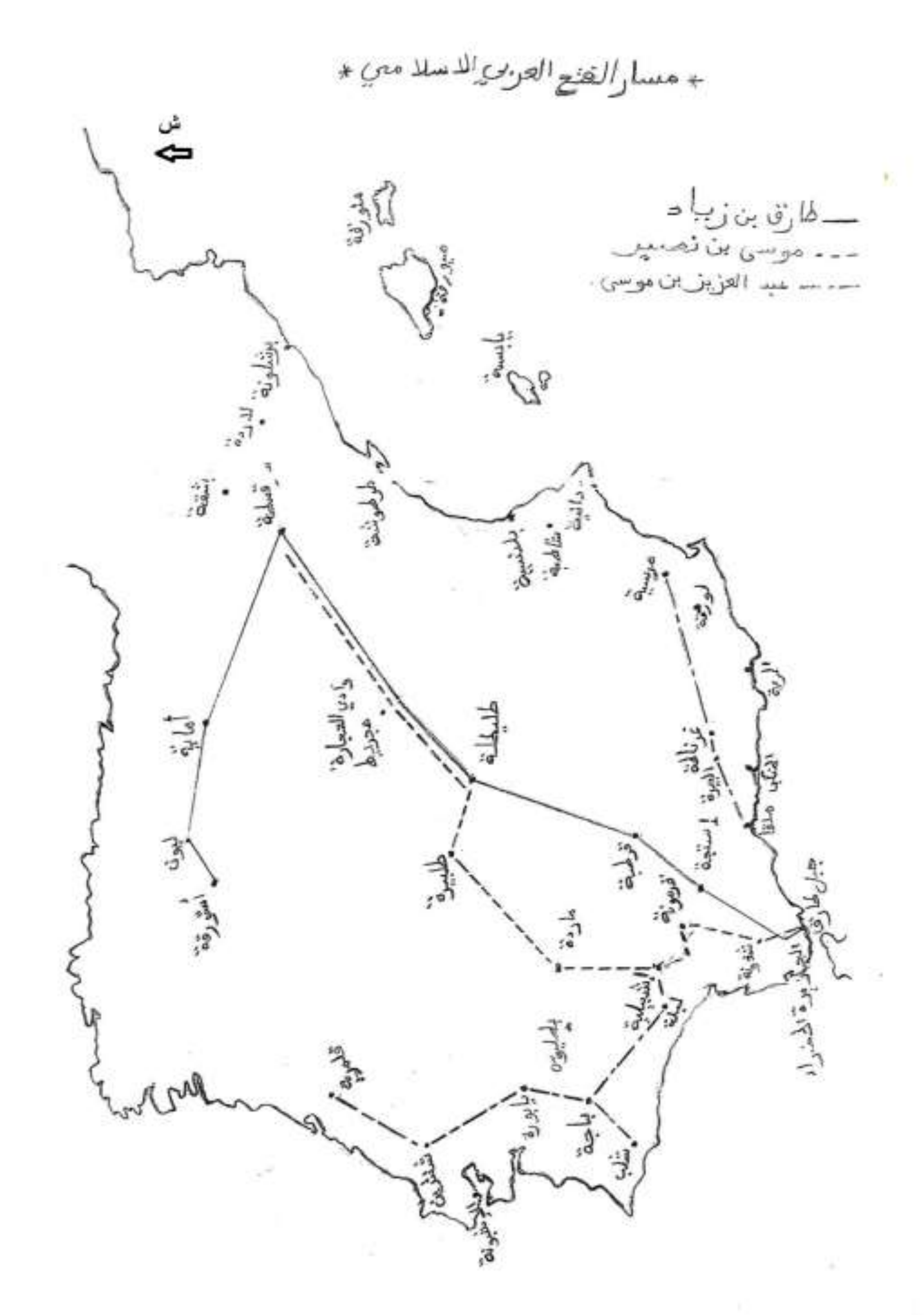
* أظهرت الدراسة أن المرية شهدت ظروفا سياسية اثرت على ازدهارها كغيرها من مدن الأندلس مثلما يحدث عند الصراع على السلطة أو عندما احتلها النصارى، ومع ذلك استمر نشاط السكان واستمر انتاجهم ، وظلت المرية متألقة ورائدة في مجالات عديدة في الاقتصاد و العلوم والفكر والتجارة البعيدة.

* بينت الدراسة ان الإلمام بجوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المرية في هذه المرحلة الممتدة من الصعوبة بمكان لا سيما مع نقص المادة المصدرية في أحيان كثيرة وتشتتها بين مختلف المؤلّفات، وانعدام الأرقام والاحصائيات الضرورية في فهم هذه الجوانب بوضوح، ومع هذا نستفيد مما هو موجود من مادة لسبر أغوار الحياة في هذه المدينة المتوسطية ولعلها تكون نافذة لدراسات أخرى حول مدينة المرية وحول مدن أخرى من الأندلس الخالدة.

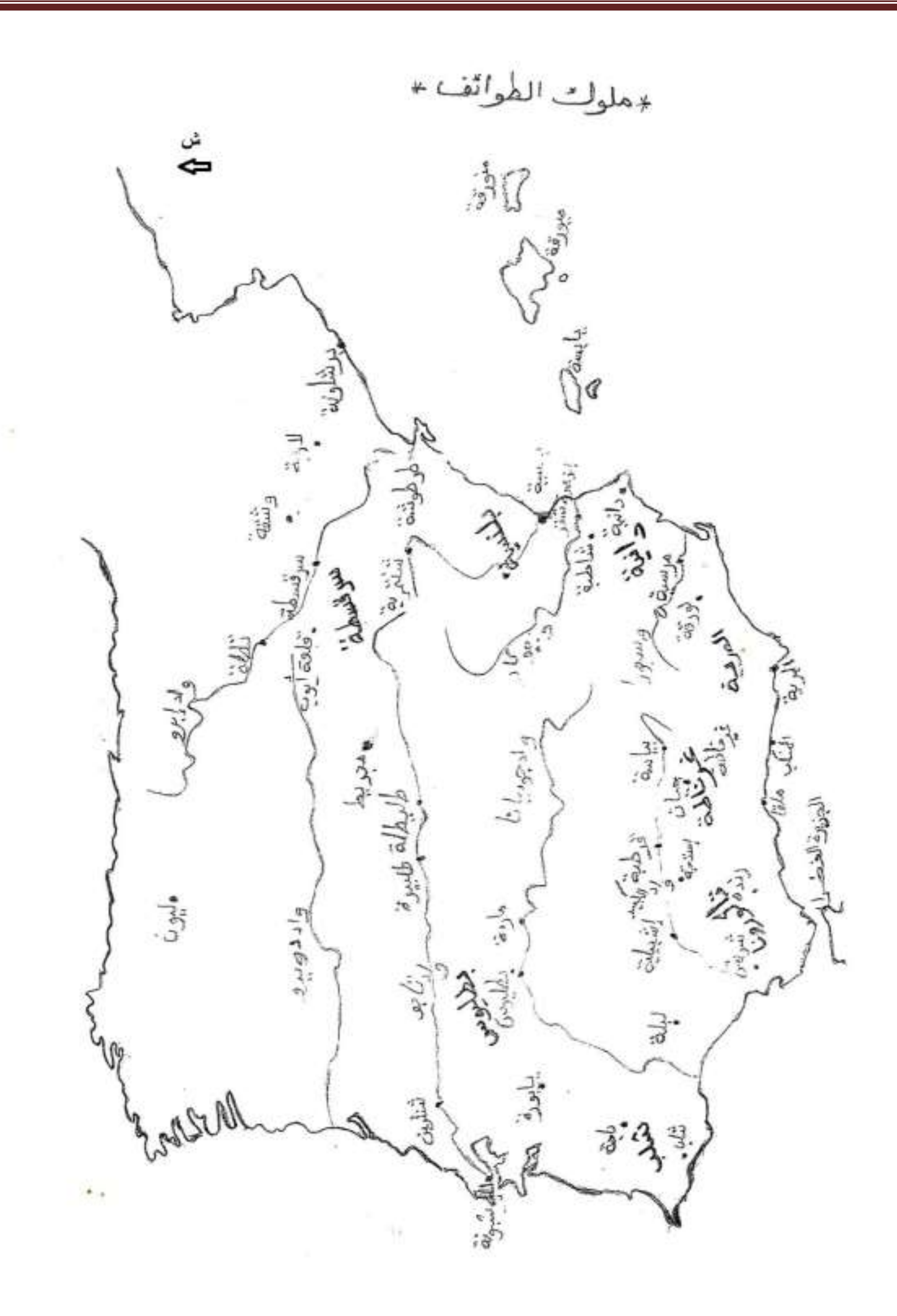
والله الموفِّق و المستعان.


الخرائط والملاحق

الخرائط:



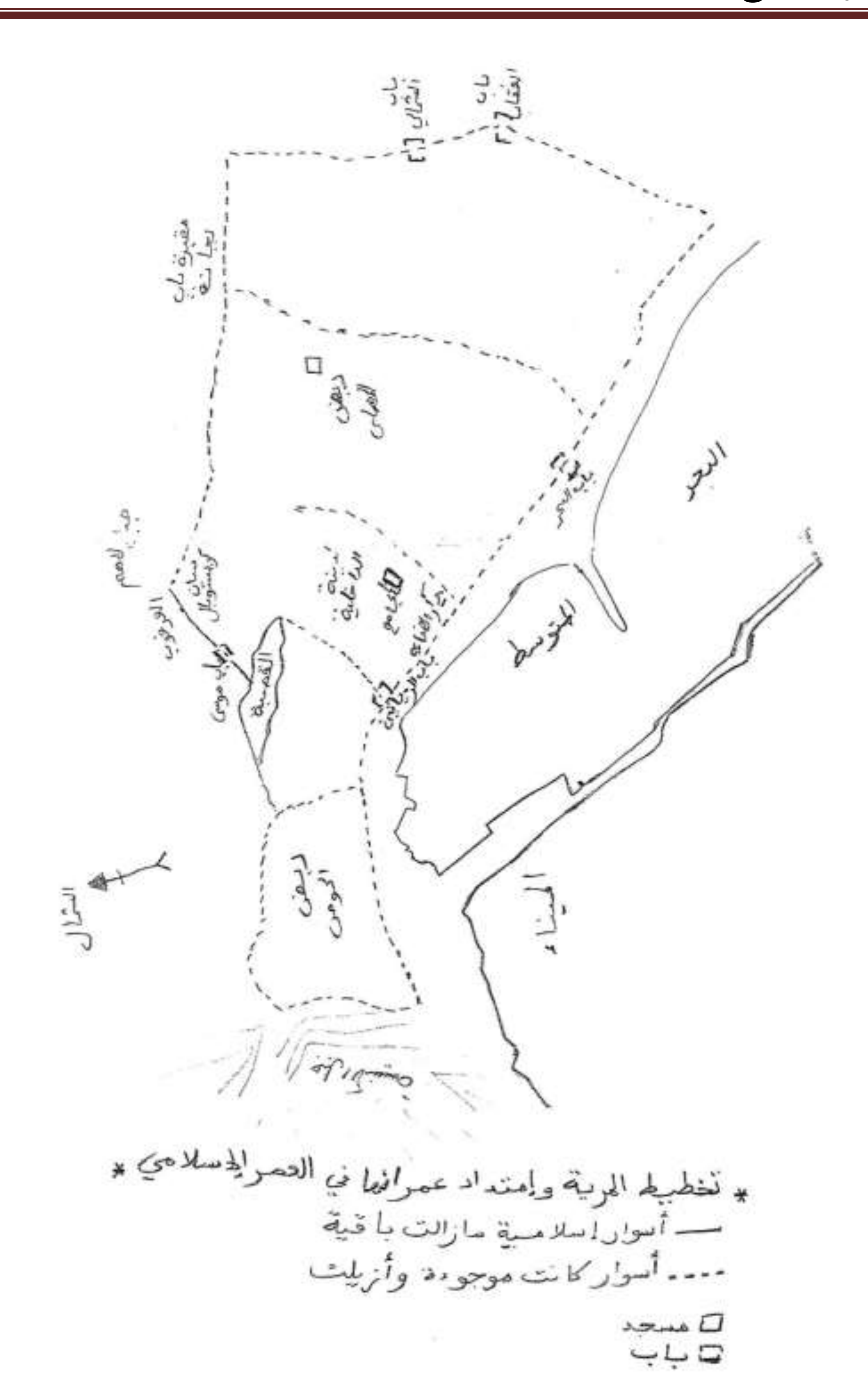
المرجع : سلمى الجيوشي- ص1476.



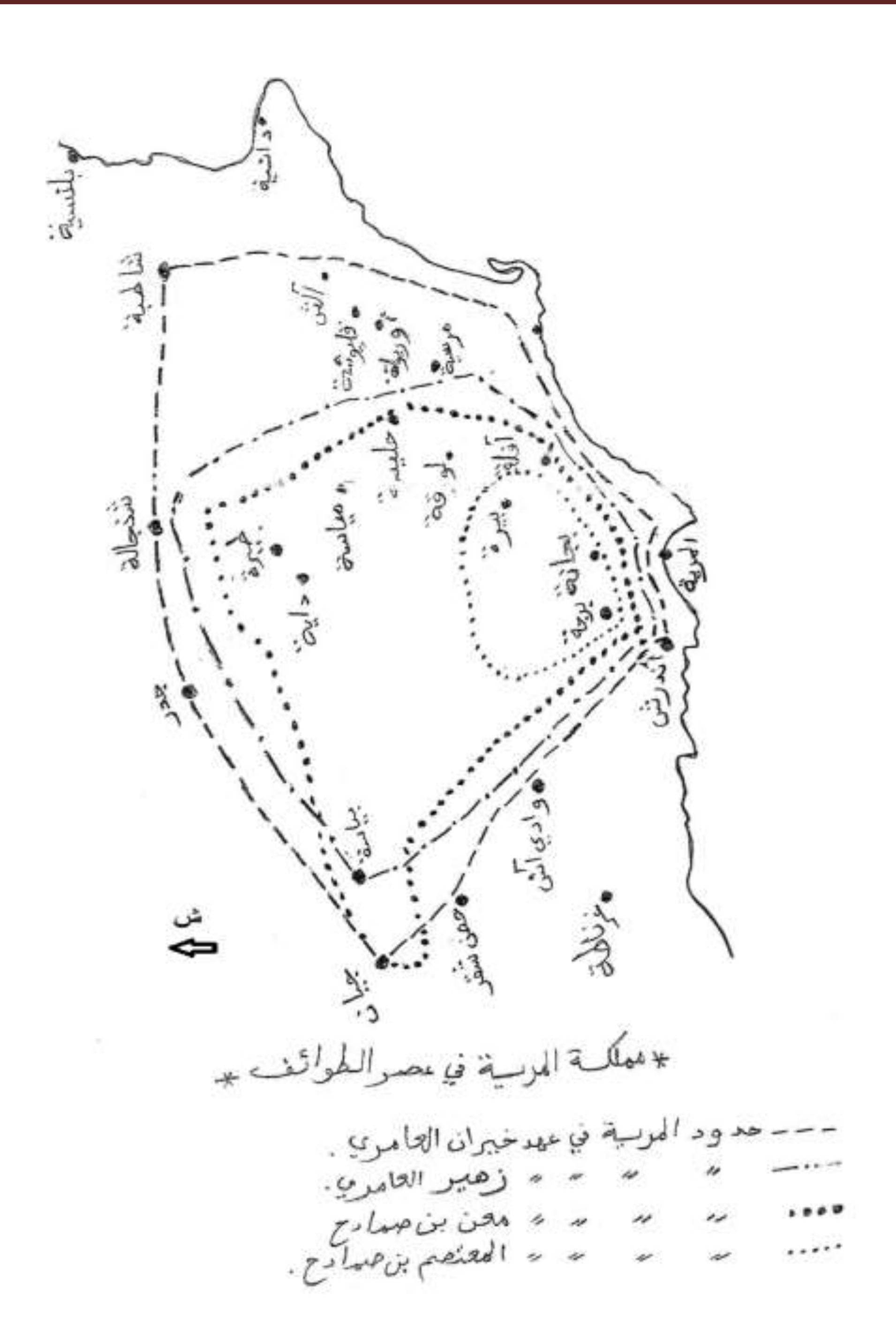
المرجع : سلمى الجيوشي– ص1477.



المرجع : السيد عبد العزيز سالم– مدينة المرية الإسلامية– ص292.



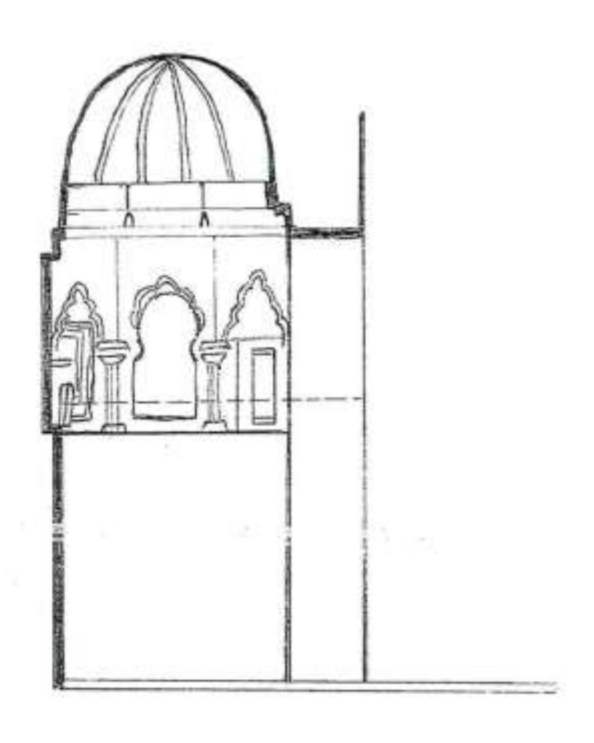
المرجع : محمد أحمد أبو الفضل- ص291.

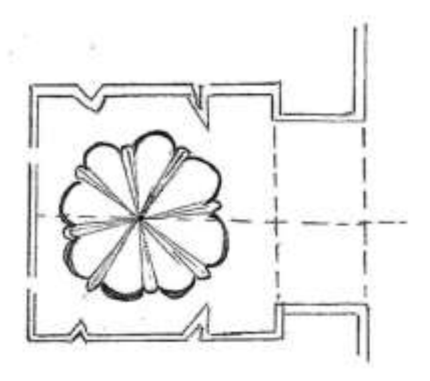


مملكة المرية في عصر الطوائف

--- حدود المرية في عهد خيران العامري.
--- " " " " زهير العامري.
.... " " " " معن بن صمادح
..... " " " " المعتصم بن صمادح.

المرجع : محمد أحمد أبو الفضل– ص290.





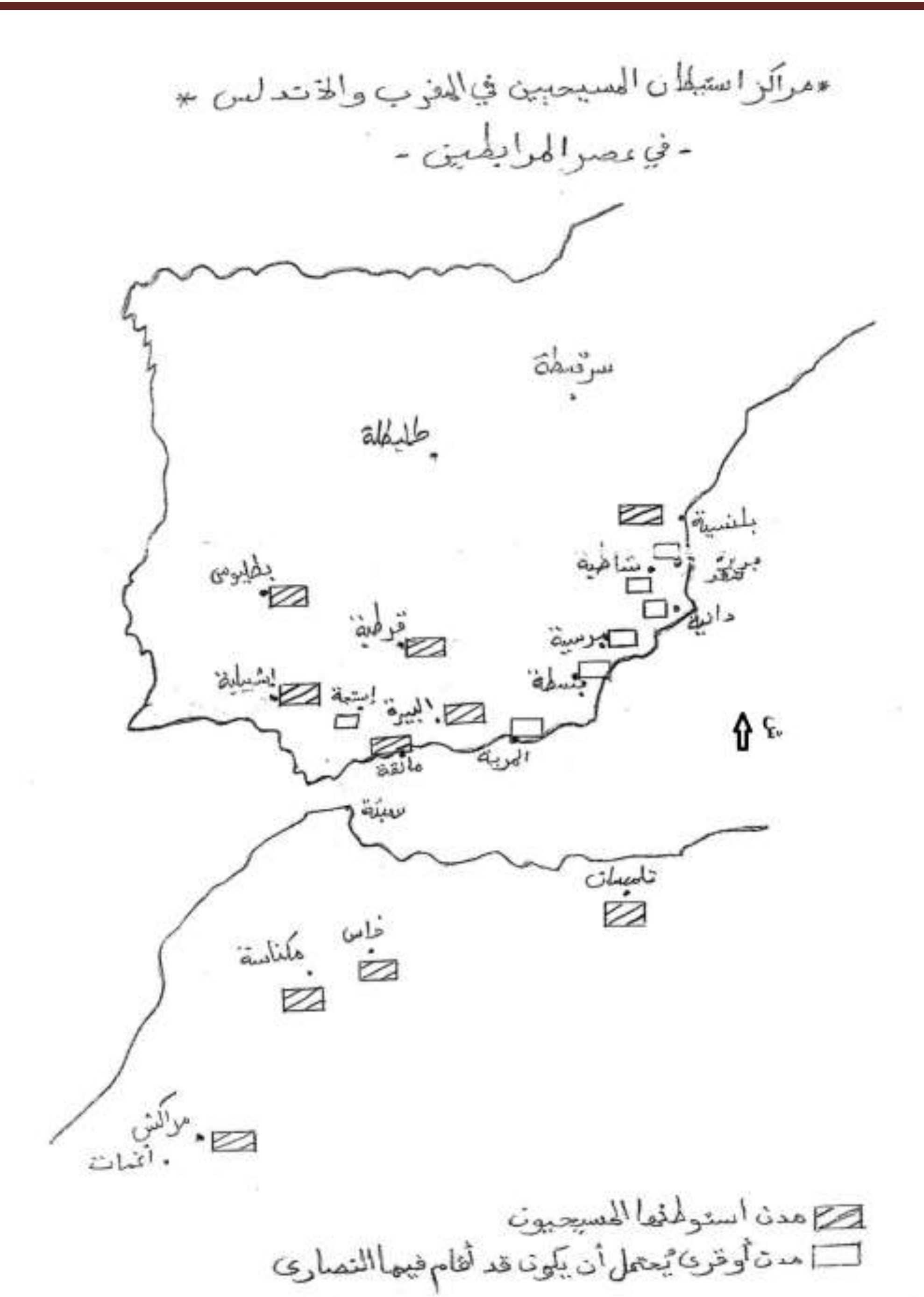
* قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمرية *

المرجع : محمد أحمد أبو الفضل– ص294.

* مناطق التجمعات اليهودية في المغرب والأندلس *
- في عصر المرابطين -



المرجع : ابراهيم القادري بوتشيش- ص255.



المرجع : سلمى الجيوشي– ص1477.

مملـــكة المريــــة

- خيران العامري : 403-419هـ (1012 – 1028 م).
- زهير العامري : 419-429هـ (1028 – 1038م).
- عبد العزيز بن عبد الرحمن (شنجول):430-433هـ(1038-1041م).
- معن بن صمادح : 433-443هـ (1041-1051م).
- محمد بن معن (المعتصم) : 443-484هـ (1051-1091م).
- أحمد بن محمد (المعز) : 484هـ (1091م).

المرجع : دوزي- : دوزي- ج3- ص224.

الملاحق:



عميرة (أول من دخل منهم الاندلس)

↓

المهاجر

↓

عبد الله

عبد الرحمان — عبد العزيز

↓

صمادح

↓

عبد الرحمان

↓

محمد

↓

عبد الرحمان

↓

أحمد

↓

أبو يحي محمد

أبو عتبة صمادح ت 464هـ/1071م — أبو الأحوص معن(أول من استبد بالمرية)

↓

أبو يحي محمد المعتصم
(ت 484هـ /1091م)

أبو جعفر رشيد الدولة — عبد الله — رفيع الدولة — عز الدولة أحمد

المرجع: ابن الآبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج2، 1985، ص80.

رسالة استنجاد ابن عباد بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين

01 جمادى أولى /479هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما :

إلى حضرة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين محي دعوة الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين من القائم بعظيم إكبارها الشاكر لإجلالها، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها اللائذ بحرمها، المنقطع إلى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد، سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية المعظمة السامية ورحمة الله وبركاته .

وكتب المنقطع إلى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وأنه- أيد الله أمير المسلمين ونصر به الدين- أنا نحن العرب في هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا، وتفرق جمعنا، وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من معيننا فصرنا شعوبا لا قبائل وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر، فقل ناصرنا وكثر شامتنا وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين إذ فتش وأناخ علينا بكلكله ووطئنا بقدمه، وأسر المسلمين وأخذ البلاد والقلاع والحصون، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه ولو شاءوا لفعلوا إلا أن الهوان منعهم من ذلك وقد ساءت الأحوال وانقطعت الآمال، وأنت – أيدك الله- ملك المغرب وأبيضه وأسوده وسيد حمير ومليكها الأكبر وأميرها وزعيمها ونزعت بهمتي إليك وانتصرت بالله ثم بك، واستغثت بحرمكم لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الإسلام وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والأجر الجسيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله تعالى وبركاته .

المرجع : د/ أحمد عزاوي- ص155.

أمراء المرابطين

- أبو بكر بن عمر : 448هـ (1056م).
- يوسف بن تاشفين : 465هـ (1073م).
- علي بن يوسف : 500هـ (1106م).
- تاشفين بن علي : 537هـ (1142م).
- إبراهيم بن تاشفين بن علي : 540هـ (1145م).
- إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين : 540هـ (1145م).

المرجع : د/ حسن علي حسن- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس- ص521.

قادة الموحدين

- محمد بن تومرت (المهدي) : 515 هـ /524هـ (1121م–1130م)

- عبد المؤمن بن علي : 524هـ/ 558هـ (1130 م –1163م)

- أبو يعقوب بن يوسف: 558هـ/ 580هـ (1163م –1184مà

- أبو يوسف يعقوب المنصور : 580هـ /595هـ (1184م –1198م)

- أبو عبد الله محمد الناصر : 595هـ /610هـ (1198م – 1212م)

- يوسف المنتصر: 610 هـ/ 620هـ (1212 م – 1223م)

- عبد الواحد المخلوع 620 هـ /621 هـ (1223م –1224م)

- أبو محمد عبد الله العال بن المنصور : 621 هـ /624هـ (1224 م–1227م)

المرجع: عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين : تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ص 80.

وصف المرية

"المرية مدينة على ساحل البحر من أجل بلاد الأندلس وأعظمها قدرا وأعلاها خطرا بها المتجر العظيمة والصناعات الكثيرة ولها الاسم الشائع والذكر الذائع فاليها سفر أهل المغرب والمشرق من الاسلام ومن غير بلاد الاسلام وبها يجتمع القاضي والدانئ والعربي والعجمي فكأنها بقعة محشر يجتمع فيها كل متجر".

المرجع: أبو محمد الرشاطي ابن الخراط الاشبيلي، اقتباس الانوار، ص60.

وصف المريـــة

" وأما المرية فلها على غيرها من نظرائها أظهر مزية بنهرها الفضي، وبحرها الزبرجدي وساحلها التبري، وحصاها المزجع، ومنظرها المرصع، وأسوارها العالية الراسخة وفعلتها المنيعة الشامخة".

و" مما تفضل به اعتدال الهواء وحسن مزاج أهلها وطيب أخلاقهم ولطف أذهانهم".

المرجع : ابن سعيد المغربي، المغرب، تح: شوقي ضيف، ط4، ج2، ص 193.

وصف المرية :

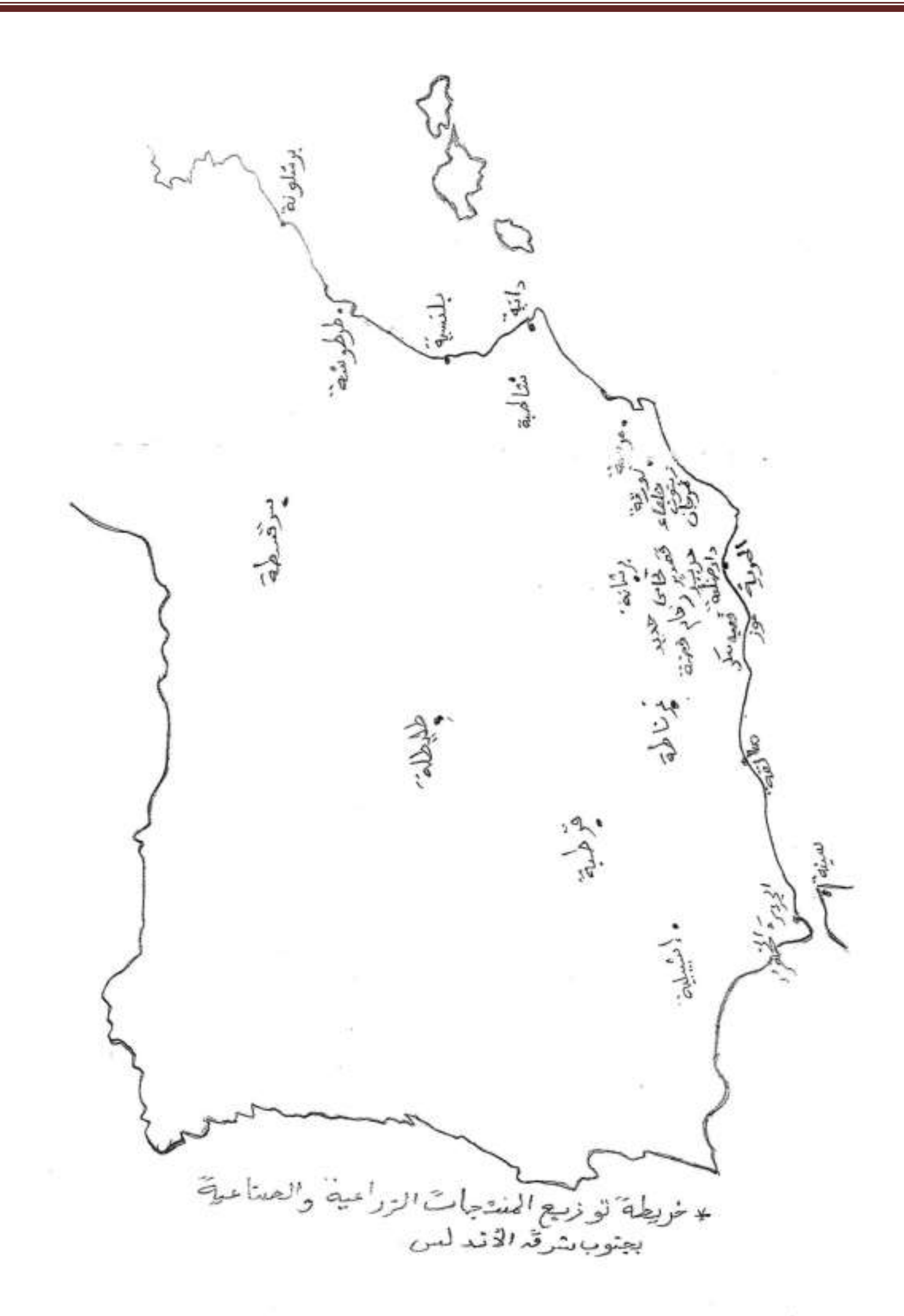
"... وهي على ساحل البحر، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبد الرحمن الناصر، وعظمت في دولة المنصور بن أبي عامر، وولى عليها مولاه خيران، فنسبت القلعة إليه، وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد، وفيها دار الصناعة، وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام، ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر".

"...كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول، وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول، وللأسقلاطون كذلك، وللثياب الجرجانية كذلك، وللأصفهانية مثل ذلك، وللعنابي والمعاجر المدهشة والستور المكللة.

ويصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مالا يوصف. وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا، وساحلها أفضل السواحل، وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة".

"... ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية، ولا أعظم متاجر وذخائر، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف، وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهور بالحصانة، وعلى الآخر ربضها، والسور محيط بالمدينة والربض، وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة، وأحجار أولية، وكأنما غربلت أرضها من التراب، ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار"

المرجع: المقري – نفخ الطيب- ج1- ص 162، 163.



* خريطة توزيع المنتجات الزراعية والصناعية بجنوب شرق الأندلس

المرجع : محمد أحمد أبو الفضل- ص293.

1) المواد الاولية:

المواد النباتية	المواد الحيوانية	المواد المعدنية	المواد الحجرية
قصب السكر، الكتان	الاصواف	الذهب، الفضة	الرخام
اشجار التوت، القطن	الالبان	الكبريت الاحمر	الجص
عود الالنجوج		الكبريت الاصفر	الياقوت الاحمر
اشجار الزيتون		النحاس،الرصاص،	اللازورد،حجر الشبوب
الاعشاب العطرية		الحديد، القصدير	

2) الانتاج الزراعي:

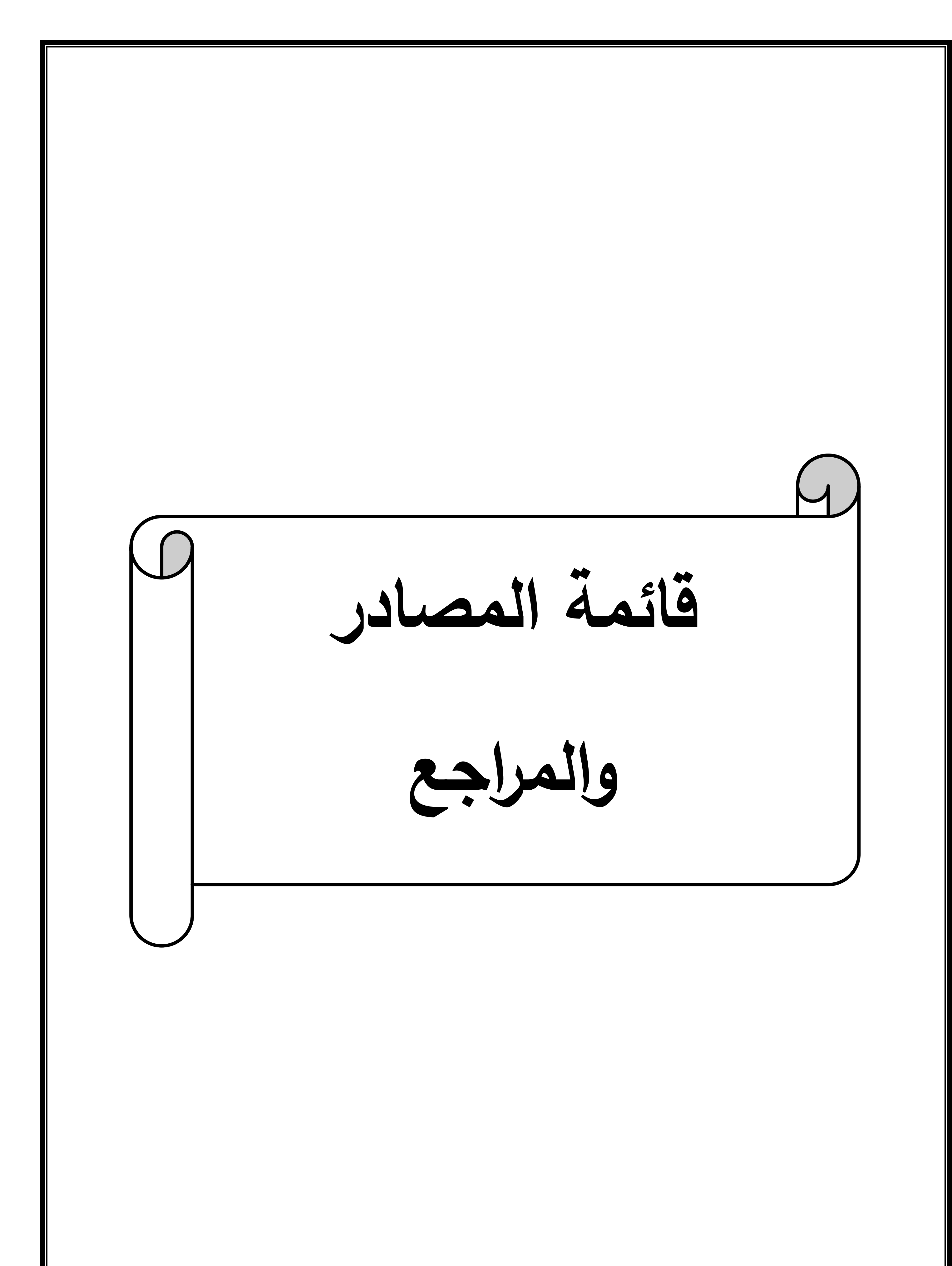
الخضر	الفواكه والاشجار المثمرة و الغلال	الحبوب والبقوليات	الانتاج الحيواني
البصل، الثوم، السلق،	القسطل، الجوز،	القمح، الشعير،	الاسماك، الطيور
اللفت، الجزر، الكرنب	اللوز، الموز	الذرة، الارز	العسل ،المواشي(الغنم)
الخيار، القرع،	الكروم ، البطيخ بنوعيه	الفول، الحمص، العدس	الالبان،الاجبان
الباذنجان الكراث،	فواكه اخرى	اللوبيـــا،الجلبان،	
الخرشوف، الخيار	الحرير،القطن	الفاصوليا	
خضر أخرى	الكتان، القنب		

3) الانتاج الصناعي:

المنتوجات النسيجية	المنتوجات المعدنية	منتوجات أخرى
منسوجات الحرير (الديباج،الحلل الموشية، السقلاطون، البغدادي، الجرجاني،الاصفهاني ،المعاجر، الخمر...) الملابس ، والمنسوجات القطنية والكتانية.الاردية، البسط.	النحاسية و الحديديــة معدة للورشات ادوات السفن ،ادوات للزراعة ادوات للبيت، الامقاص الاسلحة،السكاكين، العملة.	الرخام(الاحواض، الفوارات، الشواهد) الزجاج، الفخار، التحف، الاثاث الحلي(ذهب، فضة، مرجان)، المراكب والسفن ، الحبال، الاشرعة، الشباك و لواحق الصيد . السكر، زيت الزيتون، الاجبان.

4) المبادلات التجارية:

الصادرات	الواردات
المنسوجات الحريرية، الاردية، البسط رخام مصنع وغيرمصنع، الفخار، الحصى الملون التحف المعدنية، السكاكين الات الحديد ،الاصباغ الات العرائس ،الأمقاص المذهبة، الاسلحة والات الجند ، الكتان، الجلود، الورق، المرجان، الزعفران مصنوعات زجاجية، القطن، العسل، القرمز مواد زراعية(زيت الزيتون، السكر، اللوز، التين) الحلفاء، الزئبق.	التوابل(الزعفران، القرفة، الفلفل، الكمون)، الاصباغ، الغراء، الورق، المرجان، اللؤلؤ العبيد و الجواري، الاقمشة، الحبوب، العطور المناديل، الاعشاب، العنبر، العقاقير، الاسلحة، الزبدة، السمن، الماشية، الفواكه، الحديد، الزئبق الفستق، جلود اللمط وقرونه.


قائمة المصادر
والمراجع

القرآن الكريم.

قائمة المصادر و المراجع:

1. **السنة النبوية:** أبو داوود بن سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داوود**، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، الحجاز، ط1، 2009.

أولا: المصــادر:

1. ابن أبي اصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
2. ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، المطبعة الدولية التونسية، تونس، ط1، 1286هـ.
3. ـــــــــ، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387هـ.
4. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1972،
5. ابن الابار، **الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، ط2، ج2، 1963، 1985.
6. ـــــــــ، **الحلة السيراء**، تح: عبد الله انيس الطباع، د د ط، بيروت، ج2، 1962.
7. ـــــــــ، **اعتاب الكتاب**، تح: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، ط2، 1961، .
8. ـــــــــ، **التكملة للكتاب الصلة**، تح: عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1956.

9. ـــــــــــ، **التكملة**، تح: عزّت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، القاهرة، ج1، 1966.

10. ـــــــــــ، **المقتضب من تحفة القادم**، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1989.

11. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج5، 1995.

12. ـــــــــــ، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج8، ج9، ج10، 2010.

13. ـــــــــــ، **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج8، ج9، ج11، 2004.

14. ابن الأخوة، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تح: محمد محمود شعبان، دار الفنون كمبردج، القاهرة، 1976.

15. ابن الأكفائي، **نخب الذخائر في أحوال الجواهر** (معجم الأحجار النفسية)، تح: إنستاس الكرملي، مكتبة لبنان، بيروت، 1991.

16. ابن الحجاج الاشبيلي، **المقنع في الفلاحة**، تح: صالح جرار، جاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1982.

17. ابن الحداد الأندلسي، **ديوان ابن الحداد**، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

18. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ق3، 1964.

19. ـــــــــــ، تاريخ اسبانيا الاسلامية (اعمال الاعلام)، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956.

20. ـــــــــــ، **الاحاطة في اخبار غرناطة**، تح: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ط1، م1، 1973.

21. ـــــــــــ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، م1، 1975.

22. ـــــــــــ، **اللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية**، نش: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1377هـ.

23. ـــــــــــ، **مشاهدات لسان الدين في بلاد المغرب والأندلس**، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958.

24. ـــــــــــ ، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح: محمد كمال شبانة، د دط، القاهرة، 2002.

25. ابن الخير الأشبيلي، **الفهرسة**، تح: فرنسثكة قدار زيدين خيليان ربارة طرغون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997.

26. ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1989.

27. ابن العوام الاشبيلي، **الفلاحة الاندلسية**، تح: أنور أبو سويلم، سمير الدروني، علي أرشيد محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان،ج1.2.3.4.5.6 2012.

28. ـــــــــــ، **الفلاحة الاندلسية**، نش: بانكيري، مدريد، 1802.

29. ابن القطان، **نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح، على مكي المطبعة المهدية، الرباط، د ت.

30. ـــــــــــ، **نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

31. ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس وذكر امرائها**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، م2، 1989.

32. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس** (كتاب الاكتفاء في تاريخ الخلفاء)، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971.

33. ابن بسام الشنتريني(ت542هـ)، **الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ق1: م1، م2/ ق2، م1، م2/ ق3: م1، 1997.

34. ابن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، م1، 2010.

35. ــــــــــ، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، تح: عزّت العطار، القاهرة، ج1، 1955.

36. ــــــــــ، **الصلة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، اللبناني، القاهرة، بيروت، ط1، ج1، 1410هـ.

37. ــــــــــ، **الصلة**، تح: ابراهيم الأبياري، دار صادر، بيروت، ط2، ج2، 1977،

38. ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، نشر: خوسيه بيكروسا ،محمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تطوان، 1955.

39. ابن بلقين، **التبيان** (مذكرات الأمير عبد الله الزيري)، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة 1953، .

40. ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، دار وليلي للطباعة، الرباط، د ت.

41. ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الغربي للأثار الشرقية، القاهر، 1955.

42. ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، تح : إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ج1، 1980، 1983.

43. ــــــــــ، **طوق الحمامة في الآلفة والالاف**، تح : الطاهر احمد مكي، د د ط، مصر، 1975 .

44. ــــــــــ، **جمهرة انساب العرب**، تح، عبد السلام علي هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 5، ج1، ج2، د ت.

45. ــــــــــ، **جمهرة أنساب العرب**، ت: بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د ت.

46. ــــــــــ، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، د د ط، 1972.

47. ــــــــــ، **رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي**، تح: احسان عباس، مكتبة العروبة، القاهرة، 1960.

48. ــــــــــ، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تح: فاروق سعد، دار مكتبة الحياة بيروت، 1972.

49. ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

50. ابن حيان، **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس**، نش: أنطوني بولس، باريس، 1937.

51. ــــــــــ، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تح: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.

52. ابن خاقان، **تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس**، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2001..

53. ــــــــــ، قلائد العقيان، د د ط، القاهرة، 1284هـ.

54. ــــــــــ، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تح: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، ط1، ق3، 1989.

55. ــــــــــ، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح الأندلس**، تح: محمد علي شوابكه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983.

56. إبن خلدون، **المقدمة**، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، ج1، ج2، 2004.

57. ـــــــــــ، **العبر**، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج2،ج6، 2000.

58. ـــــــــــ، **العبر**، اع: أبو صهيب الرومي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية. د ت.

59. ـــــــــــ، **العبر**، اع: ابو صهيب الكرمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج4، ج5، ج6، 1989 .

60. ـــــــــــ، **المقدمة**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج3، 2001.

61. ـــــــــــ، **المقدمة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

62. ـــــــــــ، **المقدمة**، دار الفكر، بيروت، ط1، 2000.

63. ـــــــــــ، **المقدمة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2005.

64. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7، 1971

65. ابن دحية الكلبي، **المطرب في أشعار أهل المغرب**، تح: إبراهيم الابياري وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955.

66. ابن رشد، **فتاوي ابن رشد**، تح: محمد المختار التليلي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

67. أبي الوليد محمد بن رشد: **فتاوى ابن رشد**، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، سفر 01، ط1، د ت.

68. ابن رضوان المالقي ت 783هـ، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تح: على سامي النجار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1984.

69. ابن سعيد المغربي، **اختصار القدح المحلى في التاريخ المحلي**، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980.

70. ــــــــــــ، **الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.

71. ــــــــــــ، **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، ط4، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1965.

72. ابن سهل، **ديوان الاحكام الكبير**، تح : رشيد نعيمي، د د ط، ج2، 1997.

73. ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة** (تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين)، تح : عبد الهادي التازي، دار الغرب السلامي، بيروت، ط1، 1964 .

74. ــــــــــــ، **المن بالإمامة**، تح : عبد الهادي تازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1971 .

75. ــــــــــــ، **المن بالإمامة** (تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1987.

76. ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تح: محمد صبيح، مكتبة مدبولي، مصر، د ت.

77. ــــــــــــ، **فتوح مصر وأخبارها**، نش: شارل توري، نيو هيفن، ليدن 1922.

78. ــــــــــــ، **فتوح مصر والمغرب**، تح: تشارلز توري، الأمل للطباعة والنشر، مصر، ج2، د ت.

79. ابن عبد الرؤوف، **أداب الحسبة والمحتسب**، تح: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005.

80. ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، س5، ج1، 1965.

81. ــــــــــــ، **الذيل والتكملة**، تح: احسان عباس، محمد بن شريفة، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، س1، 2012.

82. ــــــــــــ، **الذيل والتكملة**، تح: محمد بن شريفة، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، س6، 2012 .

83. ـــــــــــ، **الذيل والتكملة**، تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1973.

84. ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تح : ابراهيم الآبياري وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج6، 1949.

85. ابن عبدون، **ثلاث رسائل في الحسبة الإسلامية والمحتسب**، تح: بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955.

86. ـــــــــــ، **رسالة في الحسبة**، تح: بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955 .

87. ابن عذاري، **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** (قسم الموحدين)، تح: إبراهيم الكناني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.

88. ـــــــــــ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج س كولان، ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة، بيروت، ط2، ج2، 1980.

89. ـــــــــــ، **البيان المغرب**، تح، كولان، بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، ج3، 1983.

90. ـــــــــــ، **البيان المغرب**، تح، إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت، ط3، ج4، 1983.

91. ابن عسكر، ابن خميس، **علماء مالقة**، تح: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دار الامان، الرباط، ط1، 1999.

92. ابن غازي، **الروض الهتون في أخبار مكنسة الزيتون**، د د ط، الرباط، 1952.

93. ابن غالب، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كنوز الأندلس ومدائنها**، تح: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، م1، ج2، 1955.

94. ابن قدامة، **قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات**، دار النفائس، بيروت، ط8، 1992.

95. إبن منظور، **لسان العرب**، دار الحياة، بيروت، ط1، ج12، 1999.

96. أبو إسحاق بن القاسم الرقيق، **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: عبد الله العلى الزيدان، عز الدين عمرو موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

97. أبو الحسن النباهي المالقي، **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبا العليا)**، تح: صلاح الدين الخطوري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006.

98. أبو بكر الطرطوشي، **سراج الملوك**، تص: طه محمود قطرية، مطبعة بولاق، القاهرة، 1289هـ.

99. أبو عبد الله الزجالي، **أمثال العوام في الأندلس(ري الأوام ومرعي السوام في نكت الخواص والعوام)**، تح : محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة للثقافة ، الرباط، ق2، د ت.

100. أبو قاسم صاعد بن صاعد الأندلسي(ت 462هـ)، **كتاب طبقات الأمم**، تح: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1952.

101. أحمد بن محمد المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2. د ت.

102. الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)**، مطبعة بريل، ليدن، 1863.

103. ــــــــ، **نزهة المشتاق**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، 1983.

104. ــــــــ، **نزهة المشتاق**، تح، نق: محمد حاج صادق، د د ط ، باريس، 1983.

105. البرزلي، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام**، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، ج1، ج5، 2002.

106. أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1867، .

107. البكري، **المسالك والممالك**، تح: ادريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة، ج1، ج2، 1992.

108. ـــــــ، **المسالك والممالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 2003.

109. ـــــــ، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، ج2، 2002.

110. البلاذري، **البلدان (فتوحها وأحكامها)**، تح: نجيب ماجدي، الدار المصرية، بيروت، ط1، 2008.

111. البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور، الرباط، 1972.

112. ـــــــ، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تح: عبد الحميد حاجيات، د د ط، ط2، الجزائر، 1986.

113. التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1984.

114. الجزيري (ت 585هـ)، **المقصد المحمود في تلخيص العقود**، تح: أسونثيون فريرس، المعهد الاسباني للدراسات، د ت.

115. جعفر بن علي الدمشقي (ق5هـ)، **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تح: البشير الشوربجي، مطبعة الغد، الإسكندرية، 1971.

116. الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، ج2، 1983.

117. الحميدي، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966.

118. الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، ج1، 1994.

119. ـــــــ، **الروض المعطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975، ط2، 1984.

120. ـــــــ، **الروض المعطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة 1986.

121. ـــــــ، **صفة جزيرة الأندلس (الروض المعطار في خبر الأقطار)**، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل للنشر، بيروت، ط2، 1988.

122. خالد بن عيسى البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تح: الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي، المغرب، الامارات، ج2، د ت.

123. الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تح: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط2، ج2، 1984.

124. الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ط1، 1994.

125. الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

126. الزركلي، **الأعلام (قاموس تراجم)**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ج2، ج3، 2002.

127. الزهري، **الجغرافية**، تح: صادق مكتبة الثقافة الدينية، الرباط، د ت.

128. سراج الدين بن الوردي، **عجائب البلدان**، تح: محمود زناتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011.

129. السقطي، **في أداب الحسبة**، تح: كولان، بروفنسال، مكتبة أرنست تورو، منشورات معهد الدراسات العليا المغربية، باريس1931.

130. السلفي، **أخبار وتراجم أندلسية**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963.

131. السملالي، **الإعلام بمن حل بمراكش أغمات من الأعلام**، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ج1، 1998.

132. الشقندي، **فضائل الأندلس وأهلها**، نش: صلاح الدين المنجد، د د ط، 1968.

133. الشيزري (ت590هـ)، **نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1946.

134. ـــــــــ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تح: حسن محمد إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

135. الضبي(ت 595هـ)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، اللبناني، القاهرة، بيروت، ط1، ج1، ج2، 1989.

136. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، نش: دي غوية، ليدن، 1879.

137. ابن خلصون عبد الله محمد، **كتاب الأغذية**، تح، سوزان جيفا ندري، المعهد الفرنسي للدراسات، دمشق، د ت.

138. المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2006.

139. ـــــــــــ، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 2004.

140. ـــــــــــ، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تق، تح، تع: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.

141. ـــــــــــ، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1997.

142. العقباني، **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق 1967.

143. علي بن محمد ابن رزين، **فضالة الخوان في معرفة طيبات الطعام والألوان**، تح: محمد بن شقرون: اشراف احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1984.

144. العمري، **مسالك الابصار في ممالك الامصار**(اليمن والمغرب الاسلامي وقبائل العرب)، تح: حمزة احمد عباس، المجتمع الثقافي للنشر، ابوظبي، س4، 2002.

145. ـــــــــ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: مصطفى ابو ضيف أحمد، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1988.

146. ـــــــــ، **مسالك الأقطار في ممالك الأمصار** (وصف افريقيا والمغرب والأندلس)، نش: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، 1339هـ.

147. عياض موسى السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: أحمد بكير محمود، دار المكتبة الفكرية، ليبيا، ج1، ج4، 1988.

148. القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986.

149. القاضي عياض(ت544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مكتبة فضالة، الرباط، ج1، د ت.

150. القزويني، **أثار البلاد وأخبار العباد**، مكتبة برلين، 1984.

151. القلقشندي، **صبح الأعشى في كتاب الإنشاء**، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5، 1915.

152. القلقشندي، **صبح الأعشى في كتاب الانشاء**، تح: يوسف على طويل، دار الفكر، دمشق، ط1، ج5، 1987.

153. ابن الخطيب لسان الدين، **تاريخ اسبانية الإسلامية (أعمال الإعلام:**في من بويع قبل الاحتلام**)**، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956.

154. المازاري، **طلع سعد السعود**، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر الجزائر، ط1، ج1، 2007.

155. مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها**، تح : ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ، اللبناني، القاهرة ، بيروت، ط2، 1989.

156. مجهول، **الاستبصار في عجائب الامصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

157. مجهول، **مجموع رسائل موحدية**، اع: بروفسنال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ج10، 1941.

158. مجهول، (منسوب لابن الخطيب)، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تص: البشير الفورتي، مطبعة التقدم، تونس 1329هـ.

159. مجهول، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، ط1، 1979.

160. مجهول، **جغرافية وتاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013.

161. مجهول، **فتح الأندلس**، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ج1، 1994.

162. مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، د ت.

163. مجهول، **مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2005.

164. الكتبي محمد بن شاكر(ت 764هـ)، **فوات الوفيات**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م2، 1974.

165. محمود مقديش، **نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، م1، 1988.

166. الشعبي مطرف عبد الرحمان بن القاسم، **الاحكام**، تح : صادق الحلوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992 .

167. المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1909.

168. المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج 1، 1939، ج2، 1940، ج3، 1942.

169. ـــــــ، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: سعد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ج5، د ت.

170. ـــــــ، **نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار الأبحاث، ج1،، ج3، ج4، 2008.

171. ـــــــ، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكرها وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تح: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج1، 1988.

172. ـــــــ، **نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، م1، م2، م3، م4، م5، 1963.

173. ـــــــ، **نفح الطيب الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، 1994.

174. نظام الملك الطوسي، **سير الملوك** (سياسيات نامه) تر: يوسف بكار، دار المناهل، بيروت، ط2، 2007.

175. النويري، **كتاب الإلمام**، تح: عزيز سوريال عطية، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ج3، 1970.

176. ـــــــ، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج24، ج25، 2004.

177. الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب**، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، ج2، ج8، 1981.

178. ـــــــــ، **المعيار**، تح: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2،، ج2، ج6، 1983

179. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، م1، م2، م3، م4، م5، 1977.

180. يحيى بن عمر، أحكام السوق، تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار علي الجيهاني التونسية للنشر، تونس، 1975.

181. اليعقوبي، **البلدان** (من كتاب: الأعلاق النفيسة لإبن رستة) مطبعة بريل، ليدن، 1892.

182. اليعقوبي، **البلدان**، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

183. أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د ت.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

1. بوتشيش إبراهيم القادري ، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994.

2. ـــــــــ، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، 1995.

3. ـــــــــ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، ط1، ج8، 1981.

4. ـــــــــ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997.

5. الطاهري احمد ، الفلاحة والعمران القروي، خلال عصر بني عباد، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2004.

6. رستم احمد ، أبو العباس العذري الدلائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2010.
7. عزاوي أحمد، عصر طوائف الأندلس من خلال رسائل ديوانية (ق5ه/ 11م)، القنيطرة، ط1، 2013.
8. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د ت.
9. مكي أحمد، دراسات أندلسية في التاريخ والأدب والحضارة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1987.
10. سامعي إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، ط1، 2007.
11. بلانثيا أنخل ، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955
12. كونستيل أوليفيا ، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبدالله، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1992.
13. الحارثي بدرية بنت مشعل ، النوازل في الأطعمة، دار كنوز اشبيلية، الرياض، ط1، ج1، 2011.
14. سلطان توفيق ، النظم العربية الاسلامية، دار التوافق العربي، بغداد، ط2، 1985.
15. مزاري توفيق ، النشاط البحري بالغرب السلامي في عهد الموحدين والمرابطين، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، ج1،ج2، 2011 .
16. ريسلر جاك، الحضارة العربية، تح: خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993.
17. صابر جلال، ملامح الاصالة في الشعر الأندلسي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1994.

18. طه جمال أحمد ، الحياة الاجتماعية في عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 2004.

19. طه جمال أحمد ، مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين، دار الثقافة، الاسكندرية، 2001.

20. زيدان جورجي ، تاريخ التمدن الاسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج2، د ت.

21. حسن حسن إبراهيم ، التاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447هـ- 656هـ/ 1058م- 1256م)، دار الجيل، بيروت، ط1، ج4، 1996.

22. النوش حسن أحمد ، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

23. السائح الحسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1985، ط2، 1986.

24. حسن حسن علي ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين دار العلوم، القاهرة، ط1، 1980.

25. دويدار حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138هـ- 422هـ/755م-1030م، مطبعة الحسبة الإسلامية، الإسكندرية، 1964.

26. الوراكلي حسين، ياقوتة الأندلس(دراسات في التراث الأندلسي)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994.

27. مؤنس حسين ، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1981.

28. ـــــــــ، أطلس تاريخ الاندلس. دار الشرق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983.

29. ـــــــــ، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1992، .

30. ـــــــــ، تاريخ الجغرافيا و الجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1986.
31. ـــــــــ، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000.
32. ـــــــــ، سبعة وثائق جديدة (عن المرابطين وأيامهم في الأندلس)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 2000.
33. ـــــــــ، فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية 711م- 756م)، دار المناهل، بيروت، ط1، 2002.
34. ـــــــــ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.
35. حسين حمدي عبد المنعم محمد ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980.
36. ـــــــــ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة العلمية، القاهرة، 2008.
37. طلفاح خير الله ، حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية للطباعة بغداد، ج6، 1977.
38. دوزي رينهارت، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل،مكتب تنسيق التعريب، الرياض، د ت.
39. ـــــــــ ، المسلمون في الاندلس، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3، القاهرة، 1995.
40. ـــــــــ، ملوك الطوائف (نظرات في تاريخ الإسلام)، تر: كامل كيلاني، مطبعة عيسى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، 1933.
41. ـــــــــ، تكملة المعاجم العربية، نق: محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، ج3، 1981.

42. عبد الحليم رجب محمد ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية(في عصر بني امية وملوك الطوائف)، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، 1985.

43. كحيلة رضا، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، منشورات جامعة القاهرة، القاهرة، 1997.

44. خليفي رفيق، الاندلسيون وتنشيط حركة الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، د د ط، 2009.

45. لوتورنو روجي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982.

46. مسعد سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية(300هـ -319هـ/ 912م-929م)، ط1، 2000.

47. ليون بول ستانلي ، قصة العرب في اسبانيا، تر: على الجارم، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 2014.

48. زغلول سعد ، تاريخ المغرب العربي، منشورات المعارف، القاهرة، ج5، 2000.

49. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1964.

50. ـــــــــ، بحوث في تاريخ الاسلام وحضارته، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1987.

51. الهرفي سلامة محمد سلمان ، دولة المرابطين في عهد بن علي بن يوسف بن تاشفين (دراسة سياسية حضارية)، دار الندوة الجديدة، الرياض 1985.

52. الجيوشي سلمى خضراء، الحضارة العربية الإسلامية، مركز الدراسات للوحدة العربية، القاهرة، ط1، 1998.

53. ابو زيد سهام مصطفى ، الحسبة في مصر الإسلامية (من الفتح إلى العصر المملوكي)، الهيئة المصرية للكتاب، 1986.

54. مصطفى شاكر، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

55. الفيومي شحات حبيب ، الأئمة الأربعة (شموس في سماء الأمة الإسلامية)، مكتبة علاء الدين، القاهرة، 2006.

56. ارسلان شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، ج 1، 1938.

57. بن قربة صالح ، عبد المومن بن علي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985.

58. رشدي صبيحة رشيد ، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1980 .

59. خالص صلاح ، اشبيلية في القرن 5هـ، دار الثقافة، بيروت، د ت.

60. بوناب طاهر ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ و 7هـ، شركة الهدى، الجزائر، 2007.

61. رجب عبد الجواد ، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الاندلسية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.

62. عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة (رائعة من التاريخ الجزائري)، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991.

63. حاجيات عبد الحميد ، تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج3، 1984.

64. الحجي عبد الرحمان علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 897هـ، دار القلم، دمشق، بيروت، ط2، 1984.

65. العلمي عبد الرحيم، الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن 8هـ/14 م، دار الأمان، الرباط، 2009.

66. الجعماطي عبد السلام ، النقل والمواصلات بالأندلس، عصر الخلافة والطوائف 316-484هـ، دار ابن حزم، بيروت، ط1، د ت.

67. غرميني عبد السلام ، المدارس الصوفية في المغرب والاندلس(ق6ھ)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 2000.

68. علام عبد السلام علي ، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف القاهرة، 1968.

69. سالم عبد العزيز، العبادي أحمد مختار ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.

70. سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1988.

71. ــــــــــــ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.

72. ــــــــــــ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية(قاعدة الأسطول الأندلسي)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984.

73. ــــــــــــ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998.

74. عتيق عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1976 .

75. عبادة عبد الفتاح، سفن الاسطول الاسلامي (انواعها ومعداتها في الاسلام)، مطبعة الهلال، مكتبة الخانجي، مصر 1913.

76. محمود عبد القادر ، الفلسفة الصوفية في الاسلام، دار الفكر العربي دمشق، 1967.

77. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.

78. النجار عبد المجيد محمد ، المهدي بن تومرت (حياته و أراءه)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، .

79. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب (من أقدم العصور إلى عهد المرابطين)، الهيئة العامة، مكتبة الإسكندرية، 1987.

80. ذا النون عبد الواحد طه ، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس(صور من التواصل الاجتماعي الحضاري مع المشرق)، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.

81. موسى عز الدين عمرو ، الموحدون في الغرب الإسلامي(تنظيماتهم ونظمهم)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991..

82. ـــــــــــــ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الشروق، بيروت ، القاهرة، ط1، 1993.

83. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ت.

84. سالم عصام سالم ، جزر الأندلس المنسية، التاريخ الاسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

85. شبارو عصام محمد ، الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2002.

86. دندش عصمت عبد اللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) 510 هـ 546 هـ /1110م- 1151م، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت.1992.

87. الغناي عقيلة مراجع ، قيام دولة الموحدين، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ط1، 1988.

88. جمعة محمد علي، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ط2، 2001.

89. كردي علي إبراهيم ، أداب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيأة العامة، دمشق، 2013.

90. الجارم بك علي ، قصة المسلمين في إسبانيا، مطبعة المعارف، القاهرة، 1944.

91. الشطاط علي حسن، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار ضياء، دبي، 2001، .

92. خلاصي علي عمر ، جيجل تاريخ وحضارة، منشورات الحضائر، بئر توتة، الجزائر، ط1، 2011.

93. الصلابي علي محمد ، الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع الإسلامية، القاهرة، ط1، د ت .

94. بروكلمان كارل ، الشعوب الإسلامية، نق: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968.

95. بومدين كروم ، أبو الحسن التشتري الصوفي الجوال(حياته وشعره)، دار التوفيقية، الجزائر، ط1، 2011.

96. ابو مصطفى كمال السيد ، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1997.

97. ـــــــــــ، دراسات مغربية وأندلسية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ت.

98. ـــــــــ، تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ت.

99. كولان، الأندلس (دائرة المعارف الإسلامية)، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط 1، 1980.

100. بروفنسال ليفي، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت.

101. بالباس ليوبولدوس، المدن الاسبانية الاسلامية، تر: اليو دو درودي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط1، 2003.
102. مجموعة كتاب، فصول في تاريخ الاندلس (بداية النهاية) تر: عبد الفتاح عوض، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 2001.
103. بن عبد المنعم محمد، العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصري بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، د ت.
104. ابو الفضل محمد احمد ، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الاسلامي 344هـ-484هـ/955م-1091م الهيأة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1981.
105. ـــــــــ، شرق الأندلس في العصر الاسلامي، (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996.
106. بلغيث محمد الأمين ، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، الجزائر، 2006.
107. القبلي محمد ، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار طوبقال للنشر، الرباط، ط1، 1987
108. المنوني محمد ، حضارة الموحدين، دار طوبقال، المغرب، 1989.
109. العامري محمد بشير، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014.
110. رستم محمد بن زين العابدين ، الحافظ الرواية: أبو العباس العذري المرّي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010.
111. رزوق محمد ، دراسات في تاريخ المغرب، المغرب، د د ط، ط1، 1991.
112. عقاب محمد طيب، الأواني الفخارية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

113. مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، د ت.

114. الحماد محمد عبد الله ، التخطيط العمراني لمدن الأندلس الاسلامية (ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، ق 03، الحضارة والعمارة والفنون)، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط 1، 1996.

115. عنان محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997.

116. ــــــــ، دولة الإسلام في الأندلس (دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1960.

117. ــــــــ، دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط1، 1960.

118. خلاف محمد عبد الوهاب ، وثائق في شؤون العمران في الأندلس، (مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى لابن سهل)، نشر فتاوى المركز الدولي للاعلام، القاهرة، 1983.

119. الكحلاوي محمد محمد ، عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية(ندوة الأندلس)، ق3، الحضارة والعمارة والفنون، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ط، 1، 1996.

120. زيتون محمد محمد، الفتح الإسلامي للأندلس(دراسة وتحليل)، منشورات كلية العلوم الإسلامية، الرياض، 1980.

121. السيد محمود، تاريخ دولة المرابطين و الموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999.

122. طويل مريم قاسم، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح443هـ-484هـ(1051م-1091م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

123. كواتي مسعود ، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، 2000.

124. الشالة مصطفى ، الادب الاندلسي (موضوعاته وفنونه)، دار العلم للملايين، بيروت، 1975 .

125. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، د ت.

126. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، بيروت، ط1، 2004،

127. حسين ممدوح، مصطفى شاكر، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري 668هـ- 792هـ/ 1270م- 1390م، دار عمار، عمان، ط1، 1998.

128. لقبال موسى ، الحسبة المذهبية في المغرب العربي (نشأتها وتطورها)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1970.

129. وات مونتغموري ، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط2، 1998.

130. ايراقنغ واشنطن ، أخبار سقوط غرناطة، تر: هاني يحي نصري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2000.

131. هل يانس ، الحضارة العربية، تر: ابراهيم أحمد العدوي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1956.

132. اشباخ يوسف ، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والوحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، (ج1، ج2)، 1996.

133. طويل يوسف علي ، ديوان ابن الحداد الأندلسي (ت480هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.

134. يوفيل، تجارة الذهب والمغرب الكبير، ترجمة: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988.

135. التهامي ابراهيم ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة (من الفتح إلى نهاية 5هـ)، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2005.

136. الناقة براهيم السيد ، دراسات في التاريخ الأندلسي الاقتصادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010.

137. الناصري السلاوي، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج2، 1954.

ثالثا: المصادر والمراجع باللغة الاجنبية:

1. ibn Abu Zara, Raoud El kartas(histoire des souverains du Maghreb) , traduire a.Beaummier ;imprimerie impériale :paris ,s d.
2. Cohen Claude, corporations professionnels dans le monde Musulmane classique quelques notes et réflexions, Damas, ASME ,1997.
3. Latri Donas , traités de paix et de commerce et document divers congenant les relation des Chrétiens avec les Arabes d'Afriques on moyen âge, Paris, 1846,
4. Provençal Lévis, Séville musulmane du 12 éme siècle (le traité d'Ibn Abdun) , Maison Neuve et l'Arrose, Paris ,2000.
5. Provençal Lévis , Séville muslilmane au début des XII siècle (le traite d'Ibn Abdun sur la vie urbaine et les corps de métiers) , maison neuve, Paris, 2001.

رابعا: المقالات:

باللغة العربية:

1. العبادي أحمد مختار ، الاندلس، مجلة عالم الفكر، د د ط، القاهرة، م10، ع2، 1979.
2. سانشيز اكسبيراسيون ، الزراعة في اسبانيا المسلمة، تر: أكرم ذا النون، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998.

3. غيشار بيار ، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، تر: مصطفى الرقي، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط، 1ج2، 1998.
4. شلميطا بيدرو ، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، تر: مصطفى الرقي، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998.
5. مصطفى خزعل ياسين ، الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية، عصر الإمارة والخلافة، مجلة التجربة والعلم، م 18، ع1، الموصل، 2014.
6. وينز دفيد ، فنون الطبخ الأندلسي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998.
7. الأهواني عبد العزيز ، أمثال عامة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ع19، 1978.
8. بولنز لوسي ، نباتات الصباغة والنسيج، تر: مصطفى الرقي، معهد الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، ج2، 1998.
9. خياري محمود خياري، فضائل أهل الأندلس، مجلة دراسات إنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ع 2، 2002.
10. السحيباني أحمد ، ظاهرة ضعف القيم الأخلاقية في عصر الطوائف بالأندلس، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ع6، م5، 1998.

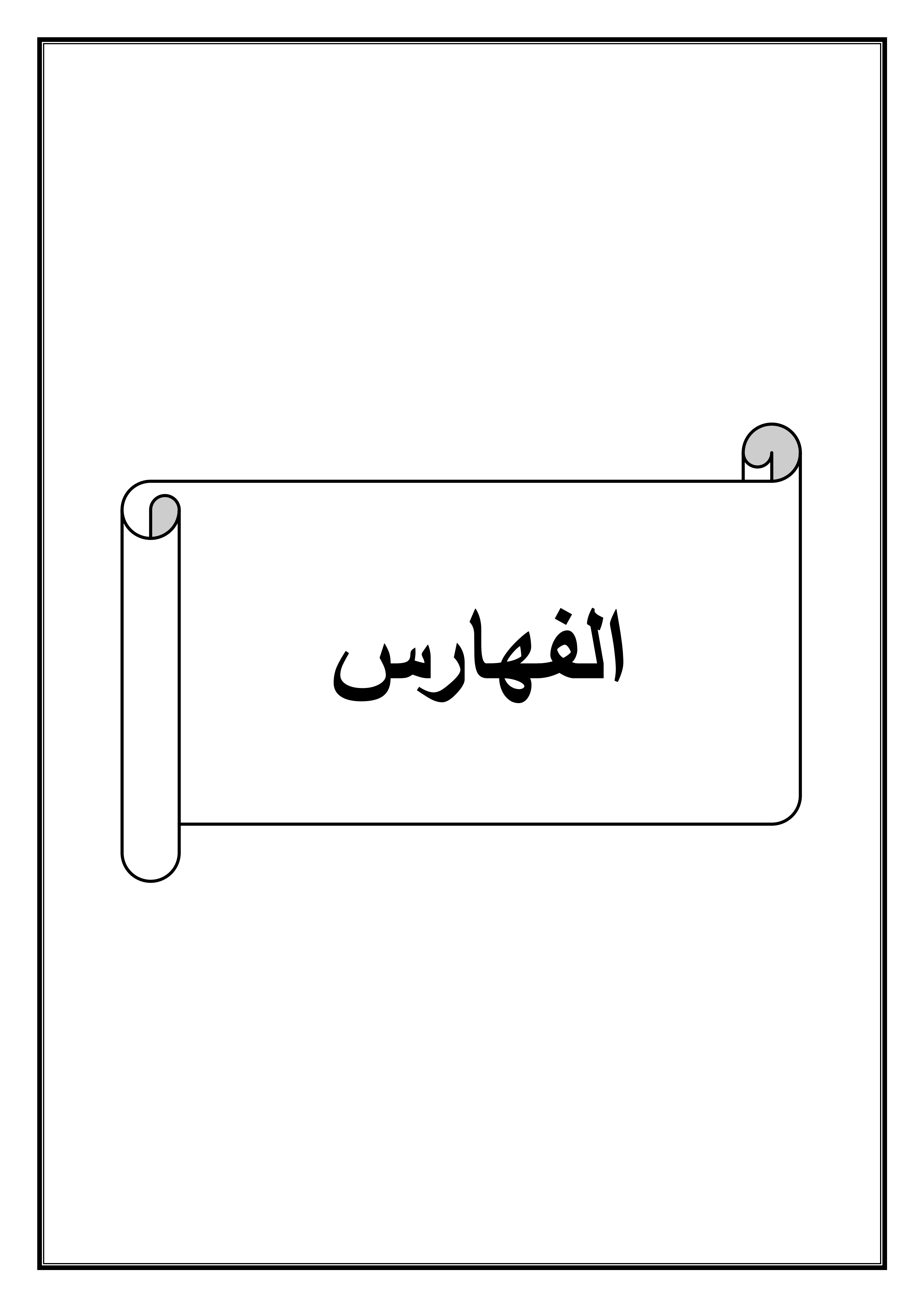
***باللغة الاجنبية:**

1. Massignon Louis, Les corps de métiers et la cité islamique, revue internationale de sociologie, N°28, Paris, 1925.

خامسا: الرسائل الجامعية:

1. أبو المعاطي يحي، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب الإسلامي والأندلس238-488هـ، أطروحة دكتوراه اشراف طاهر راغب حسين، جامعة القاهرة، 2000 .

2. بلغيث محمد الأمين ، الحياة الفكرية بالأندلس عصر المرابطين، أطروحة دكتوراه، إشراف، عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002– 2003.
3. بن ذيب عيسى، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (دراسة اجتماعية واقتصادية)، 480 هـ–540هـ/1086م–1145 م، إشراف: أحمد شريفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2008/2009.
4. بلغيث محمد الأمين ، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1987.
5. ربيع رقي ، مدينة المرية في عصر المرابطين(دراسة اجتماعية واقتصادية)484هـ–542هـ/1091م–1147م، رسالة ماجستير، اشراف: محمد الامين بلغيث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2014/2013.


الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	السورة	الصفحة
كُنْتُمْ خَيْرَ أمّة	110	آل عمران	314
ولتكن منكم	104	آل عمران	314
إقرأْ بسم	1-5	العلق	222
ولا تعجل بالقرآن	15	طه	222
فلَوْلاَ نَفَر	122	التوبة	222

الحديث الشريف

الحديث	المصدر	الصفحة
من سلك طريقا	سنن أبو داوود	224

فهرس الامثال

فهرس الاشعار

مطلع البيت	القافية	عدد الابيات	الصفحة
ممّا يزهدني	الدال	2	49
أو التأموا	الميم	1	55
قوم لهم	الميم	2	55
وكانت دار	الراء	2	61
شدّوا رواحلكم	الطاء	3	61
لك الخير	النون	2	108
ولابأس	النون	1	108
فلو نظر	النون	3	108
لعلّك بالوادي	الألف	2	122
لا عَيْشَ	الألف	2	122
أفي المجْد	الألف	1	122
تَرفّق بدمعك	اللام	1	140-126
آل معن	التاء- الدال	2	128
حثّوا مطاياكم	الطاء	3	132
فلا كتب	الميم	1	135
لله أندرس	النون	2	169
سام صرف	الدال	5	336
وكانت دار	الراء	2	61
لك الحمد	الياء- اللام	3	129
و المجلسان	النون	2	177
النهر منساب	النون	1	371
قالوا المرية	الحاء	2	395
متى تلحظوا	النون	2	181

فهرس الأعلام

فهرس الاعلام

فهرس الأمم والقبائل والجماعات والفرق والطوائف

فهرس الأماكن:

الفهرس العام: